

البابية والإسلام

بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام

(رسالة دكتوراه مترجمة عن اللغة الفرنسية)

فضيلة الإمام الأكبر

عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الشريف رحمه الله

تصدير

أ.د/ علي جمعة

مفتي الديار المصرية

تقديم

أ.د/ محمد كمال إمام



البابية والإسلام

بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام

(رسالة دكتوراه مترجمة عن اللغة الفرنسية)

فضيلة الإمام الأكبر

عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الشريف رحمه الله

تصدير

أ.د/ علي جمعة

مفتي الديار المصرية

تقديم

أ.د/ محمد كمال إمام

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. محمد صابر عرب

تاج، عبدالرحمن حسين على، ١٨٩٦ – ١٩٧٥.
البابية والإسلام: بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام: رسالة دكتوراه مترجمة عن اللغة الفرنسية/ عبدالرحمن تاج؛ تصدير على جمعه؛ تقديم محمد كمال إمام. - القاهرة: دارالإفتاء المصرية، ٢٠١١.
٦٣٦ ص ؛ ٢٤ سم.
١ – البابية (ديانة) - البحوث.
٢ – البابية (فرق إسلامية) - البحوث
أ – جمعه على (مصدر)
ب – إمام، محمد كمال (مقدم)
جـ – العنوان

٢٩٧,٨٨٠٧٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١١/١٠٥١٣

تصدير لفضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة محمد

مفتي الديار المصرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته واهتدى بهداه وبعد،

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون كتابَ هدايةٍ ورحمةٍ للعالمين، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥]. وهو في الوقت ذاته معيارٌ ومحلُّ اختبارٍ للمكلفين، فليس كل من سمعه اهتدى به؛ بل اتبعه أناس وأعرض عنه آخرون ليَمِيزَ الله الخبيث من الطيب، فالقرآن واحد ولكن القابليات تختلف في تلقيها لأنوار ذلك الكتاب العظيم، لذا فالمشكلة في المتلقِّي وليست في القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

وقد بيَّن لنا القرآن الكريم أن السمة الأصيلة للأديان التي أرسل الله تعالى بها الرسل هي الإيمان بالله وحده لا شريك له، مع الجزم واليقين باليوم الآخر، في إطار من التشريعات والقيم التي تحافظ على الإنسان وما حوله في الكون، وهذا ما نص عليه قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

وبهذا المعيار الرباني وذلك الميزان القرآني يمكن لكل ذي بصيرة وفطرة سليمة أن يدرك حقيقة الأقوال والادعاءات والفِرَق التي تحاول أن تتستر وراء

الأديان السماوية وتدَّعي أنها خرجت من رحمها وأنها من أبناء جلدتها وتتشح بعباءتها.

وهناك أسباب عدة دعت هذه الفِرَق للبعد عن تعاليم صحيح الدين، بل وتحريف نصوصه وفهمها على غير الوجه الذي تتحمله، وبغير ما أجمعت عليه الأمة، فضلا عما استقر عليه علماؤها وارتضاه مجتهدوها. ويمكن إرجاع تلك الأسباب إلى أربع وهي: الجهل، واتباع الهوى، والغرور بالنفس، والرغبة الجارفة في السير وراء المصلحة المادية الشخصية وحدها، دون اعتبار لقيمة روحية أو مصلحة عامة.

وإن من تمام نعمة الإسلام العظمى ووجوب الحمد عليها أن الله تعالى جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل عن الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل قد هَدَوْه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين.

وقد شهد تاريخ الإسلام لأولئك الرجال الأفذاذ الذين نافحوا عنه فردُّوا كيد الكائدين، وفرقوا للناس بين المخلصين والمنافقين المدَّعين، ولم يَخْلُ زمانٌ من هؤلاء العلماء المخلصين، وكان للأزهر ورجاله قصب السبق في هذا المضمار، فما من زائغ إلا وفَوَّقوا إليه سهام الحق، وبينوا حِيَل المارقين في تلبيس الكذب بالصدق.

ومن هؤلاء الذين يفخر المسلمون بجهودهم في هذا السياق **الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الشريف** الذي

تناول في رسالته للدكتوراه دراسة شاملة وشافية عن إحدى الفرق التي ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد، وهي نحلة «**البابية**» التي أَطَلَّتْ برأسها على الشرق بعد ميلادها غير الشرعي في بلاد فارس، فاغتر بها بعض من لم يحيطوا بالشريعة من ناحية، ولم يدركوا الهدف الحقيقي من وراء تلك النحلة من ناحية أخرى، فسخَّر الله تعالى ذلك العالِمِ الجليل ليبين للناس حقيقة تلك الفرقة، وأصولها، والكتب التي ألفها متولي إثمها وهو الميرزا علي محمد الملقب بالباب، ثم ما لبث الشيخ تاج أن أتى على بنيانها الزائف بمعاول الحق ومنهج أهل الصدق حتى كشف أمرها وأزاح الستار عن أهدافها الحقيقية التي قد يجهلها بعضهم أو يغتر بمظهرها آخرون، وخلَص الشيخ إلى أنه لا علاقة بين هذه الفرقة المنحرفة والإسلام.

لقد ظهرت البابية -مثل غيرها من الفرق التي خلعت ربقة الإسلام- فادَّعت أنها الفرقة التي بيدها سعادة الناس ونجاتهم مما هم فيه تحت وطأة الظلم والاستبداد والفقر والجهل، غافلين عن طريق أهل الحق الذين يرون أن الخلاص دائمًا ليس في شخص أو بضعة أشخاص، وإنما يأتي ذلك من خلال منهج حكيم، وقيم عليا، ومبادئ سامية، ولا تتوفر كل هذه المقوِّمات إلا في الأديان السماوية، وقد بلغت ذروتها في الدين الإسلامي الحنيف بمصدريه الرئيسين: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الشريفة.

ولذلك كانت وظيفة العلماء المخلصين -ولا زالت- أنه إذا ظهرت فرق أو حركات ترتبط بشخص تُمجِّده وتصل به إلى أنه المخلِّص لهذا العالَم، ساعتها ينبري العلماء إلى إظهار وإشاعة القاعدة التي سُقْناها، وهي: أن العبرة بالأساس في المنهج، بقواعده ومبادئه وقِيَمه ومقاصده، وليس بالأشخاص فحسب،

ممتثلين لقول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الزخرف: ٤٣].

وأخيرًا... فإن هذا الكتاب يكتسب أهمية كبيرة باعتبارات عدة، منها أهمية موضوعه؛ إذ لا يزال حفنة من الناس يعتقدون بصحة مذهب البابية ويدافعون عنه دون أن يقفوا على حقيقة تلك النحلة وأساس وجودها وغايتها، ويزداد الكتاب ثِقَلا أنه دراسة جادة في صميم عقيدة البابية ومن خلال كتبها وحياة المتصدرين فيها والمؤسسين لها، فهي دراسة في تلك العقيدة وليست حولها، والسمة الثالثة التي تزيد من قيمة هذا الكتاب أنه جاء على يد متخصص عالم جمع بين العلوم النقلية والعقلية، فضلا عن اطِّلاعه الواسع على الثقافة الغربية، فاتسمت الدراسة بالمنهجية والعمق والشمول، رحم الله الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج، ونفع بكتابه، وجعله مشعلَ نور لكل متلمس حقٍّ يبحث عن الحقيقة ويبتغي راحة القلب، وطمأنينة النفس، وسلامة الفكر، وسعادة الدارين.

كما نتقدم بالشكر لكل من الدكتور أسامة عبد الجليل في قسم الترجمة الفرنسية بدار الإفتاء المصرية والذي بذل مجهودا كبيرا في ترجمة النص الفرنسي إلى العربية، وللدكتور فاروق طنطاوي رئيس قسم الترجمة الفرنسية بدار الإفتاء المصرية الذي قام بمراجعة الترجمة للكتاب.

والحمد لله في الأولى وفي الآخرة على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

علي جمعة محمد

مفتي الديار المصرية

غرة رمضان سنة ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عبد الرحمن تاج الإمام والفقيه

أ.د. محمد كمال الدين إمام

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية الحقوق- جامعة الإسكندرية

(١)

كُتب الكثير عن الأزهر -جامعًا وجامعة- حتى الجوانب الفنية من معماره الأثري جُمعت تصاويرها وخطوطها، وأُرخ لمبدعيها ورواد فنونها، ورغم هذا التراكم المعرفي المتنوع حول سيرة الأزهر، فإن الحياة العقلية الزاخرة فيه، ومناهج علمائه في الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة، وفي الذود عن لغته وآدابه، وعن تاريخه وحضارته إن هذه الحياة العقلية بكل تياراتها ومذاهبها لا تزال بعيدة عن الدرس المنهجي، ولم تتجه إليها بالقدر اللائق جهود الباحثين من أبناء الأزهر وغيرهم من أبناء الإسلام، وتأتي في مقدمة هذه الدراسات الغائبة أبحاث أبناء الأزهر المحدثين الذين صالوا وجالوا، وشرَّقوا وغرَّبوا، وبين أناملهم أقلام لا يشق لها غبار، وأفكار هي التجديد بعينه، وأسفار لم تر النور إلى يوم الناس هذا، فبعضها حبيس الأدراج عند الورثة، وبعضها الآخر حبيس لغة أجنبية نطق بها، ولم يُسْتدرج أصحابها للذوبان في ثقافة أخرى، بل حركوا مياهًا آسنة، وصححوا مفاهيم خاطئة، وردوا عن الإسلام بسلاح الحجة والحكمة ما يروجه المخالفون من أكاذيب وشبهات، وفي سياق يحاول رصد بعض هذه الفتوحات العقلية، تأتي

هذه الترجمة الدقيقة لرسالة «الدكتوراه» التي تقدم بها إلى جامعة باريس الإمام الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج تحت عنوان (البابية والإسلام) «بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام»، ونشرتها عام ١٩٤٢م المكتبة العامة للقانون والتشريع في العاصمة الفرنسية، كنت أعرف العلامة عبد الرحمن تاج من خلال كتابه -مع آخرين- حول تاريخ الفقه الإسلامي، وهو أول مؤلف يدرس حول تاريخ التشريع في كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية بعد تنظيمها الجديد في أوائل الثلاثينيات وهي مرحلة تطور تحمَّلها جيل من الرواد منهم الشيخ الظواهري والإمام محمد مصطفى المراغي، ومحمد عبد الله دراز، وعبد العزيز المراغي، وعبد الرحمن تاج، ومحمد الأودن، ومصطفى حبيب، وعلي الخفيف، وفرج السنهوري، وغيرهم من العلماء الذين لا تزال كتاباتهم المنهجية الرائدة مجرد ملازم قليلة النسخ وهي نادرة لا يعرفها طلاب العلم، وقد جمعت أغلبها -بعد جهد جهيد- لينفتح أمامي الأفق الواسع للثقافة الأزهرية في لحظة فارقة من تاريخها العلمي المديد.

وكنت أعرف أيضًا أن للعلامة عبد الرحمن تاج مؤلفًا في «السياسة الشرعية والفقه الإسلامي» تحول به هذا الفقه من مباحث دراسية في مدرسة القضاء الشرعي وفي تخصص القضاء الشرعي إلى علم يعرض الثقافة الإسلامية الصحيحة من خلال مفهوم تصبح معه السياسة والفقه صنوانًا من أصل واحد، وأن الإسلام -بفقهه وسياسته- كفيل بتحقيق مصالح الناس في كل حال وزمان، وكان مؤلفه في القمة بين إنتاج النظراء، لمنهجيته المحكمة في ضبط المفاهيم، وبيان الفروق، وتأسيس القواعد، وتحديد المجالات، وبيان المقاصد، والتعريف بالمصادر، فجاء كتاب «السياسة الشرعية والفقه الإسلامي» فريدًا في بابه مقارنًا بمن كتبوا في موضوعه قديمًا وحديثًا.

وكنت أعرف أيضًا أن للعلامة عبد الرحمن تاج كتابًا في الأحوال الشخصية، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥١ تحت عنوان «مذكرات ودروس في الشريعة الإسلامية» يستوعب محاضراته للسنة الثانية في كلية الحقوق جامعة إبراهيم الكبير -عين شمس حاليًا- وقد طبع الكتاب بعد اكتماله تحت عنوان «الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية».

وهو من أهم الكتب التي صدرت عن أساتذة الشريعة الإسلامية في كليات الحقوق في النصف الأول من القرن العشرين، بدءًا من مؤلفات زيد الأبياني، وأحمد أبو الفتح، وأحمد إبراهيم، ثم عبد الوهاب خلاف، والبتانوني، وعبد الرحمن تاج والذي جاء كتابه في الأحوال الشخصية يتبنى المنهج النقدي المقارن، ويدرس أنظمة الأسرة باعتبارها جزءًا من أحوال الاجتماع الإنساني، كما يقول بحق عبد الرحمن تاج، غير أنه -تبعًا لتطور العلوم والفنون، ونظرًا لتشعب الأبحاث الفقهية والقانونية وتنوعها، وتمشيًا مع مبدأ التخصص في الدراسات، ومع قوانين الاختصاص في القضاء- جَدَّ اصطلاح قانوني غير ذلك الذي كان عليه فقهاء الإسلام يخص هذه الأبواب، أي أحكام الأسرة باسم الأحوال الشخصية.

وقد ظهرت في هذا الكتاب وكتاب السياسة الشرعية الذي ظهر بعده بعامين الثقافة الواسعة للشيخ عبد الرحمن تاج، والتي تجمع بين المعرفة الإسلامية العميقة والاطلاع الدقيق على العلوم الاجتماعية الغربية وفي مقدمتها القانون، وقد يعجب القارئ المتعجل لاهتمام الشيخ بالقانون، وهو تعجب في غير محله، فالشريعة الإسلامية هي قانون المسلمين، والعلامة عبد الرحمن تاج من خريجي تخصص القضاء الشرعي ونال شهادة التخصص فيه عام ١٩٢٦، وانضم منذ

عام ١٩٣٤ للتدريس بكلية الشريعة، وعندما اختير للتدريس بكلية الحقوق جامعة إبراهيم الكبير، عين فيها بدرجة أستاذ، وهذا أقل ما يستحق، فقد كان منذ سنوات عضوًا في جماعة كبار العلماء، وحاصلا -إضافة إلى العالمية في تخصص القضاء الشرعي- على شهادة دكتوراه الدولة في فلسفة وتاريخ الأديان من جامعة «السوربون»، وقد أقام في باريس قرابة ثمان سنوات ما بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٤٢، وكان أبرز أقرانه من أعضاء البعثة الأزهرية الرسمية إلى العاصمة الفرنسية. ولم يعد الشيخ عبد الرحمن تاج من باريس «متفرنسًا» كما حدث للكثيرين، بل عاد أشد اهتمامًا بثقافته الأزهرية، وأقوى إيمانًا بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة المسلمين، ولديه منهجية واضحة في الدرس التشريعي وفهمه، عماده معرفة ظاهر النص في بيئته الثقافية ومعجمه العربي وقوانينه اللغوية، ومعرفة أغوار النص عن طريق التأمل في روح الشريعة، وتدبر ما تقضي به أغراضها وأسرارها، وأيضًا من خلال الاهتداء بأصول الإسلام العامة، وقواعده الكلية المحكمة، وقد دافع الشيخ عن أهمية اللغة العربية في كليات الحقوق، وكان يسعى حثيثًا إلى دعم كلية الحقوق جامعة عين شمس بمكتبة لُغوية وأدبية متكاملة، ومن أطرف ما يروى في هذا الصدد أنه كان عضوًا في لجنة شكلتها جامعة عين شمس لفحص وشراء مكتبة المفكر الكبير عبد العزيز باشا محمد وكان العضو الثاني العلامة الدكتور مهدي علام، وأثناء استعراض فهارس المكتبة لاقتسام مقتنياتها الثمينة بين كليتي الآداب والحقوق، رفض الدكتور عبد الرحمن تاج اقتراح الدكتور مهدي علام وفحواه أن القسمة الطبيعية أن تذهب كتب القانون والشريعة إلى كلية الحقوق وكتب الآداب واللغة إلى كلية الآداب، ولكن الدكتور عبد الرحمن تاج أصر على أن تذهب كتب اللغة وأمهات كتب الأدب إلى كلية الحقوق، وحجته في ذلك أن العمل والدراسة في هذه الكلية يحتاجان إلى معاجم اللغة وأمهات كتب الفنون

الأدبية، وهو في ذلك على حق؛ لأن اللغة هي وعاء الأمر والنهي لكل تشريع، وبغيرها لا يحسن فهم ولا يصيب قضاء.

(٢)

كان مولده في أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد عام ١٨٩٦، حيث استقبلت مدينة أسيوط -بتاريخها ومكوناتها- طفلًا قدر له بعد ثلاثين عاما أن يمتلك ناصية الثقافة في العقيدة والشريعة واللغة، وأن يحصل على العالمية في عام ١٩٢٣ ثم استكمل طموحاته بالحصول على شهادة التخصص في القضاء الشرعي عام ١٩٢٦ وهي في حينها تعادل درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية، ليعود إلى مسقط رأسه شيخًا معممًا يحمل في داخله إحساسًا بجسامة المسؤولية، وثقل الأمانة، فقد عاد معلمًا في ذات المعهد الديني الذي شهد أولى خطواته على طريق التعلم، وقبل أن تحمله الأيام إلى الإسكندرية، وبالذات إلى معهدها الديني المرموق بأعلامه ومنهجه التعليمي الصارم، والمنافسة القائمة بين نوابغه الذين انضم إليهم منذ عام ١٩١٠ ملحقًا بالسنة الثانية الابتدائية، وعاش فيه حتى أكمل دراسته الثانوية، وفرض عليه الرحيل إلى القاهرة طالبًا لفت إليه الأنظار في رحاب الأزهر الشريف.

لم تكن الإسكندرية في أوائل القرن الماضي مدينة عادية، ولا كان معهدها الديني كغيره من المعاهد في شمال مصر وجنوبها.

أما المدينة، فقد ازدحمت بالوافدين من كل صوب، يحملون معهم بضاعتهم الفكرية والأدبية ومذاهبهم وأديانهم كما يحملون سلعهم التجارية، وفي الإسكندرية التي عاش فيها الشيخ عبد الرحمن تاج أقليات من كل لون،

ومهاجرون من عوالم متعددة، وصحف متصارعة، ورجال دين ورجال دنيا ملؤوا الأسواق وشغلوا الناس، ولا أظن الذاكرة الواعية «للمتلقي» عبد الرحمن تاج خلت من تأمل هذا المشهد المتنوع دينيًّا وفكريًّا وسياسيًّا، بل أظنه بقي في داخله زادًا ساهم في تكوين أصالته الفكرية، وانفتاحه الثقافي، وقوة حجاجه التي جعلته متميزًا بين أهله وفي سنوات اغترابه.

أما المعهد الديني بالإسكندرية، فكان مشروعًا إصلاحيًّا بكل معنى الكلمة، وكثير من أبنائه أُلْقِيَت إليهم فيما بعد مقاليد القيادة الفكرية في الأزهر الشريف، بل إن بعض أبنائه احتلوا مقدمة الصفوف بين التيارات العاملة في المجال الديني على اختلاف اتجاهاتها وتباين غاياتها. وأغلب الظن أن معهد الإسكندرية الديني كان من أهم روافد التكوين العلمي لعبد الرحمن تاج، والذي أهَّله فيما بعد لأن يكون من أوائل من اختيروا للتدريس في الجامعة الأزهرية الجديدة، ولم يكن ذلك بالأمر الغريب فقد كان عبد الرحمن تاج هو الأول على زملائه في جميع مراحل الدراسة، وكان محل ثقة أساتذته، وفي أواخر الأسبوع كان يلقي الدروس نيابة عنهم، وفي هذا المعهد بدأت إرهاصات ملكته النقدية، وقدرته على الحجاج والمناقشة، وكان يدخل قاعة الدرس وقد قرأ ما سيتلى عليه، واستوعب منه ما يتوافق مع عقله المتوثب، فكان يسأل عن علم، ويستقبل الإجابة استقبال الظامئ إلى الري، فكان أسبق من سنه، وشهد له أساتذته بالنبوغ والتفوق.

وعندما دخل إلى رحاب الجامعة مدرسًا كان من أوائل من بدؤوا التأليف فيها، وفي علمين كانا بحاجة إلى تأسيس وتجديد وهما الفقه المقارن وتاريخ الفقه، ولولا اختياره عضوًا في بعثة الأزهر الشريف العلمية عام ١٩٣٦ والتي وجهتها «السوربون»، لولا ذلك لرأينا إنتاجًا رسم الشيخ عبد الرحمن تاج خارطته العلمية

وبدأت ثمارها الأولى تتجلى دروسًا يجتمع لسماعها طلاب كليات الجامعة الأزهرية الثلاث، وليس طلاب كلية الشريعة فحسب.

وعاد الشيخ بعد ثمان سنوات من باريس وكانت الحرب العالمية الثانية تمثل أوج الصراع المحتدم بين القوى الغربية المتناحرة، عاد الشيخ رغم مخاطر العودة، فقد جعله إيمانه مطمئنًا على نفسه وعلى أسرته، وعاد الشيخ إلى أرض الكنانة في ظروف تاريخية حرجة، والإمام الأكبر محمد مصطفى المراغي يقود سفينة الأزهر بذكاء وألمعية بين أمواج متلاطمة، ورياح هائجة، ومنذ اللحظة الأولى عاد الشيخ إلى موقعه في كلية الشريعة، وإلى تخصصه في القضاء الشرعي، ولكنه إضافة إلى ذلك استأنف عمله في لجنة الفتوى ممثلا مذهبه الحنفي، واحتل موقعه في جماعة كبار العلماء، واستفاد الأزهر والدولة بعلمه الغزير وتجاربه الواسعة، وفي عام ١٩٥٠ اختير للعمل أستاذًا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة إبراهيم باشا الكبير، وعندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو اختارته عضوًا في لجنة صياغة الدستور المصري الجديد، وفي عام ١٩٥٤ صدر القرار الجمهوري بتعيينه شيخًا للأزهر، فدخل المشيخة ومعه مشروعه الإصلاحي، وقد تمثل في جانبين:

الجانب الأول: إجرائي، حاول فيه التأسيس لاستقلالية الأزهر والحفاظ على هيبته، وقد ظهر ذلك في صدامه مع أكثر من مستوى رفيع من أبناء ثورة يوليو من أمثال جمال سالم وعلي صبري.

الجانب الثاني: موضوعي، حيث عمل الإمام الأكبر عبد الرحمن تاج - متأثرًا بثقافتيه الإسلامية والغربية- على إحداث نهضة في الأزهر، بدأت بإصلاح الهيكل التنظيمي والإداري، ثم بإدخال اللغات الأجنبية في المقررات الدراسية

الأزهرية، والاهتمام بالوافدين من أبناء العالم الإسلامي، وفي عهده أنشئت مدينة البعوث الإسلامية.

ويبدو أن هذا المشروع الإصلاحي للشيخ عبد الرحمن تاج بجانبيه لم يكن محل ترحيب من بعض قادة ثورة يوليو، إلا أنه لم يكن سهلا إزاحة الشيخ عن منصبه، فمنصب شيخ الأزهر له صداه في العالم الإسلامي، إضافة إلى كون الشيخ عبد الرحمن تاج من أسيوط في صعيد مصر وهي بلد رئيس الجمهورية في ذلك الوقت، وأيًّا ما كان الأمر فقد استطاع خصوم عبد الرحمن تاج إبعاده عن الأزهر بعد سنوات أربع وفي منصب يبدو رفيعًا، ولكنه دون أهمية الأزهر في تأثيره ودوره، فصدر عام ١٩٥٨ قرار عُين فيه شيخ الأزهر وزيرًا في اتحاد الدول العربية الذي ضم سوريا واليمن ومصر، وفي عام ١٩٦٣ اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية حتى وفاته عام ١٩٦٦.

وما بين استقباله في مجمع اللغة العربية ورحيله ثلاث سنوات حافلة بالإنتاج المجمعي الدقيق، وبالاحتفاء الحقيقي بعلم الشيخ وأدبه.

عَبَّرَ عن ذلك الشيخ علي عبد الرازق في حفل استقبال الشيخ بمجمع اللغة العربية فقال: «إن فضيلة الأستاذ -يقصد عبد الرحمن تاج- قد نال من الدرجات العلمية ما رفعه إلى مستوى لا مطمع لكثير من الناس أن يصلوا إليه، ولكنه هو نفسه استطاع أن يبلغه، وأن يبلغ من الفضل مقامًا فوق ذلك مظهرًا، وأرفع قدرًا، وأكبر مقامًا، مقامًا تتهادى دونه درجات العلماء، ومقامات الخبراء، وتتخاذل دونه الألقاب، وترتد المطامع عنده وهي كليلة حسرى».

وعَبَّر عن ذلك في يوم رحيله العلامة علي الخفيف بقوله: «كان فقيدنا

الأستاذ الإمام -رضي الله عنه- من أولئك الذين حيوا بعلمهم، وسموا بأخلاقهم، وعملوا بعلمهم، فكتبوا لأنفسهم الخلود بما تركوا من علم يُتَدارس، ومعرفة تُتَوارث، وأفكار تُهدى، فكان فيه الأسوة الحسنة لمن أراد لنفسه سموًّا لمنزلة عليا، ولذكره بقاء، ولحياته خلودًا. كان رحمه الله واسع الاطلاع، كامل الثقافة، وافر المعرفة، خلَّف وراءه من الطلاب والأتباع من هيأ لهم وسائل نجاحهم، وقرب إليهم موارد خلاصهم، وأتاح لهم فرص تحصيل العلوم وهضمها ما ينمي مداركهم، ويزيد معارفهم. لقد فقدنا بفقده -رضي الله عنه- الشيخ الجليل والإمام العظيم، والنابغة في الفقه والتفسير، والضليع في العربية وعلومها، فكان الخطب فيه جللا، والخسارة فادحة لا للأزهر وحده، ولا لمجمع اللغة العربية فحسب، بل للأمة الإسلامية جمعاء.

إذْ كان -رضي الله عنه- أمة وحده عالمًا متبحرًا، باحثًا مدققًا، وأستاذًا متمكنًا، مؤمنًا برسالته، مخلصًا لدعوته، خلف لنا ثروة علمية قيمة، فيما ترك من كتب ورسائل، وفيما نشر من مسائل، وفيما زود به مجمع اللغة العربية من بحوث تضمنت أفكارًا مشرقة هادية، وآراء سديدة قيمة، تنم عن علم زاخر، ونظر دقيق، وبحث فاحص، مع سلامة في الحكم، واستقامة في النظر، وتدقيق في اختيار أحسن الآراء.

ولذا فإنه ترك بوفاته -رحمه الله- فراغًا لا يُملأ، وأسى لا يُنسى، كان -رحمه الله- سمحًا في أخلاقه، متميزًا في أدبه متفوقًا في علمه، لم ينل من نفسه هوى المنصب، وما لمشيخة الأزهر من جاه، وما تحظى به من مكانة في النفوس، وسلطان في القلوب، وما عزت به من هيبة روحية ومكانة دينية، ولم يكن ذلك يشغله عن أن يكون باحثًا مدققًا نافذًا مفكرًا، لا يرضى إلا بالحقائق واضحة جلية».

لقد كان الشيخ بحق -كما وصفه الدكتور إبراهيم بيومي مدكور- من ثمار السلف الصالح، الذين امتلأت نفوسهم بالإيمان الصادق، واتسعت صدورهم لكل جديد نافع.

وفي عبارة موجزة معبرة قال عنه العلامة مهدي علام «لقد كان أخفتنا صوتًا، وأعلانا حجةً».

(٣)

عاش الإمام عبد الرحمن تاج في قلب الحركة الإصلاحية الحديثة في مصر، وساهم في مجالاتها المتعددة بالكلمة الرصينة والموقف الشجاع، كان من أوائل من قادوا معركة تجديد الأزهر جامعًا وجامعة في الثلاثينيات من القرن الماضي، ولم يتردد عن معالجة أدق المشاكل في علوم الفقه واللغة، وكان له نصيب وافر في تحديد العلاقة بين الدين والدولة، وبين الشريعة والمجتمع.

في العلاقة بين الدين والدولة رد -في أكثر من مقال- على دعاة الفصل بينهما، وكانت له في لجنة إعداد الدستور بعد ثورة ٢٣ يوليو آراء ومناقشات، تكشف عن فهم عميق لروح الإسلام، وفي حواراته التي تستوعبها المحاضر الرسمية حديث شامل، ورؤى عميقة في مواجهة ما قدمه مفكرون كبار من أمثال طه حسين، وعلي عبد الرازق، وعبد الرحمن بدوي، ويحسم ضوابط العلاقة بين الدين والدولة بعبارة واضحة وجملة القول عنده «أنه لا يصح في تصرف من التصرفات أو حكم من الأحكام التي تسن لتحقيق مصلحة عامة أن يقال إنه مناقض للشريعة بناء على ما يُرى فيه من مخالفة ظاهرية لدليل من الأدلة، بل يجب تَفَهُّم الأدلة، وتَفَهُّم روحها، والكشف عن مقاصدها وأسرار التشريع فيها،

والتفرقة بين ما ورد على سبب خاص وما هو من التشريع العام الذي لا يختلف ولا يتبدل، فإن مخالفة النوع الثاني هي الضارة المانعة من دخول أحكام السياسة في محيط شريعة الإسلام».

أما العلاقة بين الشريعة والمجتمع فهو يقيمها على المساواة ويقول: «أما حديث: «الناس سواسية»، فإن معناه أنهم سواسية في الحقوق والواجبات وفي أمور الدين وفي كل ما يرجع إلى النظام العام، فهم يتفاضلون بالتقوى ومراعاة هذه الحقوق والواجبات، أما فيما وراء هذا فلا شك أن الناس متفاوتون في المنازل والدرجات.

واستمع إلى رؤيته الاجتماعية الثاقبة وهو يقرر حق المرأة في الطلاق، يقول الإمام عبد الرحمن تاج: «إن الشريعة قد راعت في مواطن كثيرة -تحقيقًا لمعنى الهناءة والاستقرار للحياة الزوجية- توفيرَ أسباب الهناءة وموجبات هذا الاستقرار، فلم تهدر رأي المرأة وحقها في الطلاق، بل جعلت لها كامل الحق في المطالبة به، وأوجبت على القاضي أن يجيبها إلى طلبها، ويفرق بينها وبين زوجها، متى أبدت من الأسباب ما تقرره العدالة وتؤيده الشريعة التي شددت في وجوب رعاية الزوجة والمحافظة على أسباب راحتها وسعادتها، وأوردت في ذلك من التعاليم أكثر مما أوردته لأجل الرجل؛ نظرًا لأنها صاحبة المدرسة الأولى التي إليها تربية النشء وإصلاحه وتهذيبه، وعلى جهودها الصالحة النافعة تقوم سعادة الأسر وهناءة الأمة.

هذا وإذا كانت الشريعة قد أعطت المرأة حق الالتجاء إلى القضاء ليفرق بينها وبين زوجها في الحالات التي لا تستقيم فيها أمور الزوجية فذلك لا ينبغي أن يكون مبررًا للنزعة التي ينادي أصحابها بأن أمر الزواج كله يجب أن يكون

وقفًا على القضاء، فلا يملك الرجل أن يطلق امرأته فيما بينه وبينها، فإن هذه النزعة خطرة ليست في صالح الرجل والمرأة، وليست في مصلحة الأسرة والأمة، وهي عسيرة التحقيق، ومن شأنها أن تنشر خبايا البيوت، وتفضح أسرار الأسر، وهل كل أسباب النفور بين الزوجين يمكن الإفضاء بها أمام القضاء؟

وهل مما يليق في قوانين الآداب العامة -إذا كان سبب الفرقة مما يرجع إلى الأخلاق والسلوك أو غيرها مما نهت الشريعة عن فضح أمره، وأمرت بالتصرف فيه على ما يحقق المصلحة ويراعي الآداب- أن يسجل ذلك كله في سجلات القضاء؟

لا... إنه يجب أن نراعي في الشؤون العامة ألا نخضعها للأهواء والنزعات الفردية، وألا نُحَكِّم فيها الرغبات الجانحة والميول المتنقلة غير المستقرة، ونظام البيوت والأسر لا ينبغي أن يكون في كل وقت تبعًا لتلك الرغبات والأهواء ولو كانت على خلاف شرائع السماء».

هذه لمحات من فقه الإمام تاج، وله من الاجتهادات ما قد يتجاوز المذاهب كلها، ومثال ذلك شرحه الأخلاقي -وليس الفقهي- لحديث الرسول ﷺ «**إنما الأعمال بالنيات**».

(٤)

من اللافت للنظر أن المشروع الإصلاحي للشيخ عبد الرحمن تاج لم تتحدد معالمه، ولم تظهر تآليفه إلا بعد أن جمع بين ثقافتين: إسلامية أصيلة، وغربية تعامل معها الشيخ بعقل مفتوح ومنهجية نقدية صارمة. وإذا تجاوزنا كتاب «تاريخ التشريع الإسلامي» الذي أسهم مع بعض زملائه في إعداد وكتابة مادته، فإن

الكتاب الأول للشيخ عبد الرحمن تاج هو كتاب «البابية والإسلام» والذي صدر عام ١٩٤٢ عن المكتبة العامة للقانون والتشريع بالعاصمة الفرنسية باريس، وهو أطروحة تقدم بها الإمام عبد الرحمن تاج إلى جامعة السوربون للحصول على دكتوراه الدولة في الآداب وفي تخصص الفلسفة وتاريخ الأديان، وحصل على الدرجة العلمية بأعلى تقدير، وحاولت البابية وأعوانها إخفاء هذا العمل الذي ظل رهين المحبسين:

الأول: لغة فرنسية جعلته غائبًا عن جمهوره وبعيدًا عن أهله وذويه.

والثاني: موقف عدائي أراد حجب الكتاب عن أعين القراء لأن البابية في خطر ما بقي الكتاب متداولا ينفي مزاعم البابية، ويكشف زيف أفكارها وخطورة دعوتها، وقد استطاع الشيخ -بمهارة العالم الفذ الذي يمتلك كل أدواته العلمية- أن يقدم البابية باعتبارها فرقةً ضالةً وديانةً باطلةً، وأصبحت بين يديه كرة من الثلج سرعان ما أجبرتها شمس الحقيقة على الذوبان، إن الهدف الذي توخاه الشيخ من خلال هذا البحث الخاص بالبابية وعلاقتها بالإسلام هو تبصير المثقفين في الشرق والغرب على السواء بحقيقة البابية وأهدافها واستغلال البعض لها، وقد أثبت الشيخ أنها ملة أخرى تغاير دين الإسلام وتخرج عليه، وتخالف جميع الأديان السماوية.

لقد شاء الله جل في علاه أن يفك أسر هذا العمل العلمي الرائع وأن يعود فكر الشيخ بعد ما يزيد على سبعين عامًا، يعود من غربته بذات توهجه الأول، ولنفس الأهداف والغايات، في وقت علا فيه صوت خصوم الأديان، وأصبح الخوف من الإسلام -دين السلام- «أيديولوجيا جديدة» عند صانعي القرار في كثير من بلاد الغرب والشرق، ولعودة الكتاب إلى وطنه ولغته قصة تروى في

كلمات: منذ عامين تقريبًا عُقدت في مكتبة الإسكندرية جلسات عمل استمرت يومين حول موضوعي «الجهاد والردة» حضرها وحاضر فيها الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية مع نخبة من أعلام الفكر الإسلامي من مصر وخارجها بدعوة من الأستاذ الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية، وكان الحوار عميقًا والنقاش هادفًا والنتائج خطوات تعاون مثمر بين دار الإفتاء المصرية ومكتبة الإسكندرية، وفجأة قفز إلى ذهني الإمام عبد الرحمن تاج وكتابه الرائع الضائع، وقلت: إن ترجمته تمثل أملا، وتحتل أولوية في عصر للفتنة فيه ألف باب في مقدمتها باب «البابية»، وساعتها قال الأستاذ الدكتور علي جمعة: عليك بالكتاب وعلينا ترجمته ونشره، وها هو كتاب «البابية والإسلام» يطل على القارئ العربي لأول مرة في ترجمة دقيقة وبأسلوب عربي رصين، يأتي في موعده، ويلبي حاجة حقيقية، ولعله يكون بداية لسلسة تترجم أعمالا لأعلام كبار من رجالات الإسلام لا تزال طي النسيان في اللغات الإيطالية والألمانية والروسية والإنجليزية والفرنسية.

إنه أمل، هذه إرهاصاته وما ذلك على الله بعزيز.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد كمال الدين إمام

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة الإسكندرية

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وبعد..

فإن الترجمة ليست مجرد انتقال من لغة إلى أخرى فحسب، وإنَّما هي تحول إبداعي من حضارة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، وهذه الحقيقة تكشف عن نفسها بشكل أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بالحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية، وبمجال فلسفة العلوم على وجه الخصوص؛ وذلك لشواهد عدة:

أحدها: ارتباط الفلسفة بالسياق التاريخي الاجتماعي.

والثاني: ارتباطها بالسياق اللغوي الأدبي.

وهذا لا يعني أننا نسعى إلى تأليف كتابٍ موازٍ للنص الأصلي، وإنما هو السعي الحثيث لنقل الفكرة من وعائها اللغوي إلى وعاء لغوي آخر يسع جميع أفكار النص.

إن ترجمة كتاب يتحدث عن أصول عقائد الفرق وتاريخ نشأتها وفلسفتها لا تتطلب إتقانًا للغتين فحسب، وإنما معرفة مقبولة بالمفاهيم الأولية التي تسمح للمترجم بالغوص في أعماق الكتاب المترجم، وكذا اطلاعًا واسعًا على معاجم المصطلحات العقائدية والفلسفية التي تستوعب كل هذه الاختصاصات مجتمعة.

ومما لا شك فيه أن المترجم لمثل هذا الكتاب لا بد أن يكون ممتلكًا للأدوات المنهجية والملكات العقلية والتاريخية، التي تمكنه من الفهم الدقيق للأفكار وما تنطوي عليه من مضامين.

إن المترجم -في مثل حالتي- يجد أمامه مصطلحات علمية عربية متعددة مقترحة في مقابل المصطلح الأصلي الفرنسي، وعليه أن يمتلك منهجية خاصة في هذه العملية الانتقائية، ومن أيسر مبادئها -في نظري- اختيار الأقل مبنًى والأقرب معنًى. وفي حالة التعارض بين الخيارين فعلى المترجم أن يتعامل مع كل حالة وفق سياقها وخصوصيتها. وهذا هو المنهج الذي اعتمدته في هذه الترجمة.

ولقد وجدت هذا الكتاب زاخرًا بالشواهد والاقتباسات من الكتب والمراجع -حديثها وقديمها- المتوفر منها تحت يدي وغير المتوفر؛ إذ إنه في الأصل بحث علمي مقدم من الباحث لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في الحضارة، ونظرًا لعدم جواز ترجمة هذه الاقتباسات بألفاظي فإن الضرورة كانت تحتم العودة إلى الكتب الأصلية لنقل العبارات المقتبسة منها، ولقد عانيت خلال هذه الترجمة من مشكلة اقتباسات المؤلف من بعض الكتب التي كانت في عصره ولم تعد متوفرة اليوم، مما اضطرني إلى الرجوع إلى المكتبات العامة بحثًا عنها، فنقلت العبارات منها بألفاظها جميعًا سوى بعض المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس وكتاب «مفتاح باب الأبواب» لمهدي خان، مما اضطرني إلى أن أترجم اقتباس المؤلف من كتاب مهدي خان ترجمة حرفية بلغتي؛ لأني لم أجد عين عباراته، فأرجو القارئ الكريم الانتباه إلى هذا الأمر.

أما بالنسبة لعبارات الميرزا علي محمد الملقب بـ«الباب» في كتابه «البيان العربي» والتي تشتمل على أخطاء لغوية فقد أوردتها كما هي بأخطائها، وكما أوردها المؤلف باللغة العربية حتى يتسنى للقارئ معرفة المستوى الحقيقي للغة التي ألف بها «الباب» كتابه.

وأشير إلى أن الأصل في حواشي الكتاب للمؤلف نفسه، أما الحواشي

والتعليقات التي علقت عليها من عندي فميزتها عن حواشي المؤلف بكلمة (المترجم) وأشرت إليها بعلامة (*) في الحاشية السفلية، فحافظت بذلك على توافق الحاشية في النص الأصلي مع النص المترجم.

كان ذلك على مستوى الترجمة، والأمر لم يكن كذلك فحسب، إنما جاءت مرحلة المراجعة العلمية الدقيقة للترجمة من جانب المراجع، فقام بقراءة النص الفرنسي قراءة متأنية ثم قراءة النص العربي المترجم ومطابقة هذا بذاك، فإن كان ثمة ملاحظة أو خطأ أشار إليه لتعديله، وإن كان ثمة لفظة غير دقيقة تم استبدالها، وإن كان ثمة غموض أو معنى مغلوط تم توضيحه ورد الأمر إلى صوابه. وتقتضي الأمانة أن أقول إن المراجعة العلمية لهذا النص من جانب المراجع كانت لي بمثابة الركن الذي آوي إليه إذا ما استشكل عليَّ الأمر في اختيار المعنى الدقيق.

ثم جاء من بعد ذلك كله دور إدارة «التدقيق والمراجعة اللغوية» بدار الإفتاء المصرية، وأرى أن هذا الدور كان بمثابة واسطة العقد في هذا العمل، فلم يكن العمل مقتصرًا على ما هو متعارف عليه في هذا الميدان من خلال ضبط الكلمات والقواعد النحوية، وإنما ارتقى إلى درجة التحقيق بما تحويه الكلمة من معانٍ، فوقفوا على كل لفظة وجملة دراسةً وتحقيقًا، فتم تحرير جميع أسماء الأعلام من رواة وبلدان، ومراجعة التواريخ وترقيم الآيات الواردة في النص المترجم، كما تمت مراجعة الاقتباسات وتصحيح النقولات من مصادرها الأصيلة من كتب التاريخ والعقيدة وكتب علوم القرآن واللغة وغيرها، حتى خرج العمل في هذه الصورة. هذا بالإضافة إلى النظر ومراجعة المترجم في الجمل التى تحتاج إلى إعادة صياغة للمحافظة على انسيابية النص، كذلك قامت إدارة «التدقيق والمراجعة» بتحقيق المخطوطة الملحقة بالكتاب، ووضع بعض التعليقات خصوصًا في مسألة

المهدي وغيرها، وتم أيضًا معالجة السياقات التي بدت مخالفة لمنهج الإسلام وصادمة لعقيدته والتعليق عليها. والترجمة التي بين يدي القارئ الآن خير شاهد ودليل.

وفي نهاية المقام أقول إن هذا العمل في هذه الصورة ما هو إلا ثمرة منظومة من المجهودات المتواصلة أشرف عليها منذ بداية التكليف حتى خرج هذا العمل إلى النور د.أشرف فهمي، مدير عام دار الإفتاء المصرية، والذي لم يألُ جهدًا ولا وقتًا في مباشرة هذا العمل الذي نال الجميع شرف التكليف به من إمام الفقهاء والمجتهدين في زمانه وشيخ العلماء الراسخين في ديوانه فضيلة الإمام الأستاذ الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصرية.

المترجم



البابية والإسلام

بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام

(رسالة دكتوراه مترجمة عن اللغة الفرنسية)

فضيلة الإمام الأكبر

عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الشريف رحمه الله

المقدمة

في نهاية النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كان الوضع متأججًا داخل بلاد فارس، حيث كان يسود البلاد اضطراب شديد من جراء الثورات التي كانت تشتعل باستمرار وفي كل مكان تقريبًا. ويرجع هذا الاضطراب المتمثل في صورة أحداث ذات طابع ثوري إلى عدة أسباب مختلفة أدى اجتماعها إلى حالة من السخط العام. وكانت السلطة المركزية بادئ ذي بدء ضعيفة بسبب عدم التفاهم السائد بين وزرائها، وكان ملك البلاد -محمد شاه- طاعنًا في السن ومريضًا. وأما رئيس الحكومة، الميرزا أقاسي، فكان رجلا أمينًا، لكنه كان ضعيفًا ينقصه الحزم اللازم لوضع حد للتخبط الذي كان يعيش فيه الوزراء، ذلك التخبط الذي أوقع الظلم الفادح على البلاد.

ولقد دعا ضعف السلطة المركزية ولاة الأقاليم إلى إساءة استخدام مناصبهم وسلطاتهم، فكانوا يستبدون بالشعب ويظلمونه ويجعلونه يحيا حياة البؤس والشقاء لتحقيق مصالحهم الشخصية ومصالح الطبقات الراقية وأهل الحظوة. فلما مل الشعب حياة البؤس والشقاء المعنوي والمادي، ثار على استبداد الولاة واشتعلت الاضطرابات في جميع أنحاء البلاد تقريبًا. وكان العلماء أيضًا -الذين لوحظ تأثيرهم المعتدل على الطبقات الراقية وعامة الشعب- سببًا في إشاعة عدم الرضا الشعبي وإثارة الاضطرابات الناجمة عن ذلك، إذ أساء بعض هؤلاء العلماء استغلال مكانتهم، فأمروا الناس بالتزام أحكام الدين ونسوا أنفسهم دون مبالاة. ويضاف إلى هذه الأسباب المختلفة للاضطرابات سبب آخر، حيث كان يريد بعض ولاة أقاليم فارس استغلال هذه المناسبات لإعلان استقلال أقاليمهم وفصلها عن المجتمع الفارسي.

حكومة مضطربة، وشعب متمرد، وبلد تعاني!

ولقد ظهرت في البلاد لصالح هذا الوضع البائس والوسط الذي يموج باضطراب العقول صورةٌ من صور الحركات الدينية التي تريد أن تجذب الناس إليها من خلال إيهامهم بظهور المُخَلِّص. ولقد تم تقديم هذا المُخَلِّص في صورة المهدي المنتظر والذي يمثل مجيئه جزءًا من العقائد الشعبية المنتشرة منذ عدة قرون على أيدي أفراد فرقة إسلامية نشأت بعد موت علي -الخليفة الرابع للمسلمين- في سنة أربعين من الهجرة، الموافقة لسنة ستمائة وإحدى وستين للميلاد، يقال لها فرقة الشيعة. ولقد أرادت هذه الحركة الدينية الاستفادة من الظروف، ولقد ساند هذه الحركة بعض ولاة الأقاليم رغبة منهم في تحقيق طموحاتهم السياسية وإرضاء لشعورهم العدائي نحو الإسلام. ولقد أدت الاضطرابات التي أثارتها هذه الحركة الدينية إلى اشتعال النيران وإراقة الدماء في العديد من أقاليم بلاد فارس لا سيَّما في خراسان وأذربيجان ومازندران، مما اضطر الحكومة المركزية إلى التدخل وكانت النتيجة التدخل العسكري والحرب الأهلية في هذه الأقاليم.

ولقد أسفرت هذه الثورات عن وقوع آلاف الضحايا لا سيَّما من فقراء الشعب الذين انضموا إلى هذه الحركة الدينية؛ أملا منهم في تغيير وضعهم البائس. هذا بالإضافة إلى أن هذا الشعب الفقير والجاهل والبائس كان يعتقد أن هذه الحركة إسلامية محضة، حيث إن هذا المهدي الذي طال انتظاره يجب أن يكون -وفقًا لعقائد أسلافهم- مسلمًا كاملا جاء لتطبيق واحترام أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وإقامة العدل وإخراج الناس من البؤس ومن أثر استبداد قادتهم بهم وأنانية الطبقات الغنية وأهل الحظوة. وانتهت هذه الحركة التي أثارت القلاقل في البلاد لما يقرب من ست سنوات بالقضاء عليها، ولقد انتهت بإعدام

من تزعمها ومقتل خلفائها الأصليين أثناء المعركة أو إعدامهم، كما انتهت بنفي أنصارها خارج بلاد فارس.

❁❁❁

ولقد قُدِّم زعيم هذه الحركة إلى الشعب الفارسي على أنه المُخَلِّص في صورة "المهدي المنتظر"، وكان يبلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة، وكانت نشأته في شيراز، وكان يُدعى الميرزا علي محمد، وعُرف بلقبه وهو "الباب".

وعلى الرغم من اعتباره زعيمَ الحركة الدينية التي تعرف باسم "البابية"، إلا أن القائمين على هذه الحركة ومنظميها ودعاتها كانوا أشخاصًا ينتمون إلى فرقة شيعية يقال لها "الشيخية" وكانوا أعداءً ظاهرين للشيعة الإمامية التي ينتمي إليها غالب الشعب الفارسي.

وعلى الرغم أيضًا من أن هذه الحركة الدينية تعد جزءًا من التاريخ الحديث ولها مكانتها بين الحركات الحديثة التي نشأت في أحضان الأمة الإسلامية، إلا أن رواية أحداثها التاريخية من جانب بعض الكُتَّاب الشرقيين والغربيين على السواء كانت محلا للتأويلات التي لا تتفق مع الواقع أو غير الدقيقة. ولقد سعى هؤلاء الكتاب في الحقيقة لأن يقدموا لنا "الباب" في صورة تخالف الحقيقة، فنسبوا إليه صفات ليست منه في شيء، وذلك بهدف تبرير مزاعمه بأنه "المهدي المنتظر" وأنه نبيٌّ جاء بدِينٍ جديدٍ يبطل دينَ الإسلام. ولقد استولى هؤلاء الكتاب على كتابات الباب، وعكفوا على دراستها، وسعوا إلى إعطائها أهمية تبرر مزاعمه المفرطة والباطلة على السواء. واللوحة الفنية التي قاموا برسمها عن كتاباته تسعى لتجعل من صاحبها نبيًّا حقيقيًّا ورسولا من عند الله، لكن كتابات الباب -للأسف بالنسبة

لهؤلاء المفسرين المولعين به، ولحسن الحظ بالنسبة للحقيقة- قد حفظت في مختلف المخطوطات الصحيحة باللغة العربية أو الفارسية. ويمكن القول حينئذ بأن الرجوع بشكل دقيق وموضوعي لهذه المخطوطات يقدم لمحة حقيقية عن حقيقة الباب، وعن الدور الذي قام به، وعن مزاعمه، وعن حقيقة الحركة التي يطلق عليها "البابية" والتي أثارت الاضطراب لعدة سنوات في بلاد فارس ولا تزال تسعى في أيامنا لاستقطاب أتباع لها وجذب تعاطف الناس معها لا سيَّما خارج الأوساط الإسلامية من خلال الوسائل المجردة من الوضوح والصراحة.

❀❀❀

وإذا كان من الممكن لمن ينتمون إلى الأوساط المثقفة أن يدركوا من خلال كتابات الباب قيمة هذه الكتابات نفسها والحكم من خلالها على الصفات المنسوبة إلى صاحبها والمزاعم التي يطلقها، فإن الجمهور الذي نتحدث إليه سرًّا -لا سيَّما جمهور الشرق- عن الباب وعن "المهدي المنتظر"، ليس على مستوى إدراك حقيقة هذا الرجل، كما أن هذا الجمهور ليست عنده القدرة على أن يميز بنفسه بين الصواب والخطأ فيما يُروى له.

ومع ذلك فإننا نجد من بين المثقفين بعضَ الناس -وهم قلة في الحقيقة- ممن خدعهم مكر الطريقة الماهرة التي قَدَّمَ الناس بها البابية ودعوا إليها، الذين يعتقدون أن هذا المذهب لا يبعد عن أحكام الإسلام وأن أصحاب هذا المذهب ما هم إلا أتباع فرقة إسلامية حقيقية لا تسعى إلا لصالح الدين الذي جاء به النبي محمد ﷺ. ويعد هؤلاء المثقفون الذين ينشرون هذا الرأي بعيدين عن البيئة الدينية المسلمة التي تسمح لهم بسرعة وسهولة إدراك حقيقة هذا المذهب. ولكن هؤلاء

الناس بسبب عزلتهم عن البيئة الدينية المسلمة وعجزهم عن الحصول بسهولة على الكتابات البابية غير المتاحة والتي ليست في متناول أي أحد، قد أضلهم دعاة البابية المهرة عن إدراك حقيقة المذهب البابي.

ولقد أتيحت لي الفرصة على المستوى الشخصي لأن ألتقي في باريس بشخصية مصرية كانت تشغل منذ أكثر من ثلاثين عامًا منصب قاضٍ في المحكمة الوطنية بمصر، وكان حسنَ النية في إيمانه بأن البابية لا تختلف مع الإسلام ولا تتعارض معه. وكان دليل قناعته أنه كان يعرف جيدًا أن أناسًا قد دخلوا في الإسلام بفضل مجهودات البابيين لصالح الإسلام. وأضاف أن البابية كان لها نشاطٌ واسعٌ وأن أتباعها كانوا ينشرون الإسلام في أمريكا الشمالية وفي أوروبا.

كما أتيحت لي الفرصة أن أجد خلال دراساتي وأبحاثي حول البابية مقالا كان قد كتبه الشيخ رشيد رضا في مجلته "المنار" التي كانت تنشر بالقاهرة، تحت عنوان "البابيون البهائيون"، ولقد ذكر فيه الكاتب واقعة مشابهة لتلك التي ذكرناها آنفًا. ولقد دارت أحداث هذه الواقعة بين الشيخ رشيد رضا وقاضٍ مصري بمناسبة زيارة أحد زعماء البابية البهائية عباس بن بهاء الله الخليفة الأول للباب على رأس البابيين البهائيين. ولقد أنكر القاضي على الشيخ رشيد رضا كتابته مقالا ضد البابيين وضد شخص عباس الخليفة الثاني للباب، والذي كان متواجدًا في ذلك الوقت في الإسكندرية. ومدح القاضي عباسًا، وهنأ نفسه أن رأى فيه عالمًا كبيرًا ومسلمًا ملتزمًا يحترم جميع أحكام الإسلام ويقيم شعائر الدين الذي يعمل على نشره في أمريكا وفي غيرها، فَرَدَّ عليه الشيخ رشيد رضا بأن البابيين يتخفون في صورة المسلمين الملتزمين، لكنهم في الحقيقة يعادون الإسلام، وأن كتب البابيين تؤكد أن المذهب البابي يتعارض مع الدين الإسلامي. وأضاف

الشيخ رضا أن عباسًا إن كان مسلمًا بحق صادقًا في إيمانه، فعليه أن يقدم الدليل على ذلك بأن يكتب وينشر مقالا يؤكد فيه أن نبي الإسلام محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء إلى الناس في هذه الدنيا، وأنه لا يوجد ولن يوجد دين بعد دين الإسلام، وأن القرآن هو آخر الكتب التي شاء الله إنزالها وأن آياته ليس لها معنى آخر غير ما تعبر عنه وفقًا لقواعد اللغة العربية. حينئذ تراجع القاضي أمام الشيخ رشيد رضا وأخبر أنه لا يستطيع أن يلتزم بأن يفعل عباس مثل ذلك.

❁❁❁

إننا نهدف من خلال هذا البحث الخاص بالبابية وعلاقتها بالإسلام إلى المساهمة بهذا العمل المتواضع في تبصير المثقفين في الشرق والغرب على السواء بحقيقة البابية وأهدافها واستغلال البعض لها. وإننا على قناعة تامة أنه بفضل وضع هؤلاء المثقفين أمام الواقع فإن الجمهور -لا سيَّما في الشرق- سوف يأخذ حذره من عقائد الأديان الباطلة التي تخالف عقائده الصحيحة والسليمة.

ولقد سعينا من أجل تحقيق هذا الهدف إلى تحديد موقف الإسلام من البابية لبيان ما إذا كانت البابية في حقيقتها مجرد ظاهرة إصلاحية دينية في الإسلام إذا ما اعتبرت فرقة إسلامية ملتزمة بعقائد وأصول الدين، أم إذا كانت لها قواعد أخرى وأحكام أخرى تجعل منها دينًا يغاير دين الإسلام ويخالف جميع الأديان السماوية.

ولقد قمنا في هذا البحث بعرض أركان الإسلام وأركان البابية حتى نجعل القارئ يتمكن من تكوين رأيه من خلال مقارنة هذه الأركان. كما أننا تناولنا بالبحث العناصر الغريبة على الإسلام والتي أدت خلال تلك العصور إلى

إفراز ظاهرة دينية مثل البابية. ثم إننا اضطررنا أن نذهب إلى ما هو أبعد من مجال الدين الإسلامي لمتابعة هذه العناصر الغريبة للوقوف على المصادر التي خرجت منها، وأيضًا لمعرفة كيفية وسبب دخولها في مجال الدين الإسلامي. ولقد تحدثنا عن الملابسات التي أدت إلى ظهور بعض الفرق الإسلامية والتي دعت فيما بعد إلى التطلع إلى بعض المفاهيم السياسية المحضة التي توائم المصالح المرتبطة بهذه الفرق، لكنها تتعارض مع المصالح الحقيقية للأمة الإسلامية. ولقد ذكرنا -في الإسلام- الفرقة الدينية التي تركت نفسها تتأثر بهذه العناصر الغريبة للاستفادة منها في تحقيق هدف سياسي، ألا وهي فرقة الشيعة التي انقسمت وتفرعت من جراء هذه العناصر بعد ذلك إلى فرق مختلفة، منها فرقة الإسماعيلية التي أخذت من هذه الأفكار الغريبة بحظ وافر، فازداد بالتالي بعدُها عن أحكام الدين الصحيحة.

ولقد قادنا البحث -بطبيعة الحال- عن هذه الأفكار الغريبة إلى عقد مقارنة بين مذهب الشيعة الإسماعيلية ومذهب البابية مرورًا بالفرق التي خرجت من رحم الإسماعيلية في بلاد فارس والعراق وسوريا والشام وشمال إفريقيا ومصر وهي فرق القرامطة والفاطميين والحشاشين والدروز. كما أننا تحدثنا أيضًا عن فرقة "الشيخية" التي تصنف على وجه العموم من بين فرق الشيعة الاثنا عشرية، لكنها تمثل اتجاهًا خاصًا مأخوذًا عن مذاهب الشيعة المغالية، ولقد كان لهذه الفرقة تأثير مباشر على الباب سرعان ما ظهر بعد موت الزعيم الثاني لهذه الطائفة. إننا لا نريد أن نذكر في هذا المقام العديد من صغار الطوائف التي ذكرناها في هذا البحث والذين كان لهم دورٌ في تطور هذه العناصر الغريبة عن الإسلام وتأثيرٌ لا يمكن إنكاره على عقائد البابية.

ولقد وجدنا جميع العناصر التي يتألف منها مذهب البابية وجميع المزاعم التي ذكرها الباب -بدءًا من القول بأنه "باب المهدي" و"المهدي" نفسه، وأنه "نبي"، وانتهاء بالقول بأنه "الله"- في مذاهب مختلف فرق الشيعة السابقة لنشأة فرقة الإسماعيليين. كما أمكننا توضيح أن الإسماعيليين لم يقوموا إلا بجمع تلك المذاهب المتفرقة ليجعلوا منها مذهبًا متجانسًا من خلال عمليات الإضافات التي يرونها ضرورية. ثم تناولنا بالعرض مذهب البابية من أجل تحديد نقاط الالتقاء المشتركة مع مذاهب الفرق الأخرى التي ذكرناها.

***

لقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة أبواب، يتناول الباب الأول شخصية "الباب" والبيئة التي نشأ فيها ومعارفه ومزاعمه وتصرفاته والحركة البابية بعد موت "الباب"، كما تناول هذا الباب أيضًا كتابات "الباب". ثم تناولنا فيه أيضًا بالعرض مذهب الباب ومذهب خليفته بهاء الله وتفسير البابيين للقرآن.

وتناولنا في الباب الثاني بالتفصيل مزاعم الباب المختلفة، تلك المزاعم التي أشرنا إليها أعلاه، ثم تناولنا بالعرض والتحليل الأدلة التي يقدمها لإثبات مزاعمه.

وفي الباب الثالث تناولنا بالعرض عقائد البابية وشرائعها، وقمنا بدراسة إحدى هذه العقائد الأساسية على وجه الخصوص، ألا وهي عقيدة البداء.

وتحدثنا في الباب الرابع والأخير عن الآثار الأخلاقية والاجتماعية المترتبة على البابية، موضحين حقيقة التعليم عند الباب، والأخلاق عند البابيين، ودور

تلك المرأة التي يقال لها قرة العين، صاحبة الباب، والتي كانت تنشر نظريات تؤدي إلى إشاعة الفوضى.



وبما أن الباب قدم إحدى كتاباته وهو "البيان العربي" على أنه الدليل القاطع على نبوته ومقارنًا بين آيات هذا الكتاب وأسلوبه وفصاحته وبين القرآن، فإننا أوردنا ملحقًا بهذا البحث مخطوطة هذا "البيان العربي" كما هي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس. وسوف يكون لهذه المخطوطة -والتي عانينا كثيرًا من أجل الحصول عليها؛ لأن البابيين لا يريدون نشرها- بالغ الأهمية في بناء رأي القارئ الذي يعرف اللغة العربية.



الباب الأول

الفصل الأول

الباب

أ-الميرزا* علي محمد:

البيئة التي نشأ بها ومدى علمه:

ينحدر الميرزا علي محمد -الملقب بالباب- من أصل فارسي. ولد في شيراز لأبوين يزعمان انتهاء نسبهما إلى فاطمة بنت نبي الإسلام ﷺ، ويختلف المؤرخون حول تاريخ مولده: فيرى أكثرهم أنه ولد في غرة المحرم لعام ١٢٣٥ من الهجرة الموافق ١٨١٩ من الميلاد، بينما يهمل الآخرون -عند الحديث عن مولده- إما التاريخ الهجري وإما التاريخ الميلادي، مع ذكر بعض الفوارق. ومع ذلك نجد أن نيكولا*، والذي يعد من أكبر الباحثين في القضايا البهائية، يميل إلى القول إنه ولد في غرة المحرم لسنة ١٢٣٦ من الهجرة (٩ أكتوبر ١٨٢٠) وذلك باعتبار أن الباب قد أكد في كتابه «صحيفة الحرمين»: «أيها الناس، اسمعوا أمر ربكم عن عبده الذي ولد في غرة المحرم لسنة ١٢٣٦»[1].

وعندما مات والده الميرزا محمد رضا الذي كان يعمل تاجرًا لأدوات

---

* هذه العلامة إشارة إلى أن الكلام للمترجم: لقب سيد عند الإيرانيين وكذلك عند الشيعة يطلق على الرجل الذي ينتسب لآل البيت، يعني ينتهي بنسب أبيه إلى علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، أما لقب ميرزا فإنه يطلق على الشخص الذي ينتهي نسب أمه فقط إلى آل البيت لا أبيه كما يطلق أيضًا على الشخص العادي عندما يكون صاحب منصب سياسي عالٍ كالوزير مثلا.

* لوي ألفونس دانييل نيكولا.

(١) نيكولا، «السيد علي محمد الملقب بالباب»، ص٥٦، ٤٥٣. وتجدر الإشارة إلى أن نيكولا قد ذكر في الصفحة ١٨٩ أن غرة المحرم لسنة ١٢٣٦ من الهجرة الموافق السادس والعشرين من مارس لسنة ١٨٢١ مما يتعارض مع التاسع من أكتوبر لسنة ١٨٢٠ حسب ما هو وارد في الصفحة رقم ٥٦ باعتبار أن ذلك هو الموافق لغرة المحرم لسنة ١٢٣٦ من الهجرة.

الحياكة في شيراز، كان لا يزال الطفل بعدُ في سن الرضاعة، فكفله خاله الميرزا علي الذي كان يشتغل هو أيضًا بالتجارة، وكان خاله حريصًا على إلحاقه بالكُتَّاب حيث كان التعليم بصفة عامة يقتصر على القراءة والكتابة وحفظ القرآن ودراسة بعض مفاهيم العلوم الشرعية وعلوم اللغة الفارسية والعربية.

وكان التلميذ علي محمد مولعًا بالكتابة على وجه الخصوص، فكان يهتم بإتقان فنون الخط الفارسي والعربي، ولم تكن هذه الميول عبثية إلا أنه كان ينبغي ألا تقوده إلى إهمال موضوعات الدراسة الأخرى التي يحتاج إليها التلاميذ في مطلع حياتهم الدراسية، بل كان لا بد لها من موجه ماهر يراقبها ويوجه خط سيرها، ويعرف كيف يتصرف حيالها بحكمة حتى لا تطغى بصورة كبيرة على الجوانب الدراسية الأخرى، غير أن الوضع للأسف لم يكن كذلك بالنسبة لهذا التلميذ، فلقد ظهر الضعف في طريقة تفكيره وكذلك في وسائل التعبير عما يريد أن يقوله، ورغم ذلك فإن مهارته في فنون الخط وكذلك في التفنن في إعداد قلمه والذي كان نادرًا حتى عند أهل الصنعة، قد دفعته بعد ذلك عندما جهر بنبوته أن جعل من تلك القدرة معجزة(٢) ترقى بحسب ما يقول إلى درجة الرسل.

وعندما بلغ سن المراهقة، اصطحبه خاله ليعمل معه بالتجارة في شيراز ثم في بوشهر على الخليج الفارسي وذلك حتى يتعلم مبادئ التجارة، وقضى في تلك المدينة في صحبة خاله وتحت يديه ما يقرب من خمس سنوات.

والمطَّلع على العادات الشرقية وأنماط الحياة اليومية وروابط المودة التي تجمع بين التجار والناس يعرف أيضًا أن التجار كانوا يلتقون بزائريهم ليس فقط

(٢) كان الباب دائما ما يقول إن من بين الأدلة القاطعة بنبوته قدرته على أن يكتب بوضوح وبخط جميل ألف سطر باللغة العربية أو الفارسية في أربع ساعات وهذا ما لا يمكن لأحد أن يقوم به.

في مساكنهم وإنما أيضًا في محل عملهم، حيث يتجاذبون أطراف الأحاديث الودية التي ربما تطول وتتصل وتتتابع، وقد كان هذا هو الحال عندما كان الباب في سن المراهقة، وكان التجار والزائرون يشعرون بانجذاب نحو الأحاديث الممتعة وبخاصة عندما يكون لديهم رصيد من المعرفة بالأساطير التي كانت تقص عن الأولياء والصوفية والكرامات التي كانت تجري على أيديهم.

وكان الناس يتحاكون بالقصص التي تشنف آذان أشباه المثقفين. وفي غالب الأمر -لا سيَّما في بلاد الفرس- كان الناس أيضًا يشتغلون بعلم التنجيم والوسائل التي من شأنها أسر عالم الأرواح من خلال بعض الأذكار في وقت الخلوة وبعض الأوراد التي تقال على مراحل متعددة، وكذلك من خلال أعمال التقشف وإيلام الجسد التي كانت تهدف إلى بلوغ الغاية المرجوة.

ويمكن من خلال تلك البيئة أن ندرك العوامل الأولية التي أثرت في الشاب علي محمد والتي جعلته يلقي بنفسه في الطريق الملتوي باسم الزهد والتصوف، ويقتصر على إيلام الجسد والتقشف القاسي مما جعله يعتقد -حسبما كان يسمع- أنه لا خلاص للروح إلا بإماتة الجسد وأن الإنسان لا يمكنه أن «يصل إلى الله» بعيدًا عن هذا الطريق. ولقد أَثَّرَتْ فيه الكلمات التي كان يثني بها عليه أصحابه وزبائن خاله، حتى إنه كان يجلس أمام المتجر في بوشهر وينتظر اللحظة التي تتعامد فيها أشعة الشمس ثم يجلس حاسر الرأس في الحر الحرور لا ينفك لسانه عن الذكر لساعات طويلة، وسرعان ما تتحول الأذكار إلى تمائم غير مفهومة، ولهذا السبب أصيب بأضرار في المخ وتدهورت حالته الصحية فأقنعه خاله، بعد شعوره بالقلق عليه، بأنه بحاجة ماسة لأن يغير المناخ الذي يعيش فيه، وأن الرحلة التي يمكن أن تُسرِّي عنه وتجنبه المخاطر الناجمة عن الطقوس التي

كان يمارسها وتسهم في شفائه أن يسافر إلى العراق، حيث يمكنه زيارة قبور أئمة النجف وكربلاء، وهذه الرحلة هي أعلى درجات الإيمان عند الشيعة في زمانه.

ولما بلغ خمسًا وعشرين سنة، انتقل الشاب علي محمد إلى العراق عام ١٢٥٦ من الهجرة. وبعد أن قام بزيارة قبر علي بن أبي طالب وقبور ذريته من بعده، أقام في كربلاء، حيث بدأ في التعرف على الناس وتوطيد أواصر الصلة مع تلاميذ الشيخ كاظم الرشتي (١٢٠٥ - ١٢٥٩ = ١٧٩٠ - ١٨٤٣)، والذي يعد الشيخ الثاني في الطائفة الشيخية[٣] والملا صادق الخراساني[٤] الذي قام بدعوته إلى الشيخية وأقنعه أن يقحم نفسه في دائرة أتباعها، وحاول الخراساني بالفعل إقناع خال الشاب بأن يترك ابن أخته في كربلاء حتى ينهل من تعاليم كاظم الرشتي.

وهكذا قضى الميرزا علي محمد أربع سنوات[٥] أو أكثر في تلك المدينة، وطَّدَ خلالها العلاقات مع أتباع الشيخية واكتسب معارف أخرى. وباعتباره تابعًا

---

(٣) فرقة شيعية أنشأها الشيخ أحمد الأحسائي (١١٥٧-١٢٤٢= ١٧٤٤- ١٨٢٧) وحملت اسم اللقب الديني لمؤسسها، وهي تختلف عن الإمامية في بعض المبادئ نتناول أهمها فيما بعد.

(٤) هو من لقبه الباب فيما بعد بـ «المقدس» وجعله من بين أتباعه الذين أطلق عليهم «أحرف الحي» والحي هنا صفة من صفات الألوهية.

(٥) يقول البابي الميرزا جاني إن إقامة الميرزا علي محمد في كربلاء لم تزد على ثلاثة أشهر غير أنه قضى عامًا في أماكن الحجج. انظر: نيكولا «س.ع.م، الملقب بالباب» صفحة ١٩٣. ملاحظة: ويبالغ بعض البابيين في زعمهم أنه لم يلق شيخ الفرقة الشيخية إلا مرة أو مرتين وأنه لم يكن يحضر دروسه في الغالب. انظر: أواره، الكواكب الدرية ص٦٨- الميرزا مهدي خان في كتابه مفتاح باب الأبواب ص١٢٧ يذكر أن الميرزا علي محمد مكث في العراق أربع سنوات ونصفًا. ويشير الميرزا تقي كاشاني في كتابه ناسخ التواريخ، وهو من أقدم مؤلفات الباب ص١٩٨، ملاحظة. وفي النهاية يوضح نيكولا في نفس المرجع صفحة ١٩٨ رأيه لنا أن الباب أقام في كربلاء سنتين ونصف السنة أو ثلاث سنوات.

وعلى ذلك يمكن أن نثق في كلام من يزعم من البابيين أن معلمهم لم يمكث في كربلاء أكثر من ثلاثة أشهر وأنه لم يلق الرشتي إلا مرة أو مرتين.

فما مقصود البابيين من قولهم ذلك؟ هم يريدون بذلك أن يجعلوا من الباب رجلا فوق مرتبة الإنسانية لم يتعلم من أحد وإنما استمد علمه من الوحي الإلهي، وعندما ينكرون أنه أقام في كربلاء حتى وفاة الرشتي فإنهم يريدون بذلك حسب ما رواه المؤرخون المسلمون أن يؤكدوا أن الباب بدعوته إلى البابية بعد موت الرشتي =

جديدًا يدعي أنه من نسل النبي ﷺ مما أكسبه لقب السيد، فَوَجَدَ علي محمد نفسه محاطًا بالرعاية من جانب المعلم وتلاميذه المقربين مثل الملا حسين البشروئي وهذه الرعاية يحظى بها عمومًا كل تابع جديد من جانب أفراد الطائفة الذين يسعون في دأب لزيادة عدد إخوانهم. ومع ذلك فإن المعارف المتواضعة التي اكتسبها علي محمد في المدرسة الابتدائية بشيراز والتي أعقبتها فترة توقف فيها عن دراسته بسبب انشغاله بالتجارة مع خاله وتدهور حالته الصحية فإن كل ذلك لم يجعل منه تلميذًا قادرًا على متابعة وفهم دروس الرشتي(٦)، ولذلك كان يفوته من آن لآخر بعض الدروس التي كان يعقدها أستاذه في بداية انضمامه لطائفة الشيخية، وفي النهاية سئم الدراسة تمامًا وانطلق على هواه حتى مات الرشتي عام ١٢٥٩ من الهجرة (١٨٤٣ من الميلاد).

ب – مزاعمه وتصرفاته

كان كاظم الرشتي يبشر بما بشر به من قبل مؤسس الفرقة الشيخية: الشيخ أحمد الأحسائي وهو قرب ظهور "الإمام المهدي" وكان يؤيد مثله: "... هذه الفكرة التي لم تكن قديمة في واقع الأمر والتي تقول: يجب أن يكون هناك من بين المخلصين للإمام المهدي تلميذ بارز سَمَّاه "الشيعي الكامل"، يعيش في اتصال روحي مباشر مع الإمام الخارق للعادة"(٧).

= وادعائه أنه المهدي المنتظر لم يكن ذلك إلا بأمر من الله وليس باتفاق بينه وبين أعضاء الفرقة الشيخية. هذا فضلا عن أن أصحاب الطائفة قد اختلفوا بعد موت الرشتي فظهرت فرقة يتزعمها الملا البشروئي الذي أطلق عليه الباب «أول من آمن» ولقبه بـ «باب الباب» والذي أصبح منذ فجر الدعوة المزعومة للباب أمين أسراره.

(٦) لا فائدة من القول إن «...الباب كان لا يستفيد من الدروس التي كان يلقيها السيد كاظم الرشتي...» انظر نيكولا س.ع.م، الملقب بالباب، صفحة ١٩٣، ملاحظة ١٣٨.

(٧) إدوار مونتيه، الإسلام، صفحة ١٤٠ والدارسات الشرقية والدينية صفحة ٢٣٤.

ولقد أثار موت الرشتي جدلا في الفرقة حول من يخلفه في حمل اللقب مما أثار بالطبع فتنة بين تلاميذه إلا أن موته مهد الطريق لأحد المغامرين.

ومن هنا كانت بداية مزاعم الميرزا علي محمد، فلقد تحالف مع بعض الرجال الذين خالفوا رأي جمهور الشيخية، وكان من بينهم الملا البشروئي والملا صادق الخراساني، واستطاع الميرزا أن يغتنم الفرصة، وأن يهمس في آذان بعض المُنْزَوين السذج بأنه "الباب"، يقصد بذلك أنه "باب المهدي"، يعني حلقة الوصل وعلامة الربط بين الإنسانية والمهدي المنتظر وفقًا لما دعا إليه وبشر به كاظم الرشتي في زمانه. والظاهر أن هذه الدعوة قد لاقت من يستحسنها وأنه قد بدأ الجهر بها بالاتفاق الكامل مع البشروئي والخراساني، ومن ثم طفق الباب حينئذ يؤلف أدعية ويكتب أورادًا، وألف كذلك كتابه "الرسالة الفقهية". وبعد انقضاء فترة من الزمن على وفاة الرشتي عاد إلى شيراز[٨] تاركًا وراءه الفرقة الشيخية في نزاعها حول اختيار من يخلف زعيمهم ثم شرع في تأليف كتاب سَمَّاه "أحسن القصص" (تفسير سورة يوسف).

ولم تفلح الفرقة الشيخية في اتخاذ قرار نهائي بشأن من يخلف الرشتي، ولحسم النزاع في الرأي حول هذه القضية "... عُرض على الفرقة الشيخية إسناد منصب خلافة الرشتي إلى الملا حسين البشروئي إلا أنه رفض بزعم أنه أمر بأن يتفرغ للبحث بغية نيل شرف لقاء "صاحب الزمان" (المهدي المنتظر)، وأنه يرى أن هذه المهمة من الأهمية بمكان وأنه لا يعدلها شيء، ولا بد لكل شيخي أن يشارك بنصيب في هذا العمل المقدس... وبعد أن جمع عددًا من الشيخيين، وقبل أن ينصرفوا للقيام بعملية البحث، اجتمعوا في مسجد الكوفة تحت خيمة واسعة

(٨) يرى الميرزا مهدي خان أن الباب أقام بالعراق حتى وصوله إلى البصرة ومنها إلى الحجاز، انظر مفتاح باب الأبواب، صفحة ١٢١.

وقضوا فيها أربعين يومًا يصلّون ويدعون الله من أجل أن يهديهم إلى اكتشاف "الإمام المهدي...".

ثم انتشروا في كل اتجاه، ولكن القدر قاد الملا حسين علي البشروئي ومن في صحبته نحو مدينة شيراز حيث تحادث وحده مع الباب...، وفي مساء اليوم الخامس من جمادى الأولى لسنة ١٢٦٠ من الهجرة (٢٣ مايو ١٨٤٤ من الميلاد) وبينما كان الملا حسين ماثلا أمام الباب صرح له بدعوته بأنه المهدي وكان يبلغ من العمر حينئذ خمسًا وعشرين سنة. ولما كان الملا حسين أول من آمن به، خلع عليه الباب لقب "باب الباب"[٩] فأصبح بذلك وزيره كما كان الباب نفسه وزيرًا للمهدي"[١٠].

ويدأ الباب في الخامس من جمادى الأولى لسنة ١٢٦٠ من الهجرة أو الخامس من جمادى الآخرة لسنة ١٢٦٠ من الهجرة[١١]. المرحلة الثانية من دعوته، ويمكن أن نقول بالأحرى إنه بدأ دعوته الثانية والتي صرح فيها بأنه هو نفسه المهدي ولكنْ مهدي من نوع خاص إذ هو نبي يَفْضُل بكثير جميع الأنبياء السابقين.

ونرى أن السيد نيكولا قد أخطأ عندما خلط بين ادعائه: "بابًا" وادعائه "المهدي"، حيث جعل منهما ادعاءً واحدًا. ويبدو أن السبب في هذا اللبس يكمن في أن الباب قد احتفظ بهذا اللقب بعد أن أعلن نفسه المهدي. ومن ثم اعتقد

---

(٩) أواره، الكواكب الدرية، صفحتا ٧٠، ٧٢.

(١٠) سوف نرى في فصل آخر كيف اعتقد البشروئي في الباب وبأي حجة أيد دعوته.

(١١) السيد نيكولا، «س.ع. م، الملقب بالباب» صفحة ٢٠٤: «كان ذلك في ليلة الخامس من جمادى الآخرة لعام ١٢٦٠ في الساعة الثانية وخمس دقائق بعد منتصف الليل الموافق للحادي عشر من يونيو ١٨٤٤ بعد أن دعا ربه أن يهديه إلى ما يجب عليه أن يفعله ثم رفع صوته قائلا: «لقد خلقني الله من أجل تعليم هؤلاء الجاهلين ومن أجل إخراجهم من براثن الضلالة».

السيد نيكولا أن اللقب الأول مساوٍ للثاني أو مرادف له باعتبار أن لقب الباب مرادف للقب "المهدي والنبي" لذلك عاد بتاريخ إسناد لقب "المهدي والنبي" إليه إلى أبعد من تاريخه المحدد في الخامس من جمادى الآخرة لسنة ١٢٦٠ من الهجرة ليجعل دعوته بأنه المهدي متزامنة مع دعوته بأنه الباب[١٢].

وكان الباب في الواقع يحتفظ دائمًا بلقب "الباب" ولم يتنازل عنه للملا البشروئي حسبما اعتقد ذلك جوبينو والبستاني[١٣]، ولكنه لم يعد يبقى من هذا اللقب ما كان يعنيه سابقًا؛ لأن الباب قد غيره وجعله يُستخدم في معنى آخر، فبعد أن كان "بابَ المهدي" الموصلَ إلى معرفة المهدي وحلقةَ الوصل بينه وبين الناس، أصبح البابُ بعد أن أعلن أنه المهدي نفسه، "بابَ الله" وقناةَ جميع المعارف الإلهية إلى الناس، ثم أطلق على نفسه ألقابًا أعلى درجة وأكثر أهمية مثل "حضرة الأعلى" و"نقطة البيان" و"الإرادة الأولى"...إلخ. وهكذا تجردت كلمة "باب" من معناها الأول لتحمل معنًى جديدًا مما لا يدع مجالا للشك بأن الميرزا علي محمد قد تخلى عن دعوته الأولى التي لم تعد قادرة على إشباع رغبته، وأن قوله إنه رسول من عند الله وإنه المهدي، أصبح دعوى تختلف عن دعوته الأولى التي كانت تقتصر على أنه مجرد وسيط بين الناس والمهدي. وإذا سلمنا بحقيقة ذلك، فليس هناك أي أهمية للقول بأن الميرزا علي محمد كانت عنده النية للقيام بهذا التغيير كما يعتقد

---

(١٢) السيد نيكولا، مرجع سابق، صفحتا ٢٠٥، ٢٠٦: «الخامس من جمادى الآخرة لسنة ١٢٦٠ ليس كما نظن حتى الآن هو اليوم الذي عرف فيه الباب فجأة بفضل الوحي الإلهي أن علاقته بالرسالة التي كان مكلفًا بها قد انتهت لأن الوحي إليه بالنبوة كان سابقًا لذلك اليوم لكن الباب أخفاه في نفسه إلى أن جاء يوم مولده فأعلن للناس دعوته إلى السلام والأخوة.

(١٣) كونت دو جوبينو، الفلسفات والديانات في آسيا الوسطى، صفحة ١٢٢: «لم يعد البابيون يصفونه بالباب إذ جاء الوقت الذي أدركوا فيه أن لقب الباب ليس خاصًا به فأسموه وما زالوا يسمونه (حضرة الأعلى)». ويقول أيضًا في نفس المرجع، صفحة ١٢٧ – ١٢٨: «أصبح لقب الباب عامًّا يمكن أن يطلق على أكثر الأتباع ورعًا، وقد لقب به رجل الدين الخراساني الملا حسين البشروئي».. وذكر البستاني في إحدى المقالات بموسوعته تحت عنوان «البابية» أن الباب قد أسند لقب «الباب» إلى أحد أتباعه.

السيد نيكولا وكما توحي به بعض أقوال الباب(١٤)، أو أن هذا التغير قد حدث بصورة عارضة غير متوقعة في الوقت الذي لقب الباب فيه نفسه بـ"باب المهدي". وأيًا كانت الحقيقة، فإن ما لا شك فيه أن لقب "باب المهدي" يعد لقبًا آخر غير لقب "باب الله" الموصل إلى معرفة الله. إذن هما ادعاءان مختلفان، وقد تخلى الباب عن الادعاء الأول عندما أعلن أو بالأحرى عندما أَسَرَّ بالادعاء الثاني إلى الملا حسين البشروئي في الخامس من جمادى الآخرة لسنة ١٢٦٠.

وقبل ذلك التاريخ، كان الباب يقتصر على تلقيب نفسه بباب المهدي. وهذا الادعاء لم يدم إلا قليلا ولم يخطر ببال الباب إلا بعد وفاة كاظم الرشتي عام ١٢٥٩ من الهجرة. وإذا كانت المراجع التي بين أيدينا تغفل ذكر الشهر الذي وقع فيه موت الرشتي، فمن الواضح أنه مات في أواخر عام ١٢٥٩ من الهجرة، وأن مدة الدعوى الأولى للباب لم تزد عن ثلاثة أشهر مما يجعلنا نستنتج أن الباب قد حدد يوم الخامس عشر من ربيع الأول (الشهر الثالث) لعام ١٢٦٠ من الهجرة على أنه بداية دعوته(١٥)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن خلاف فرقة الشيخية قد حدث عقب موت شيخهم، وأن الملا حسين البشروئي شرع عقب ذلك في إعداد العدة بحثًا وسعيًا وراء لقاء المهدي المنتظر، وسرعان ما تم ذلك اللقاء بينه

---

(١٤) لأنه يقول: «انظر كيف أظهر العلي المنتظر (أي الإمام المهدي وهو الباب حسبما يضيف السيد نيكولا في ملاحظته) حقيقته جلية أمام أعين المسلمين ليفتح لهم طريق السلامة فهو نور الخلق الأول ومرآة الله الذي ارتضى أن يتراءى للناس في صورة (الباب) المؤدي إلى معرفة سليل محمد الغائب». انظر الميرزا علي محمد، كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا) صفحة ٢٩ وانظر أيضًا التمهيد صفحة ٣، ويقول أيضًا في كتابه «كتاب بين الحرمين»: «قل يا أيها الناس اسمعوا أمر ربكم...» فاليوم في الحقيقة هو يوم المنتصف من الشهر السابق لشهر رجب لسنة ١٢٦١ من الهجرة.. فاليوم الأول الذي نزل فيه الروح على قلب هذا العبد كان الخامس عشر من شهر ربيع الأول (١٢٦٠ من الهجرة). وحتى هذا اليوم الذي حرم الله عليكم فيه آياتي، كتب في «كتاب الله» خمسة عشر شهرا». انظر نيكولا «س.ع. م الملقب بالباب» صفحة ٢٠٦. من خلال هذين الاقتباسين من كتابي الباب يتضح لنا أن الميرزا علي محمد عندما كان يزعم أنه «باب المهدي» كان يخفي نيته في أن يعلن فيما بعد أنه هو المهدي نفسه.

(١٥) انظر الملاحظة السابقة.

وبين الباب، في الخامس من جمادى الآخرة لعام ١٢٦٠ من الهجرة وهو الشهر السادس من السنة نفسها.

ويتبين مما سبق أن الباب لم يشر إلى ادعاء المهدية قبل الخامس من جمادى الآخرة لسنة ١٢٦٠ هجرية ولم يؤمن به أحد قبل الملا حسين البشروئي الذي قاده القدر إلى شيراز بينما تفرق الشيخيون أيدي سبأ! وبدأ الباب منذ ذلك الوقت في العمل على استقطاب عناصر جديدة في سرية تامة وبدأ البشروئي «باب الباب» في التواصل من جانب مع فرقة الشيخية لاستمالتهم إلى الدين الجديد، «... وتوجه بدعوته خاصة إلى أولئك الذين علموا بسر هذا العمل»[١٦].

وبذلك استطاع الباب استقطاب بعض الشيخيين وأطلق عليهم بعد أن وصل عددهم إلى ثمانية عشر «أحرف الحي»[١٧] لأن القيمة العددية التي ينسبها الباب إلى حروف هذه الكلمة تتفق مع العدد ثمانية عشر. ويأتي على رأس هذه المجموعة الملا حسين البشروئي بالإضافة إلى ثلاثة آخرين من حروف الحي لم يألُ الواحد منهم جهدًا في نشر هذا الدين الجديد وهم: الملا صادق الخراساني والذي لقبه الباب «بالمقدس» ومحمد علي بارفروشي والملقب بالقدوس وامرأة قزوينية تدعى زرين تاج (التاج الذهبي) وأطلق البابيون على هذه المرأة لقب «قرة العين» و«الطاهرة».

---

(١٦) راجع أواره، الكواكب الدرية، صفحة ٧٦.

(١٧) صفة من صفات الذات الإلهية. كان الباب يريد بذلك كما سنرى فيما بعد أن يجعل من الثمانية عشر صاحبًا عناصر تتشكل منها الصورة الإلهية. فكان يصف نفسه مع أصحابه الثمانية عشر بـ «الواحد» وهو اسم من الأسماء الحسنى والتي تمثل حروفها العدد ١٩، وذلك من خلال القيمة المنسوبة إلى هذا الاسم، ولكنه عندما يفرد نفسه كان يبحث من خلال الأسماء الحسنى عن الاسم المتوافق مع القيمة العددية المنسوبة لحروف الكلمة من خلال عدد حروف اسمه «علي محمد» ومن خلال هذه الطريقة العبثية استطاع أن يجد اسم «رب» الذي كان يمثل العدد المفضل إليه ٢٠٢.

ولقد انحازت تلك الشخصيات التي كانت تنتمي إلى الفرقة الشيخية إلى رأي البشروئي أثناء خلافه مع باقي أعضاء الفرقة عند موت كاظم الرشتي، ذلك الرأي الذي يدعو إلى البحث عن "المهدي المنتظر". فشاركوه الرأي في قضية "الباب" الذي شجعهم على نشر الدعوة الجديدة في بلادهم. ولقد أوصاهم بذلك سرًّا وأن يكونوا على حذر وأن تقتصر الدعوة على التبشير به باعتباره الباب وليس المهدي، كما أنه حرم عليهم التصريح باسمه حتى تأتي اللحظة المناسبة لذلك، حيث إنه كان يعتزم شد الرحال إلى الجزيرة العربية في موسم الحج عام ١٢٦٠ من الهجرة ليعلن من مكة أنه "المهدي". وحينئذ يمكن للمبشرين أن يصرحوا باسمه وأن يعلنوا عن دعوته الحقيقية، ولقد التزموا أوامره: "واقتصروا على التبشير بظهور من يلقب بـ"باب المهدي" دون ذكر اسمه... ومنذ اللحظة التي صرح فيها الباب بدعوته (أسند المهمة إلى الملا البشروئي في الخامس من جمادى الآخرة لعام ١٢٦٠ من الهجرة) وحتى عودته من رحلته إلى مكة لم يكن من اليسير أن نجد أحدًا يعرف اسم الباب غير تلاميذ الشيخ (الأحسائي) والسيد كاظم الرشتي"[١٨].

واستمر الباب في كتاباته حتى موسم الحج، وعندئذ انتقل من شيراز إلى بوشهر[١٩] وذلك وفقًا لما ذكره السيد نيكولا. ثم ركب البحر حتى مسقط، ثم ركب البحر ثانية حتى وصل إلى الجزيرة العربية[٢٠].

---

(١٨) أواره، مرجع سابق، صفحة ٧٦.

(١٩) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ١٢١، يقول إن الباب كان في الكوفة وسافر مع بعض الأشخاص إلى بغداد ثم إلى البصرة ومن هناك ركب البحر إلى الحجاز.

(٢٠) في البحر وقبل وصوله إلى مسقط شعر الباب بخوف شديد؛ لأن السفينة التي كانت تستغرق اثني عشر يومًا في رحلتها من بوشهر إلى مسقط كانت مهددة بالغرق. ولهذا السبب كان يشير كثيرًا إلى هذا الحديث في كتابه البيان الفارسي ودعا في كتابه «بين الحرمين» إلى ما يلي: «اعلم أن ركوب البحر شاق ونحن لا نحبه للمؤمنين: فسافر على طريق البر» انظر نيكولا س.ع.م الملقب بالباب صفحة ٢٠٦ - ٢٠٧، البيان الفارسي (ترجمة نيكولا)، صفحة ١٥٤ - ١٥٦، هوارت، دين الباب، صفحة ٦٢ - ٦٣.

ولقد اختلف المؤرخون حول المجموعة التي رافقت الباب في رحلته، ولم يستطيعوا أن يقدموا لنا تفسيرًا محددًا، فيرى بعضهم أن الملا البشروئي والملا البارفروشي كانا من بين مرافقيه، بينما يرى الآخرون أنه لم يكن يرافق أحدًا من أولئك، وأيًا كان الصواب، فالأمر ليس من الأهمية بمكان، إلا أن ما يثير الاهتمام هو أن الرحلة التي قام بها الباب نفسه محل تشكيك من جانب المؤرخين، ويشير الميرزا مهدي خان إلى قول المسلمين إن الباب لم يصل إلى الحجاز: فالسفينة التي كان على ظهرها لم تغادر الخليج الفارسي[٢١] بفعل الرياح الشديدة والأمواج المتلاطمة مما اضطر الباب وغيره من المسافرين إلى النزول في أقرب ميناء وهو ميناء مسقط، إحدى مدن عُمان.

وحتى هنا لم يشكك أحد تقريبًا في مسألة السفر غير أن قضية وصول الباب إلى الجزيرة العربية ووصوله إلى مكة حيث أنفذ عزمه فأعلن في الناس أنه المهدي حسبما يرى البابيون فكل ذلك لا نجد عليه دليلا قاطعًا واحدًا باستثناء ما كتبه الباب. فلقد ذكر الباب في كتابه "صحيفة الحرمين" أو "بين الحرمين" أن هذا الكتاب أنزل عليه بين الحرمين (الأماكن المقدسة بين مكة والمدينة) ردًّا على الأسئلة التي وجهها إليه الحاج سيد علي كرماني، فلقد عرض الباب على مناظره الذي أنكر عليه نبوته أن يقوما بالمباهلة بمعنى أن يدعو الطرفان أن يصب الله عذابه على الكاذب منهما[٢٢] فهذه هي الإشارة الوحيدة التي من شأنها أن تبين أن الباب قد ذهب إلى مكة. وإذا سلمنا بأنه قد وصل إليها، فلا يمكن في المقابل أن نسلم بأنه أعلن فيها دعوته حسب مزاعم البابيين.

---

(٢١) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ١٢٧.

(٢٢) الميرزا علي محمد الباب، «صحيفة الحرمين» (المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦، ٢٤٨)، صفحة ١، ١٤).

ويمكن أن نتساءل عن الغاية الحقيقية من شد الباب الرحال إلى مكة؛ وذلك لأنه كان يزعم سرًّا أنه المهدي. وهذا المهدي ليس في الحقيقة بالمهدي الذي تنتظره الإمامية ولكنه مهدي من نوع آخر خاص، بمعنى أنه نبي عظيم ورسول من الله مكلف بشريعة سماوية جاءت لنسخ الدين الإسلامي الذي يدعو إلى حج مكة واتخاذها قبلة للصلاة. أليس هذا هو الباب الذي كتب قبل رحيله من شيراز كتابات تناقض القرآن وكان يعتزم اجتناب الكعبة وجعل البيت الذي ولد فيه والذي سَمَّاه المسجد الحرام بديلا لها؟

إننا لا نستطيع أن نعتقد أن غاية الباب من هذه الرحلة هو أداء فريضة الحج المفروضة على المسلمين؛ وذلك لأنه كان يعتقد أن هذه الفرائض لم يعد لها وجود بعد. لم يبق إذن إلا أن يكون الهدف هو العمل بحديث لا يعترف بصحته. وهذا الحديث يرى أن المهدي المنتظر سيظهر في مكة بين الركن (الحجر الأسود) والمقام (مقام إبراهيم) وسوف يؤمن به من حوله. وهذا ما سعى الباب لتحقيقه من وراء رحلته وهذا أيضًا هو أحد الأسباب التي جعلته يوصي إلى مبعوثيه كما ذكرنا ألا يصرحوا باسمه وأن يقتصروا على إعلان ظهور "باب المهدي" حتى يجتمع الحجيج في مكة.

وأما السبب الثاني، فإن الباب كان يريد أن يحتمي وراء مبعوثيه، لأنهم - كما هو ثابت بوضوح في تاريخهم- كانوا أكثر جرأة منه، فقد قاموا بالتبشير بدعوة الباب بأنه "مهدي ونبي" خلال تغيبه عن إيران مما جنبه رد الفعل الغاضب من جانب الشعب والحكومة تجاه الدين الجديد. وعلى كل حال، فإن الباب عاد إلى بوشهر وعلم أن مبعوثيه لم يعانوا كثيرًا بالرغم من أنهم بدؤوا في التصريح باسمه، وإلى حد ما بدعوته بأنه المهدي. وبما أن العمل قد بدأ في الظل، فإن هذه الحركة

ظلت مجهولة عند القاعدة العريضة من الشعب، بل وربما عند السلطات الحكومية، ومن الممكن أيضًا -وهذا ما نتصوره- أن الحكومة لم تأخذ الأمر على محمل الجد في البداية. أما الصعوبة التي كان يواجهها المبعوثون خلال دعوتهم للعلماء الذين يسعون إلى استمالتهم فإنها تكمن في عدم قبول هؤلاء العلماء لهذه الدعوة على وجه العموم، وكذلك في اتهام العلماء نبيَّهم الجديد بالجهل(٢٣).

ومع ذلك فإن الباب عندما وجد مبعوثيه لا يساورهم الخوف والقلق، قام بخطوة أخرى في دعوته؛ حيث أمرهم بالتبشير صراحة بالدعوة والتصريح بأن الباب السيد علي محمد هو "المهدي المنتظر" الذي أخبرت السنة النبوية(٢٤) بمجيئه بدين جديد وكتاب جديد، وهذه الأحداث كانت لها ردود فعل سيئة على العرب(٢٥).

وأرسل الباب رسلا إلى الأقاليم: حيث أرسل البشروئي إلى أصفهان حيث لاقى تعاطفًا وتشجيعًا من جانب والي المدينة الذي كان يطلق عليه مانوتشهير خان، والذي دخل حديثًا في الإسلام. وأرسل كذلك الخراساني إلى شيراز، وأرسل معه الملا علي أكبر آمرًا الخراساني رئيس البعثة بما يلي: "صلوا في مسجد (الحدادين)... واجهروا باسمي في الأذان قائلين: "واشهدوا أن عليًّا بعد

---

(٢٣) نذكر على سبيل المثال ما حدث في كرمان بين الشيخ محمد كريم خان المنتمي للفرقة الشيخية ومبعوثي الباب الملا صادق الخراساني والملا بارفروشي. وكان الباب يعتقد أنه من السهل ضم الشيخ كريم إلى البابية، فلقد أرسل إليه عن طريق مبعوثيه عندما أوشك على السفر إلى الحجاز أجزاء من تفسير سورة يوسف قال فيها: «قم لجمع الناس واذهب معهم إلى شيراز لأننا سنعود إليها بعد رحلتنا إلى الحجاز وهناك يجب أن تنتظر أوامرنا» لكن الشيخ خيب آمال الباب عندما قام بطرد الرسل بعد أن أظهر لهم كثيرًا من الأخطاء فيما كتبه سيدهم. وكانت هذه الكتابات تحتوي على أجزاء كافية للحكم على كاتبها بالردة الصريحة عن الإسلام. انظر مهدي خان، مفتاح باب الأبواب ص١٢٢ والذي يروي ذلك عن كريم خان.

(٢٤) كان الباب يستند إلى الأحاديث الضعيفة التي تتحدث عن المهدي المنتظر وكان يشير إليها وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

(٢٥) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ١٢١، ١٢٢.

نبيل[٢٦] مرآة روح الله". وكان يأمرهم خلال الصلاة أن يتجهوا نحو المنزل الذي ولد فيه باعتباره القبلة الجديدة[٢٧].

وأطاع رسل الباب أوامره، فأحدث ذلك بعض الاضطرابات في مدينة شيراز، وبلغ من حدتها أن قام حسين خان، والي المدينة، بالقبض على الرسولين اللذين اعترفا بتغيير صيغة الأذان، فزج بهما في السجن مما جعلهما عرضة للمعاملة السيئة.

وكان ذلك في الثاني من شعبان لسنة ١٢٦١ من الهجرة (١٨٤٥ ميلادية)، ثم أرسل والي المدينة، بعض الجنود إلى بوشهر، للقبض على الباب وقاموا بنقله إلى شيراز بعد إلقاء القبض عليه في التاسع عشر من شهر رمضان لعام ١٢٦١ من الهجرة. واصطنع الحاكم حيلة من أجل أن ينتزع اعترافًا من الباب، حيث أمر بإطلاق سراحه وأن يعود إلى منزله حتى يشعر بالثقة. وبعد أن قضى الباب في منزله عدة أيام، قام الحسين خان بإحضاره واعترف له بأنه ارتكب خطأً كبيرًا عندما ألقى القبض على رسولي الباب ولكنه اضطر إلى ذلك بفعل الضغوط التي مارسها العلماء عليه. واعتذر له عن ذلك الفعل، ووعده بالمساعدة في نشر مذهبه الجديد، وطلب منه الموافقة على عقد اجتماع له مع مجلس العلماء بالمدينة ليعرض أمامهم نبوته. وتعهد الحاكم بإقناع العلماء بالانضمام إلى تلك الدعوة مما

---

(٢٦) وفقًا للقيمة العددية للحروف الهجائية نجد أن القيمة العددية للحروف المكونة لكلمة «نبيل» هي نفس القيمة العددية لكلمة محمد. وعندما يقول متشددو الشيعة: «علي قبل نبيل» يريدون بذلك أن يجعلوا النبي ﷺ بدرجة أقل من علي بن أبي طالب. وكان الباب الذي يسمى عليًا يريد من خلال أمره للخراساني أن يجعل نفسه في درجة أعلى من نبي الإسلام. فالأذان في الإسلام يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله» وكان الباب يريد من الخراساني أن يضيف إلى هذه الشهادة: «وأشهد أن عليًا قبل نبيل... إلخ».

(٢٧) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٢٤.

يتيح للباب أن ينال انضمام الناس إلى هذا الدين الجديد. وقَبِل الباب عروض الحسين خان، ووعده بجعله سلطانًا على المملكة التركية بعد غزو العالم. واجتمع العلماء، ومَثُل الباب بين أيديهم. ولما سئل، أجاب بأنه المهدي المنتظر وأنه رسول الله إليهم بكتاب ناسخ للقرآن فثار العلماء عليه، وحكموا عليه بأنه زنديق مرتد عن الإسلام، وبالتالي يجب إعدامه. وتردد الحاكم في تحمله مسؤولية مثل هذا الحكم وبخاصة عندما قرر اثنان من العلماء أن الباب قليل العقل ويمكن الاكتفاء بتعزيره وحبسه، وانحاز الحاكم إلى هذا الرأي، واضطر الباب تحت تأثير آلام الضرب أن يرجع عن رسالته التي سبق وأن أعلن أنه مكلف بحملها. ثم جابوا به المدينة حتى وصلوا إلى المسجد من أجل أن يرجع عن أفكاره على رؤوس الأشهاد، وأن يعلن أنه ليس هناك دين غير دين الإسلام. وامتثل الباب للأمر، غير أنه قام به بطريقة متواضعة تتعارض مع ادعاءاته القديمة بأنه نبي. ولقد رجع عن كلامه من فوق منبر المسجد وبعدما نزل قاموا باقتياده إلى السجن؛ حيث قضى فيه ستة أشهر. ثم قام والي أصفهان، مانوتشهير خان، والذي لم يكن إيمانه بالإسلام راسخًا، بالإفراج عنه سرًّا، وكان الإفراج عن الباب أمرًا يسيرًا، حيث كان السكان قد تركوا مدينة شيراز فرارًا من الكوليرا التي انتشرت فيها.

واصطنع مانوتشهير خان، الذي أمر بنقله إلى بيته حيلة. ولكن الحيلة هذه المرة كانت في مصلحة الباب: حيث صرح لعلماء أصفهان بأن الباب قد هرب من سجنه في شيراز قاصدًا أصفهان بناء على طلب أحدهم، وأنه خشي أن يحدث وجوده اضطرابًا بالمدينة وأوصى العلماء أن يستقبلوه بحفاوة واقترح على رئيسهم أن يستضيفه في بيته. ووعدهم بأن يجمعهم في لقاء مع الباب ليسمعوا منه تفسير موقفه من الإسلام حتى يتمكنوا من إصدار فتوى بشأنه ويتعهد هو بالالتزام بها

وتنفيذها. ولقد قبل العلماء هذه الاقتراحات، لأن كل واحد منهم كان يخشى أن يظن به أنه هو الذي دعا الباب للقدوم عنده في أصفهان. ولما وصل الباب، أحسنوا استقباله، وقام الميرزا سيد محمد الملقب بـ"سلطان العلماء" باستضافته.

وأما الحيلة التي اصطنعها الحاكم لصالح الباب فقد كانت تهدف إلى تقديمه إلى الناس في يوم مناسب ينال فيه رضا العلماء، واستقبله العلماء بحفاوة كبيرة. وذهب العلماء يتبع بعضهم بعضًا إلى كبيرهم وبدؤوا في تجاذب الحديث مع الباب من أجل معرفة نياته ومدى ادعاءاته.

وكان الباب في البداية محترزًا في حديثه، وسرعان ما تبددت مخاوفه شيئًا فشيئًا قبل أن يفسر لهم سورة العصر. ولم تكن العبارات التي كتبها في إجابته على سبيل التفسير تستحق أن يطلق عليها تفسيرًا، إلا أن الباب لم يستطع أن يتجنب فيها ما يدينه من القول وما كان العلماء يسعون إلى انتزاعه منه من خلال اعتراف كتابي بادعائه أنه المهدي المنتظر وأنه رسول من عند الله. وما إن وقع ذلك في أيديهم حتى ذهبوا إلى الحاكم وذكروه بوعده لهم بعقد مجلس يقوم الباب فيه بتقديم تفسير لهذه الهرطقات. وبعد أن أجل الاجتماع مرات عديدة لم يجد مانوتشهير خان بُدًّا من النزول إلى رغبة جمهور العلماء بعد إصرارهم على هذا الاجتماع. بيد أن عددًا من العلماء لم يكن موافقًا على هذا الاجتماع، لأن الباب باعترافه الكتابي قد ارتد عن الإسلام، وبالرغم من ذلك انعقد الاجتماع ومَثُل الباب أمام الحاضرين الذين وجهوا إليه عددًا من الأسئلة كانت سهلة الإجابة لمن كان يزعم أنه "باب المعارف الربانية" ومع ذلك لم يستطع الإجابة على أي منها، وإنما عبر عن رغبته في الإجابة عنها كتابة، وعندما كتب لم يسطر إلا دعوات وأذكارًا لا صلة بينها وبين الأسئلة المطروحة عليه. وهذا التصرف كان من شأنه بالطبع أن يزيد من عداء الحاضرين

تجاهه. ومع ذلك فإن بعضهم مثل الميرزا سيد محمد -على سبيل المثال- كانوا يرون أنهم يتعاملون مع رجل مجرد من العقل ويؤكد البعض الآخر مثل الأغا محمد مهدي والكالباس أن الباب مرتد ويمثل خطرًا على الناس وبالتالي يجب إعدامه.

وإلى هذا الرأي انحاز جمهور العلماء المجتمعين، ولكن نظرًا لشدة الحسم في هذا الحكم، أعلن الحاكم عدم قدرته على تنفيذه دون الرجوع إلى الحكومة، وكتب تقريرًا إلى الشاه يعرض عليه فيه ما حدث، وطلب من العلماء أن يصبروا حتى يأتي الرد على هذا التقرير.

وبعد صدور الحكم أمر الحاكم بأن يكبل الباب في السلاسل أمام العلماء ويساق إلى سجن المدينة، ومع ذلك لم يكد يجن عليه الليل في السجن إلا وقد أمر الحاكم مانوتشهر خان بنقله سرًّا إلى منزله الخاص به بعيدًا عن أعين الناس، حيث ذاق عنده من كرم الضيافة ما يختلف بالطبع عما ذاقه في السجن الذي أخرجه منه.

وفي تقريره الذي قدمه إلى الشاه، عبر الوالي عن رأيه الخاص الذي يتلخص في أن إعدام الباب سيؤدي إلى إحداث بعض الاضطرابات في أصفهان ونصح بإبقائه سجينًا لدواعٍ سياسية حتى تخمد الثورة المشتعلة حول هذه القضية. واستصوب الشاه ومستشاروه هذا الرأي. ومع ذلك فإن الوالي كان متخوفًا أن يكتشف العلماء والناس أن الباب لم يعد موجودًا بسجن المدينة، فأعلن أن الحكومة قد طلبت نقله إلى سجن طهران[٢٨]. وفي هذا الصدد يرى مؤرخو

(٢٨) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحتا ١٤٦-١٥٦.

البهائية أن مانوتشهير خان أمر باقتياد الباب في حراسة مشددة أمام الناس وأن يقطعوا به المدينة باتجاه طهران ثم أمرهم ثانية أن يعودوا به إليه سرًّا من الطريق المخالف. وعندما وصل الباب مع الحراس إلى مورجه خورت إحدى القرى المجاورة لأصفهان، عادوا بالباب إلى منزل الوالي. واقتنع الناس بتلك الحيلة، وظنوا أن الباب قد غادر أسوار المدينة إلى طهران(٢٩).

وظل الباب مختبئًا بأصفهان مدة اختلف المؤرخون حولها غير أنهم اتفقوا على أنه أقام بها حتى وفاة والي المدينة سنة ١٢٦٣ هجرية (١٨٤٧ ميلادية) فقام الوالي الجديد آنذاك كاركان خان، ابن أخي الحاكم السابق، بكشف الحقيقة لحكومة طهران وعلم الناس بأصفهان حقيقة التلاعب بهم.

وأمر رئيس الوزراء في العاصمة الميرزا أقاسي بنقل الباب إلى قلعة ماكو في أذربيجان لحبسه فيها. ووقع الباب فريسةَ المرض في هذا السجن الحقيقي، واستطاع أحد أنصاره -السيد حسين يازدي- بالتواطؤ مع حراس السجن أن يلتقي والباب وأن يتحدث إليه. فأمره الباب بأن يبذل ما في وسعه من أجل أن يطلق سراحه. ويذكر أواره أيضًا أن البشروئي قد استطاع أن يلتقي والباب أكثر من مرة، وأن الباب كان يود أن ينتهز فرصة موت الشاه القريب لإطلاق سراحه، وكان يعتقد أن الاضطراب الذي يثيره هذا الموت سيتحول إلى ثورة من شأنها أن تساعده على الهرب(٣٠). وعلى أمل الهرب قام الباب بتعيين رسل له في كل أقاليم فارس، فعين الملا البشروئي في خراسان وأرسل الملا البارفروشي إلى مازندران وقرة العين إلى قزوين... إلخ. ونفذ الرسل وبكل دقة أوامر زعيمهم

(٢٩) أواره، الكواكب الدرية، صفحتا ١٣٣ - ١٣٤.

(٣٠) نفس المرجع، صفحتا ١٨٦ - ١٨٧.

لدرجة أثارت اضطرابات وقلاقل مما أجبر الحكومة على التدخل، ولقد زاد من حدة الفوضى والتمرد تذمر ولاة الأقاليم من الحكومة ورغبتهم في التخلص من تعسف السلطة المركزية.

واستفاد الباب من جميع الظروف المحيطة به، فأرسل إلى الشاه رسالة يشكو إليه فيها حبسه سجينًا، ويزعم في نفس الوقت أنه "إرادة الله الأولى" وأنه "النقطة التي أوجدت العالم" وأنه "النور الإلهي" الذي أضاء لموسى في سيناء.

وبرهانًا على ذلك ذكر أن اسمه "علي محمد" يتفق في القيمة العددية لحروفه مع كلمة رب وبالتالي فهو رب موسى المذكور في القرآن: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[٣١].

وادعى الباب أنه المهدي المنتظر عام ١٢٦٠ من الهجرة وفقًا -حسب قوله- لما ذكره القرآن. واستدل على ذلك بما يلي: اختفى الإمام محمد بن الحسن العسكري، الإمام الثاني عشر عام ٢٦٠ هجرية، وبإضافة ألف سنة إلى هذا التاريخ، تلك الألف الوارد ذكرها في القرآن في هذه الآية: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٣٢]. فيصبح التاريخ حينئذ ١٢٦٠ هجرية وهو العام الذي جهر فيه الباب بدعوته، وقال الباب أيضًا في رسالته إلى الشاه إنه «صاحب الزمان» والمالك لكل ما في الدنيا من

---

(٣١) القرآن (ترجمة مونتيه) سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٣٢) نفس المرجع، سورة السجدة آية ٥.

مال وإنه المهيمن على الأرض لذلك يطالب بحقه في إرث مانوتشهير خان حاكم أصفهان[٣٣]. وكانت رسالة طويلة ظهر من خلالها سعة خياله الشاذ.

وازدادت حدة الثورة التي قام البابيون بها في مختلف المناطق، وكان الباب المحبوس في ماكو، يزيدها اشتعالا بأوامره الشفهية والكتابية التي يوجهها تباعًا للملا البشروئي، وأرادت الحكومة الغاضبة من هذا الهياج الخطير أن تضع نهاية لحياة الباب، غير أنها كانت تتردد دائما من النتائج السيئة التي يمكن أن يسفر عنها إعدامه.

ويبدو أن الحكومة قد أدركت في النهاية أن اتصالا ما قد تم بين الباب وبين الثائرين فأصدرت الأمر لوالي تبريز: ناصر الدين، ابن الشاه محمد وولي العهد المنتظر، بعقد مجلس جديد للعلماء وكبار المسؤولين بالحكومة لمحاكمة الباب مرة أخرى وإرسال نتائج الجلسة إلى طهران. وتم بالفعل عقد المجلس بمدينة تبريز وبرئاسة والي المدينة.

وعندما مَثُل الباب أمام المجلس، قام الحاضرون بمواجهته ببضع صفحات من أعماله وسؤاله عما إذا كانت صادرة عنه أم لا. وبعد أن حاول مرارًا أن يتهرب من الإجابة، اعترف بنسبة هذه الكتابات إليه. وأما التهمة الرئيسية الموجهة إليه والتي تتخلص في ادعاءاته التي تتضمنها كتاباته والتي اعترف بها للتو، لم يستطع الباب أن يثبت شيئًا منها، بل كانت إجابته على الأسئلة الموجهة إليه تنم عن جهل ذريع. ولم يجد الباب ما يرد به على الأسئلة الموجهة إليه والمتعلقة بمختلف فروع

(٣٣) «الرابع من مارس لسنة ١٨٤٧ كتب م دو بونير إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول: «مات والي أصفهان معتمد الدولة تاركًا وراءه ما يساوي ٤٠٠٠٠٠٠٠ فرنك» (راجع نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٤٢ ملاحظة ١٩٢). «وسوف نرى من خلال بعض الرسائل أن الباب قد كتب من مدينة ماكو أنه المستحق لهذه التركة» (مرجع سابق، صفحة ٢٤٢، ملاحظة ١٣٩).

العلوم الإنسانية كاللغة والشريعة والفلسفة والمنطق وغيرها، فكان يلتزم الصمت التام أحيانًا، وأحيانًا أخرى كان يدعي أنه نسي ما تعلمه في شبابه من المسائل المتعلقة بتلك الأسئلة. ولقد طلبوا منه على سبيل المثال تفسير سورة الكوثر والتي ادعى بصددها أن سورة مثيلة لها قد نزلت عليه فكان تعليقه لا يتجاوز الصمت. كما طلبوا منه أيضًا رأيه في القضايا المختلف فيها بين المسلمين والنصارى فيما يتعلق بصلب المسيح، ولكي يتجنب الإجابة على هذا السؤال طلب إرجاء الإجابة عليه إلى مناسبة أخرى. ولما سئل عما يبرر دعوته أجاب أن بإمكانه كتابة ألف سطر في يوم واحد مما اضطر محاوره أن يرد عليه بأن كثيرًا غيره بإمكانهم فعل ذلك.

وادعى أيضًا أنه أُعْطِي جوامع الكلم، وأنه بإمكانه أن يخطب دون إعداد مسبق، وأراد أن يثبت ذلك من خلال إلقاء خطبة، غير أنه وقع في خطأ نحوي فادح في أول جملة نطق بها مما حدا بالوالي الذي كان يرأس الجلسة أن يقاطعه على الفور ويلزمه الصمت.

ثم وجه إليه الحاضرون أيضًا هذا السؤال: «ما الفوائد التي تعود على البشرية من خلال دعوتك؟ هل هناك قصور في الدين الإسلامي مما يستدعي علاجه؟» وأفاد بأن الإجابة على هذه الأسئلة ستكون في مناسبة أخرى.

وأخذ أعضاء المجلس ينظر بعضهم إلى بعض في دهشة. واتهم بعضهم الباب بالجنون واتهمه البعض الآخر بالزندقة وأنه يجب إعدامه. وأصدر الوالي حكمه بتعزيره ثم حبسه، ولكن هذه المرة في قلعة تشريق وهي مدينة تابعة لأذربيجان وتم أسر أمين سره سيد حسين يازدي وتلميذه محمد علي زنوزي[٣٤].

---

(٣٤) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحتا ١٨٤، ١٩٣. أواره، الكواكب الدرية، صفحتا ٤٢١، ٤٢٨.

وظلت الاضطرابات تتزايد من آن لآخر في العديد من الولايات. واجتمع الثائرون في مدينة بدشت وقامت زرين تاج «الطاهرة» بإلقاء خطبتها في تلك المدينة معلنة شيوع الملكية بين الناس جميعًا شيوعية كاملة تصل إلى حد جعل النساء ملكية عامة. كما أعلنت وجوب الاستفادة من الظروف الراهنة لأن ظهور الباب نسخ القرآن، وبالتالي أصبح الناس بغير شريعة يلتزمون بها، لأن المبادئ البابية لم تأخذ بعد قوة الشريعة. وفي النهاية اقترحت الاستفادة من الفوضى لإحداث فوضى أشد، ترضي المصالح الشخصية المعلنة وغير المعلنة حتى ولو كانت عابرة ولكن يتم إشباعها في الحال.

ولقد أثارت تصريحات زرين تاج اضطرابًا كبيرًا بين الحاضرين، فحتى تلك اللحظة لم يكن أحد قد تحدث إليهم عن الهدف الحقيقي الذي تسعى تلك الحركة الجديدة للوصول إليه، إلا أن المنظمين لمؤتمر بدشت قد اتفقوا على أمرين: الأمر الأول يختص بأن الدين الجديد الذي جاء به الباب ناسخ لدين الإسلام، ويتعلق الأمر الثاني بوجوب تجميع القوى للإفراج عن الباب من محبسه في مدينة تشريق.

وانصرف أعضاء هذا المؤتمر لتنفيذ القرار الثاني، فتوجه البارفروشي وزرين تاج إلى مازندران، غير أن المرأة الشابة تركت صاحبها في هذا السفر في الطريق وانطلقت وحدها تنشر الدعوة الكاذبة، وبهذا وجهت لها الحكومة تهمة الإضرار بمصالح الدولة العليا وألقت القبض عليها أثناء حديثها وقامت بإعدامها حرقًا في سنة ١٢٦٤ من الهجرة.

وانطلق البشروئي إلى خراسان ثم إلى مازندران حيث التقى والبارفروشي وأثارا هناك فتنة كبرى. وكان مما ساعدهم على القيام بحركتهم الثورية موت الشاه في عام الاضطراب سنة ١٢٦٤ من الهجرة.

وبعد موته، قام الولاة المعادون لرئيس الوزراء خلال الحداد الوطني بالذهاب إلى طهران وتركوا أقاليمهم دون إدارة ولا سلطة في قبضة الموظفين المرؤوسين. وكان الشعب في غالبيته يعاني أشد المعاناة من أحداث الاضطرابات، وبالتالي كان يطالب بالتدخل الحاسم من جانب الحكومة المركزية التي قررت بدورها إرسال بعض القوات إلى مختلف المناطق لفرض النظام والمحافظة عليه، وفي مدينة مازندران انسحب البابيون إلى هضبة بها قبر الطبرسي [٣٥] وهناك وتحت إشراف البشروئي الذي عين قائدًا للقوات المسلحة البابية قام البابيون بإنشاء بعض الحصون.

وقام البشروئي بإلقاء خطبة عصماء لإثارة الروح القتالية وبث الشجاعة في قلوب قواته المسلحة أعلن فيها أنه تلقى رسالة من الباب تبشر بانتصار البابيين على قوات الحكومة، وتقول هذه الرسالة أيضًا إن الباب يستطيع غزو العالم أجمع وذلك إذا تمكن البابيون من غزو مدينة مازندران والري وطهران وقتل اثني عشر جنديًا من صفوف أعدائهم.

وأما الجنود التي أرسلها الشاه الجديد: ناصر الدين لإخماد الثورة التي قام بها البابيون، فإنها تعرضت في البداية لبعض صور الإخفاق إلا أنها نجحت في محاصرة الحصون التي أنشأها الثائرون على هضبة الطبرسي. ولقد لقي البشروئي وخليفته البارفروشي مصرعهما خلال تلك المعارك. وأثناء تلك الأحداث التي كانت تجري في مازندران، قام الملا محمد علي زنجاني بتنظيم حركة تمرد في مدينة زنجان وما حولها، حيث كان ينتشر مذهب زرين تاج المتحرر. ولقد وجد الزنجاني من بين المساكين وأنصار التحرر التام أتباعًا بلغ عددهم وفقًا لما يقال عشرين ألفًا

(٣٥)الفضل بن الحسين الطبرسي، من علماء الشيعة المتوفى سنة ٥٤٨ من الهجرة ١١٥٤ من الميلاد.

تم تجميعهم من جميع أنحاء المنطقة. ولما وجد لديه هذا العدد المهيب من الجنود انطلق بهم إلى السجن وأطلق سراح جميع المسجونين وبلغ الاضطراب في المدينة مبلغًا جعل الغالبية العظمى من السكان يفرون منها. واستولى البابيون أيضًا على قلعة علي ماردان خان التي تسيطر على المدينة، وعندما وصلت القوات الحكومية، اشتعلت معارك القتال مع الخارجين، وانتهى الأمر بمقتل الملا محمد علي زنجاني وثلاثة آلاف من البابيين، وبالتالي تم القضاء على الثورة في زنجان عام ١٢٥٦ من الهجرة. وفي الوقت الذي كانت تقوم فيه الحكومة بعملياتها في جميع المناطق للقضاء على حركة التمرد، لم ينسَ رئيس الوزراء الجديد الميرزا تقي فاراجاني المتسببَ الأول في اندلاع الأحداث في مختلف المناطق وهو الباب. وأثناء لقائه مع الشاه الجديد، أخبره بأن القضاء التام على حركة التمرد من جانب البابيين لا يتم إلا بإعدام الباب رأس الفتنة. ويرى أن هذا الحكم كان ينبغي أن يتقرر منذ وقت طويل[٣٦].

ولقد انحاز الشاه إلى هذا الرأي، غير أنه قرر رفع دعوى أخرى لمحاكمة الباب، ويكون تنفيذ الحكم هذه المرة على الفور. وتم إرسال التعليمات إلى الميرزا حمزة والي أذربيجان بأن يقوم بعرض الباب على مجلس من العلماء وعلية القوم وكبار الموظفين. كما نصت هذه التعليمات على وجوب تنفيذ الأحكام المتخذة ضد الباب على الفور.

وتم عقد المجلس ولم يحضره أحد من العلماء، حيث رفضوا المشاركة حسبما تقول رسالتهم الموجهة إلى الوالي، إذ سبق لهم اتخاذ حكم بشأن الباب، وحيث إنه لم يتخل عن ادعاءاته الجنونية، فإنهم لن يغيروا رأيهم في شأنه. واستمسكوا برأيهم

(٣٦) جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحتا ٢١١، ٢١٢.

في إعدام هذا المرتد. وبالتالي لم يضم المجلس إلا علية القوم وكبار الموظفين. وتم اقتياد الباب أمامهم، هو وصاحباه من المتهمين: أمين سره سيد حسين يازدي الذي كان يلقبه «كاتب الوحي» وتلميذه الملا محمد علي زنوزي.

وكانت المحاكمة هذه المرة قصيرة وبدون مقدمات، حيث طلب الميرزا حمزة من الباب إذا ما كان يدعي أنه رسول من عند الله أم لا، فلما أجاب الباب بالإيجاب، توجه إليه الوالي وطلب منه أن يقدم الدليل على ذلك بإنزال سورة على مصباح القاعة التي يجتمع فيها المجلس. وقام الباب بالفعل بخلط بعض آيات القرآن التي تشتمل على كلمة مصباح وأضاف إليها بعض العبارات من إنشائه. وتعمد الميرزا أن ينتظر بعض اللحظات قبل أن يستأنف سؤال الباب ثم سأله عما إذا كان من الممكن أن ينسى نبي سورة قد نزلت عليه، فلما أجاب الباب بالنفي، طلب منه الوالي أن يكرر السورة وقد كان الميرزا حمزة قد أصدر تعليمات إلى كاتبه ليكتب بالضبط جميع الأسئلة الموجهة إلى الباب وكذلك إجاباته خلال المحاكمة وتم بالفعل تسجيل ما قاله المتهم كتابيًّا وكرر الباب السورة التي كان قد تفوه بها منذ قليل وحينئذ عرض الوالي على الباب الملاحظات التي سجلها الكاتب مما أكد بالحجة القاطعة أن هنالك اختلافًا كبيرًا بين النص الأول والنص الثاني لسورة المصباح.

واكتفى أعضاء المجلس بهذا الدليل للحكم بأن الباب لم يكن رسولا من عند الله كما كان يدعي، بل دَعِيّ كاذب يجب إعدامه على كذبه على الشعب الفارسي وعلى بلاد فارس. وهذا هو الحكم الذي صدر في ختام جلسة محاكمة الباب، وأما صاحباه فقد تم استجوابهما أيضًا وبما أنهما كانا متفقين تمامًا مع الباب ودعوته المزعومة لقيا نفس مصيره.

وعلى الرغم من ذلك فإن الميرزا حمزة كان يسعى لأن يلقى الحكم الذي اتخذه مجلس كبار القوم والموظفين استحسان كبار العلماء. فأمر باقتياد الباب وصاحبيه إلى الملا ممقاني الملقب بحجة الإسلام والذي كان يجتمع عنده بعض كبار مدينة تبريز وكذلك الملا باشي عبد الكريم والملا باشي حسن زنوزي. وسأل حجة الإسلام الباب عما إذا كان مصرًّا على ادعاءاته فأجاب الباب بالإيجاب وتضامن صاحباه معه فصدق العلماء على الحكم الذي أصدره المجلس.

وكان من بين العلماء الذين مَثُل الثلاثة أمامهم عالم يدعى علي زنوزي، وهو أحد أقارب المتهم الثالث محمد علي زنوزي.

وحاول هذا العالم أن ينقذ حياة قريبه التعيس، وقام بإحضار زوجته وابنته من أجل أن يحثه على التراجع عن الأفكار البابية الكافرة؛ ظنًّا منه أن رؤيته لهاتين العزيزتين ستجعله يحن إلى مشاعر أخرى. ولما وجهت إليه الأسئلة السابقة عما إذا كان مصرًّا على مزاعمه فأجاب بالإثبات فتوسلت إليه زوجته وابنته أن يكفر بالباب وبمزاعمه ولكن ذهبت دموع التوسل هباءً. وأما المتهم الثاني: أمين سر الباب، لما رأى أن الكفر بالباب يمكن أن ينقذ حياته رجع عن كل مزاعمه السابقة في حضرة الباب حتى قيل إنه سب الباب ومن ثم تم الإفراج عنه.

وهنا لم يبق أمام الوالي غير الشروع في إعدام المتهمين. وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك، تم اقتياد الباب وصاحبه عبر المدينة إلى ميدان تَحُفُّهُ ثُكنة عسكرية يدعى سرباز خان كوجاك. وأمام حائط هذه الثكنة، تم نصب عمودين من الخشب وربط المتهمين عليهما. وتم تقسيم الجنود إلى فرقتين تتألف كل واحدة من ثلاثمائة رجل مزودين بالسلاح تتألف الفرقة الأولى من جنود مسلمين بقيادة الأغا خان بك. وتتألف الثانية من جنود مسيحيين بقيادة سام خان. وقام أحد الموظفين

بتلاوة الحكم. وتوجه بعد ذلك إلى قائد جنود المسلمين طالبًا منه تنفيذ الحكم. وامتنع الضابط بحجة تبعيته لوزير الحربية وبالتالي لا يمكنه تنفيذ أي حكم إلا بأمر منه، وحينئذ توجه الموظف بالأمر إلى قائد الفرقة المسيحية فاستجاب للأمر وقام بصف رجاله أمام المتهمين في ثلاثة صفوف يتألف كل صف من مائة جندي ثم أمر بإطلاق النار. وبعد أن انقشع دخان المائة طلقة رأى الناس الملا محمد علي الزنوزي قد قتل على الخشبة التي شد عليها ويسيل الدم من جميع أجزاء جسده. أما الباب فقد اختفى. ثم سادت لحظة من الذهول الشديد. ثم أسرع إليه الضابط الذي أمر بإطلاق النار، فوجد أن الطلقات التي أطلقها الجنود مزقت الحبال التي كان الباب مشدودًا بها على الخشبة. وكان هناك باب في جدار الثكنة غير بعيد عن الخشبتين، فاعتقد الضابط في الحال أن الباب قد خرج منه ثم وجد الباب حيًّا في إحدى غرف المقر بغير جراح ثم أعيد على الفور إلى خشبة الإعدام وتم شده من جديد عليها وقضت الطلقات المصوبة نحوه هذه المرة على حياته فوقع الإعدام في السابع والعشرين من شهر شعبان لعام ١٢٦٦ من الهجرة الموافق الثامن من يوليو لعام ١٨٥٠ بمدينة تبريز.

ويرى المؤرخون المسلمون أن جثة الباب وصاحبه قد تم إلقاؤهما في حفرة أمام أعين الناس ثم اختفيا مع مرور الأيام بعد أن عدا عليهما مختلف أنواع الحيوانات. ويرى مؤرخو البابية في المقابل أنه تم إنقاذ الجثتين بفضل التدخل الخفي لسليمان خان التبريزي والذي كان واحدًا من رواد بلاط الشاه في ذلك الوقت وكان مناصرًا لحركة الباب كما سنرى ذلك فيما بعد، وهكذا تم التوصل إلى

إخراج الجثتين من المدينة وبعد إخفائهما في أماكن مختلفة ثم دفنهما نهائيًّا في مقبرة بمدينة حيفا في فلسطين[٣٧].

ج-الحركة البابية بعد مقتل الباب

بعد سيطرة الحكومة الفارسية على حركات التمرد المشتعلة في جميع المناطق، وبعد مقتل وإعدام قادة البابية، بل والباب نفسه، تم القضاء التام على حركة البابية. وأما العدد القليل المناصر للحركة، فقد كان حريصًا على الاختفاء وأصبح بغير قائد ولا نظام. ومع ذلك فقد تم تشكيل حزب يضم عددًا قليلا من الأعضاء وكان يعمل على الثأر لمقتل الباب والسعي إلى تحقيق ذلك عن طريق أعمال العنف. وجاء على رأس هذه المجموعة سليمان خان التبريزي، الذي تحدثنا عنه آنفًا، والذي كان يعتزم إحياء الحركة البابية وأن يقوم بزعامتها. ولقد شجع اثنين من متشددي البابية ممن ينتمون إلى هذه الجماعة على تنفيذ هجوم ضد الشاه ثأرًا لقتل الباب وتأسيسًا لحركة تمرد جديدة يستطيع البابيون من خلالها الانطلاق من جديد. وبعد أن قرر البابيان الهجوم، انتهزا فرصة رحلة الصيد المنظمة للشاه في إحدى الغابات المجاورة لطهران في اليوم الثاني من شهر شوال لسنة ١٢٦٨ من الهجرة. واختبئا هنالك وعندما ظهر الشاه أثناء سيره على رأس رفاقه، قاما بإطلاق النار عليه. فأسفر ذلك عن جرح السلطان ومقتل أحد منفذي الهجوم وإصابة الآخر إصابة خطيرة. وعند استجواب هذا الجريح أدلى بأسماء المتورطين الرئيسين في هذا الهجوم لا سيما سليمان خان التبريزي فتم إلقاء القبض عليه

---

(٣٧) فيما يتعلق بالجانب التاريخي للدعوى المرفوعة ضد الباب وكذلك التفاصيل الأخرى للأحداث التي ذكرناها، ويمكن للقارئ أن يستفيد من مراجعة: ١- مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحتا ١١١، ٢٥٠ (مؤلف فارسي شيعي من الطائفة الإمامية)، ٢- أواره، الكواكب الدرية (مؤلف بابي)، ٣- سليم قبعين عبد البهاء، صفحتا ٨، ١٦، مقال الميرزا أبو الفضل الجرفادقاني، ٤- نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، ٥- لامينز س.ج، الإسلام عقيدة وشريعة، صفحتا ٢٠٧، ٢٠٩، ٦- جوبينو، مرجع سابق.

وخلال تفتيش منزله عثرت السلطات على قائمة بأسماء جميع أعضاء هذه الجماعة البابية المتشددة التي يتزعمها، وحكم عليه بالإعدام. وحتى يكون عبرة لمن تسول له نفسه تم تعذيبه تعذيبًا حادًّا حتى الموت. وأما باقي المتهمين، فيما عدا من فر منهم، فقد تم إلقاء القبض عليهم ومحاكمة عدد منهم والحكم عليهم بالإعدام. وأما من حكم عليهم بالحبس فكان من بينهم الميرزا حسين علي نوري من نور بمدينة مازندران والذي لقبه الباب بـ"بهاء الله" والذي عمل فيما بعد على بقاء الحركة البابية معلنًا زعامته لها في حين أن أخاه الأصغر يحيى نوري والذي لقبه الباب بـ"صبح الأزل" قد عينه الباب خليفة له في زعامة الطائفة.

ولقد تم إلقاء القبض على يحيى نوري ووضعه مع أخيه الأكبر في السجن. ولم يتم إعدامهما بفضل حماية أحد وزراء الشاه لهما وهو الميرزا أغا خان نوري الذي سعى إلى إنقاذ أبناء مدينته واللذين استمر حبسهما بمدينة طهران. وبعد الهجوم على الشاه لم تحبذ الحكومة الفارسية بقاءهما طويلا على أرض فارس وحتى لو كان ذلك في السجن وتفاوضت حكومة طهران متمثلة في شخص الوزير الميرزا نوري مع الحكومة التركية وتوصلتا إلى تحديد إقامة هذين البابيين غير المرغوب فيهما في تركيا. وهكذا تم ترحيل هذين الأخوين مع غيرهما من البابيين إلى بغداد عام ١٢٦٩ من الهجرة (١٨٥٢ من الميلاد) ثم إلى إسطنبول عام ١٢٨٠ من الهجرة ثم في النهاية إلى أندرينوبل. وفي هذه المدينة وقع نزاع بين الأخوين حول الادعاء المشترك من جانب كل منهما أنه خليفة الباب للحركة البابية وتنازع أتباع الأخوين -المحددة إقامتهما معهم هناك- فيما بينهما حول هذا الشأن وانفصلا عن بعضهما، في حين أنه تم ترحيل الأخ الأكبر إلى عكا عام ١٢٨٥ من الهجرة والأخ الأصغر يحيى نوري إلى قبرص.

وكما قلنا في البداية فإن حركة البابية قد تلقت أعنف ضربة منذ موت الباب، كما أوقع الإعدام القاسي لسليمان خان التبريزي الرعب والخوف بين صفوف البابية وجعلهم يلتزمون الصمت. وشرع الميرزا حسين علي في كسب أتباع جدد للحركة في عكا وإصدار بيانات حول دوره وشخصيته وجرد الباب الراحل من جميع مزاعمه التي قال بها في حياته وقال إن الباب لم يكن إلا رسولا مبشرًا بقدومه وإن الميرزا حسين علي هو شجرة المعارف الربانية وإنه الكائن الذي يمثل الذات الإلهية وروح الله التي تجسدت في شخصه.

ولقد ادعى أنه هو الذي أرسل جميع الأنبياء وليس الله، حيث تجسدت الذات الإلهية فيه، وعندما كان يتحدث عن الباب باعتباره نبيًّا كان يقول إن الباب قد جاء من أجل أن يبشر بظهوره.

وأرسل رسالة من عكا إلى شاه فارس وإلى مختلف رؤساء الدول وإلى البابا، وظلت هذه الرسائل بالطبع دون ردود. وأخذ يؤلف في الكتب والتي كان يكتبها له -حقيقة- ابنه الأكبر عباس[٣٨] والذي كان يلقب نفسه بـ"عبد البهاء" وهكذا قام هذا الرجل الذي يُدعى بهاء الله بتأسيس جماعة تسمى البهائية والتي خرجت من رحم البابية، وأصبح عباس هو القائد الحقيقي لهذه الجماعة البابية البهائية. حيث نَمَّت ثقافته وذكاؤه ومهارته عن تطور كبير فقد امتلك القدرة الفائقة على التأثير في عقول جميع الأوساط. ولقد كان يؤدي جميع شعائر الإسلام، ولكن عندما كان يتكلم مع اليهود على سبيل المثال كان يعرف كيف يبرز أهمية موسى للإنسانية، وعندما كان يتحدث مع المسيحيين كان يعرف كيف يعظم رسالة المسيح، وكان يعرف ما يجب أن يقال ومع من يجب أن يتحدث وذلك

(٣٨) بالنسبة لكتب بهاء الله، راجع فصل: مذهب بهاء الله مع مراجعة مراجع هذا الفصل.

بفضل علمه وذكائه وفطنته، واستطاع أن يسدي إلى والده خدمات جليلة حتى خلع عليه والده لقب "الغصن الكريم المنشعب من الأصل القديم".

ولم يكتف بهاء الله بإرسال الرسائل إلى رؤساء الدول، فأرسل رسلا إلى مصر ومختلف دول آسيا لا سيما تركستان وإلى أمريكا الشمالية لينشر المذهب البابي القديم والذي سَمَّاه المذهب البهائي، وقام البهائيون بتنقيحه وتصحيحه مع مراعاة مزاعمه الشخصية والتي كانت من قبل مزاعم الباب.

ولم يلاق هؤلاء المبعوثون نجاحًا كبيرًا في مصر. أما العراق، فكان الوضع بها أفضل حتى إننا نصادف في هذه الأيام بهائيين بابيين في تلك البلد. وفي أمريكا الشمالية وجدوا أناسًا يهتمون بما يقولونه إذ لا تعدم أن تجد في هذا البلد من يهتم بكل ما هو جديد وفريد حتى ولو كان مجافيًا للمنطق. واستطاعوا أن يحصلوا على المال في أمريكا الشمالية مما ساعدهم على نشر دعوتهم واستطاعوا من خلاله أيضًا نشر هذا المذهب في آسيا. وتوفي بهاء الله، المولود أوائل عام ١٢٣٣ من الهجرة الموافق لعام ١٨١٧ من الميلاد، في نهاية ١٣٠٩ من الهجرة (١٨٩٢ من الميلاد) عن عمر يناهز ٧٧ عامًا وإلى موته لم تكتسب البهائية في مختلف البلاد التي انتشرت بها أي أهمية تذكر[٣٩]. وقام ابنه عباس، المولود في سنة ١٨٤٤ والبالغ من العمر حينئذ ٤٤ سنة، والذي عهد إليه والده بخلافته بعد موته، بنشر مذهب البهائية البابية. وكان عليه منذ بداية عهده أن يقاوم أخاه الميرزا محمد علي والذي كان قد خلع عليه والده لقب "الغصن الأكبر"، والتف السواد الأعظم من الجماعة البهائية

---

(٣٩) الميرزا حسين علي نوري (بهاء الله) ولد بمدينة نور (مازندران) وكان أبوه موظفًا كبيرًا منتدبًا من جانب وزير المالية للعمل بمدينة مازندران ولم ينضم بهاء الله ولا أخوه الصغير يحيى نوري إلى تلك الحركة إلا بعد أن شكل الباب لجنة من ثمانية عشر شخصًا باسم «حروف الحي» راجع مهدي خان وسليم قبعين. لاميز (مراجع مذكورة بملاحظة ٣٧) ومحمد فاضل الحراب، صفحتا ٢٠٩- ٢١١ من كتابه.

البابية حول عباس الذي تزعم الحركة البهائية مسخرًا في ذلك كل ما في جعبته من ذكاء وثقافة ومهارة في التواصل مع جميع الأوساط. وعلى العكس مما صنعه والده عندما خلع الباب من جميع ألقابه ومزاعمه، التزم عباس بجميع مزاعم بهاء الله وادعى أنه ليس فقط ممثلا لتلك الادعاءات وإنما تجسيد لها.

وإذا كان الباب وبهاء الله قد استعانا بالرسل لتحقيق أهدافهما، فإن عباسًا قد انطلق بنفسه لنشر المذهب، فذهب إلى أوروبا سنة ١٣٢٩ من الهجرة (١٩١٠ ميلادية) وبالتحديد إلى إنجلترا؛ حيث عمل على توطيد علاقاته بالناس ثم عقد مؤتمرًا بجامعة أكسفورد ثم ذهب بعد ذلك إلى باريس وإلى سويسرا وسافر أيضًا إلى أمريكا الشمالية عام ١٣٣١ من الهجرة (١٩١٢ من الميلاد).

وفي سنة ١٣٢٨ من الهجرة (١٩١٠ من الميلاد) وكان قد بلغ سبعين سنة قام بزيارة إلى مصر. ومع ذلك لم يكشف خلال تلك الزيارة عن الهدف من إقامته على ضفاف النيل، وإنما اكتفى بالتعرف على المنطقة، والقيام ببعض أعمال الخير، وأقام العلاقات مع بعض الصحفيين، وكان من بينهم الشيخ علي يوسف، صاحب جريدة المؤيد والتي كانت تصدر بالقاهرة. وكتب صاحب هذه الجريدة مقالا[٤٠] يشدو فيه بمواقف عباس البناءة تجاه الإسلام ودعوته إلى الأخوة الإنسانية في جميع أنحاء العالم وذلك من خلال تنحية القضايا الدينية والقومية.

وقام الشيخ رشيد رضا، أحد علماء القاهرة والذي كان على علم بشخصية عباس وكان يعلم جيدًا أصول وتطلعات الحركة البهائية البابية بنشر بعض

---

(٤٠) راجع محمد فاضل، الحراب، صفحتا ٣٠، ٣٢، حيث أورد المقال المنشور بجريدة المؤيد في العدد الصادر في ١٣ شوال لسنة ١٣٢٨ هجرية الموافق ١٦ أكتوبر ١٩١٠.

التفسيرات حول هذا المذهب في مجلة المنار[٤١] وكذلك الهدف من إقامة عباس بمصر، ونوه عن خطأ الشيخ علي يوسف الذي اعتبر عباسًا مسلمًا وأنكر عليه إقراره بذلك. وأما المذهب البهائي فقد أعلن أنه يتنافى مع الشريعة الإسلامية. وعقب نشر هذه المقالات في الصحافة المصرية، غادر عباس القاهرة بعد أن باءت مهمته فيها بالفشل.

وباستثناء الاستقبال الحافل الذي قوبل به في أوروبا، فإن مذهبه الذي لم يكن بوسعه تحديده لم يلق هناك أدنى استحسان، وكذلك الحال في آسيا الوسطى وفارس وتركستان، ومع ذلك ربما لاقى مذهبه بعض القبول في تركستان، حيث يوجد معبد بهائي في عشق آباد. وهناك معبد آخر في مدينة باكو. وفي أمريكا الشمالية لم تؤت جهوده ثمارها بالرغم من وجود معبد بهائي بمدينة شيكاغو. وسافر البهاء عقب هذه الرحلات إلى حيفا، حيث قضى آخر أيامه بها ومات سنة ١٣٤٠ هجرية =١٩٢١ ميلادية ولم يترك ولدًا يحمل الرسالة من بعده. لكنه عين ابن ابنته المسمى شوقي قبل موته خليفة له على رأس الطائفة البهائية[٤٢]. وحتى هذه اللحظة التي نكتب فيها هذا العمل، لا يوجد لدينا وثيقة رسمية عن تلك الشخصية. ومع ذلك فإن ما يمكن أن نقوله في هذا الصدد: إن البابيين لا يمكنهم التصريح بافتقاره التام للتعليم كما هو الشأن بالنسبة للباب وبهاء الله وعباس فهم يؤكدون أن شوقي قد أنهى دراسته بجامعة أكسفورد بعد أن بدأها بجامعة بيروت.

(٤١) مجلة المنار (القاهرة)، المجلد ١٣، عدد ١٠، ٣٠ شوال ١٣٢٨ هجرية والمجلد ١٤ عدد ١ محرم ١٣٢٩ هجرية.

(٤٢) سليم قبعين، عبد البهاء، صفحة ١٦ - ٢٠، ١٨٠، لاميز، الإسلام، صفحتا ٢١١، ٢١٣.

وتعد ثقافة هذا القائد البابي الرابع أحد الأسباب المفسرة لانتكاسة البهائية. أما بالنسبة للطائفة نفسها فإن ما يمكن أن نقوله اليوم: إن أهميتها وتأثيرها قد انعدما تقريبًا في مصر ولم يعد لهذا المذهب أتباع من بين المسلمين. وإن الوسط الوحيد الذي أحدث فيه هذا المذهب صدى هو وسط التجار الفارسيين الذين تجمعهم العلاقات التجارية مع أمريكا الشمالية بمبشري المذهب البهائي في شمال العالم الجديد. وفي مصر نجد أن الذي يهتم بنشر هذا المذهب البهائي يقوم به بحسن نية وباقتناع تام بأن هذا المذهب ليس إلا نشاطًا دينيًّا ظاهرًا يتم في وسط إسلامي لصالح الإسلام. وأن هذا الإنسان لم يقرأ كتابًا بهائيًّا واحدًا بل يجهل تمامًا أن هذا المذهب ليس إلا عودة للمذاهب البابية. فإضلال الإنسان البسيط، سليم الطوية، أمر في غاية اليسر لا سيما أنه من المستحيل عليه الحصول على الكتب البهائية التي تعالج مذهب هذه الفئة بصراحة. فهذه الكتب ليست في متناول العامة ولا يحصل عليها العلماء بسهولة إذا أرادوا الرجوع إليها لدحض هذا المذهب الديني(٤٣).

د-مؤلفات الباب

صدرت الادعاءات البابية التي تحدثنا عنها آنفًا عن الباب نفسه، وكان يبلغ من العمر حينئذ خمسًا وعشرين سنة ومات وله من العمر إحدى وثلاثين سنة، وخلال تلك الفترة القصيرة كتب عددًا من الكتب والرسائل والأدعية والأذكار، وأظهر في التأليف نشاطًا كبيرًا. ومما لا شك فيه أن قدرته الفريدة على الكتابة بسرعة كبيرة قد ساعدته على ذلك فكان يكتب على قدر استطاعته. وكان

(٤٣) واجه مؤلف هذا العمل نفسه صعوبات بالغة في الحصول على الكتب البابية اللازمة لتوثيق البحث ولم يصل إليها إلا عن طريق بعض الأشخاص.

كل من يعلم بعدد مؤلفات الباب وعناوينها وعدد صفحاتها، يتولد لديه انطباع هائل بغزارة هذا الإنتاج الأدبي، ومع ذلك سرعان ما يتحول هذا الانطباع إلى دهشة إذا أحاط علمًا بهذه المؤلفات العديدة بل والضخمة أحيانًا. وسوف نرى بلا مبالغة أو تحامل أن أعمال الباب، سواء الأدبية أم العلمية ويقصد بالعلمية هنا العلوم الشرعية، ليست لها أي قيمة على وجه الحقيقة. فلقد أراد الباب من خلال إنتاجه الأدبي الغزير أن يقدم دليلا على نبوته وكان في المجال الأدبي يفتخر بنفسه مدعيًا منافسته في ذلك لنبي الإسلام ﷺ.

وفي ادعائه أن له مكانة أعلى من مكانة النبي ﷺ، فإنه قد ذهب إلى القول إن محمدًا لم يترك إلا كتابًا واحدًا لم يجمع إلا في غضون ثلاث وعشرين سنة وأما هو فقد ألف من الكتب الكثير في الوقت القليل. ولقد كتب إلى أحد العلماء(٤٤) يقول: «ما أنزل الله على محمد في ثلاث وعشرين سنة ينزل عليّ في أربعة أيام وأدعوكم للمجيء لتروا بأعينكم»(٤٥).

ورغم أن معظم أعماله تفتقد التأريخ، إلا أننا نستطيع على وجه العموم أن نتعرف بالتقريب من خلال قراءة بعض أجزاء من محتواها على العصور المختلفة التي كتبت فيها تلك الأجزاء. فالطريقة التي كان يكتب بها الباب أعماله، لا تسمح بجعلها محددة التاريخ. ففي غالب الأحيان، كان يبدأ في أكثر من كتاب في آن واحد، ثم يترك الأول من أجل أن يشرع في الثاني، ثم ينقل بعض الأجزاء إلى كتاب آخر، فيخلط بالتالي بين الموضوعات والعصور. وهكذا أصبح وضع ترتيب

(٤٤) وهذا العالم هو الشيخ محمود الألوسي، فقيه بغداد وصاحب التفسير الشهير للقرآن ولد سنة ١٢١٧ من الهجرة = ١٨٠٢ من الميلاد في جزيرة ألوس (على نهر الفرات) ومات سنة ١٢٧٠ من الهجرة = ١٨٥٤ من الميلاد.

(٤٥) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحتا ٣٠٢- ٣٠٨

لمؤلفاته يكاد يكون مستحيلا. وهذه هي مؤلفات الباب كما يعرفها من تخصص في دراسة تلك الشخصية الغريبة. وأولى تلك المؤلفات التي نوليها اهتمامًا شديدًا، تأتي الرسالة التي أطلق عليها مهدي خان: "الرسالة العدلية" ويطلق عليها نيكولا اسم: "رسالة فقهية". وكتب الباب هذه الرسالة في العراق في الوقت الذي أَسَّر فيه إلى بعض الأشخاص في كربلاء أنه "باب المهدي" الذي بشر كاظم الرشتي بدنو ظهوره في إحدى حلقاته مع تلاميذه. ويرى مهدي خان أن الباب قد أورد في هذا الكتاب نص الأحكام التشريعية للإسلام وأضاف إليها أحكاما تشريعية أخرى من تأليفه، وليست من الإسلام في شيء. وهذا ما جعله لا يتجرأ على نشر هذا الكتاب، وقد أدرك ذلك التحريف بعض تلاميذ الفرقة الشيخية فغضبوا لذلك واعتبروا صاحب الكتاب مجنونًا(٤٦).

وأما الكتاب الثاني، والذي يهمنا في هذه الدراسة، فقد سَمَّاه: "أحسن القصص"(٤٧) وهو عبارة عن تفسير لسورة يوسف، السورة الثانية عشرة من القرآن. ولقد دل هذا التفسير على غياب الفهم الأولي عند الباب فضلا عن عدم التناسق بين الكلمات، بل والعبارات. ومع ذلك اعتقد الباب أنه جاء بالقول العجاب. واستلهم ما يعبر به عن قيمة الكتاب من الآية ٩٠ من سورة الإسراء والتي نسوق ترجمة معانيها باللغة الفرنسية أولا، ثم نذكرها باللغة العربية:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

---

(٤٦) مرجع سابق، صفحة ١١٩.

(٤٧) الميرزا علي محمد الباب، تفسير أحسن القصص، المكتبة الوطنية، مخطوطة عربية ٦٤٥٣.

وهذا هو النص العربي الذي كتبه الباب ليثني به على كتابه[٤٨]

«لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذه الكتاب بالحق على أن يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق لن يقدروا بمثل بعض من حروفه ولا على تأويلاته السر قطميرا».

ولقد اضطررنا إلى رفض الترجمة الفرنسية لهذا النص الذي هو من تأليف الباب لأن عباراته المؤلفة من كلمات عربية لا معنى لها مما يجعل أي ترجمة فرنسية أو غيرها غير مفهومة. ولقد أشرنا فيما سبق إلى أن الباب قد استلهم بعض العبارات من تلك الآية وقد يكون بوسعنا أن نقول إن هذا كان انتحالا سيئًا للآية ولكنه في الحقيقة لا يعني شيئًا على الإطلاق. ويذكر الباب أيضًا بصدد تفسير سورة يوسف أن هذا التفسير نزل عليه من عند الله، وفي موضع آخر من الكتاب يزعم أنه أخذه عن المهدي المنتظر[٤٩]. ومن بين غرائب هذا الكتاب التي توضح إلى أي مدى كان خيال الباب جامحًا وبلا ضابط، تفسيره الغريب للآية الرابعة من سورة يوسف والتي نذكر ترجمة معانيها أولا بالفرنسية ثم نذكرها بالعربية.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾

وهذا نص تفسير الباب الذي كتبه باللغة العربية[٥٠]:

---

(٤٨) مرجع سابق، صفحة ٣٢.

(٤٩) مرجع سابق، صفحة ١٩، ٣٢

(٥٠) مرجع سابق، صفحة ٢٠

"المع، إنا نحن قد رأيناه في الرؤيا ذلك المقام عظيمًا وإنا قد نقص عليك من أنباء الغيب من كتاب الله الحفيظ مشهودًا...

وإن الله قد أراد بالشمس فاطمة وبالقمر محمد وبالنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفًا فهم الذين يبكون على يوسف بإذن الله سجدًا وقيامًا".

وهكذا نجد أن الباب قد جعل من يوسف: الحسين ابن فاطمة. ومن الشمس: فاطمة. ومن القمر: النبي محمدًا ﷺ. ومن الأحد عشر كوكبًا: الأئمة الاثني عشر. ومع ذلك فإن الباب في هذا الكتاب لم يلتزم بنفس الطريقة الغريبة في تفسير الآية الرابعة؛ لأنه ذكر فيها أن يوسف هو محمد، وهذا نص ما كتبه الباب باللغة العربية[٥١]: "وإنا نحن بالحق عصبة فيما أراد الله في شأن يوسف النبي محمد حول السطر مسطورا".

وبذلك نرى أن هذا الكتاب عبارة عن تجميع غير منظم لمجموعة من المتناقضات من أشياء متنافرة لا سيما عندما نتحدث عن ثوابت مجمع عليها مثل شخصية يوسف التاريخية على سبيل المثال، فعندما نقرأ تفسير الباب لا نعلم حقيقة من هو يوسف هذا الوارد في السورة المذكورة، هل هو النبي العربي؟ أم هو حفيده الحسين بن علي؟ وفي موضع آخر في هذا الكتاب كما يشير إليه مهدي خان أن الباب يقول: إن الله ذكر اسم يوسف وقصد به النبي ﷺ وثمرة ابنته الحسين بن علي[٥٢]. وعلى ذلك فإن يوسف مرادف للنبي وحفيده أو يعد شخصية معنوية مكونة من هذين الشخصين! وهذا التفسير يزيد الموضوع الذي يتناوله الباب تعتيمًا وغموضًا. وإذا ما رجعنا إلى مخطوطة المكتبة الوطنية فإننا ندخل في ظلمة

(٥١) مرجع سابق، صفحة ٣١.

(٥٢) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحتا ٣٠٩- ٣١٤.

أشد من الأولى؛ لأن الباب يقول حسبما جاء في المخطوطة: "إن الله أطلق اسم يوسف وأراد نبي الإسلام في صورة ثمرة ابنته: الحسين بن علي"[٥٣].

ويشير الباب في أكثر من موضع في هذا الكتاب إلى اسم قرة العين «زرين تاج» التي أوصاها أن تقول للبابيين أن يستعدوا لليوم القادم، حيث تشتعل الحرب على غير البابيين. وأوصاها بتحذير غير المؤمنين من شر الأيام القادمة عندما ينزل عليهم العقاب من جانب ملائكة العذاب التسعة عشر وهم الباب وأتباعه الثمانية عشر «أحرف الحي»[٥٤].

وأشار أيضًا إلى الآية الأربعين من سورة التوبة والتي تحدث فيها عن النبي محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر عندما لجآ إلى الغار وقت الهجرة إلى المدينة. وفي الصفحة الحادية والتسعين بعد المائة الرابعة من مخطوطة المكتبة الوطنية، ذكر الباب أن أبا بكر لم يكن مؤمنًا وأن الله جعل كلمة الذين كفروا السفلى، وبالتالي أظهر الباب العداوة لأبي بكر الذي خلف رسول الله ﷺ في الأمة بدلا من علي بن أبي طالب. وفي صفحة ٤٩٦ وما بعدها وبصدد تفسير الآية ١٠٢ والآية ١٠٣ من سورة يوسف تعرض الباب لبعض الأحكام الإسلامية المتعلقة بالصلاة والحج والطلاق والسرقة... إلخ. على الرغم من أن الآيتين لا تتناولان شيئًا من ذلك. نعم كان يسوق الباب الآية أو الآيات التي يريد تفسيرها ثم يتحدث عن أشياء لا علاقة لها بتلك الآيات. ويسير في كتابه على ذلك النهج. ويعد هذا الكتاب من أضخم أعمال الباب، فهو يشتمل على ١٠٩٦ صفحة. وما دمنا بصدد هذا العمل، فإنه من الجدير بالذكر -لإطلاع القارئ على عقلية كبار تابعي الباب وحلفائه-

---

(٥٣) الميرزا علي محمد الباب، تفسير أحسن القصص، مخطوطة صفحة ١٩.

(٥٤) مرجع سابق صفحات ٤٧٣- ٤٧٥، ظهر ٤٧٥ وظهر ٤٨٥.

الإشارة إلى أن الحسين البشروئي كان يعد هذا التفسير أساسًا لعقيدته، وكان يقول: «إنه لا يعرف لهذا الكتاب مثالا». وسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد.

وهناك كتاب ثالث سَمَّاه: «كتاب الروح». ويعد هذا الكتاب أيضًا كبيرًا في الحجم إن لم يزد عن الكتاب الذي تحدثنا عنه سابقًا، حيث يذكر نيكولا أنه يتألف من سبعمائة سورة فيها سبعة آلاف آية. غير أن المؤرخين لم يذكروا هذا الكتاب من بين كتب الباب. فالسيد نيكولا لا يستند في ذلك إلا إلى أقوال البابيين، أو إلى مقطع من أقوال الباب في كتاب آخر سَمَّاه: «كتاب بين الحرمين» والذي يقول الباب فيه: «اقرؤوا كتاب الروح فهذا الكتاب أنزلته في عرض البحر خلال عودتي من عند من يظهره الله (يقصد الباب نفسه) في سبعمائة سورة رصينة»[٥٥]. وبناءً على تلك الأقوال البابية، يذكر نيكولا ما يلي: «كتاب الروح غير موجود كاملا. فالنسخة الأصلية والتي نسخ عنها ما يقرب من ثلاثمائة سورة أو آية طرح في بئر بأمر من السلطة الشرعية في شيراز»[٥٦]. «وإننا نجد إشارات متعددة لكتاب الروح باعتباره من أعمال الباب. إلا أن هذا الكتاب على أفضل الروايات تمت مصادرته في نفس وقت القبض على الباب ثم أُلْقِيَ به في البئر. وامتدت أيدي فاعلي الخير لإنقاذه إلا أن النص قد غرق وأصبح غير مقروء في بعض أجزائه»[٥٧].

وإذا اعتقدنا فيما ذكره الباب في كتابه "بين الحرمين" وفيما رواه البابيون حول كتاب "الروح"، فإننا لا نستطيع القول بأن الباب لم يكتب من ذلك إلا جزءًا خلال رحلته البحرية من مسقط إلى بوشهر، ولا نستطيع أن نشارك نيكولا الرأي

(٥٥) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب صفحة ٢١٣ ملاحظة ١٦١.

(٥٦) مرجع سابق، صفحة ٤٤ ملاحظة ٣٥.

(٥٧) مرجع سابق، صفحة ٦٠ ملاحظة ٤٢.

فيما يعتقده في أن كتاب "الروح" قد أنزل عليه في عرض البحر خلال رحلة العودة من مكة ما بين مسقط وبوشهر(٥٨). فهناك باب في هذا الكتاب يشير إليه السيد هوارت بأنه الخامس وهو تحت عنوان "روح الثابت"، حيث يتحدث فيه الباب عن ملابسات وقعت في الفترة التي سافر فيها عن طريق البحر، وفي هذا الفصل كان الباب يذكر في بعض أقواله:

"بيد أن المشركين قد سَخِروا من آيات الله فلا يؤمنون بها واتخذوا لله شركاء من بينهم حبسوه في سجن الحياة الفانية؛ لأنهم كانوا في شك عظيم... وأدخلوا الرحمن في سجنهم الخاص ومعه هذين الشابين في صورة تثليث في حين أنها كانت قبل ذلك رباعية، وكان لهذين الشابين مكانة رفيعة عند ربهم وهو العليم الحكيم"(٥٩).

ولا يقصد بالسجن هنا سجن شيراز أو سجن ماكو إنما سجن آخر دخله الباب في آخر أيام حياته مع صاحبيه الميرزا حسين يزدي أمين سر الباب والملا محمد علي الزنوزي الذي أعدم معه؛ لأنه كان وحده في سجن شيراز وماكو. وعلى كل حال، فإن الباب لم يسبق أن دخل السجن قبل عودته من الجزيرة العربية.

ومن بعض فقرات هذا الكتاب التي ذكرها هوارت يمكن أن نقول إنه يتألف من الأدعية والأذكار والادعاءات التي لا سند لها ولا دليل، مثل ادعائه أنه "نقطة الخلق" و"وجه الله" و"النور الإلهي" و"ذكر الله". وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنه كان يزعم نفسه الله كما رأينا في الاستشهاد السابق. والفصل الأول الذي أورده

---

(٥٨) الميرزا علي محمد الباب، كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، التمهيد ص١ – ١١.

(٥٩) هوارت، دين الباب، ص٣٨ – ٣٩.

هوارت والذي يطلق عليه "روح الاستدلال" لا يشتمل إلا على مزاعم لا قيمة لها[٦٠].

وهناك كتاب رابع تحت عنوان: "صحيفة الحرمين"[٦١]. وهذا الكتاب يحمل أيضًا عنوان "بين الحرمين". وهذا الكتاب الذي أطلق عليه جوبينو اسم "صحيفة الحاج"[٦٢] ويعني عنوان هذا الكتاب ما بين الحرمين الشريفين (مكة والمدينة). وكأن الباب يريد بذلك أن يجعل رحلته إلى الجزيرة العربية تتخطى حدود مكة إلى المدينة حيث يذهب الحجاج المسلمون بعد حجهم للخلوة والتعبد.

ويرى السيد نيكولا أن هذا الكتاب يتألف من خمسة فصول[٦٣]. ومع ذلك فإن المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية تبين أنه يتألف من سبعة فصول. وفي واقع الأمر يقول الباب في بداية هذا الكتاب: إنه نزل عليه في سبع آيات -أي فصول- بالأرض المقدسة فيما بين الحرمين ردًا على الأسئلة التي كان يوجهها إليه الحاج سيد علي كرماني[٦٤]. ففي الباب الأول لهذه المخطوطة رد الباب على الكرماني الذي شَكَّك في شرعية ادعاءات الباب للنبوة[٦٥]. وأما الفصل الثاني فإنه يختص بالتمائم، غير أنه من المستحيل فهم ما يقصده الباب بذلك أو الوقوف على معانيه، وكذلك الحال بالنسبة للفصل الثالث الخاص بعلم التنجيم. وأما الفصل الرابع فإن الباب يكتفي فيه بالإشارة إلى ما كتبه قبل ذلك أثناء رحلته إلى مكة مما يجب أن يكون في ذلك المكان. وأما ما كتبه وما ينبغي أن يكون تحت ذلك العنوان

---

(٦٠) مرجع سابق، ص٣٢- ٣٤.

(٦١) الميرزا علي محمد الباب، صحيفة الحرمين، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦٢٤٨، ٧٧٨- ٨٤٠.

(٦٢) جوبينو، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٦٣) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، ص٢٢١- ٢٢٢.

(٦٤) الميرزا علي محمد الباب، صحيفة الحرمين، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦٢٤٨، ص٧٧٨.

(٦٥) مرجع سابق، ص٧٧٨ وكذلك كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا) التمهيد، ص١١.

فإن الباب لا يتحدث عنه. وبالنسبة للفصل الخامس فإنه يختص بالأذكار المختلفة بعد كل صلاة. وأما الفصل السادس فإنه يتناول الأذكار التي تقال مساء كل خميس وفي بداية كل شهر. وأما الفصل السابع فإنه يختص بالأدعية التي تقال عند زيارة قبر الحسين بكربلاء. فمن الواضح أن هذا الكتاب يتألف من سبعة فصول لا يشتمل واحد منها على أية فائدة.

ومع ذلك في نهاية هذا الكتاب في الصفحات ١٢٦، ١٢٧، يقول الباب: إن الله قد فرض على المؤمنين نسخ هذا الكتاب ليهديهم إلى صراط مستقيم. وأوصى الباب بأن تحاط النسخ التي يقوم المؤمنون بنسخها بالذهب. والفصل الوحيد الذي يمكن أن يكون له أهمية في هذه المخطوطة هو الفصل الأول الخاص برفض كرماني لنبوة الباب. ولقد استعان الباب في رده على ذلك الكافر بآية من القرآن وطلب من الكرماني أن يأتي إليه للمباهلة حتى يميز الخبيث من الطيب بنزول اللعنة على من يكذب منهما.

وأما الكتاب الخامس الذي نتحدث عنه فإنه يحمل عنوان "البيان"[٦٦]. وألف الباب هذا الكتاب باللغة العربية. ورغم قصره وعدم اكتماله، إلا أن البابيين يعدونه أهم مؤلفات الباب لاشتماله على أسس الشريعة الجديدة التي سنتحدث عنها فيما بعد. ومن الطبيعي أن يزعم أن الله أنزل هذا الكتاب عليه كما أنه يزعم أيضًا أن هذا الكتاب أفصح من القرآن وأنه لا يوجد على ظهر هذه الأرض من يأتي بمثله. ويعتقد السيد نيكولا أن الباب بدأ في تأليف هذا الكتاب قبل سفره بحرًا إلى الحجاز إلا أننا نرى على النقيض أن الباب لم يشرع في تأليف ذلك الكتاب إلا بعد عودته إلى بوشهر، حيث إنه لا يوجد ذكر لهذا الكتاب قبل تلك الرحلة. والدليل

(٦٦) الميرزا علي محمد الباب، البيان، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٤٦٦٩، جزء مكون من ٢٣ ورقة.

الذي يستند إليه رأينا في هذا الصدد يكمن في أن الباب لما أرسل مبعوثيه إلى مختلف المناطق للتعريف برسالته بأنه الباب ونشر البشارة باقتراب ظهور المهدي المنتظر وقام بتسليمهم أجزاء من تفسيره "أحسن القصص" (تفسير سورة يوسف) وبعض الأدعية دون أن يشتمل ذلك على أي جزء من أجزاء البيان. ويتضح من ذلك أن كتاب البيان الذي يشتمل على الشريعة الجديدة لو كان الباب قد قام بتأليفه بالكامل أو جزء منه، ما تردد في إرسال نسخة منه مع مبعوثيه. ويمكن الاعتراض على ذلك بأن هذا الكتاب لو تمت كتابته بالكامل أو جزء منه في الوقت الذي أرسل فيه مبعوثيه إلى الأقاليم لما استطاع أن يطلعهم عليه؛ لأن حديث الباب في كتابه البيان عن نبوته لا يسمح له بذلك؛ لأنه قد منع الحديث عنه باعتباره "المهدي"* وليس باعتباره نبيًّا من باب أولى.

ولا يمكن أن يصح هذا الاعتراض إلا إذا ثبت بالدليل أن هذا الكتاب كان قد تم تأليفه كاملا أو جزء منه عندما رحل مبعوثوه إلى مختلف المناطق، بيد أن هذا الدليل غير موجود. وبما أن هذا الكتاب ليس له تاريخ محدد ولا يشتمل على ما يدل على الفترة التي كتب فيها ولم يكن معروفًا قبل سفر الباب إلى الحجاز، فعلى أي مصدر استند السيد نيكولا في اعتقاده بأن الباب شرع في تأليفه قبل سفره إلى الحجاز؟ وإننا نرى أنه شرع في تأليف هذا الكتاب بعد عودته إلى بوشهر وقبل القبض عليه للمرة الأولى بأمر والي شيراز، لأنه عندما مُثُل أمام مجلس علماء شيراز وكان واثقًا من أنه لن يتعرض لأي مخاطرة؛ حيث كان يظن أنه في حماية الوالي أفصح عن كتاب البيان الذي وضعه أمام مجلس العلماء ووصفه بأنه معجزة أعلى من معجزة القرآن عند المسلمين.

---

* فقط باعتباره بابًا مبشرًا بقرب ظهور المهدي المنتظر.

ويبين في الفصل الأول من هذا الكتاب أنه يتألف من تسعة عشر فصلا تتطابق مع شهور السنة التسعة عشر وفقًا للعقيدة الجديدة. وأن كل فصل يتألف من تسعة عشر قسمًا تتطابق مع أيام الشهر التسعة عشر. ومن خلال ضرب العدد ١٩ في ١٩ نحصل وفقًا لتلك المسألة الحسابية على عدد ٣٦١ وهو عدد أيام السنة البابية. وكما ذكر في آية من آيات القرآن[٦٧] أن القرآن نزل على النبي محمد ﷺ تبيانًا لكل شيء فإن الباب قد اقتبس من القرآن مرة أخرى وليست أخيرة، وقال إن البيان فيه أيضًا تبيان لكل شيء وهو كل الأشياء نفسها.

واستدل الباب على كلامه بالتفسير الآتي: تمثل حروف قوله "كل شيء" حسب القيمة العددية (التي ينسبها البابيون إليها) العدد ٣٦١ وبالتالي عدد أقسام البيان الذي يبلغ ٣٦١ قسمًا. وعلى الرغم من أقواله وحساباته، فإننا نجد أن الباب لم يقم بكتابة الفصول التسعة عشر اللازمة للحصول على الثلاثمائة وواحد وستين قسمًا؛ لأنه لم يكتب إلا نصف هذا العدد تقريبًا بما يساوي عشرة فصول تضم مائة وتسعين قسمًا.

وعلى الرغم من أن الباب قد كتب هذا الكتاب باللغة العربية، إلا أنه من الواجب علينا أن نقول: إن اللغة التي كتب بها لا تمت بأدنى صلة إلى اللغة العربية. وسوف نقوم بدراسة هذه القضية في موضع آخر من هذا البحث. ولكي يدرك القارئ المتبصر باللغة العربية تلك الحقيقة، وسوف نذكر في ملحق هذه الرسالة نص كتاب البيان كما هو وارد في المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس[٦٨].

---

(٦٧) القرآن الكريم، طبعة القاهرة، الحلبي ١٣٤٩ هجرية، سورة النحل، آية ٨٩.

(٦٨) راجع الملاحظة ٦٦.

ولقد قام دي جوبينو بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية(٦٩). والعناية التي أولاها لهذه الترجمة حتى يكون مفهومًا للقارئ أثَّرت على النص إلى درجة تجعلنا نقول إنه استطاع أن يجعل من التراب ذهبًا، ولقد ترجم عشرة فصول من كتاب البيان في حين أن السيد نيكولا قد ترجم أحد عشر فصلا من ذلك الكتاب(٧٠). والمخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية بفرنسا لا تشتمل إلا على عشرة فصول فقط. ولقد أخذ دي جوبينو على عاتقه ترجمة المحامد الواردة في الصفحات الأربعة الأولى والتي صدَّر بها الباب كتابه. أما السيد نيكولا فإنه لم يترجم تلك المحامد. والقارئ الذي يطالع هذا الكتاب باللغة العربية يدرك السبب الذي جعل السيد نيكولا يعزف عن ترجمتها.

ويأتي في المرتبة السادسة كتاب البيان باللغة الفارسية الذي قام السيد نيكولا بترجمته(٧١) ويكاد أن يعد هذا الكتاب تكرارًا لكتاب البيان باللغة العربية غير أنه أكبر حجمًا بسبب الشروح التي أضافها الباب. وهذا الكتاب لم ينته منه صاحبه، حيث توقف عند الفصل التاسع القسم العاشر. وتوضح بعض فقرات هذا الكتاب أن الباب قد كتب جزءًا منه خلال فترة حبسه بمدينة ماكو حسب ما أكده البابيون(٧٢).

وأما الكتاب السابع فهو كتاب "دلائل السبعة" الذي قام السيد نيكولا بترجمته أيضًا إلى اللغة الفرنسية(٧٣) وقام المؤلف بتحرير هذا الكتاب بالفارسية

(٦٩) جوبينو، مرجع سابق، ص٣٨٩- ٤٧٤.

(٧٠) نيكولا (مترجم)، البيان العربي (أرنست لورو، مطبعة باريس، ١٩٠٥). مجلد واحد.

(٧١) مرجع سابق، البيان الفارسي، (مكتبة بول جيتز، باريس ١٩١٣) أربع مجلدات.

(٧٢) راجع الميرزا علي محمد الباب، البيان الفارسي (ترجمة نيكولا) الجزء الثاني ص١٤٠ وراجع أيضًا أواره، الكواكب الدرية، ص٣٨٢.

(٧٣) الميرزا علي محمد الباب، كتاب دلائل السبعة، (ترجمة نيكولا)، ميزون نوف، باريس، ١٩٠، مجلد واحد.

خلال فترة حبسه بمدينة ماكو، وقد أورد في هذا الكتاب دلائل السبعة على نبوته وسوف نذكر فيما بعد محتوى هذا الكتاب؛ نظرًا لأهمية الدلائل التي يسوقها الباب لإثبات مزاعمه.

وأما الكتاب الثامن فهو "تفسير سورة العصر"(٧٤). ولقد قام المؤلف بتحرير هذا التفسير بمدينة أصفهان عندما كان ضيفًا على سلطان العلماء الذي طلب منه تفسير سورة العصر كما ذكر ذلك الباب على ظهر الصفحة رقم ٦٩٠ من المخطوطة. وأما ظهر الصفحة رقم ٦٩٩ والصفحة رقم ٧٠٠، فإن الباب يقول: إن القرآن بجانب معناه الظاهر له جملة من المعاني الباطنة تصل إلى سبعين معنى وأحيانًا إلى سبعمائة معنى دون أن توضح تلك المعاني كل معاني المعنى الباطن للقرآن، فكل معنى من المعاني الباطنة له معنى باطن آخر، ومن ثم فلا نهاية لمعاني القرآن الباطنية، وبالتالي يستطيع الباب أن يستخرج من الحرف الأول (ألف) من القرآن جميع القواعد التي تحكم هذا الكون. وبدلا من أن يفسر الباب معنى النص، أخذ كل حرف من حروف كل كلمة من كلمات تلك السورة وكون كلمات تبدأ بهذا الحرف. فعلى سبيل المثال عندما فسر كلمة «والعصر» أخذ الحرف الأول (واو). قال ولاية ثم كتب ولاية عامة وولاية خاصة وولاية محضة والولاية المشرقة...إلخ، واتبع نفس المنهج مع جميع الحروف المكونة لكلمات تلك السورة ومثل هذه الطريقة ينبغي أن نترفع عن تفسيرها.

وأما الكتاب التاسع فهو كتاب "شؤون الخمسة"(٧٥) وتشتمل هذه

---

(٧٤) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦١٤٣، ترقيم من ٦٣٩-٧٩٩، راجع أيضًا المخطوطة العربية ٦٥٣١.

(٧٥) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦١٤٣.

المخطوطة على ألواح المحامد ويستخدم الباب في أحد هذه الألواح اسم القديم في ذكر الله ثم يشتق من تلك الكلمة عدة كلمات غير موجودة في اللغة العربية، فنجده يستخدم كلمة القديم ليقول باسم الله القديم ثم يقول بسم الله القدمان (كلمة ليس لها معنى) ثم يقول بسم الله القدمون (وهذه الكلمة أيضًا ليس لها معنى). ثم يستمر على تلك الطريقة في كتابة ما يسميه باللوح ثم يكمل بقية كتابة ألواح هذه المخطوطة. ولم يمنع ذلك الباب من أن يقول في الصفحة ٥٤٥ والصفحة ٥٤٦ من المخطوطة إن هذا الكتاب صادر عن نقطة البيان (يقصد بذلك نفسه) وإنه مفروض على جميع الناس. ويقول أيضًا وقد جعل المتكلم هو الله: "ولقد أنطقنا من رفعناه من بين الفارسيين (الباب) بهذه الآيات القيمة (المكتوبة باللغة العربية) فما أبلغ تلك الحالة مقارنة بحالة من ذلك الذي رفعنا ذكره من بين العرب (نبي الإسلام). كيف لا تعقلون؟ قل إن الكتاب الذي أنزل من قبلك في ثلاث وعشرين سنة إن أردنا أن ننزل عليك مثله لأنزلناه عليك في ثلاثة أيام" (ص٤٤٥ -٤٤٦).

وأما الكتاب العاشر فهو كتاب "الرسائل والخطب"[٧٦]. وتشتمل هذه المخطوطة على فصول سَمَّاها الباب بالهياكل. ولكتابة هذه المخطوطة كان يستعين بنفس الطريقة التي استخدمها في كتابه الألواح التي تحدثنا عنها آنفًا. ففي الصفحة رقم ١٣٣ من هذه المخطوطة يقول: "أتؤمنون أن القيامة والميزان تكون في عالم آخر غير هذا؟ إن الحقيقة أبعد كثيرًا عن هذا الوهم". ويقول عن شهادة الإسلام "لا إله إلا الله" "إن هذه الشهادة لا تعطي معناها الحقيقي إلا إذا أضفنا إليها كلمات نقطة البيان" (ص١٣٣). ولا ننسى أن نقول إنه ألف جزءًا من هذا الكتاب خلال

(٧٦) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦٥١٨.

مدة حبسه في جبل ماكو، حيث قال في الصفحة الأخيرة إنه تلقى على هذا الجبل رسائل (من أتباعه).

أما الكتاب الحادي عشر فهو كتاب الأسماء[٧٧]. ويشتمل هذا الكتاب على العديد من الأذكار. واستخدم الباب أسماء مختلفة لله لتكون باعثًا لأذكاره. وتتألف هذه المخطوطة من ١٩١١ ورقة بما يساوي ٣٨٢٢ صفحة. ورغم حجم هذه المخطوطة إلا أن تحليلها ليس ممكنًا طالما أنها صادرة عن ذهن مضطرب. ففي الصفحة الثامنة والثلاثين من المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية والمحفوظة تحت رقم ٥٠٨٠٧، يشتكي من أسره في جبل ماكو وهذا من شأنه أن يفسر لنا أهمية هذا الكتاب بالنسبة للباب من ناحية الحجم أولا، ثم من ناحية عدم اشتماله على أي فكرة في محتواه. فعلى جبل ماكو وجد الباب في الكتابة مخرجًا لقتل الوقت. فقام بسرد الكلمات بعضها من وراء بعض دون أدنى نظر إلى ما يقوم بكتابته.

وأما الكتاب الثاني عشر فهو كتاب "تفسير سورة البقرة"[٧٨]. وهذه المخطوطة من شأنها تفسير جزء من سورة البقرة السورة الثانية من القرآن الكريم وهو الجزء الخاص بالآيات من ١٤٢ – ٢٢٢. فعلى غرار تفسيره لسورة يوسف وسورة العصر كان الباب يسوق الآيات المراد تفسيرها ثم يتحدث عن أي شيء آخر دون أن يكلف نفسه أقل جهد لتفسير الآيات التي قام بذكرها، فليس هناك أية علاقة بين ما يكتب مما يسميه تفسيرًا وبين الآيات التي يذكرها، وبالتالي يصبح عنوان مخطوطته مجرد مزحة سخيفة.

(٧٧) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، ٥٨٠٦ – ٥٨٠٧، ٦١٤١ – ٦١٤٢.

(٧٨) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، ٦٦١٠ صفحات ١٨٤ – ٣٩٠.

ويأتي في نهاية سرد مؤلفات الباب كتاب "الوحي"[٧٩] وتشتمل هذه المخطوطة على بعض الأذكار والمحامد المرفوعة لله. ومع ذلك فإن هذه الأذكار والمحامد غير متناسقة فيما بينها، ففي الصفحة الرابعة يقول الباب: "إن هذا الكتاب جاء بلغة من يظهره الله"، ويقول في الصفحة السادسة: "اشهدوا أن لا إله إلا الله وأن نقطة البيان (الباب) عبد الله وبهاؤه وأن حروف الحي هي حروف ذاته"، ثم يقول جاعلا المتكلم هو الله: "قل إنا أنزلنا الكتاب تبيانًا لكل شيء ولقد وعدنا الجميع برؤيتنا في اليوم الآخر. قل إن هذه الرؤية هي تجلي من كان ظهوره (أي الباب) تجل لنا". وفي الصفحة العاشرة، يقول الباب: "شهد الله أنه لا إله إلا هو وأن عليًّا (الباب) المقدم على نبيل (نبي الإسلام) تجل لذاته". ويستعمل الباب في هذا الكتاب كما في غيره الآيات القرآنية مع إدخال بعض الأخطاء النحوية لتحريفها. وذلك لم يمنعه كما في الصفحة الخامسة عشرة من أن يجعل من ذلك الكتاب تحديًا للناس باعتباره وحيًا من الله لا شك فيه. وفي هذا الصدد يقول جاعلا الخطاب لله: "قل لئن جمع الناس كل من في السماوات ومن في الأرض وما بينهما (السماوات والأرض) على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب لا يأتون بمثله".

وعلى ظهر الصفحة رقم ٣٦ يقول الباب، ولا يزال جاعلا الخطاب لله: "قل إن كتابنا يمكن أن يقرأ من كل جانب وإننا نفسر فيه جميع الأحداث الهامة" ويزعم في الصفحة رقم ٢١ أنه أمي وأنه لم يتعلم شيئًا من خلال القراءة. وسوف نرى في موضع آخر من هذا البحث الهدف الذي كان يسعى الباب من ورائه من خلال ذلك التصريح.

ولقد وضع الباب كتاب "الوحي" في عدة سور على غرار القرآن وأعطى

---

(٧٩) المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، ٤٦٦٨.

لكل سورة اسما. ويبين في سورة الحج الأماكن والأشخاص التي ينبغي أن يقوم الحجاج بزيارتها عند حجهم لشيراز فيحجون (بيته الذي ولد فيه) ثم زيارته وزيارة «أحرف الحي» (تلاميذه الثمانية عشر المقربين). أما النساء فإنه قد رفع عنهن فريضة الحج (صفحة ٣١٠ وما بعدها) ولا يتعرض في تلك السورة إلى موضوعات أخرى مع التكرار لنفس الموضوعات.

ويتحدث القرآن عن الأمم السابقة وعن أنبيائهم، فيقتبس الباب نفس الشيء مع تحريف الآيات القرآنية فيذكر في نهاية المخطوطة في الصفحة رقم ٤٠ وقد جعل الخطاب لله: "لا تضربوا من يظهره الله (الباب) ولا تحبسوه حتى يرحمكم الله". "قل لو أن من يظهره الله أحل حرامًا وحرم حلالا فهذا أمر الله". "إن ظهور من يظهره الله هو ظهور الله نفسه ولكن أكثر الناس لا يفقهون. وهذا (ما يحتوي عليه هذا الكتاب) ما أنزله الله بلسان من يظهره الله".

وتعد هذه المخطوطة قصيرة، حيث تشتمل على أربع وأربعين ورقة بما يعادل ثمانيا وثمانين صفحة.



الفصل الثاني

البابية

١- مذهب الباب

تشتمل الأديان التي جاء بها الأنبياء على عقائد وتشريعات لتنظيم حياة الناس.

والأصول الثلاثة للعقائد التي لا يخلو منها دين سماوي هي: الإيمان بالله وحده خالق الكون، والإيمان بالبعث واليوم الآخر والثواب والعقاب، والإيمان بإرسال الله الرسل إلى الناس لهدايتهم. ويقصد بالتشريعات أوامر الله التي يجب اتباعها في شتى ميادين حياة الفرد والمجتمع، على المستويين: المعنوي والمادي، والفردي والاجتماعي.

وعلى ذلك، فإن مذهب الباب يجب أن يقوم أيضًا على العقائد والتشريعات. فهذا المذهب يؤمن بوجود إله واحد غير مادي ولا يُدرَك بالحواس ويرى فيه ذاتًا مجردة من الأسماء والصفات، وهذه الذات لا يمكن أن تقوم بشيء أو أن تخلق شيئًا، ولكي تأتي بذلك يجب أن تتجسد في إنسان يقدر على ذلك، وهذا الإنسان، بعد تجسد الذات الإلهية فيه، يجب أن يحمل الأسماء والصفات التي يثبتها المسلمون للإله. وهذا الإنسان الذي تجسدت فيه الذات الإلهية سبق خلق الكون، وأصبح نقطة انطلاق الخلق. وعندما أطلق الباب على نفسه «الإرادة الأولى» و«نقطة الخلق» أراد أن يثبت أنه الخالق المدبر، وأنه هو الذي أرسل الرسل إلى الناس، وأن روحه أشرقت على الأنبياء أو تجسدت فيهم[1].

---

(١) البيان الفارسي (ترجمة نيكولا)، المجلد الثالث، صفحات ٢٥، ٣٢، ٥٠، البيان العربي (ترجمة نيكولا)، صفحات ٢٦-٣١، ١٠٤، ١٠٥-١٢٦، راجع نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٦٢: رسالة الباب التي أرسلها إلى أحد أتباعه من ماكو، مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ٢٩٤: اللوح الذي أرسله إلى المازندراني، هوارت، دين الباب، صفحة ٩. جوبينو، مرجع سابق، صفحة ٢٦١

فالله في العقيدة الإسلامية واحد، وأما الباب فيعد الإله وما ينبثق منه واحدًا، وبالتالي فإن وحدانية الله عند الباب غير وحدانية الله في العقيدة الإسلامية وفي جميع الأديان السماوية التي ترى أن ذات الله ليست مركبة وليس له شريك وأن الصفات موقوفة عليه. ويرى الباب أن وحدانية الله في توحيد الذاتين: ذات الله والذات المنبثقة[٢]. ويرى الباب أنه هو الذات المنبثقة عن الله.

وعقيدة الباب لا تعترف بالبعث ولا بيوم القيامة حسب مفهوم الإسلام. فمفهوم الإسلام للبعث يعني عودة جميع الموتى إلى الحياة التي كانوا عليها في الدنيا. ويسمى يوم البعث في الدين الإسلامي بيوم الميعاد واليوم الآخر ويوم القيامة. وفي ذلك اليوم يحاسب الناس على أعمالهم في الدنيا خيرها وشرها ثم يجدون إما النعيم الروحي.والجسماني في الجنة وإما الشقاء الروحي والجسماني في النار.

أما مذهب الباب فيرى أن البعث قد وقع يوم أن أعلن نبوته. فقبل ذلك اليوم كان الناس يجهلون الحقيقة ويعيشون بغير هدف أو غاية. وكان الناس أمواتًا يعيشون حياة مادية بحتة. وبمجيئه ظهر نور الحقيقة لأولئك الجهلاء وتم بعث هؤلاء الموتى- الأحياء. وبعبادتهم له أصبح لحياتهم هدف وغاية. وأما من أعرضوا عنه فلا زالوا يترددون في جهلهم بغير هدف ولا غاية.

ويرى الباب أن الحساب على صورتين: الصورة الأولى والتي يسميها بالحساب الأصغر أن يقوم كل نبي بمحاسبة قومه على أعمالهم في الدنيا تجاه نبيهم السابق له، وبالتالي بعث الباب لمحاسبة الناس على أعمالهم تجاه النبي محمد ﷺ

(٢) البيان الفارسي (ترجمة نيكولا)، المجلد الثاني، صفحة ١٦٧ والمجلد الثالث، صفحات ٨-٩، البيان العربي (ترجمة نيكولا)، صفحات ١٢٦ و١٣٥، جوبينو، مرجع سابق، صفحات ٢٥٩-٢٦١، كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا)، صفحات ٣-٤، مذكرة الجرفادقاني، الحجج البهائية، صفحات ٢٤-٢٧

والذي قد بعث من قبله، هو أيضًا، لمحاسبة الناس على أعمالهم تجاه نبيهم عيسى، وهلم جرًا.

وأما الحساب الأكبر، فإنه لا يمكن أن يكون إلا بعد أن يقضي الباب حياته على الأرض ثم يعود إليها في صورة إنسان آخر تتجسد فيه الذات الإلهية. ولا يقصد الباب بيوم الميعاد الذي يقوم فيه الناس من قبورهم كما هي العقيدة الإسلامية، إنما يقصد الباب بذلك عودة الذات الإلهية إلى شخص آخر في صورة إنسان يطلق عليه «من يظهره الله»[٣].

أما ما يختص بالأصل الثالث من أصول العقيدة فهو الإيمان بالرسل، حيث فرض الإسلام الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله قبل نبيه محمد ﷺ[٤] كما أمر بالإيمان بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء الذين اصطفاهم جميعًا من بين البشر لتبليغ الشرائع الإلهية التي تسعى إلى تنظيم حياة الناس في الدنيا[٥].

ويرى الإسلام أن صفة النبوة لا تستلزم تجسيد الذات الإلهية في الرسول وأن هذه الصفة لا تتضمن شيئًا مما يرفع الرسول إلى مرتبة الألوهية. فالإسلام لا يرى النبي إلا رسولا من الله إلى الناس[٦].

أما الأنبياء في مذهب الباب، فليسوا مجرد رسل من الله وإنما تجسيد للذات الإلهية في جسد إنساني، ويرى هذا المذهب أن الله لم يرسل الرسل إذ ليس في وسعه

(٣) البيان العربي (ترجمة نيكولا)، صفحات ١٢١-١٢٢، ١١٨-١١٩، ٥٣، ١٢٦، ١٢٣-١٢٤، كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا)، صفحات ٣٠، ٥٦، ٦٢، رسائل وخطب، الميرزا علي محمد الباب، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦٥١٨، صفحة ١٣٣

(٤) القرآن الكريم (ترجمة مونتيه)، سورة البقرة، ٢، ٣، ١٣٠

(٥) مرجع سابق، سورة الأحزاب، ٤

(٦) مرجع سابق، سورة يوسف، ١٠٩، سورة الكهف، ١١٠، سورة الفرقان، ٢٢

الخلق والتدبير، إنما كان إرسال الرسل عن طريق ما انبثق من الذات الإلهية وهذا الانبثاق وحده هو الخالق والمدبر. وبما أن الباب هو ذلك الانبثاق الذي لا ينفصل عن ذات الله فإنه هو الذي أرسل الرسل إلى الناس، كما أنه هو الذي تجسد من قبل في آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، ومن ثم سوغ لنفسه أن يتسمى بأسماء الأنبياء السابقين كما سيحمل فيما بعد أسماء جميع اللاحقين، حيث إن هذا المذهب -بخلاف الإسلام- لا يعد محمدًا خاتم رسل الله إلى الناس[7].

وهكذا من خلال مقارنة الأصول الثلاثة للعقيدة الإسلامية مع مذهب الباب نستطيع القول إن وجه الشبه ينحصر في ألفاظ الأسماء لا في حقيقة المفاهيم. وأضاف الباب أصلا رابعًا في عقيدة هذا المذهب. ويعد هذا الأصل من أهم أصول العقيدة البابية كما أكد الباب على ذلك في مذهبه وأطلق على هذا الأصل اسم عقيدة «البداء»، وتقول هذه العقيدة إن الله قادر على الرجوع عن قضائه[8] ومثل هذه العقيدة لا أصل لها في الإسلام، حيث إن هذه العقيدة تعني أن الله ليس بكل شيء عليمًا. والإسلام يعد هذه الأصول الثلاثة للعقيدة التي ذكرناها ثابتة، أما ما يتغير في الإسلام فهي الأحكام التشريعية العملية التي جاء بها الأنبياء قبل محمد ﷺ والتي لزم تغييرها لتتناسب مع الأوضاع الجديدة باعتبارها نتيجة للتطور الإنساني.

وفي هذا يتم تغيير حكم بحكم آخر وهو ما يسمى في الإسلام بالنسخ، فالشريعة الإسلامية تقول إن الله بعلمه قد قدر التغيير الذي يطرأ على حياة البشر

(٧) البيان الفارسي (ترجمة نيكولا)، المجلد الثالث، صفحة ٢٥، البيان العربي (ترجمة نيكولا) صفحات ٢٦-٣١، ١٢٦

(٨) البيان الفارسي (ترجمة نيكولا)، المجلد الثاني، صفحات ٩١-٩٨، البيان العربي، ص١٣٦، كتاب دلائل السبعة، صفحة ٥١

مما يستلزم التغيير في بعض القواعد الشرعية حتى تتواءم مع الأوضاع الجديدة، وهذا لا يؤثر مطلقًا على علم الله المطلق.

وفي المقابل نجد أن عقيدة «البداء» من شأنها نفي علم الله المطلق وإثبات عدم بصيرته بالأشياء، وبالتالي فإننا نتساءل إذا ما كان الباب قد أخطأ في تفسير النسخ الوارد في القرآن(٩) أم أنه أراد أن يحتفظ لنفسه بإمكانية تراجع الله عما قضى وقدر حتى يمكنه تبرير حدوث أي تغيير فيما يصرح به ولم يتحقق بعد.

ونصل حينئذ إلى قواعد الشريعة حيث يوجد في الإسلام قواعد أصولية يمكن تصنيفها بالطريقة الآتية:

١- الأحكام الشرعية التي تحدد علاقة الإنسان بربه: الصلاة، الحج، الصوم... إلخ.

٢- الأحكام الشرعية التي تحدد العلاقات الأسرية: المهر، الزواج، الطلاق، الإرث... إلخ.

٣- الأحكام الشرعية التي تحدد العلاقات الاجتماعية بين الناس: الشراء، البيع، الشركات، الجنايات... إلخ.

ومما لا شك فيه أن الباب قد انتحل الكثير من الشريعة الإسلامية لوضع بعض التشريعات الباطلة، فعلى سبيل المثال جعل صلاة البابيين مقتصرة على صلاة واحدة في اليوم بدلا من صلاة المسلم خمس مرات في اليوم(١٠).

---

(٩) القرآن الكريم (ترجمة مونتيه)، سورة البقرة، ١٠٠

(١٠) البيان العربي، انظر الجزء السابع. الباب التاسع عشر

ويجب على البابي أن يولي وجهه في صلاته شطر الباب إن كان حاضرًا وشطر بيته في شيراز إن كان غائبًا[١١]. وكما يعلم الجميع فإن المسلمين يتجهون في صلواتهم شطر المسجد الحرام.

ويجعل الباب الحج إلى بيته الذي ولد فيه في شيراز، أما المسلمون فإنهم يذهبون إلى مكة للحج[١٢]. ويجعل الباب الصوم شهرًا عدته تسعة عشر يومًا من أشهر السنة التي جعلها تسعة عشر شهرًا، وينتهي الصوم بيوم عيد وكان هذا اليوم عيدًا دينيًّا قديمًا عند الفارسيين وكان يسمى يوم «نيروز»[١٣]. وكما نعلم أن الصوم في الإسلام لا يكون إلا في رمضان لتذكرة المسلمين بأن هذا الشهر قد نزلت فيه أول آية من القرآن على قلب النبي محمد ﷺ.

ولتنظيم العلاقات الأسرية، قام الباب بتشريع بعض الأحكام التي ليس لها كثير أهمية ولا قيمة. فلقد مال إلى عدم التعدد في الزواج غير أنه أبقى التعدد على الإباحة[١٤]. أما الإسلام في الأصل فإنه قد أباح التثنية في الزواج والتعدد

---

(١١) قرر الباب هدم جميع قبور الأنبياء وقبر النبي محمد ﷺ، وكذلك جميع المساجد حتى الكعبة (راجع البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، المجلد الثاني، صفحات ١٣٩-١٤١). كما قرر الباب بناء ضريح فخم ومسجد لكل واحد من أصحابه الثمانية عشر (أحرف الحي) (راجع البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحات ١٣٩-١٤١). وبهذا الحكم وقع الباب في تناقض؛ لأنه قرر في السورة الثانية من البيان الفارسي (المجلد الثالث، صفحة ١٤٤) استثناء قبر النبي محمد ﷺ من الهدم، وكذلك قبور آل البيت. وحتى يزيل نيكولا هذا التناقض اضطر إلى القول في نفس الكتاب صفحة ١٤٤ مذكرة ١: «لم يعد هذا القبر بالمدينة قبر النبي محمد وإنما أصبح قبر الملا حسين البشروئي، حيث بُعث محمد في شخص البشروئي وبموت البشروئي أصبح القبر قبره وليس لي أن أفسر أكثر من ذلك».

(١٢) عندما يذهب المسلمون إلى مكة للحج فإنهم يعتبرون الكعبة تذكرة لتاريخ الأنبياء وكذلك الوقائع والأحداث المرتبطة بهم فهم لا يقصدون الكعبة بذاتها وإنما باعتبارها شاهدًا على سيرة الأنبياء.

(١٣) هذا العيد هو عيد «الربيع» ويقع كل عام في الحادي والعشرين من شهر مارس.

(١٤) راجع البستاني، الموسوعة، المقال الخاص بالبابية، البيان العربي (ترجمة نيكولا) صفحة ١٨٩ حيث يتحدث الباب عن الإرث وتقسيمه بين الزوجات. البيان العربي، المخطوطة، صفحة ٣٧ المتعلقة بنفس الموضوع.

حتى أربع زوجات للرجل بشرط القدرة على التسوية بينهما أو بينهن وإلا فالتثنية، والتعدد بالأحرى، حرام.

وأما الطلاق فإن الإسلام يبغضه ولا يبيحه إلا عند الضرورة المطلقة، وقبل اللجوء إليه يدعو الإسلام إلى استنفاد جميع وسائل المصالحة، فإنِ استحالَ الصلحُ بينهما حَلَّ الطلاق باعتباره الوسيلة الوحيدة لمنع الشقاق.

ويستطيع الزوجان بعد الطلاق أن يتزوجا من جديد ثم يمكن أن يقع الطلاق ثانيًا لكن لا يزيد ذلك عن ثلاث مرات، ومع ذلك فإنه بعد الطلقة الثالثة إن أراد الزوجان أن يتراجعا وجب حينئذ على الزوجة أن تنكح زوجًا غيره، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا. وأما شريعة الباب فإنها ترفض الطلاق أصلا، ومع ذلك فإن هذه الشريعة تبيح الطلاق لحل بعض القضايا الزوجية الأخرى التي لا مخرج لها، فهي تبيح الطلاق تسع عشرة مرة متتابعة بين الزوجين، شريطة أن تكون المدة بين طلاق الزوجة ورجعتها تسعة عشر يومًا، فإن طلقها زوجها بعد المرة التاسعة عشرة لا تحل له من بعد[١٥].

وفي مسائل الإرث يرى الباب أن أصحاب الحق في الإرث هم: أحد الزوجين الباقي على قيد الحياة، والوالدان -الأب والأم-، والإخوة والأخوات، والمعلم. ولم يذكر الباب نصيب كل واحد من الورثة في الإرث. غير أنه استند إلى القيمة العددية للحروف الهجائية مما يؤدي إلى قسمة غير عادلة. وبناء على التفسير الذي جعله بعض البابيين لهذه الحروف، نجد أن الأنصبة البابية تختلف عن

(١٥) البيان العربي، (ترجمة نيكولا) صفحات ١٦٤، ١٨٧-١٨٨، كليمان هوارت، دين الباب، صفحة ٥٩ يقول: «الطلاق مكروه ومع ذلك يستطيع الزوجان بعد الطلاق أن يتصالحا حتى ولو اختلفا تسعين مرة متتابعة».

الأنصبة التي حددتها الشريعة الإسلامية[١٦] بوضوح وذكرها القرآن بالتفصيل. ونرى أن هذا المقام ليس محلا لإيراد ذلك بالتفصيل.

أما ما يتعلق بتنظيم العلاقات بين الناس على وجه العموم، فإنه يمكن القول إن الباب لم يقرر شيئًا ذا فائدة إلا أنه أحل القرض بالنفع[١٧]. وهذا هو ما حرمه الإسلام بموجب القاعدة الأخلاقية التي تقرر أن المسلم لا ينبغي له أن يستغل حاجة أخيه المسلم. ويحرم الباب شرب الخمر وتجارتها إلا أنه يبيح تصنيع الخمور لأغراض صناعية، كما نجده على العكس يحرم امتلاك الأدوية وتجارتها[١٨]. أما الإسلام فإنه يحرم شرب الخمر وتجارتها ولا يحرم امتلاك الأدوية وتجارتها على وجه الإطلاق.

واهتم الباب أيضًا بالتعليم ولكن جعله في أضيق نطاق وهو القراءة والكتابة والحساب. وأما العلم فإنه لا يجب تعلمه وإنما يكفي لتحصيل ذلك قراءة ودراسة كتابه «البيان» الذي يرى أنه الكتاب الذي يشتمل على جميع العلوم[١٩].

وأما ما يتعلق بالجنايات في الشريعة البابية -إن صح التعبير- فإنه يمكن القول إن الباب قد اقتصر على توقيع الغرامة التي لا يتم تحصيلها لصالح من وقع عليه الضرر وإنما لصالحه هو وأصحابه الثمانية عشر «أحرف الحي» عند حضورهم، فإن لم يكونوا حاضرين فإن الغرامة يتم تحصيلها لصالح خلفائهم[٢٠].

---

(١٦) البيان العربي (ترجمة نيكولا) صفحات ١٧٩، ١٨٩-١٩١. راجع الموسوعة الإسلامية مقال «الباب» لكليمان هوارت.

(١٧) كليمان هوارت، مرجع سابق، صفحة ٥٨.

(١٨) مرجع سابق، صفحة ٦١، جوبينو، مرجع سابق صفحة ٤٦٠، البيان العربي، المخطوطة، الجزء التاسع، الباب الثامن.

(١٩) يقول عن الكتابة: «هذه الكتابة حدد الله طريق معرفتها بالنسبة للكتابات الأخرى» البيان العربي، صفحات ١٦٣-١٦٤، ١٦٠، ١٢٩.

(٢٠) كليمان هوارت، مرجع سابق، صفحات ٥٨-٥٩، جوبينو، مرجع سابق، صفحة ٢٨٣.

وما نلاحظه في أحكام الجنايات التي وضعها الباب أنها تجعل المرأة شريكًا لزوجها في مسؤوليته عن المخالفات التي ارتكبها. فعلى سبيل المثال لو أن رجلا ارتكب مخالفة في حق آخر فإن هذا الرجل، إضافة إلى الغرامة التي يتحملها نظير إطلاق سراحه، يجب عليه مفارقة زوجته فترة تختلف تبعًا لدرجة المخالفة التي ارتكبها إلا أنها تكون تسعة عشر يومًا أو تسعة عشر شهرًا. وهكذا نجد أن المرأة تكون دائمًا عرضة للانفصال عن زوجها بما لم تكسبه يدها(٢١).

وحرم الباب السفر بالبحر ولم يجزه إلا لمن اضطر إليه لحج البيت الذي ولد فيه بشيراز ومن خرج للتجارة واضطر للسفر عن طريق البحر(٢٢). ومما لا شك فيه أنه فرض ذلك بسبب الآثار السيئة التي خلفتها رحلته البحرية إلى بوشهر في مسقط.

ويزعم أيضًا أنه الوارث لهذه الدنيا(٢٣) ولهذا السبب طالب بميراث الوالي مونتشهير خان، وكان صديقه والمدافع عنه، ويجيز لأتباعه التملك بشرط أن يتحصل على الخمس ولا يجيز ذلك لغير الأتباع، ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فيبيح للبابي عندما يصبح رئيسًا للدولة أن يقتل غير المؤمنين به وأن يصادر أموالهم وأن يقسمها بين أتباع الباب ابتداءً بأصحابه الثمانية عشرة(٢٤). غير أن ذلك لا يكون إلا بعد احتفاظ الباب لنفسه بأثمن الأموال في البلاد التي يفتحها أتباعه، ويؤكد أن نصيبه يحفظ له عند ظهوره وعند عودته مرة ثانية إلى الدنيا في

---

(٢١) كليمان هوارت، مرجع سابق، صفحات ٥٨-٥٩، جوبينو، مرجع سابق صفحة ٢٨٣.

(٢٢) البيان الفارسي (ترجمة نيكولا) المجلد الثاني، صفحات ١٥٤-١٥٦، نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات ٢٠٦، ٢٠٧، كليمان هوارت مرجع سابق، صفحات ٦٢-٦٣.

(٢٣) البيان العربي (ترجمة نيكولا) صفحات ١٥٤، ١٧٩-١٨٠.

(٢٤) مرجع سابق، المخطوطة، صفحات ١٤، ١٦، ١٨-٢٠، ٢٣، ٢٨، ٣١-٣٤، ٤٢.

صورة «من يظهره الله» ويأمر أن تكون جميع الأموال تحت تصرفه المطلق عندما يظهر في تلك الصورة.

٢- مذهب بهاء الله

وباعتبار البهائية امتدادًا للبابية، لم يغير بهاء الله شيئًا في العقائد التي أرسى الباب قواعدها. فأقر بهاء الله بوحدانية الذات الإلهية التي حددها الباب واعتبرها توحدًا لذاتين: الأولى ذات الله والثانية ما انبثق عن تلك الذات. وقال بهاء الله إن الذات الإلهية تجلت بنورها على الأنبياء الذين يمثلون انعكاسًا لذلك النور.

أما ما يتعلق بالباب والذي يسميه بهاء الله بـ«النقطة» أو «نقطة البيان» فإن دوره في الحياة -كما يقول بهاء الله- يقتصر على التبشير بمجيء الذات الإلهية بمعنى مجيء الله نفسه في شخص بهاء الله،[٢٥] فبعد ظهور الله في شخص بهاء الله لا يصبح دور أتباعه مجرد انعكاس للألوهية كما كان الحال بالنسبة للأنبياء السابقين حتى مجيء النبي محمد ﷺ وإنما يصير أتباعه تجسيدًا متتابعًا لبهاء الله باعتباره الله. لذلك جعل بهاء الله من ولده عباس «الفرع الجميل المنشعب عن الأصل القديم».

وليس مفهوم البعث والحساب يوم القيامة عند بهاء الله كما يقرره الإسلام، فمفهوم بهاء الله لهما لا يختلف كثيرًا عن مفهوم الباب، غير أن بهاء الله هو الذي يقوم به دون أن يسأل «لماذا ولا كيف؟»[٢٦].

---

(٢٥) لذلك ينسب لنفسه أسماء وصفات الذات الإلهية بعد تجريدها من جميع الأسماء والصفات والأفعال. راجع بهاء الله، كتاب فرج الله الكردي، نبذة من تعاليم بهاء الله، صفات ٣-٤، ١٠-١١، ١٤، ١٩، ٦٠، ٧٩، ١٥٣، ١٥٨-١٥٩، أعمال بهاء الله (ترجمة دريفوس): «الإيقان» المجلد الثالث، صفحة ١٠٨.

(٢٦) يعتبر يوم مجيء الباب يوم «الحساب الأصغر» ويوم مجيئه هو يوم «الحساب الأكبر» ويوم القيامة. راجع بهاء الله، كتاب فرج الله الكردي، مرجع سابق ذكره صفحات ٦-٧، ١٦، ٤٦، ٨٩-٩٠. -كما أعلن الباب أنه عند عودته إلى هذه الدنيا فإن من يمثله لا ينبغي أن يسأل عما يفعل- أخذ بهاء الله بهذا القول فأعلن أنه معصوم وأن له الحق أن يقول «إن الصواب خطأ» «وإن الحسن سيئ» «وإن الإيمان كفر» بمعنى أن له الحق في قول ما هو مقابل للحقيقة وتصديقه في ذلك واجب على جميع الناس، راجع كتاب الكردي السابق ذكره، صفحات ٨-١٠.

ويقر بهاء الله بوجوب الإيمان بجميع الأنبياء وبأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء كما قرر الإسلام ذلك(٢٧)، لكنه لا يرى في الباب إلا مبشرًا بمجيئه هو، بمعنى مجيء الله ذاته. وهكذا يجرد بهاء الله الباب من جميع صفات الألوهية التي نسبها لنفسه من أجل أن ينسبها بهاء الله لنفسه هو.

أما عقيدة «البداء» التي وضعها الباب وصرح بأنها أهم عقيدة في مذهبه، فإننا نجد من الملاحظ أن بهاء الله لم يشر إليها على وجه الخصوص غير أنه باعتباره القائم بمحاسبة الناس دون أن يسأله أحد «لماذا ولا كيف؟» وجد نفسه أرفع من أن يكون في حاجة إلى عقيدة «البداء» ليبرر عدم حصول الأشياء التي أعلن حصولها أو صرح بها.

والقواعد التشريعية ليس لها أي مكانة تذكر في مذهب بهاء الله. غير أن الناس في صلاتهم يجب عليهم أن يولوا وجوههم شطر مدينة عكا حيث يقيم بهاء الله. وفي الحج يجب على الناس أن يتجهوا إلى تلك المدينة(٢٨). وهذه الشريعة الباطلة التي وضعها الباب فيما يتعلق بمختلف المسائل «الأسرية والاجتماعية» لم يغير بهاء الله منها شيئًا. بل على العكس من الباب، لم يضع بهاء الله حدًّا لاكتساب المعارف، فكل علم يمكن تعلمه يجب على الإنسان أن يتعلمه،(٢٩) ودعا بهاء الله

---

(٢٧) بهاء الله (ترجمة دريفوس)، الإيقان، المجلد الثالث، صفحات ١١٩، ١٢١، ١٢٣. كتاب الكردي السابق ذكره، صفحة ٩٥. الميرزا الفضل الجرفادقاني، الحجج البهائية، صفحات ١٠، ١٧.

(٢٨) أسلمنت، بهاء الله والعصر الجديد (الترجمة العربية) صفحة ٩٥. الجرفادقاني، الحجج البهائية، صفحات ٢٤-٢٦.

(٢٩) بهاء الله، راجع كتاب الكردي السابق ذكره، صفحة ١١٤. بهاء الله، الأقدس، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية ٦٣٩٧. صفحات ٢٦-٢٧.

إلى وضع لغة عالمية تسمح لجميع الشعوب بالتواصل فيما بينهم، ودعا إلى إنشاء محكمة دولية لتسوية خلافات جميع الأمم أمامها[٣٠].

ونستطيع القول إن الاختلافات الخاصة بتفاصيل القواعد التشريعية البابية والبهائية والتي لم يقتبسها من القواعد البابية ليس لها أي أهمية تذكر ويستحيل معها القول إن البابية والبهائية مذهبان يختلف أحدهما عن الآخر. لذلك نعتبر البابية ظاهرة دينية جديدة لها طبيعة خاصة جدًّا ومختلفة عن جميع الأديان السماوية، مما يجعلنا نرفض القول بأنها طائفة من الطوائف الإسلامية. أما البهائية بالنسبة للبابية فيمكن القول بأنها امتداد لها. ونرى أيضًا أن البابية والبهائية متطابقان إلا فيما يتعلق ببعض التفاصيل التي ليس لها أدنى أهمية. وعندما نتحدث عن البابية فإننا نقصد بذلك المصطلح تعاليم المذهب الذي أسسه الباب وتابعه فيه بهاء الله. وكذلك الحال بالنسبة للحديث عن البابيين لا يختلف كثيرًا عن تابعيهم من البهائيين. فالذين درسوا الحركة البابية بعناية منذ نشأتها يشاركوننا الرأي في هذا الصدد. ولا نستطيع الاتفاق مع السيد مونتيه في قوله إن البابية والبهائية يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطًا شديدًا مهما كان اختلاف أحدهما عن الآخر شديدًا أيضًا[٣١].

وقام صبح الأزل، أخو بهاء الله، بتأسيس جماعة أطلق عليها «جماعة الأزليين». نشأت هذه الجماعة عن اختلاف الأخوين بعد موت الباب وظلت ملتزمة بالمفاهيم البابية، فلا يمكن القول إن الجماعة «الأزلية» تختلف عن البابية.

واتبع صبح الأزل الباب في كل شيء، وكان له أكثر إخلاصًا من أخيه بهاء

(٣٠) ماسيه، الإسلام، صفحة ٢١٢، لامينز، الإسلام عقيدة وشريعة، صفحة ٢١٠، بهاء الله، راجع كتاب الكردي السابق ذكره، صفحات ٩٨، ١٠٠، ١١٠، أسلمنت، بهاء الله والعصر الجديد (الترجمة العربية) صفحات ١٦٣-١٦٧.

(٣١) إدوار مونتيه، الإسلام، صفحة ١٣٩.

الله الذي جرد الباب من الصفات التي ينسبها لنفسه ولم يعترف بدعوته، بينما أقر صبح الأزل بصفاته واعترف بدعوته. وأكد صبح الأزل أيضًا أن الباب تجسيد للذات الإلهية. وبموت الباب تجسدت الذات الإلهية فيه وأصبح بذلك من سماه الباب «من يظهره الله».

وألف بهاء الله عدة كتب، ومن أهمها «الأقدس» الذي يشتمل على أحكام شريعته، وكتبه باللغة العربية، وتعد عباراته أكثر وضوحًا بالنسبة لكتابات الباب، غير أنه يتطابق معها شيئًا ما في غموض أفكارها.

وهذه المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية غنية بأعمال الزخرفة وتم كتابتها باللغة العربية بخط جميل، كما أنها مصحفة بماء الذهب. وكما أوصى الباب بتصحيف نسخ كتابه «صحيفة الحرمين» بالذهب سار بهاء الله والبهائيون على نفس المنوال في كتابه «الأقدس» وكان من شأن هذا العمل أنه أضاف إلى خزانة المكتبة الوطنية مخطوطة فريدة في جمالها غير أن محتواها -للأسف- لا يتناسب مع شكلها الفريد.

ويتناول كتاب «الإيقان» دور الأنبياء ويتحدث فيه عن البعث والحساب ويعارض فيهما تمامًا ما جاء به الأنبياء لأقوامهم ويستخدم الأفكار التي تناولها الباب في هذه الموضوعات لخدمة أغراضه الشخصية. ثم إن الأفكار التي يسوقها بهاء الله في هذا الكتاب ما هي إلا تكرار لأفكار الباب التي أوردها عن بهاء الله. فلقد جاء الأنبياء جميعهم للتبشير ببهاء الله الذي تجسدت فيه الذات الإلهية. والآيات التي جاءت في هذا الكتاب ما هي إلا وحي الله، وهلم جرًّا.

وكتب بهاء الله كتابًا آخر سَمَّاه «لوح ابن ذئب» وهي رسالة كتبها إلى أحد

الشيخين محمد تقي المعروف بأغا نجفي أورد فيها ادعاءاته المختلفة مغلفة في عباراته الطنانة. كما يوجد له أيضًا كتاب باللغة الفارسية قام فرج الله الكردي بترجمته إلى اللغة العربية وتم تصنيف محتوى هذا الكتاب تحت العناوين الآتية: إشراقات، بشارات، كلمات، طرازات. وعبر بهاء الله من خلال هذا الكتاب عن أفكاره التي تقوم على نفي ما جاء به الأنبياء حول الدار الآخرة وأثبت فيه ادعاءه للألوهية. وتتشابه كتابات بهاء الله فيما بينها من حيث التعبير عن ادعاءاته ومحاولة تبرريها باستثناء كتاب «الأقدس» الذي لا نعلم له أي ترجمة. فإن مؤلفات الباب قد تم ترجمتها وطباعتها.

واشتغل صبح الأزل بنسخ مختلف مؤلفات الباب وكتب بعض الرسائل عن البابية[٣٢]، غير أنها لا تقدم أي توضيح للموضوعات التي يعالجها، حيث يسودها الغموض، ولغتها غير سليمة كما هو الحال في كتب الباب. وتشبه كتابات صبح الأزل كتابات الباب في ضخامة الحجم أحيانًا وعدم اشتمالها على فكرة سليمة، ولغتها عبارة عن مجموعة من العبارات الطنانة وغير المفهومة. وعلى غرار الباب وبهاء الله كتب مؤلفاته في صورة مجموعة من السور التي تشتمل على آيات حتى يستطيع أن يقول إن هذه الآيات نزلت عليه من عند الله كما نزلت آيات القرآن.

٣- تأويل البابيين للقرآن

يرجع البابيون في تأويلهم للقرآن إلى مناهج بعض المارقين السابقين ممن

(٣٢) راجع قائمة المراجع.

كانوا ينتمون إلى المسلمين كالقرامطة وبعض طوائف الفرقة الإسماعيلية الباطنية والتي سوف نتحدث عنها فيما بعد.

وتعد الكتب المقدسة المنزلة على الأنبياء خير طريق لهداية الناس إلى الصراط الموصل إلى الخير والنجاة في الدنيا والآخرة، وذلك لاشتمالها على التشريعات والأصول العقائدية والأخلاقية. ومع ذلك يزعم البابيون أن هذه الكتب تنطوي على معنى خاص أو بالأحرى معنى باطن وهذا المعنى الباطن هو المعنى الحقيقي الذي أراده الله من خلال النصوص التي تشتمل عليها تلك الكتب. كما يزعمون أن هذا المعنى الباطن يختلف بصفة عامة عن المعنى الوارد في النصوص التي تتألف من مفردات اللغات التي نزلت بها تلك الكتب المقدسة.

وأما بالنسبة للقرآن وقبل أن تؤول زعامة الحركة البابية إلى بهاء الله، فإن البابيين كانوا يرون أن المعنى الباطن للقرآن لا يعلمه إلا الله والنبي محمد ﷺ والأئمة، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى هذا المعنى غيرهم. وبدا تأثرهم بالشيعة واضحًا عندما كانوا يزعمون أن الأئمة عندهم من العلم والقدرة ما يساعدهم على فهم المعنى الحقيقي أو المعنى الباطن للنصوص القرآنية، وذلك باعتبارهم من آل البيت وانتسابهم الروحي للنبي محمد ﷺ. ويزعم البابيون أيضًا كما هو الحال بالنسبة للشيعة الإمامية أن باب هذا العلم كان مؤصدًا منذ اختفاء الإمام الثاني عشر والأخير محمد بن الحسن العسكري وظل على تلك الحال حتى مجيء الإمام المهدي المنتظر فهو وحده الإمام الذي يستطيع أن يفسر القرآن للناس، ويعتقد البابيون أن هذا المهدي لا يمكن أن يكون أحدًا غير الباب[٣٣].

---

(٣٣) الميرزا علي محمد الباب، كتاب دلائل السبعة، صفحات ١٧، ٢٧، ٣٥، تفسير سورة العصر، نفس المؤلف، (المكتبة الوطنية)، مخطوطة باللغة العربية ٦١٤٣، صفحات ٦٩٩-٧٠٠، الميرزا أبو الفضل الجرفادقاني، الدرر البهية صفحات ١١-١٢، ٢٠٥-٢٠٩، والحجج البهية، صفحات ٨١-٩٧.

أما البهائيون فإنهم يقولون إنه لا يمكن لمحمد ولا للأئمة ولا لأي نبي آخر أن يصل إلى المعنى الحقيقي للقرآن؛ لأن الله عندما بلغ كلامه إلى الناس عن طريق رسله لم يأذن لهم بتفسيره.

وكان هذا بسبب أن الناس آنذاك لم يكن عندهم من القدرة العقلية ما يجعلهم يصلون إلى المعنى الباطن؛ ولذلك جعل الله معنى النصوص المقدسة صعب الإدراك. ويرى البهائيون أن ذلك الغموض لا بد وأن يظل قائمًا حتى يصل عقل الإنسان في النضج إلى درجة الكمال، وحينئذ فقط يمكن أن يظهر الله من خلال تجسد ذاته الإلهية في الإنسان ليكشف للناس مراده من كتبه. وليس ذلك الإنسان الذي تجسدت فيه الذات الإلهية إلا بهاء الله(٣٤).

ولقد دفع هذا القول الميرزا أبو الفضل الجرفادقاني إلى التقرير بأنه: «يتضح للعقلاء أن الله قد بين في أكثر من موضع في القرآن أن تأويل آيات القرآن الكريم لا يعلمه إلا الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧]. ويقول أيضًا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [سورة يونس، آية: ٣٩]».

ويبين الجرفادقاني كلامه قائلا إن أحداث آخر الزمان من ذهاب نور الشمس والقمر وانتثار الكواكب إلى غير ذلك مما ذكره القرآن لا يمكن للعقل الإنساني أن يقبلها لأنه اكتسب المعرفة من خلال العلوم التي درسها. واستطرد قائلا: إنه عندما علم مشركو العرب بعلامات الساعة في القرآن حاولوا استغلالها في مجادلتهم لأصحاب النبي ﷺ لإلقاء الشك في قلوب المسلمين، قائلين إن محمدًا قد خدع قومه عندما أكد لهم وقوع أحداث في المستقبل بحكم العلم باستحالة وقوعها.

---

(٣٤) الجرفادقاني، مرجع سابق.

ومن ثم جاءت الآية الثانية التي أشرنا إليها: سورة يونس، آية: ٣٩؛ لتوضح للعرب المشركين أنه لا يجب عليهم فهم هذه الأحداث التي ذكرها القرآن بالمعنى المادي للكلمة؛ وذلك لأن آيات القرآن لها معنى أسمى من ذلك ومفهوم أخص. ويواصل الجرفادقاني حديثه قائلا: إن هذا هو المعنى والمفهوم الذي كان يجب على الله أن يكشفه يومًا مصداقا لقوله في القرآن: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ...﴾ [سورة الأعراف، آية: ٥٣]. ويضيف الجرفادقاني أنه لا يجب أن يفهم من كلمة «تأويل» معنى النصوص القرآنية حسب ما يعبر عنه اللفظ باللغة العربية وإلا كان هناك تناقض بين الآية التي ذكرناها مؤخرًا وبين الآيتين السابقتين، وبالتالي يجب أن يفهم التأويل بالمعنى الباطن. وهذا يؤكد أيضًا أن السابقين لم يكن عندهم القدرة العقلية على فهم المعنى الحقيقي للنصوص، وبالتالي اضطر الأنبياء لإخفاء هذا المعنى عنهم ومحاولة تغطيته بتفسيرات غامضة وملغزة، وهذا يفسر استخدام الأنبياء في حديثهم مع أقوامهم لبعض العبارات المجازية والتعبيرات الرمزية[٣٥].

وليس بوسعنا إلا أن نذكر برأي الجرفادقاني والذي أشرنا إليه آنفًا حيث يقول: «من الواضح لأصحاب العقول أن الله بَيَّن في أكثر من موضع من القرآن أن معنى آيات القرآن الكريم لا يعلمه إلا الله». ونجد أنفسنا مضطرين للتدخل والرد على مثل هذا الكلام، فالقرآن لم يبين ذلك في مواضع عدة ولا في موضع واحد أن معنى الآيات القرآنية التي يشتمل عليها -كما يقول الجرفادقاني- لا يعلمها أحد إلا الله.

وفي الحقيقة أنه لا يوجد في القرآن إلا آية واحدة تشير إلى ذلك واستند

(٣٥) مرجع سابق، الدرر البهية، صفحات ٢٠٣-٢٠٦.

إليها الجرفادقاني وهي الآية التي استدل بها الباب في كتابه «دلائل السبعة»[٣٦] غير أن معنى هذه الآية ليس كما يقول الباب والبابيون ومن بينهم الجرفادقاني، وهذا هو نص الآية كاملا:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧].

يتضح من نص الآية أن العبارة التي انتزعها الجرفادقاني منها لا تعطي معنى كاملا، بل معنى مختلفًا عن المعنى الذي يتضمنه مجموع الآية. فهذه الآية توضح بما لا مراء فيه أن القرآن فيه آيات محكمات صريحة المعنى وواضحة، وهذه الآيات المحكمات هي «أم الكتاب» إذ إنها تمثل قواعد الإسلام، ولذلك فإن معنى الآيات الأخرى مبني عليها. كما يشتمل القرآن أيضًا على آيات أخر لا يمكن وضعها في نفس حكم الآيات المحكمات تبعًا لنسبة وضوح المعنى والقصد. فهذه الآيات هي الآيات المتشابهات.

ويمكن أن يكون لهذه الآيات التي تعد متشابهة في ذاتها أكثر من معنى، ولذلك فهي موضوع بحث العلماء مما يمنحهم الفرصة في إعمال العقل. وعلى الرغم من أن معنى هذه الآيات لا يمكن أن يستعصي على الأفهام والفطرة السليمة، فقد قام العلماء المتخصصون والمؤهلون بدراسة الآيات المتشابهة بغية تحديد معانيها المختلفة أولا، ثم إعطائها المعنى المناسب لها ثانيًا، وذلك بما لهم من قدم راسخة في علوم اللغة والشرع.

---

(٣٦) الميرزا علي محمد الباب، كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا)، المقدمة صفحة ٥، صفحات ١٧، ٢٧.

ونرى من الضروري توضيح ما نقصده من كلمة «محكم» وجمعها: «محكمات» وكلمة «متشابه» وجمعها: «متشابهات» وكذلك توضيح معنى مصطلحين مرتبطين بهاتين الكلمتين وهما التفسير والتأويل وذلك كله لتيسير فهم هذه المسألة للقارئ.

فحينما تستعمل كلمة في معناها الحقيقي أو المجازي مع وجود قرينة تصرفها إلى معناها الصريح فإن هذه الكلمة يطلق عليها قول «محكم» ويطلق هذا المحكم على جميع آيات القرآن واضحة المعنى والدلالة. ويطلق على توضيح هذا المعنى لفظ التفسير، وعليه فإن جميع الآيات المحكمات تعد مفهومة المعنى لكل من له علم باللغة العربية، وهذه بعض الأمثلة: يقول الله تعالى في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٣٧) [سورة الأنفال، آية: ٢٤].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾(٣٨) [سورة البقرة آية: ١٦]*.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [سورة فصلت، آية: ١٧]*.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ... ﴾(٣٩).

---

(٣٧) القرآن الكريم، (ترجمة مونتيه) سورة الأنفال آية ٢٤.

(٣٨) مرجع سابق، سورة البقرة آية ١٦.

* المترجم: ذكر الباحث في النص الفرنسي أن الآية رقم ١٥ والصحيح أنها رقم ١٦ فلزم التصحيح.

* المترجم: ذكر الباحث في النص الفرنسي أن الآية رقم ١٦ والصحيح أنها رقم ١٧ فلزم التصحيح.

(٣٩) مرجع سابق، سورة الأحزاب، آية ١٠.

ففي هذه الآيات لا مجال للحديث عن «الحياة المادية» ولا «الشراء والتجارة المادية» ولا «العمى المادي» ولا «بلوغ القلوب الحناجر بلوغًا حقيقيًا» ففي هذه الآيات يأتي المعنى المجازي في سياق يجعل المعنى واضحًا، وبالتالي فإن هذه الآيات الأربع تمثل جزءًا صريحًا من الآيات المحكمات.

ونجد في مقابل ذلك ثلاث صور: فإذا كانت الكلمة لا تعبر عن معنى محدد مثل الكلمات الواردة في بداية بعض السور على سبيل المثال. ثانيًا إذا كان معنى الكلمة مخالفًا للأحكام الإسلامية كتلك الكلمات التي تصف الله بصفات البشر. ثالثًا عندما تتعلق الكلمة بالحياة الآخرة للإنسان كتعريف الجنة والنار وغيرهما على سبيل المثال، فإن جميع هذه الكلمات تأتي في إطار المتشابهات وتوضيح معنى المتشابهات يسمى «التأويل»[٤٠].

وهذه بعض أمثلة المتشابهات الخاصة بالصورة الأولى: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿صٓ﴾. ولا نجد شيئًا من هذه الكلمات الموجودة في فواتح السور متعلقًا بالأحكام الشرعية بل إنها تعد آية كاملة في كل سورة.

وبما أن هذه الكلمات لا تتعلق بالعقيدة أو أحكام الإسلام فلا حرج على أحد أن يفهمها وفقًا لرؤيته ولكن بشرط ألا يكون التأويل مخالفًا للعقل، وتلك الكلمات المتشابهات قد دفعت العلماء إلى القيام بالعديد من الأبحاث، وأكثروا

(٤٠) هذا التعريف الخاص بالتفسير والتأويل وضعه العلماء المحدثون، أما القدامى فإنهم كانوا يستعملون هذين المصطلحين في معنى واحد. فالإمام ابن جرير الطبري كان يستعمل في تفسيره للقرآن مصطلح التأويل بدلا من التفسير. وتستعمل كلمة التأويل أيضًا في معنى آخر وهو: «تطبيق أو تحقيق القضايا محل الاستشكال» كما سنبين ذلك فيما بعد في هذا البحث. راجع في هذه المسألة: ابن تيمية، الرسائل الكبرى، الجزء الثاني، صفحات ١٥-١٦.

الحديث حولها حتى ذكر بعضهم أن كل كلمة من هذه الكلمات تعد اسمًا للسورة التي جاءت تلك الكلمة في بدايتها[٤١]، بينما يرى البعض الآخر أن هذه الكلمات جاءت في أوائل السور للدلالة على أن القرآن لم يخرج عن إطار اللغة العربية، لا من ناحية تركيب العبارات ولا من ناحية تجميع كلمات هذه العبارات، وأن القرآن نزل بلسان عربي، فكل كلمة من تلك الكلمات عبارة عن مجموعة من حروف هجاء اللغة العربية كما هو الحال بالنسبة للكلمات الواردة في فواتح السور.

وهذا الرأي الثاني يكاد أن يكون أصح من الأول، حيث إن الكلمات التي أشرنا إليها سابقًا لا يمكن قراءتها بنفس طريقة قراءة الكلمات الأخرى في اللغة العربية إنما تلفظ بنفس الطريقة التي قرأها بها الرسول ﷺ بمعنى أن تُقرأ حروفًا مقطعة[٤٢]. وهذه الكلمات باعتبارها مجرد حروف فإنها لا تحمل معنًى خاصًا وأن هذه الكلمات ليست إلا مجرد إشارة لتنبيه العرب أن القرآن الذي لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله يتألف من حروف لغتهم الأصلية، ويمكن كما يرى البعض[٤٣] الجمع بين هذين الرأيين فهما ليسا متعارضين، فإذا كانت هذه الكلمات أسماء للسور فإن ذلك لا يتعارض مع الرؤية الخاصة بالرأي الثاني في هذا الموضوع؛ لأن هذه الكلمات تتألف من حروف يجب أن تقرأ مقطعة.

ومع ذلك فإننا نجد أن بعض المفسرين مثل الشيخين جلال الدين المحلي

---

(٤١) إذا اعترض البعض على ذلك بأن كثيرًا من سور القرآن تحمل نفس الاسم، وبالتالي لا يمكن التمييز بين بعضها البعض فإننا نجيب على ذلك بأن تطابق أسماء السور لا يؤثر كثيرًا على النص؛ لأن النص الذي يحمل نفس الاسم يختلف من سورة لأخرى.

(٤٢) ا.ل.م. يجب على سبيل المثال قراءتها هكذا: ألف، لام، ميم، كما قرأها النبي ﷺ. والسيد إدوار مونتيه كان محقًا في ترجمته عندما أورد الحروف كما تنطق. أما ترجمة سافاري فاكتفى بذكر الحروف. وأما كازميريسكي فكان يذكر أحيانًا الحروف وأحيانًا أخرى اللفظ.

(٤٣) راجع تفسير المنار، الشيخ رشيد رضا، الجزء الأول، ص١٢٢.

(٧٩١-٨٦٤هـ= ١٣٨٩-١٤٥٩م) وجلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ= ١٤٤٥-١٥٠٥هـ) واللذين يرجعان عند تفسير مثل هذه الموضوعات إلى سنة النبي ﷺ وقول الصحابة، لم يفسرا مثل هذه الحروف «هذه الكلمات» بناء على رأيهما الخاص؛ حيث لم يجدا تفسيرًا واضحًا لذلك في السنة النبوية، وبالرغم من ذلك فإن عدم تفسير هذه الكلمات لا يمثل أمرًا ذا بال؛ وذلك لأن هذه الكلمات كما قلنا لا تتعلق بالعقيدة ولا بالأحكام الأساسية في الإسلام(٤٤).

هذا وقد ذكرنا آنفًا أن من بين الآيات المتشابهات تلك الآيات التي لا يمكن تفسيرها تفسيرًا حرفيًا إذا أردنا الالتزام بقواعد الإسلام والآيات المحكمات. وهذه بعض الأمثلة للصورة الثانية للآيات المتشابهات: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة القمر، آية: ١٤].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [سورة يس، آية: ٧١].

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح، آية: ١٠].

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الزمر، آية: ٦٧].

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، آية: ٢٧](٤٥).

---

(٤٤) يقول الشاطبي في كتابه الموافقات، الجزء الثالث، صفحات ٢٣٧-٢٣٨: «هناك من يزعم أن هذه الحروف تعني فترة بقاء الإسلام، وذلك بالنظر إلى قيمتها العددية...» ويضيف الشاطبي أن هذا الفرض لا يبرر شيئًا؛ لأن إسناد القيمة العددية لهذه الحروف تعتبر طريقة غير معروفة بالمرة عند العرب وأصل هذا الفرض من الإسرائيليات. ولا يعترف الشاطبي بالقائلين بهذه الآراء الرجعية والتي نسبها أصحابها إلى علي بن أبي طالب، الشيخ رشيد رضا في تفسيره القرآن، الجزء الأول، صفحات ١٢٢-١٢٣ يتبنى رأيًا يكاد أن يكون متطابقًا مع رأي الشاطبي.

(٤٥) ترجمة معاني الآيات ٣٦، ٤٨، ٣٩، ٢٩، ٥٥. مأخوذة من ترجمة مونتيه.

لا يمكن أن تفسر هذه الآيات تفسيرًا حرفيًّا ظاهريًّا، إذ إنها تجعل لله جسمًا له عينان ويدان ووجه، وتجعله فوق عرشه. ففهم هذه الآيات على ذلك النحو في حين أنه يمكن فهمها بصورة أخرى وفقًا لروح المعاني، يجعلها تتناقض مع الأحكام الشرعية والآيات المحكمات الأخرى والتي منها على سبيل المثال قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى، آية: ١١]*.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات، آية: ١٥٩][٤٦].

أما بالنسبة للصورة الثالثة من الآيات المتشابهات فإنها تختص بالآيات المتعلقة بالدار الآخرة. فلا يستطيع أحد -كائنًا من كان- أن يُكَوِّن فكرة حقيقية لما سيكون عليه الأمر في آخر الزمان. وأيًّا كانت تصوراته فإنها لا تتطابق مطلقًا مع تفاصيل الواقع. وكل ما يمكن أن يتصوره الإنسان عن الملائكة والجنة والنار ليس إلا ضربًا من الخيال، فالذي يعلم ذلك كله على وجه الحقيقة هو الله. ومع ذلك فإن هناك من بين المنحرفين والمغرضين من يفسر المتشابهات بالطريقة التي تخدم رغبته الخفية بهدف إضلال المؤمنين. وهؤلاء المغرضون هم الذين أشارت إليهم الآية السابقة من سورة آل عمران والتي ذكرناها بالكامل آنفًا والتي ندَّدت بجهلهم وسوء طويتهم.

ويرى العلماء أن هناك قراءتين للآية السابقة من سورة آل عمران وذلك وفقًا لآرائهم حول تعريف الآيات المتشابهات، فيقول البعض: إن المتشابهات لا تأتي إلا في الآيات التي تتحدث عن الآخرة وما شابهها وهي الآيات التي تتضمنها

* المترجم: يذكر الباحث أن آية الشورى رقم ٩ في حين أنها رقم ١١ فيلزم التنويه.

(٤٦) مرجع سابق بالنسبة لسورة الشورى وسورة الصافات.

الصورة الثالثة من المتشابهات مما لا يمكن تصور معناها الحقيقي. وبناء على رأي هؤلاء العلماء يجب الوقوف على اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ عند قراءة هذه الآية هكذا: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ويرى فريق آخر من العلماء وقوع المتشابه في الآيات التي لا يكون معناها واضحًا ومحددًا تمامًا، وبالتالي فإن المتشابه ينحصر في الصورة الأولى والثانية فَحَسْب، وهنا يتم إعمال فهم الإنسان. ويظهر من كلام هؤلاء العلماء أنه يمكن قراءة الآية مع عدم الوقوف على كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾.

ويتبع البابيون الطريقتين عند قراءة هذه الآية. فالباب وهو ينتقل من زعم لآخر مدعيًا أنه المهدي والإمام الخاتم ينسب لنفسه بموجب هذه الألقاب العلم والقدرة على بيان المعنى الحقيقي للقرآن. ولذلك نراه في كل مرة يقرأ فيها هذه الآية لا يقف عند كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ وبالتالي فإنه يرى أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى التفسير الحقيقي للقرآن إلا الله والراسخون في العلم وهم الأئمة والباب منهم وخاتمهم.

أما بهاء الله فإنه لا يراوح بين المزاعم المختلفة إنما يدخل مباشرة إلى الألوهية فيقول إن المعنى الحقيقي للقرآن لا يعلمه أحد إلا الله الذي أنزل القرآن وأخفى المعنى الحقيقي لآياته بالألفاظ المجازية والرمزية ويزعم بهاء الله أن الله وحده هو القادر على رفع هذا الحجاب حتى يظهر المعنى الحقيقي للقرآن.

ويرى بهاء الله أن الله لا يفعل ذلك إلا إذا تمثل على الأرض في صورة إنسان، وهذا الإنسان ليس أحدًا غير بهاء الله، وعليه فإنه يرى أن الوقوف في القراءة على كلمة الله لازم.

وهكذا يتضح أن البابيين والبهائيين قد انتزعوا عبارة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من سياق الآية الذي يوضح مرجع كلمة التأويل الواردة في الآية مما أدى إلى غياب المعنى الحقيقي للقرآن.

ونجد في الحقيقة أن كلمة تأويل في النص العربي وكذلك في النص المترجم مضافة إلى الضمير العائد على المتشابه فكيف نجعله عائدًا على القرآن كله؟ لقد تعمد البابيون حمل التأويل بغير حق على جميع النصوص القرآنية دون النظر إلى مجمل الآية أو معناها الصحيح وقالوا: «هذا ما أكده القرآن بأن التأويل يجب أن يتم تبعًا للمعنى الباطن وأنه لا يعلم أحد بهذا التأويل[٤٧] غير الباب أو بهاء الله» ونجيب على ذلك بأنه يستحيل أن نجد في كتابات الباب أو في كتابات بهاء الله أو في غيرها من كتابات رسله النص الكامل للآية السابعة من سورة آل عمران. ويمكن تفسير ذلك بسهولة إذ إن هذه الآية تحقر من يشتغل بتأويل ما تشابه من القرآن «ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله»، ثم إن نهاية هذه الآية تتضمن الرد على هذا الادعاء حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ويوجد في القرآن آية أخرى يفسرها البابيون على طريقتهم، تفسيرًا يختلف بالكلية عن تفسير المسلمين لها. يقول الله تعالى في هذه الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾ [سورة البقرة آية: ٢١٠].

والمعنى الذي جعله البابيون والبهائيون لهذه الآية هو أن الله يجب أن يأتي إلى الأرض بين الناس متجسدًا في صورة إنسان وأن ذلك قد حدث بالفعل مع مجيء بهاء الله وأتباعه -يقصدون الملائكة الذين تحدثت عنهم الآية- الذين آمنوا

(٤٧) الجرفادقاني، الدرر البهية، ص٢٠٣.

به هو وليس بأخيه الأكبر يحيى نوري «صبح الأزل». ويجمع المسلمون من سلفهم إلى خلفهم على استحالة تفسير مجيء الله تفسيرًا حرفيًا، إنما يعطونه معنى مجازيًا وذلك لتعارض المعنى الحرفي تعارضًا صريحًا مع العقيدة الإسلامية التي تنزه الله عن المادية والحركة. ولذلك نرى أن مفسري القرآن من المعتزلة أو الأشعرية أو الماتريدية(٤٨) يحملون الآية على معناها المجازي. واستخدام الكلمة في معناها المجازي معروف في اللغة العربية، وهذا مثال على ذلك لآية أخرى في القرآن: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف، آية: ٨٢]*.

فمن الواضح أن المسؤول في هذه الآية ليس القرية، وإنما أهل القرية.

ويرى المسلمون أن موضوع الآية ليس مجيء الله وإنما مجيء أمر الله ووقوع أحداث آخر الزمان وقيام الساعة.

ويفسر المسلمون الآية بما يلي: بما أن محمدًا أخبر بمجيء اليوم الآخر وجاء بالدلائل القاطعة بصدق رسالته، فماذا ينتظر الكافرون إذن حتى يؤمنوا بذلك؟ فهل ينتظرون حتى يتحقق ذلك، يعني دمار الكون الذي يعقبه ظهور الغمام ومجيء الملائكة المكلفين بتنفيذ أمر الله فيما يتعلق باليوم الآخر؟ وهذا هو المعنى الواضح لهذه الآية فهو المعنى المتفق مع العقيدة القائلة إن الله منزه عن مشابهة البشر. ونجد في القرآن العديد من الآيات القرآنية التي تتفق مع معنى هذه الآية، فيقول الله تعالى في كتابه الكريم:

-﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ [سورة محمد آية: ١٨].

---

(٤٨) ومثال ذلك الزمخشري من المعتزلة وجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي من الأشعرية والألوسي من الماتريدية.

* ذكر الباحث أن الآية رقم ٢ من سورة يوسف والصحيح أنها رقم ٨٢.

-﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، آية: ٢٥، ٢٦]*.

-﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [سورة القارعة آيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥].

-﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[سورة الانفطار الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥].

-﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [سورة المعارج آية: ٨، ٩].

-﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [سورة الواقعة الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦][(٤٩)].

ويتبين من هذه الآيات بوضوح أن المراد في الآية ٢١٠ من سورة البقرة ليس مجيء الله وإنما وقوع الأحداث المتعلقة بنهاية العالم والتي بيَّنتها رسالة النبي محمد ﷺ.

ولقد سبق وقلنا إن هناك علماء يسعون للوصول إلى معنى المتشابهات الخاصة بالصورة الأولى، وهذه المتشابهات تختص بالكلمات الواردة في فواتح بعض السور، في حين يُعرِض علماء آخرون عن البحث عن معانيها.

* ذكر الباحث أن الآيات رقم ٢٧، ٢٨ والصحيح أنها ٢٥، ٢٦.

(٤٩) ترجمة معاني آيات سور الفرقان والقارعة والانفطار والمعارج والواقعة مأخوذة عن ترجمة مونتيه.

أما المجموعة الثانية من المتشابهات والتي يأتي معناها في إطار الاتجاه الذي يخلع على الإله صفات بشرية، فإن للعلماء فيها آراء مختلفة. فلا يميل علماء السلف عمومًا إلى إعطاء المتشابهات معنى محددًا، ويكتفون بالقول إن معناها الظاهر ليس مرادًا لله بحال من الأحوال؛ لأنه يخالف تمامًا للعقيدة الإسلامية. ويرفضون الخوض في المعنى الذي أراده الله. بينما يتفق الخلف مع السلف في القول إن المعنى الظاهر لا يمكن أن يكون مقبولا بحال. ولكن بما أن القرآن كتاب عربي يتوجه بالخطاب إلى الناس لكي يفهمونه ويطبقون أحكامه، فيجب حينئذ البحث عن معنى متشابهاته بشرط أن يراعي البحث قواعد اللغة العربية وأصول العقيدة الإسلامية. أما ما يتعلق برأي السلف في المتشابهات وهؤلاء السلف بعيدون تماما عن المُشبهة، فإننا لا نعتقد فيما ينسب لابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ= ١٢٦٣-١٣٢٨م)، حيث ينسب لابن تيمية التفسير الحرفي بمعناه المادي لهذا الحديث النبوي: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له» فلقد أخذ على هذا العالم تفسيره الحرفي «لنزول الله»، وزعم البعض أنه وهو يخطب يومًا على منبر المسجد بدمشق نزل عدة درجات وهو يقول: «ينزل ربنا في كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل كما أنزل الآن» ونرى أن هذه التهمة محض افتراء، وقد ألصق بعض العلماء تلك التهمة به غيرة منه لذيوع صيته وقصدًا منهم أن ينسبوا إليه بعض آراء المشبهة. وهذه التهمة فيها ما يثير الدهشة، إذ إن ابن تيمية كان شديد التمسك برأي السلف لا سيما برأي أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ=٧٨٠-٨٥٥م) ولقد ذكرنا رأي علماء السلف في هذه المسألة، ومن الصعب أن ننسب إليهم أي تهادن لدعم أقوال المشبهة. فالاتهام الموجه إلى هذا العالم الجليل لا يتأتى إلا من أصحاب النفوس الخبيثة، فبالإضافة

إلى أنه من أكبر التابعين للسلف الذين تحدثنا عن رأيهم، فإن مؤلفاته بما لها من الأهمية والقيمة العلمية من الناحية الشرعية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن ابن تيمية ليس من المشبهة[٥٠].

وهناك من أساء تفسير رأي علماء السلف فيما يتعلق بالآيات والأحاديث الخاصة بالمتشابهات، فلقد اعتقدوا أن انصراف هؤلاء العلماء عن تأويل هذه المتشابهات، إنما يعني أنهم يفسرونها تفسيرًا حرفيًّا، أي بمعناها المادي الذي يقول به المشبهة. وبالرغم من ادعائهم اتباع منهج السلف، إلا أن هؤلاء الجهال قد أخطؤوا عندما فسروا الآيات والأحاديث المتعلقة بالمتشابهات بالمعنى المادي الذي يجعل لله صورة وأعضاء مثل البشر.

وهذا هو تأويل المرابطين في إفريقيا الشمالية: «... فعندهم مسألة التشبيه الدنيئة منتشرة جدًّا، فلقد فسروا الآيات ذات الأسلوب المجازي تفسيرًا حرفيًّا فجعلوا لله صورة بشرية»[٥١]. ويعتقد هؤلاء المرابطون أنهم متبعون في ذلك لمذهب الإمام مالك بن أنس، (٩٣-١٧٩هـ= ٧١٢-٧٩٥م) أحد كبار علماء السلف.

ونعتقد أنه من الممكن القول إن إعراض هؤلاء العلماء الكبار كمالك بن أنس عن الخوض في معاني المتشابهات وتفسيرها تفسيرًا محددًا كتفسير الآيات

---

(٥٠) راجع جولدتسيهر، العقيدة والشريعة الإسلامية صفحة ٨٧ وأيضًا موسوعة الإسلام، المقال الخاص بابن تيمية لابن شنب، فبعد أن اتهم ابن شنب ابنَ تيمية بالاتجاه القائل بالتشبيه وروى عن ابن بطوطة حادثة مسجد دمشق أكد قائلا: «... راجع الرسائل الكبرى لابن تيمية، المجلد الأول، صفحة ٣٨٧ وما بعدها». لقد رجعنا إلى المصدر الأصلي الذي وردت فيه تلك الحادثة فلم نكتشف شيئًا من شأنه أن يبرر اتهام ابن تيمية بالميل إلى أقوال المشبهة. بل على العكس وجدنا أن ابن تيمية بعد أن ذكر هذا الحديث قال: «أهل الاستقامة من المسلمين يؤمنون بما جاء في الحديث كما يؤمنون بما جاء في القرآن من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه فهؤلاء قد اتخذوا طريقًا وسطًا كما أن المسلمين أمة وسط بين الأمم. وهذا النهج ليس منهج أهل التعطيل وهم الجهمية ولا أهل التمثيل وهم المشبهة». راجع الرسائل الكبرى، المجلد الأول، صفحات ٣٩٤-٣٩٥.

(٥١) موسوعة الإسلام، مقال: «ابن تومرت» لرنييه باسيه.

المحكمات، لا يعني مطلقًا أنهم يفضلون القول بالمعنى الظاهر والمادي للنصوص القرآنية كما فعلت المشبهة ذلك.

ويتضح من منهج هؤلاء العلماء تجاه المتشابهات أنه لا يمكن تفسير هذه الآيات حسب معناها الظاهر وأن هذه الآيات لها بكل تأكيد معنى يتفق مع العقائد التي تنزه الذات الإلهية عن أي تشبيه بالبشر ومع ذلك فإن خوف العلماء من تفسير القرآن بالاجتهاد الفردي جعلهم يقولون إنه ليس عندهم قول قاطع في تعيين مراد الله من هذه المتشابهات.

هذا بالإضافة إلى أن ابن تيمية ليس العالم الوحيد الذي وجهت إليه التهمة بسبب الغيرة منه أو التفسير الخاطئ لآرائه بأنه من المشبهة. فلقد وجهت مثل هذه الاتهامات أيضًا إلى أبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ= ٨٧٣-٩٣٥م) وأحمد بن حنبل -وقد سبق تأريخه- ويحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ= ٧٧٥-٨٤٨م) ومالك بن أنس[٥٢].

ويقدم لنا جولدتسيهر طائفة من المتشابهات قد اقتطفها من القرآن الكريم ومن الأحاديث، ويقول إن رأي الأشعريين في معناها لا يختلف كثيرًا عن رأي المشبهة، وإنه هو نفسه لا يتفق مع القائلين إن الأشعري قد اتبع في بعض المسائل الشرعية والتي منها المتشابهات منهجًا وسطًا بين السلف من جانب والمعتزلة الذين يميلون إلى تفسير هذه المتشابهات من جانب آخر[٥٣]. ويؤكد جولدتسيهر على رأيه مؤكدًا على العلاقة التي تربط الأشعري بعلماء الشريعة في صدر الإسلام. ويفهم في الحقيقة من كلام جولدتسيهر أن علماء السلف كانوا من المشبهة.

---

(٥٢) راجع جولدتسيهر، المجلد الأول، العقيدة والشريعة الإسلامية، ترجمة فليكس آران صفحات ٩٩ وما بعدها.

(٥٣) مرجع سابق.

ومع ذلك فإنه من المشهور المعروف أن أبا الحسن الأشعري قد اتخذ طريقًا وسطًا في بعض المسائل التي تثير جدلا ما بين مثبت ونافٍ. فلم يقل على سبيل المثال في مسألة حرية الإرادة برأي الجهمية المتطرف الذين ينكرون اختيار الإنسان في أعماله ولم يتبع أيضًا رأي المعتزلة القائلين: إن الإنسان له مطلق الاختيار في أفعاله.

وهناك مسألة أخرى موضع خلاف وهي المسألة المتعلقة بدور العقل البشري في المسائل الشرعية وقدرته على تمييز الخير من الشر من ناحية التعريف والتطبيق. فلم يجعل الأشعري للعقل مطلق القدرة للحكم على القواعد الشرعية كما هو شأن المعتزلة ولكنه لم ينكر حق العقل في التصرف شأنه في ذلك شأن أهل السنة. كما أنه اتخذ منهجًا وسطًا في المسائل الأخرى. فنحن نعلم أن الأشعري يقول في النهاية برأي السلف في المسائل المختلف فيها بين السلف والمعتزلة، وأعلن اتباعه لرأي المذهب الحنبلي لا سيما في المسائل العقدية. يقول الأشعري: «طريقتنا الشرعية التي نؤمن بها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقول الصحابة والتابعين والأئمة. وهذا ما نستند إليه ونؤمن بما علمناه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -كرم الله وجهه ورفع درجته وأجزل له الثواب- ونعادي كل من عادى مذهبه فهو الإمام الأعظم علمًا والأكمل خلقًا»[٥٤].

وهكذا بعد أن اتخذ الأشعري طريقًا وسطًا بين أهل السنة والمعتزلة، انحاز برأيه تمامًا إلى أهل السنة وترك المعتزلة التي انضم إليها في البداية وظل فيها حتى بلغ أربعين سنة[٥٥].

---

(٥٤) مرجع سابق، صفحات ٩٩-١٠٠، الألوسي، روح المعاني، المجلد الأول ص٥٧.

(٥٥) ظل الأشعري حتى بلغ أربعين سنة تلميذًا لعلي الجبائي المعتزلي. راجع رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، صفحة ١٩، ملاحظة الشيخ رشيد رضا. جولدتسيهر، مرجع سابق، صفحة ٩٨ موسوعة الإسلام، مقال «الأشعري».

وعلى كل حال، فإن انتساب الأشعري إلى السلف لا يعني بالمرة أنه من المشبهة؛ لأنه لم يقل أحد من السلف بالتشبيه «الفج» الذي عبر عنه جولدتسيهر، كما أن السلف لم يكونوا في حاجة لتلطيف حدة تعبير المشبهة على حد قول جولدتسيهر أيضًا[56].

ونرى أن اللوم الموجه للسلف على أنهم من المشبهة غير مبرر وغير قابل للتبرير، لأنهم لم يكونوا في ذلك مغالين ولا مفرطين. وبذلك يمكن الرد على جولدتسيهر الذي يرى أن الصواب في ذلك هو أن المعتزلة كانوا يفندون كلام المشبهة وذلك من خلال تفسير المتشابهات بالمعنى الذي يتفق مع العقيدة الإسلامية والآيات المحكمات. أما بالنسبة للسلف فإن جولدتسيهر يرى أنهم من المشبهة؛ وذلك لأنهم يرفضون تحديد المعنى الحقيقي للمتشابهات. وهذا الرفض ليس له مبرر إلا أنهم يريدون تفسير هذه الآيات تفسيرًا حرفيًّا، فيجعلون لله أعضاء مشابهة لأعضاء الإنسان كالرجلين واليدين وغير ذلك...

ويقول جولدتسيهر عن الأشعري على وجه الخصوص إنه أراد عدم الوقوع في التشبيه الصريح الذي وقع فيه السلف بجعلهم لله أعضاء مثل أعضاء البشر بل أراد وفقًا لما يقوله جولدتسيهر أن يخفف من حدة التشبيه بقوله: «إنه لا يجب فهم هذه المتشابهات بمعناها الحرفي ولكن بلا كيف»[57]. ويتضح من كلام جولدتسيهر أن الأشعري يقول بالتشبيه ولكن بصورة يسيرة.

ونرى أنه ليس هناك طريقتان فقط لتناول مسألة المتشابهات كما بين جولدتسيهر إما طريقة المعتزلة من جهة وإما الطريقة التي ينسبها إلى السلف

---

(٥٦) جولدتسيهر، مرجع سابق، صفحات ٨٦، ١٠١، ١٠٣.

(٥٧) مرجع سابق.

من الجهة الأخرى. بل إنه توجد طريقة ثالثة جديرة بالذكر في هذا الصدد، وهي تلك الطريقة التي نرى أنها تمثل الطريقة المثلى المقبولة عقلا والتي تجدر نسبتها إلى السلف. فالعقيدة الراسخة عند السلف أن الله تعالى منزه عن التشبيه بالبشر بأي حال من الأحوال وأن العقيدة الإسلامية والعقل الإنساني يجمعان على تلك الحقيقة، وبناء على ذلك الإجماع من جانب السلف والعقيدة والعقل، فإن المعنى الظاهر للمتشابهات التي تجعل لله أعضاء لا يمكن أن يمثل مراد الله من آيات القرآن؛ وذلك لأن المعنى الظاهر يتعارض تعارضًا بيِّنًا مع العقيدة الإسلامية التي بيَّنَها القرآن الكريم من خلال آياته المحكمات ويشكك في الرسالة النبوية التي أنزلها الله قرآنًا على نبيه محمد ﷺ. وأمام تلك الحقيقة، سكت السلف عن توضيح معنى المتشابهات وأحالوا معرفة معناها الحقيقي إلى الله.

ولم يسلك الأشعري طريقًا غير ذلك، فحينما قال: «إنه من الواجب تناول بعض المتشابهات بلا كيف»، فإنه استند إلى تلك القاعدة الأصولية في الإسلام والتي تنزه الله عن المادية، وإن ذات الله المجردة لا يمكن للعقل الإنساني أن يتصورها لا في صورة إنسان ولا في صورة من خيال الإنسان. ومن ثم تسقط التهمة التي وجهها جولدتسيهر إلى الأشعري والتي يتهمه فيها بأنه من القائلين بالتشبيه ولكن في صورة مخففة.

ولقد ذكر مالك بن أنس في الموطأ حديث النبي ﷺ: «ينزل ربنا في الثلث الأخير من كل ليلة إلى السماء الدنيا...» ونرى أن الحديث لا يعني أن الله ينزل نزولا حقيقيًّا مشهودًا، بل يقول مالك وكذلك السلف إنه يجب الإيمان بالنزول وفقًا لمراد النبي ﷺ غير أن أهليتنا للتفسير لا تجعلنا نحدد المراد الحقيقي للنبي ﷺ من بين المعاني المجازية المختلفة. ويتبين مما سبق أن جميع علماء المسلمين

سلفًا وخلفًا من أهل الكلام ومن أهل السنة يجمعون على ترك المعنى الظاهر، وإن شئت فقل المعنى الحرفي لنصوص الآيات المتشابهات حتى يتسنى تفسيرها بطريقة أخرى يفرضها العقل وتفرضها قواعد الدين بصورة جازمة بل ويجعلان منها أمرًا واجبًا وتتطلب هذه الضرورة حتمًا الرجوع إلى معنى لا يتعارض مع العقل وقواعد الشرع، وفي هذه الحالة يخلو التفسير من أي أثر للتشبيه الفج أو المخفف.

وينبغي عند هذه النقطة أن نلاحظ الطريقة المتبعة لتحقيق تلك الضرورة الملحة، ونلاحظ من الآن وليس من قبل أن الطريق الذي سلكه علماء السنة يفترق عما سلكه علماء الرأي إزاء تلك الإشكالية وهي: كيف يمكن الوقوف على المراد من المتشابهات؟

والحق أنه في غيبة السياق الذي يمكن أن يبين المراد ويظهره بوضوح كما هو، وأن هذه المتشابهات هي كلام الله أو كلام النبي الذي يأتيه عن طريق الوحي دائمًا فيما يتعلق بالقضايا الشرعية، فإنه يجب التحوط والحذر حتى لا يلقي الإنسان بنفسه في محظور الرأي الشخصي، ووفقًا لذلك تحدد منهج علماء السلف أو بالأحرى علماء السنة الذين يرفضون المعنى الظاهر للنص ويمسكون مع ذلك عن إعطاء المتشابهات تفسيرًا مجازيًا واضحًا وصريحًا.

أما بالنسبة للمعتزلة أو بالأحرى علماء الرأي، فإنهم يقولون: إن المتشابهات التي ليست من كلام البشر العاديين والتي يجب أن نوليها من أجل ذلك اهتمامًا كبيرًا ما هي إلا نصوص عربية موجهة إلى عقول الناس، وبالتالي يجب دراستها والاجتهاد في فهمها والاستعانة على ذلك بكل إمكانيات اللغة العربية.

وإذا كان المعنى الظاهر أو الحرفي للكلمة أو العبارة غير مقبول فإنه يجب حينئذ الرجوع إلى المعنى المجازي، وبما أنه لا خلاف على القول إن المعنى الظاهر أو الحرفي للمتشابهات غير مقبول فلا مناص حينئذ من البحث عن معنى من المعاني المجازية وهذا مجال واسع جدًا. وأما غياب السياق فإنه لا يجب أن يكون مانعًا من البحث عن المعنى المجازي الذي لا يتعارض مع العقل ولا يتنافى مع العقيدة التي بني الإسلام عليها.

وهكذا تتضح رؤية كل فريق، فالانفصال لم ينشأ إلا بعد أن ثبت أنه لا علاقة لهم بالمشبهة[٥٨]، ونلاحظ أن الانفصال الذي نشأ بين الفريقين لا يمكن لأحد أن يتصور أنه انفصال تام ونهائي؛ لأن هناك حالات نرى فيها بعض السلف المشهورين بموافقتهم للسلفية يخرجون عن منهجهم ليتلاقوا في النهاية أحيانًا مع الفكر العقلاني بهدف الوصول إلى إيجاد معنى لبعض المتشابهات.

يقول البطليوسي (٤٤١-٥٢١هـ= ١٠٥٢-١١٢٧م) في كتابه الإنصاف، في صفحة ٤١: «إن مالكًا لما سئل عن حديث النبي ﷺ «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...» أجاب: «إنما ينزل أمره كل ليلة، أما ذات الله العلي العظيم فإنها منزهة عن الحركة».

ولا تختلف هذه الإجابة عن رأي أنصار العقلانية الذين يبحثون عن المعنى الموائم للمتشابهات وفيها تلخيص لما أرادوا التوسع فيه من خلال أبحاثهم. ويشير العقلانيون إلى طريقتين لفهم «نزول الله» وهما طريقتان صحيحتان من الناحية الشرعية واللغوية. فيقولون وفقًا للطريقة الأولى: «إن الله أمر ملكًا أن

(٥٨) راجع الشيخ رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الأول، صفحات ٢٥٢-٢٥٣ والشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، (الترجمة الفرنسية) صفحات ٨٨-٨٩، ١٣٧.

ينزل إلى السماء الدنيا...» فحسب قواعد اللغة العربية يمكن إسناد فعل الرسول إلى مُرسِله». يقول البطليوسي في نفس الباب من المرجع السابق ذكره: «إن هذا التفسير مقبول وإنه يتفق مع رواية أخرى لهذا الحديث، حيث يقول النبي ﷺ: «يُنزِلُ الله كل ليلة...» يعني: يُنزِلُ ملكًا كل ليلة، وروي هذا الحديث من طريقين مختلفين: الطريق الأول أن النبي ﷺ قال: «يَنزِل» والطريق الثاني «يُنزِل».

ويعلق جولدتسيهر على هذا الحديث قائلا: «لم يعد هناك مجال للقول بالتشبيه بفضل وجود مخرج في تصريف الكلمة، ويرجع هذا المخرج إلى خصوصية الكتابة العربية القديمة القائمة على الحروف الساكنة، حيث لم يكن هناك ضبط لشكل الكلمة. فبدلا من قراءة الفعل في صورة الفعل اللازم «يَنزِل» يمكن أن نقرأه في الصورة المتعدية «يُنزِل» يعني الملائكة. وبذلك يسقط إسناد حركة الانتقال إلى الله بموجب هذا النص فليس الله هو الذي ينزل وإنما يُنزِل ملائكة تقول بأمره[٥٩]».

الملاحظة التي يشير إليها جولدتسيهر صحيحة من الناحية اللغوية طالما أن هذا الحديث مروي عن طريق الكتابة، فصورة الفعل لا تختلف من ناحية الكتابة، ولكن يرى البطليوسي أن هذا الحديث قد فُهِم ورُوِي لفظًا بالفعل «يَنزِل» و «يُنزِل»، وفي هذه الحالة لا يمكن أن نقول إن هناك مخرجًا لغويًا. وبما أنه لم يثبت أن رواية هذا الحديث ثابتة دائمًا بأحد الطريقين كتابة، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن النبي ﷺ لم يقل: «يُنزِل».

أما الطريقة الثانية لفهم هذا الحديث، فإن البطليوسي يقول: إن العرب

---

(٥٩) جولدتسيهر مرجع سابق صفحة ١٠٣.

كانوا يستخدمون كلمة «نزول» بمعنى «القرب الروحي» من الله نحو الناس مما يتفق مع الاستخدام الشائع للغة. فنقول على سبيل المثال: إن البائع «ينزل» للمشتري، ونقول أيضًا إن الملك ينزل لشعبه، بمعنى أنه يقترب منهم شعورًا. ويتبين من هذين المثالين أنه ليس هناك نزول حقيقي من أحدهما نحو الآخر ولكن هناك قرب، وأن كلمة «نزول» ليس لها هنا معنى آخر غير معناها المجازي.

وإذا جعلنا من هذين المثالين محلا للمقارنة، فلن يكون هناك مجال مطلقًا للنزول الحقيقي لذات الله وإنما على العكس، يكون النزول روحيًّا إلى أرواح الناس وقلوبهم، نزولا روحيًّا كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من «الليل» أي في الوقت الذي يرتاح فيه الناس من تعب النهار وهو وقت سكون الليل الذي يمنحهم الفرصة للتأمل، فيَمُن الله عليهم بسابغ كرمه.

ونجد كما قلنا من قبل أن تفسير البابيين لقول الله في المتشابه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يختلف تمامًا عن تفسير المسلمين لها. وما نريد أن نوضحه في هذا الصدد، هو أنهم يزعمون من جهة أن المعنى الحقيقي للقرآن ليس هو المعنى الذي تفهمه اللغة العربية أو ما يعطيه المسلمون له، وأنه من جهة أخرى عندما يريد البابيون تفسير بعض المتشابهات فإنهم يفسرونها تفسيرًا حرفيًّا لخدمة مآربهم الشخصية.

فهم يحرصون على تبني وجهة النظر المخالفة لمعتقدات الإسلام المقدسة وعلى تفسير آيات القرآن بالمعنى الذي يختلف تمامًا مع المفاهيم الإسلامية. وهناك مثال واضح على منهجهم وهو تفسيرهم لعلامات آخر الزمان. فيرى المسلمون وكذلك النصارى واليهود أن نهاية العالم سوف تحصل بالانهيار المادي للعالم أجمع، فينطفئ نور الشمس والقمر وتنتثر الكواكب إلى غير ذلك. أما البابيون فإنهم

يرون عدم وقوع هذه العلامات والأحداث التي تؤذن بنهاية العالم، مستندين في ذلك إلى منطق العقل الإنساني وعلوم الطبيعة وعلوم الفضاء، ويجعلون من ذلك دليلا على صدق رأيهم بأن ما ذكره القرآن عن نهاية الزمان لا يمكن أن يقع بحال، لكونه من المستحيلات. ويجتهدون في تفسير ما ورد في القرآن بالمعنى المخالف لما يقول به جميع المسلمين. ولقد حرفوا كل شيء حتى المعنى الحقيقي لنصوص القرآن التي تتناول علامات الساعة ليجعلوا منها أحداثًا متعلقة بمجيء الباب وبهاء الله[٦٠].

وإذا أخذنا علامات الساعة بمعناها الظاهر فإننا لا نجد فيها أي تعارض مع العقل الإنساني أو علوم الطبيعة أو علوم الفضاء، فلم تدَّعِ هذه العلوم أبدًا أن نهاية الزمان شيء مستحيل، فالعقل الإنساني يرى ذلك ممكنًا. إذ من الممكن عقلا أن تتسبب اليوم قوة مجهولة يمكن تخيلها في إحداث اضطراب كبير في النظام الكوني يؤدي إلى اختفائه وبالتالي فليس هناك سبب وجيه للقول برفض المعنى الظاهر أو الحرفي لنصوص القرآن وبادعاء أن المعنى الحقيقي لهذه النصوص يختلف تمامًا عن معناها الظاهر.

ومن ثم يمكن القول إذن: إنهم يريدون عمدًا أن يُقَوِّلوا النص القرآني ما يريدون هم قوله لا ما يريده معناه. وهذه الطريقة تعني نفي المعنى الذي تقصده اللغة العربية من هذا النص بل ونفي المعنى الذي تقصده أي لغة أخرى باعتبارها أداة لنشر الفكر الإنساني ووسيلة لجعله واضحًا من خلال التعبير بها عنه.

---

(٦٠) بهاء الله، الإيقان (ترجمة دريفوس)، المجلد الثالث، صفحات ٩٩-١٢٧. بهاء الله، كتاب الكردي السابق ذكره، صفحات ٦-٧، ١٤-١٦ الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات ١١٧-١١٨، ١٩٩-٢٠٠، ٢٠٣-٢٠٥ الحجج البهية، صفحات ١١-١٢، ٨٥، ٨٨، ١٥٦-١٥٧، ١٦٨-١٧٢.

ويقول البابيون إنه لم يتسنَّ لنبي من الأنبياء أن يأتي بالمعنى الحقيقي للرسالة التي جاء بها، وذلك لأن الناس في زمان الأنبياء لم تكن لديهم القدرة على فهم المعنى الحقيقي آنذاك. وذلك هو السبب الذي جعل الأنبياء -كما يقول البابيون- يحجبون المعنى الحقيقي للنصوص بالاستعارة والرموز. ونحن نختلف تمامًا مع ذلك القول؛ لأنه من الواضح لنا أنه كلما ضعف المستوى العقلي للناس لزم أن يكون معنى النص الذي بين أيديهم سهلا عليهم ميسورًا لفهمهم. وأما الاستعارة والكناية التي يتحدث عنهما البابيون لا معنى لاستخدامهما مع الناس طالما أن مستوى ثقافتهم لا يسمح لهم بفهمهما. وتتفق جميع كتب البابيين على أن الكتب التي جاء بها الأنبياء حتى مجيء الباب أو مجيء بهاء الله لم تبين للناس المعنى الحقيقي، وحسبما يرى أتباع الباب وأتباع بهاء الله أن الباب وحده أو بهاء الله وحده هو الذي يمكنه معرفة ذلك وحده[61].

وهذا الادعاء يجعلنا نرى أنه من الواجب عرض الفروض الثلاثة الآتية:

١- إما أن الأنبياء كانوا يجهلون هم أيضًا المعنى الحقيقي للنصوص التي جاؤوا بها، وبالتالي فهم جهلاء أرسلوا إلى جهلاء آخرين، وفي هذه الحالة لا نرى ضرورة لإرسالهم إلى الناس؛ لأن الغاية من تلك النصوص التي أمروا بتبليغها إلى الناس هي تعليم الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم.

٢- وإما أن الأنبياء يعلمون المعنى الحقيقي للنصوص والهدف منها ولكنهم قاموا بتفسيرها بصورة مختلفة عن مراد الله منها، وفي هذه الحالة يكون

---

(٦١) الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحات ٨١-٩٨. عبد البهاء، خطب ومحادثات عبد البهاء، صفحة ١١٩.

الأنبياء خائنين في تبليغ الرسالة بدلا من أن يكونوا أسوة حسنة للناس يعلمونهم الخير وفقًا لما أمروا به.

٣- وإما أن تكون رسالة الأنبياء مقتصرة على نقل النصوص التي أنزلها الله إليهم دون أن يأخذ الأنبياء في الاعتبار ضرورة تفسيرها للناس، وبالتالي يكون الأنبياء قد تركوا الناس عمدًا يتيهون في ظلمات النصوص وفي هذه الحالة لن يكونوا أقل خيانة من أنبياء الفرض السابق.

وأمام هذه الفروض الثلاثة نجدنا نتساءل: ما الغاية من إرسال الرسل إن كانوا يضلون الناس بدلا من هدايتهم؟! ونتساءل أيضًا: لماذا لم يكن عند العرب القدرة على فهم نصوص الكتاب الذي أنزله الله إليهم وهم يتلقونه عن محمد باللغة العربية وهي لغتهم الأصلية التي يجيدون استخدامها بخصائصها ودقائقها؟ هل كان من اللازم حتى يظهر للناس المعنى الحقيقي للقرآن ويتعلموه أن يأتيهم رجل غريب عنهم في عادتهم وتقاليدهم ولغتهم التي هي لغة القرآن والتي لا يعلم منها شيئًا على وجه الإطلاق؟ وهل كان ذلك الرجل في الحقيقة هو الذي يعلم وحده المعنى الحقيقي للقرآن ليظهره للناس من العرب؟ وكيف يمكن التوفيق بين ادعاء البابيين وبين الآية القرآنية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [سورة إبراهيم، آية: ٤].

وما القيمة والغاية من إنزال كتاب للناس بلغتهم الأصلية إن لم تكن الغاية أن يتعلموا مما فيه وأن يفهموه؟ ومن الملاحظ أو ربما من الغريب استحالة وجود أدنى إشارة للآية السابقة في كتابات البابيين. ألا توجد تلك الآية حقيقةً في القرآن الذي يستدلون به في كلامهم -وكلامهم في الحقيقة ليس بكلام- وذلك عندما يستشهدون به جهلا أو بسوء نية على ادعاءاتهم الغريبة؟! ربما أدرك البابيون أن

هذه الآية لا تقبل مثل هذا النوع من التفسير الذي تناولوا به نصوص القرآن وأن وضوحها الذي لا يدع مجالا للغموض لن يخدم مصالحهم الشخصية، ومن ثم أهملوا هذه الآية واستبدلوها بآيتين غيرها يرونهما أكثر مرونة وقابلية لتفسيرهم. وهاتان هما الآيتان اللتان لا يذكرون كعادتهم إلا جزءًا منهما.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة يونس، آية: ٣٩].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف، آية: ٥٣].

تتناول هاتان الآيتان التحذير الذي يوجهه الله للكافرين الذين لا يستندون إلى شيء في إنكار اليوم الآخر الذي يكون فيه الحساب. فكلمة تحقق الوعيد تحمل المعنى المناسب لكلمة «تأويله» الواردة في الآيتين. بينما حمل البابيون كلمة التأويل على التفسير لتبرير زعمهم بأن القرآن لم يتم تفسيره بعد وأنه ظل حبرًا على ورق منذ نزوله حتى جاء بهاء الله. فهم يقولون: «...لا يعلم تأويله إلا الله الذي يبينه عندما ينزل من السماء ويرفع الحجاب عن كل شيء»[٦٢]. ويرى البهائيون الذين أخذوا على عاتقهم بيان ذلك لنا أن بهاء الله هو المكلف بذلك عندما يأتي فيجسد ذات الله.

ويكفي القول إن البابيين قد أخطؤوا عندما قالوا إن كلمة التأويل تعني التفسير؛ وذلك لأن هذه الكلمة في اللغة العربية لها معنيان مختلفان يحدد السياق المعنى المراد منهما: المعنى الأول هو تفسير الكلمة أو النص كما قلنا بصدد الآية السابعة من سورة آل عمران، أما المعنى الثاني فيقصد به ما يترتب على الأمر المتحدث عنه[٦٣]. وهكذا نرى في هاتين الآيتين اللتين لم يوردهما البابيون بصورة

---

(٦٢) الجرفادقاني، مرجع سابق، صفحة ٩٦.

(٦٣) على سبيل المثال يقول الله تعالى في القرآن: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[سورة النساء، آية: ٥٩].

كاملة أن معنى كلمة التأويل هو محصلة البشارة المعلنة للناس وإن شئت فقل تحقيق التحذير الذي يوجهه القرآن للناس بأنه سيأتي يوم يحاسبون فيه على جميع أعمالهم في الدنيا. وهذا هو معنى كلمة تأويل في الآيتين ولا يمكن إعطاء هذه الكلمة معنى آخر؛ لأنه لا يقصد بالتأويل هنا تفسير النصوص وإنما أمور ستحدث وإنكار لوقوعها في المستقبل. وما تأخذه الآية الأولى على أولئك الذين ينكرون مجيء اليوم الآخر ويكذبون الإخبار به أنهم ينكرون بغير أدنى دليل يبرر الإنكار. هذا بالإضافة إلى أن هذه الآية تحذر الناس من العواقب الوخيمة الناشئة عن إنكارهم لليوم الذي يتحقق فيه ذلك الوعيد، فهو تحذير تهديدي، أما بالنسبة للآية الثانية فإنها تأخذ أيضًا على الكافرين إنكارهم للتحذير على الرغم من أن القرآن قد قرنه بذكر الأدلة وتنكر الآية عليهم أيضًا عدم التصديق وانتظارهم للتأويل يعني انتظارهم لتحقق الوعيد.

وعندما يحمل البابيون كلمة التأويل على التفسير فإنهم يقعون في تناقض مطلق مع بقية الآية التي يذكرون جزءًا منها فقط؛ وذلك لأن بقية هذه الآية واضح تمامًا، ثم إنهم يقعون في تناقض آخر مع الآيتين السابقتين لهذه الآية. وليس هناك أفضل من ذكر الآيات الثلاثة الواحدة بعد الأخرى معتمدين في ذلك على ترجمة سافاري:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ

يَفْتَرُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ٥١، ٥٢، ٥٣][٦٤]. وهكذا يستطيع القارئ أن يدرك أن الآيات تتحدث عن تحقق أشياء تم تحذير الناس منها من خلال إخبار القرآن بوقوعها، فليس في الآية أي إشارة لتفسير النصوص. ولو كان ذلك كذلك كما يزعم البابيون فكيف تُفهَم حينئذ الآية الخمسون من سورة الأعراف والتي يظهر معناها من خلال ترجمة مونتيه أكثر وضوحًا وأقرب للنص العربي والتي وُصِفَ القرآنُ فيها بأنه مفصل على علم؟ وهذا هو نص الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية ٥٢][٦٥].

ومن الواضح أن البابيين في تفسيرهم، عندهم مبدأ التشكيك فيما يؤكده القرآن، ولقد قدمنا أمثلة على ذلك فيما يتعلق بحديث القرآن عن بعض ما يقع في المستقبل، وسوف نقدم الآن أدلة على كلامنا آخذين في ذلك على سبيل المثال الأحداث الواقعة في الماضي والتي ذكَرَتْها الكتب المقدسة. فبصدد الحديث عن قصص آدم وحواء ونوح وغيرهم نجد أن البابيين يؤكدون عدم القدرة على قبول ما جاء في القرآن عن ذلك، كما يرفضون أيضًا العهد القديم. فيقولون عن آدم وحواء على سبيل المثال إن ما جاء في العهد القديم نقل إلى القرآن غير أن شيئًا من ذلك القصص لم يذكر في كتب البوذية أو البرهمانية أو الزرادشتية ويقولون إن هذه الأديان الأكثر قدمًا من الأديان التي جاء بها موسى ومحمد لا تشير إلى شيء من ذلك؛ لأن تلك القصص غير صحيحة. فما ذكره العهد القديم في ذلك، والقرآن فيما بعد، ليس قاطعًا عند هؤلاء الذين أحاطوا بكل شيء علمًا. ولكي يقرر البابيون شرعية عدم إيمانهم بذلك فإنهم يستندون إلى قول النبي ﷺ: «إنا نحن معاشر

(٦٤) القرآن الكريم (ترجمة سافاري). مطبعة الحلبي بالقاهرة الآية ٥١ عند سافاري هي الآية رقم ٥٣.

(٦٥) القرآن الكريم (ترجمة مونتيه) (سورة الأعراف، آية: ٥٠).

الأنبياء أرسلنا الله جميعًا لمخاطبة الناس على قدر عقولهم». ويواصلون إقامة الأدلة على كلامهم بقولهم: إن هذه القصص الواردة في الكتاب المقدس والتي يكررها القرآن قد انتشرت كقصص مأثورة بين الناس، وإن رسالة الأنبياء ليست لتعليم الناس القضايا المتعلقة بالتاريخ وعلوم الفضاء وغير ذلك من العلوم وإنما لتعليم الناس قضايا الدين. فليس مفروضًا على هؤلاء الأنبياء الاهتمام بهذه القصص، إنما كان يكفيهم الإشارة إلى ذلك في الوقت المناسب.

ويرى البابيون أن إسناد أي معنى آخر لهذه القصص غير المعنى الوارد في الكتاب المقدس أمر جد يسير.

كما يرى البابيون أنه من السهل أيضًا القول إن هذه القصص تخفي وراءها معنى مستترًا من خلال الكناية والاستعارة. وبالرغم من أن تلك القصص تتحدث عن أحداث ترجع بتاريخها إلى قديم الزمان إلا أن البابيين يرون وجوب اعتبارها رمزًا للأحداث المستقبلية المتعلقة بمجيء من يجسد ذات الله وهو بهاء الله.

ولكي تكتسب تلك الادعاءات شيئًا من المعقولية، يقول البابيون: إن الأنبياء لم يأتوا ليعلموا الناس التاريخ، فلا يمكن أبدًا أن نعتبر الكتب التي جاؤوا بها مصادر تاريخية ولا يمكن التصديق بالقصص التي تتناولها مثل معجزة نجاة نبي الله موسى على يد ابنة فرعون وخروج اليهود من مصر قاصدين بلاد كنعان. ومن جهة أخرى نجد أن البابيين يزعمون أن إغفال ذكر هذه الأحداث وغيرها من جانب كتب الأديان الأكثر قدمًا من أديان بني إسرائيل يمثل دليلا على أن شخصيات قصص الكتاب المقدس من أساطير الخيال[٦٦]. ويعد البابيون أن عدم

(٦٦) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات ٨-١٣.

ذكر هذه القصص من جانب البعض يعد دليلا على عدم وجودها أصلا. والغريب في ذلك أن البابيين يقولون إن كتب الأديان البوذية البرهمانية والزرادشتية قد طرأ عليها التغيير بالإضافة أو الحذف أو التحريف، دون أن يحدد البابيون معنى ذلك القول بوضوح، يظهر أنه قد ساورتهم بعض الشكوك فيها بعد، وليسمح لنا البابيون أن نقول -دون قصد منا لتجريحهم- إننا نعتقد أنه حتى لو ذكرت كتب الأديان القديمة أيضًا نفس القصص التي ذكرتها الكتب المقدسة فإن هؤلاء البابيين الذين يرفضون اعتبارها أحداثًا تاريخية تعوق تحقيق أهدافهم سوف يعرفون بنفس المهارة كيفية تحويلها إلى رموز لأحداث مستقبلية تبرِّر وتعلِن في كل مكان وصول بهاء الله إلى عرش الله.

ومع ذلك يعد البابيون القرآن كتابًا صحيحًا مقدسًا غير أن العجب العجاب في ذلك أنهم يطوعون القصص الوارد في القرآن لخدمة مزاعمهم. وما يهمنا في هذا الصدد هو أننا لا نستطيع قبول رأي البابيين الذي يقول إن بعض قصص القرآن مأخوذ عن الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية؛ لأننا نؤمن بالرأي القائل إن النصوص المقدسة التي وصلت للناس عن طريق رسل الله موسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- نزلت عليهم بالتتابع من الله.

ويناقض البابيون أنفسهم مرة أخرى؛ وذلك لأنه لو قلنا إن القرآن كتاب منزل من عند الله فإنه لا يمكن القول إنه مأخوذ عن الكتب الأخرى. ولا يمكن أن نقبل أن موسى هو واضع الألواح التي بلغها للناس وكذلك الحال بالنسبة لعيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-. فكل ما بلغه هؤلاء الأنبياء الثلاثة إلى أقوامهم هو كلام الله وليس بكلامهم. وعندما يقول البابيون إن القرآن أخذ عن الكتب السابقة فإنهم يضعون أنفسهم -جهلا أو عمدًا- بجانب من ينكر

نزول هذه الكتب عن طريق الوحي، وبالتالي ينكرون إرسال الرسل، أو يضعون أنفسهم بجانب بني إسرائيل الذين ينكرون رسالة عيسى ومحمد، ويزعمون أن هذين الرسولين هما اللذان وضعا النصوص التي يزعمان تلقيها عن طريق الوحي من الله ويقولون إن هذه الكتب مأخوذة عن كتب بني إسرائيل[٦٧].

إن تبني رأي اليهود ليس أمرًا يرضي البابية على وجه الخصوص إذ إنهم آمنوا بالباب وببهاء الله، فهذان الرجلان اللذان يعانيان من اضطراب في العقل قد قاما من منطلق عقائدهم الفاسدة بالاجتهاد في اقتباس ألفاظ القرآن في محاولة عبثية منهم بل ومستحيلة للإتيان بمثل آيات القرآن الكريم[٦٨].

فليخش البابيون إذن من الاتهام بأنهم أخذوا عن القرآن ونسبوه بغير حق إلى أنفسهم.

ونعتقد أنه لو علم اليهود المتشددون أن الأبحاث العلمية يمكن أن تكشف مع مرور الوقت نصوص بعض الشرائع المقررة منتظمة في ديوان قبل الشرائع التي جاء بها الكتاب المقدس والتي تتفق في عمومها مع شريعة موسى لتوقفوا عن إلصاق التهم بالكتابين المنزلين بعد التوراة.

أليس البحث العلمي المعاصر هو الذي أدى إلى اكتشاف القوانين المنسوبة إلى حامورابي (تقريبًا ٢٠٠٣-١٩٦١ قبل الميلاد)، ملك بابليون، والتي تتشابه معها شريعة موسى في عدة جوانب؟ فلو أن محمدًا وعيسى قد أخذا عن

(٦٧) مرجع سابق.

(٦٨) لقد أخطأ البابيون عندما تحدثوا عن الانتحال، وللرد على ما قام به الباب وبهاء الله فإنه يكفي قراءة البيان العربي «الألواح» للباب والتي أوردها مهدي خان في كتابه مفتاح باب الأبواب صفحات ٢٩٤-٣٢٨، والأقدس لبهاء الله.

العهد القديم وأن مجيئهما بعد مجيء موسى يبرر ذلك الفرض ويقدم كدليل ضد رسالتيهما المقدستين، فإن مثل ذلك الادعاء يمكن أن يطلق أيضًا على رسالة موسى وشريعته وسيكون ذلك من باب العدل، حيث إنه كان يكفي أن يكون هناك سابق لتوجيه التهمة لمن بعده بأنه أخذ عنه. ونذكر في هذا الصدد مؤلفًا لم يتوقعه أولئك اليهود المتشددون والتي تثير شهادته دهشتهم، وهذا نص ما ذكره سولومون ريناخ: «في هذا المعبد في بابليون قام حامورابي بوضع شريعة الأحكام في مائتين واثنين وثمانين مادة والتي عثر عليها في سوزي "suse" في نهاية عام ١٩٠١. كان حامورابي يزعم أنه أخذ تلك الشريعة عن إله الشمس شاماس الذي يقوم بنفس دور الإله المذكور في الكتاب المقدس على جبل سيناء.

وتتشابه قوانين حامورابي مع شريعة موسى تفسيرًا لا يمكن أن نفسره بالصدفة. بيد أن الشريعة البابيلونية تسبق الشريعة الموسوية بعشرة قرون. فإذا كانت شريعة موسى قد نزلت من عند الله، فإن الله يكون حينئذ قد أخذ ذلك عن حامورابي»[٦٩].

وانطلاقًا من الرأي القائل إن جميع الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء إلى الناس جاءت بطريق الوحي من الله، وحيث إن المبادئ الأساسية التي جاءت بها جميع الكتب السماوية تمثل القاسم المشترك فيما بينها وإن التشريعات العملية وحدها هي التي يمكن أن يطرأ عليها بعض التغيير لتغير الزمان فإننا نقول: إنه ليس من العجيب أبدًا أن نجد بعض التشابه في مختلف الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء تشابها خاصًا ببعض المبادئ التي تبنى عليها التشريعات العملية. وحينما ننظر إلى علاقة الأنبياء بالله نجدها لا تخرج عن علاقة المتعلم بمعلمه، وحيث

(٦٩) سولومون ريناخ، أورفيوس (التاريخ العام للأديان) صفحة ٤٩.

إنهم تلقوا بالتتابع التعاليم من نفس المصدر ولقنوا نفس القواعد فيتضح لنا أنه ليس من الممكن أن نقول عن هؤلاء الأنبياء إن بعضهم قد انتحل بالتتابع كلام الآخر. وفي الحالة التي ذكرها سولومون ريناخ أنه لو كان هناك انتحال فسيكون انتحال حامورابي لكلام من هو أقدم منه وهو في تلك الحالة إبراهيم، حيث إنه سابق لحامورابي.

ولقد سبق وأن ذكرنا الحديث الذي ينسبه البابيون إلى النبي ﷺ: "نحن معاشر الأنبياء أرسلنا لمخاطبة الناس على قدر عقولهم". ولا نستطيع أن نجد في هذا الحديث أي إشارة تجعل البابيين يقولون إنه يمكن أن نجد في الكتب التي جاء بها الأنبياء قصصا لا يتفق مع الواقع. إذ لا يجب على الأنبياء أن يعلموا الناس التاريخ أو العلوم وإنما الدين، وإنه يمكنهم فقط مسايرة الناس بذكر تلك القصص. فهل أراد البابيون بذلك الإشارة إلى مسايرة الأنبياء الناس بذكر تلك القصص حتى ولو كانوا يعلمون أنها غير واقعية؟ وهل يمكن أن يعد ذلك هو معنى الحديث الذي يطلب الله فيه من رسله مخاطبة الناس على قدر عقولهم أو قدر معرفتهم؟ فإذا كان ذلك ما يريد البابيون الإشارة إليه. فإن ما فعله الأنبياء يعد حينئذ خيانة للرسالة التي أمرهم الله بتبليغها وهو ما لا نعتقد فيه، وبالتالي فإننا ندحض المعنى الذي يخلعه البابيون على هذا الحديث بهدف التشكيك في محتوى القرآن.

هل من غير الجائز في حق الأنبياء الذين صححوا معتقدات الناس أن يصححوا لهم معارفهم فيما يتعلق بمسألة القصص بهدف تمييز الصحيح من الخطأ لا سيما عندما يتعلق ذلك القصص بالمبادئ الأصولية للدين؟ فمزاعم البابيين التي تقول إن الأنبياء قد نزلوا إلى مستوى عقول الناس الذين أرسلوا

إليهم وأنهم سايروهم في تقاليدهم الشرقية مع العلم بأنها خاطئة ليست إلا مجرد إشارات مغرضة من جانب البابيين بقصد الإساءة للأنبياء وبقصد إخفاء جهل الباب وبهاء الله. فالحق أنه في كل مرة يذكر هذان الرجلان أمرًا مجانبًا للصواب نجد أن البابيين يبررون بأن ذلك لمسايرة الناس في عقائدهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم.

ونرى أن التأكيد المتواصل في هذا الحديث على الطريقة التي يجب على الأنبياء اتباعها في مخاطبة الناس من شأنه هدم مذهب البابيين؛ لأن هذا المذهب كما ذكر من قبل قائم على الزعم بأن جميع الأنبياء قد أخفوا المعنى الحقيقي للكتب التي جاؤوا بها تحت ستار بعض المصطلحات الغامضة والاستعارية. ونعتقد في مقابل ذلك أن بيان الحقيقة في صورتها البسيطة يمثل الطريقة المقبولة عقلا والميسورة للتفاهم مع الناس، وتعد هذه الطريقة بالتأكيد أكثر سهولة من اللجوء إلى الاستعارات والكنايات. ويتضح لنا من ذلك أن التأكيد الوارد في الحديث يعني بوضوح أنه لا يجب أن نحدث الناس حديثا لا تبلغه عقولهم. ورسالة الأنبياء التي أمروا بتبليغها من خلال الكتب التي أنزلت عليهم لم تكن تهدف بالطبع لتعليم الناس القضايا التاريخية أو مختلف العلوم، وإنما إرساء الأحكام الشرعية لهداية الناس إلى الخير.

والعبرة من ذكر القصص الوارد في القرآن ليست بعيدة عن رسالة الأنبياء. فهذا القصص المتعلق بالأنبياء السابقين وبالأقوام التي تحدث عنهم كان يهدف دائمًا من خلال مقارنة كلامهم إلى تقديم المثال لما يجب على الإنسان أن يفعله أو أن يجتنبه لكي يصل إلى الخير ويجتنب الشر الذي كانت عاقبته هلاك من كان قبلهم من الكافرين في العصور الأولى.

ويجتهد الجرفادقاني في التشكيك في صحة هذا القصص الوارد في القرآن والذي يتحدث عن الأنبياء السابقين وعن موقف الناس من رسالتهم التي أرسلهم الله بها إليهم، فيقول: إن الأنبياء أرسلوا إلى الناس لهدايتهم إلى طريق الخير وليس لجعلهم مؤرخين وعلماء تنجيم وطبيعة، ولذلك أظهر الأنبياء تسامحًا حيال معارف الناس العلمية أو الأسطورية ولم يرد الأنبياء أن يتناقشوا معهم حول قيمة هذه المعارف ودرجة صحتها، بل كانوا يتحدثون عنها مثلهم وفق ما كان متعارفًا عليه بين الناس من ذلك عن طريق التقاليد الموروثة. ويظهر من ذلك كله كما يقول الجرفادقاني أنه لا يمكن للعالم الحقيقي أن يستند في القضايا التاريخية إلى ما ذكره القرآن والأحاديث النبوية[٧٠].

وبصدد تلك العبارة التي أشرنا إليها أعلاه، نرى أنه من الواجب علينا أن نقول إن الجرفادقاني قد استلهم ذلك من فكرة للشيخ محمد عبده (١٢٦٥-١٣٢٣هـ= ١٨٤٩-١٩٠٥م) في كتابه رسالة التوحيد، باب: «رسالة الأنبياء». وهذه الفكرة يقبلها الإسلام بالطبع إلا أن الجرفادقاني أوردها ليستفيد منها بالطريقة المعهودة عنده وعند البابيين الآخرين وهي طريقة تتسم بالغرابة.

بالبحث في كتابات الشيخ محمد عبده، استطاع الجرفادقاني أن يعثر على جملة في عبارة يستند إليها في القول بمعنى يخالف الإسلام ويخالف ما أراد المؤلف أن يعبر عنه في تلك العبارة. وهذا نص ما ذكره العالم الجليل: «أما تفصيل طرق المعيشة والحذق في وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أُعد للوصول إليه من أسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة

(٧٠) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات ٩-١٨.

العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه...»[٧١]. ونلاحظ هنا أن الجرفادقاني إذا كان كما نرى قد اقتبس بالفعل من هذا النص للشيخ محمد عبده فإننا نجده قد اقتطع جزءًا هامًّا من عبارة المؤلف وأغفله وهذا الجزء هو «... إلا من وجه العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه»، فبدون هذا الجزء من العبارة نجد أن الباقي لا يعبر عن المعنى الذي يقصده المؤلف، وبالتالي وقع تحريف كبير وملحوظ في الفكرة التي يريد التعبير عنها. ومع ذلك نجد الجرفادقاني متمسكًا بذلك التحريف ليؤكد أن الأنبياء بما فيهم النبي محمد ﷺ لم تكن لديهم الأهلية التي تجعلنا نستند إلى كلامهم أو إلى ما ورد في الكتب التي جاؤوا بها فيما يتعلق بالجانب التاريخي؛ وذلك لأن رسالتهم كانت بعيدة عن ذلك الجانب، وبالتالي لا يمكن التصديق بالقصص التاريخي الوارد في القرآن.

ونذكر في هذا الصدد واقعة أخرى من هذا النوع، حيث يقول محمد عبده في نفس المرجع الذي ذكرناه آنفًا وفي نفس الباب: «إن دور الأنبياء ليس بدور الأساتذة ولا بدور معلمي الفنون التطبيقية، لذا لم ينقلوا لنا المعارف التاريخية ولا تفسير ظاهرة الكواكب وحركتها ولم يبينوا لنا طبقات الأرض التي تخفى علينا ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها ولا الحيوانات لاستمرارها أو لبقاء نوعها...»[٧٢].

ونرى أن الجرفادقاني باستناده إلى هذا النص أيضًا قد أغفل القول إن الشيخ محمد عبده يواصل حديثه بما يلي: «نجد في كلام الأنبياء إشارات إلى حالة الكواكب وشكل الأرض وغير ذلك، غير أن هذا الكلام يهدف إلى جذب الانتباه إلى آيات

(٧١) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد (الترجمة الفرنسية) صفحة ٨١.

(٧٢) مرجع سابق، ص٨٣.

الحكمة الإلهية ودعوة العقل إلى التأمل في أسرار الكون وتدبر آياته. فالتعاليم التي ينقلها الأنبياء إلى أقوامهم يجب ألا تتعدى قدرتهم على الفهم وإلا ضاعت الحكمة من إرسال الرسل...»[٧٣]. فالشيخ محمد عبده لا ينكر انشغال الأنبياء بالمسائل المتعلقة بالتاريخ والعلوم للاعتبار بما حدث للأمم السابقة ولجذب انتباه الناس إلى جمال ما أوجده الله من منافع في هذا الكون وهو ما يجب أن يكون مصدرًا لإرضائهم ولنفعهم. ويرى الشيخ محمد عبده وفقًا لتعاليم الإسلام أيضًا أن ما أخبر به الأنبياء من القضايا المتعلقة بالتاريخ والعلوم مما جاء في القرآن يجب أن ينظر إليه على أنه مطابق للواقع، فالإسلام لا يقول إن هذا القصص مأخوذ من تعاليم الكتاب المقدس وإنما هو وحي من الله وجزء لا يتجزأ من رسالة الأنبياء.

فالجانب التاريخي في القرآن وهو ما يقصد به القصص الذي يتناول تاريخ الأمم وأنبيائهم والأحداث المتعلقة بهم يمثل -بخلاف ما يعتقد الجرفادقاني- جانبًا كبيرًا من رسالة النبي محمد ﷺ. وأما المسألة التي لا تمثل جزءًا من رسالته ﷺ ولا رسالة غيره من الأنبياء فهي كما يزعم هذا المؤلف البابي أن الأنبياء قد أخفوا على الناس المعنى الحقيقي للنصوص التي أنزلها الله وذلك عن طريق الألفاظ الغامضة الملغزة.

فالقرآن لا يريد أن يجعل لنصوصه معنى يختلف عن المعنى الذي تعبر عنه اللغة العربية ببيانها ووضوحها. ويجب قبول المعنى الظاهر طالما لا يتعارض مضمونه مع الفطرة السليمة. ولا يجب لَيّ عنق النص لتحميله ما لا يحتمل. وفي حالة ما إذا كان هناك تعارض ظاهر بين المعنى الظاهر وبعض المبادئ الشرعية أو العقل الإنساني أو معطيات العلم، فيجب حينئذ أن نبحث من خلال الاستخدام

(٧٣) مرجع سابق، ص٨٤.

السليم لقواعد اللغة العربية عن معنى آخر لرفع التعارض، وذلك ما سبق وأن أطلقنا عليه لفظ التأويل. أما إقصاء المعنى الظاهر للكلمة بغير دافع وجيه لمجرد تحميل اللفظ ما لا يحتمل كما يفعل الباطنيون فإن ذلك يعد تعديًا صريحًا على قواعد اللغة العربية.

يقول الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ= ١٠٥٨-١١١١م): «تنقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين: يختص القسم الأول بالعقائد والإيمان، ويختص القسم الثاني بالأحكام العملية. وتنقسم أحكام العقيدة إلى ثلاثة أقسام: الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما دون ذلك من الأقسام الثلاثة يعد من الفروع». ويقول الغزالي أيضًا: «إن من ينكر شيئًا من هذه العقائد يصبح كافرًا، أما من ينكر شيئًا من الفروع لا يصبح كافرًا بشرط ألا يكون هذا الفرع جزءًا لا يتجزأ من الإسلام، فعلى سبيل المثال إذا قال رجل: إن الكعبة ليست الكعبة «البناء» التي أمر الله بالحج إليها فهذا الرجل يعد كافرا». ويقول أيضًا: «إن من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة بزعم اقتصاره على تفسير هذا الحكم ثم يعطيه تفسيرا لا تقبله اللغة العربية لا من قريب ولا من بعيد، فإن هذا المنكر كافر رغم ادعائه استناده إلى التفسير لتبرير وجهة نظره».

ويقدم الغزالي مثالا على ذلك بما وجده في كتب الباطنية حيث يقولون: «الله واحد وهذا يعني أنه معطي الوحدة وخالقها. الله عليم وهذا يعني أنه معطي العلم وخالقه. الله واجد وهذا يعني أنه خالق وموهب للحياة». ويقول الغزالي إن: «مثل هذا التفسير يعد كفرًا بواحًا، فانتزاع الكلمة التي تدل على الوحدة من معناها واستخدامها في معنى إعطاء الوحدة وخلقها يعد بعيدًا عن التأويل ومرفوضًا في اللغة العربية». ويضيف الغزالي بأننا: «إن قلنا إن الله واحد لأنه

معطي الوحدة وخالقها فإن هذا يمكن أن يجعلنا نقول إن الله ثلاثة أو أربعة لأنه خالق الثلاثة والأربعة[٧٤].

ويستند البابيون في تفسيرهم لنصوص القرآن إلى قول الباطنية إن القرآن الكريم له معنى ظاهر ومعنى باطن، ويقولون إنه وراء كل معنى ظاهر عدة معان باطنة ووراء كل معنى من هذه المعاني الباطنة عدة معان أخرى أكثر خفاء[٧٥]. ويستدلون على ذلك بحديث مشكوك في صحته وهذا نصه: «كل آية أنزلها الله لها معنى ظاهر وباطن». هذا الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ عن طريق الحسن البصري (٢١-١١٠هـ= ٦٤٢-٧٢٨م) لكن هذا الحديث لا يعول عليه؛ لأن الحسن البصري لم يذكر الصحابي الذي أخذ عنه. وعلى كل حال فإن العلماء يقولون: إن المقصود من كلمة ظاهر الواردة في هذا الحديث هو المعنى الحرفي للنص وبكلمة باطن روح النص، والحسن البصري لا يختلف مع العلماء حول هذا التعريف[٧٦].

ويتضح مما سبق كما يقول الشاطبي (٧٩٠هـ= ١٣٨٨م) أن المعنى الظاهر هو المعنى الذي تعبر الكلمة عنه حرفيًا. ولا يخفى فهم ذلك على من كان بصيرًا بلغة العرب. ولكي يكون المعنى الظاهر للكلمة هو المعنى المراد في الحقيقة فليس هناك أي شرط غير أن يكون موافقًا لقواعد استخدام اللغة العربية. ولكي يكون المعنى الباطن هو المعنى المراد للكلمة لا بد أن يتوافر فيه شرطان:

---

(٧٤) راجع أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة، مجموعة الجواهر، الغزالي، القاهرة، ١٣٤٣ هجرية، صفحات ٧٢-٧٥.

(٧٥) «عُرف الباب بأنه لا يقف في تأويله عند المعنى الباطن فحسب، وإنما يصل في تأويله إلى باطن المعنى الباطن للقرآن، بمعنى أنه لا يقف في تفسيره على المعنى الظاهري للنص أو على روح النص فحسب بل يصل في تأويله إلى روح القرآن الكريم»، السيد علي محمد الملقب بالباب، ا.ل.م، نيكولا صفحة ٢١١.

(٧٦) الشاطبي، الموافقات، المجلد الثالث، صفحات ٢٢٧-٢٢٨.

١ - أن يكون استخدام الكلمة موافقًا لقواعد استخدام اللغة العربية.

٢ - أن نجد لاستخدام الكلمة في اللغة العربية مقابلا لها يؤكد استخدامها للدلالة على معناها الباطن.

وإذا لم يتحقق شيء من تلك الشروط فإن استخدام الكلمة للدلالة على المعنى الباطن يعد مخالفًا لقواعد اللغة العربية وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم[٧٧].

فإذا كان فهم المعنى الباطن لنص القرآن، وهو ما يقصد به روح النص، ليس من السهل على الناس تصوره، فإنه لن يكون مع ذلك غريبًا على مستوى الاستخدام أو مستوى قواعد اللغة العربية. فمن اليسير على المثقف أن يدرك المعنى الباطن. ويمكن للعالم بلغة العرب وطرق استخدامها أن يتعرف على روح نصوص القرآن وأن يدرك مغزاها. وتعد القدرة على فهم النص وإدراك مغزاه هي العلم الحقيقي الذي يميز بين الناس في فهمهم للعلوم ولكتب الشرائع. فاختراع معنى لكلمة وادعاء أن هذا المعنى هو ما يجب فهمه منها ليس بالطريق الصحيح لفهم الكلمة. «لأن أي معنى من معاني نصوص القرآن الكريم يخالف قواعد استخدام اللغة العربية لا يجب اعتباره من علوم القرآن...، ومن ادعى عكس ذلك فادعاؤه باطل»[٧٨].

وذلك هو الحال بالنسبة للباطنية «... الذين يجردون نصوص القرآن من المعنى الظاهر ويزعمون أن المعنى الحقيقي لهذه النصوص يوجد وراء المعنى الظاهر وأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى هذا المعنى الحقيقي لا بعقله المجرد ولا

---

(٧٧) مرجع سابق، صفحات ٢٣٥-٢٣٦.

(٧٨) مرجع سابق، صفحة ٢٣٣.

بالبحث المتعمق، وإنما الذي يعرف فقط ذلك المعنى الحقيقي هو الإمام المعصوم وأن الناس لا يعرفونه إلا منه»[(٧٩)].

ويقدم الإمام الشاطبي أمثلة على المعنى الباطن وهو ما يقصد به روح النص، ونذكر منها مثالين: يذكر الإمام الشاطبي أن عمر بن الخطاب (٤٠ قبل الهجرة- ٢٣ بعد الهجرة= ٥٨٤-٦٤٤) كان يسمح لعبد الله بن عباس (٣ قبل الهجرة- ٦٨ بعد الهجرة= ٦١٩-٦٨٧) بحضور مجلس شيوخ صحابة النبي ﷺ. وفي يوم من الأيام سأل عبد الرحمن بن عوف (٤٤ قبل الهجرة- ٣٢ بعد الهجرة =٥٨٠-٦٥٢) عمر بن الخطاب عن سبب ذلك بالرغم من حداثة سن عبد الله بن عباس فأجاب عمر بأن ذلك بسبب فقه ابن عباس وعلمه، فلقد سأل عمر بن الخطاب ابن عباس عن السورة الآتية:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر].

فأجاب ابن عباس بأن ذلك نعي رسول الله ﷺ، وأن الله قد أعلمه بذلك. وأعرب عمر أمام الحاضرين عن اتفاقه مع هذا الرأي الذي يبين روح هذه السورة، وأنه متفق تمامًا مع ذلك التعريف. ونجد كما يقول الشاطبي أن المعنى الظاهر لهذه السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه وأن يستغفره إذا جاءه نصر الله والفتح، أما المعنى الباطن وهو ما يقصد به روح المعنى لهذه السورة فيبين نعي الله لنبيه ﷺ.

وهذا هو المثال الثاني: لما أنزل الله قوله إلى نبيه ﷺ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ

(٧٩) مرجع سابق، المجلد الأول، صفحة ٥١.

﴿دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فرح بذلك بعض الصحابة إلا عمر الخطاب فإنه بكى وقال: «فماذا بعد التمام إلا النقصان».

حيث أدرك أن هذه الآية بمثابة نعي رسول الله ﷺ وكان ذلك صحيحًا، حيث مات النبي ﷺ بعد ذلك بواحد وثمانين يوما(٨٠).

ويذكر الشاطبي بعض الأمثلة على التفسير الخاطئ للنصوص القرآنية والتي لا تعطي المعنى الظاهر ولا الباطن للقرآن مثلما فعل بيان بن سمعان عندما زعم أنه هو الذي تحدثت عنه هذه الآية القرآنية: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٣٨]. فمن الواضح في هذه الآية أن القرآن هو المعني بالبيان للناس ولا محل مطلقًا للحديث عن أي شخص في هذه الآية، ولكن لما وجد بيان بن سمعان كلمة بيان في الآية زعم نفسه صاحب المقام.

ويقول الشاطبي أيضًا نقلا عن بعض العلماء إن عبيد الله الشيعي، مهدي شمال إفريقيا كان له صاحبان يسمي أحدهما «نصر الله» والآخر «الفتح»، وكان الشيعي يقول عنهما: «إنهما هما اللذان ذكرهما الله في القرآن في هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾». ويقول الشاطبي في هذا الصدد: «إن أي إنسان عنده أثارة من عقل لا يفسر بذلك المعنى آيات القرآن؛ وذلك لأن نصر الله والفتح ما جاءا إلى هذه الحياة إلا بعد وفاة النبي ﷺ بعدة سنوات»(٨١).

ولقد أعطى الباب أيضًا لنصوص القرآن بعض التفسيرات الخيالية وقلد في ذلك أولئك الذين وصفهم الشاطبي بقلة العقل. ولقد سمى الباب

---

(٨٠) مرجع سابق، المجلد الثالث، صفحة ٢٢٨.

(٨١) مرجع سابق، صفحات ٢٣٣-٢٣٤.

نفسه «ذِكرًا» مدعيًا أنه المخصوص بالذكر في هذه الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ «الذكر= القرآن» وزعم الباب أيضًا أن كلمة بيان الواردة في القرآن يقصد بها كتابه البيان(٨٢). هذا بالإضافة إلى أنه قدم لنا لمحة عن نسبه واستند في ذلك إلى ما جاء في سورة النصر التي أشرنا إليها سابقا وادعى أن جده الكبير كان يسمى فتحًا وهذا الاسم موجود في القرآن(٨٣). وهذا يبرهن على غياب الإبداع عند الباب من خلال تفسيراته التي تثير الضحك لآيات القرآن، فعبيد الله الشيعي، مهدي شمال إفريقيا، وبيان بن سمعان قد ذكرا نفس الشيء ولكن من قبل أن يأتي الباب كما تبين ذلك للقارئ.

فالبابيون يقتبسون بوضوح من الباطنيين تفسيرهم الخاطئ لنصوص القرآن ويمكن أن نقول إنهم يريدون بذلك الإضرار بالإسلام ومحاولة إحداث بلبلة في عقول المسلمين. ويتبنى البابيون والبهائيون طرق الباطنية في التفسير ويقدرونها حق قدرها. فالثلاثة يفسرون على سبيل المثال «عصا موسى» بأنها «الدليل على بعثته»، وتفجر العيون من الحجر الذي ضربه بعصاه بأنه يعني «انتشار علم موسى»(٨٤). ويفسر الباطنيون كلمة الجن الواردة في قصة سليمان في القرآن «بالناس المؤمنين الذين يتمسكون بالمعنى الباطن للقرآن» ويفسرون الشياطين «بالناس الذين يؤمنون بالمعنى الظاهر للقرآن».

ويفسر البهائيون نصوص القرآن بنفس الطريقة تقريبًا، فيرون على سبيل المثال أن المراد بالملائكة هم «أصحاب بهاء الله وعباس» وبالشياطين هم «أولئك

---

(٨٢) الميرزا علي محمد الملقب بالباب، كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا) صفحات ٣-٤. البستاني، الموسوعة، مقال «البابية». مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحات ٣٠٢-٣٠٥.

(٨٣) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٤٥٣.

(٨٤) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات ٥٠-٥٤.

الذين لا يتبعونهم»[٨٥]. ومع ذلك فإن ما يسميهم البهائيون من أحباب بهاء الله ملائكة لا يعد تشبيها لهم بملائكة السماء إذ إنهم ينكرون أصلا وجود ما يسميهم القرآن بالملائكة.

ويقول البهائيون إن أثر الروح لا يظهر إلا من خلال وجودها في جسد إنساني وإن الذات اللامادية لا يمكن أن تكون فاعلة إلا من خلال جسد إنسان، وبالتالي فإن الروح التي يطلق عليها القرآن والكتب المقدسة اسم «ملك» ليست بالنسبة للبهائية إلا مجرد إنسان تجسدت فيه تلك الروح. وانطلاقًا من هذا التفسير لكلمة ملك نجد أن البهائيين يحرفون المعنى الصحيح لآيات القرآن التي تتحدث عن خلق العالم وخلق آدم. فيقول البهائيون عن خلق الله لآدم وعما ذكره القرآن من حديث لله وللملائكة عن الغاية من هذا الخلق: إن المعنى الحقيقي لهذه الآيات ليس كما يقول المسلمون. وهذا هو نص تلك الآيات: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة ص، الآيات: ٦٧-٧٤].

ويفسر البهائيون هذه الآيات بالطريقة الآتية:

«الرب بهاء الله، والملائكة هم أتباعه، واختصام الملأ الأعلى هو اختصام أتباعه عندما عين ابنه الأكبر عباسًا خليفة له، وهو ما كان يطلق عليه «الفرع الكريم للأصل القديم» والذي أمر أتباعه بالسجود له، والشياطين، يقصد بذلك

(٨٥) مرجع سابق، صفحات ٢٩-٣٠.

أولئك الذين استكبروا وكانوا من الكافرين، هم الذين عصوا أمر بهاء الله، ورفضوا أن يكون عباس خليفة له وناصروا أخاه الذي أصبح فيما بعد إبليس، زعيم الكافرين[٨٦].

وهكذا نجد كما قلنا من قبل أن البهائيين يفسرون قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بظهور بهاء الله وأتباعه. ويزعمون أيضًا أن بهاء الله هو رب العالمين الذي تتحدث عنه الآية الثانية والعشرون* من سورة الفجر ونذكر فيما يلي تلك الآية في السياق الواردة فيه حتى يتبين للقارئ التفسير الغريب الذي يقول به البهائيون:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[٨٧].

ونجد من خلال تلك الآيات الثلاث وكذلك في الآية السابق ذكرها أن لا مجال للحديث فيها عن المجيء الحقيقي والمادي لله إلى الأرض وإنما هو أمر الله للملائكة الذي يجب تنفيذه يوم القيامة عندما تتحقق علامات ذلك اليوم.

ولكن يرى البهائيون أن بهاء الله عندما تجسدت فيه ذات الله جاء في ظلل من الغمام وفي جمع من ملائكته ويقصدون بالملائكة أتباعه. وهم يتبعون في ذلك رأي السبئيين الذين يقولون بتأليه علي، زاعمين أنه الله الذي جاء في ظلل من

(٨٦) مرجع سابق، صفحات ٢٢-٣٠. بعد موت الباب، اختصم الأخوان بهاء الله ويحيى نوري (صبح الأزل) في خلافة الفرقة البابية وحدث مثل ذلك الخلاف بعد موت بهاء الله واختصم ولداه عباس والميرزا محمد علي في خلافته. راجع مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ٤.

* المترجم: ذكر الباحث أن الآية محل الاستشهاد رقم ٢٣، والصحيح أنها رقم ٢٢ فلزم التنويه.

(٨٧) القرآن الكريم، سورة الفجر، آيات: ٢١، ٢٢، ٢٣.

الغمام أو رأي الخابطيين[٨٨] القائلين بألوهية المسيح وبأنه إله العالمين الذي ذكره القرآن في الآيات المذكورة أعلاه. ولم يغير البهائيون شيئًا من تفسير الباطنيين للقرآن وغيرهم من المعطلة في الإسلام. هذا بالإضافة إلا أن الطريقة التي اتبعها البهائيون في تحريف معنى آيات القرآن عن معناها الصحيح في محاولة منهم للتشكيك في عقائد الأديان السماوية ليست إلا تطبيقًا كاملا للمنهج الذي اتبعه القرامطة والإسماعيلية الباطنية على وجه العموم وهم من الزنادقة الذين نتحدث عنهم فيما بعد بالتفصيل.

ونريد أن نضيف إلى الأمثلة التي سبق وأن ذكرناها حول تفسير البابيين لآيات القرآن مثالا آخر لبيان زعمهم بأن القرآن اعترف بشرعية الصابئة الزرادشتية كعقيدتين مماثلتين للعقائد اليهودية والمسيحية والإسلام أيضًا، ويستدلون على ذلك بالآية القرآنية الآتية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى، آية: ١٣]*[٨٩]. فأين ذكر الصابئة في هذه الآية؟

يقول الجرفادقاني: إن الصابئة هي ما وصى الله به نوحا!

---

(٨٨) السبئيون هم أتباع عبد الله بن سبأ ذلك اليهودي الذي ادعى دخوله في الإسلام في زمان الخليفة الثالث عثمان. وهذا اليهودي هو أول من حاول إدخال بعض الأفكار الغريبة منها على سبيل المثال: «المذهب القائل إن الروح يمكن أن تتقمص أكثر من جسد، تأليه علي، وعودة محمد وعلي إلى الأرض. راجع في ذلك البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحات ٢٤١-٢٥٤، والشهرستاني، الملل والنحل على حاشيته الفيصل لابن حزم، المجلد الثاني، صفحة ١٢. الخابطية: هم أتباع أحمد بن خابط الذي كان من المعتزلة والذي كان يزعم أن للعالم إلهين: الأول قديم وهو الله والثاني محدث وهو عيسى ابن مريم الذي أوكل الله القديم إليه مهمة خلق العالم. راجع البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٢٦٠-٢٦١، والشهرستاني، مرجع سابق المجلد الأول. ص٦٧-٦٨.

* المترجم: ذكر الباحث أن الآية رقم ١١ من سورة الشورى والصحيح أنها ١٣ فلزم التنويه.

(٨٩) ترجمة كازميريسكي.

وإذا وضعنا في الاعتبار -وهو ما سبق تكرار ذكره- أن جميع العقائد الأساسية والمبادئ الأخلاقية تمثل القاسم المشترك بين جميع الأديان السماوية إذ إنها تدعو جميعًا إلى الإيمان بوحدانية الله وبالحياة الآخرة وبالقواعد الأخلاقية فإنه لا يمكننا أن نقبل القول بأن هذه العقائد وهذه الأصول الإيمانية لا سيما وحدانية الله يمكن أن تتشابه مع عقيدة الصابئة التي تمثل الشرك الخالص بدعوتها إلى عبادة النجوم. ولا يمكن أن تعد الصابئة دينًا لنوح؛ لأن الأنبياء كانوا يدعون جميعًا إلى التوحيد كما بين القرآن ذلك. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٢٥](٩٠).

ومن ثم فأين يمكن أن نجد في الآية الثالثة عشرة* من سورة الشورى والتي سبق ذكرها آنفًا والتي يستند إليها البابيون، ذكر الديانة الزرادشتية القائمة على ثنائية المعتقد التي تقدس النار وتعبدها وتؤمن بأن الكون قد خلق من النور والظلمات؟ ويسمون الضوء في الحقيقة «بإله الخير» والظلام «بإله الشر». ويقول البابيون عن الديانة الزرادشتية إنها دين إبراهيم الوارد ذكره في آية الشورى، كما ذكروا أن الديانة الصابئة هي دين نوح، ولكن من هو إبراهيم الذي تتحدث عنه الآية؟

إنه حسب زعم البابيين إبراهيم زرادشت، مؤسس الديانة المجوسية. يقول محمد فاضل في كتابه الحراب، صفحات ٢٠، ٢١: «يدعي البهائيون ومنهم الجرفادقاني، القائم على نشر الديانة البهائية في مصر، بأن زرادشت كان يسمي نفسه إبراهيم وأنه هو المخصوص بالذكر في الآية الآتية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ

---

(٩٠) ترجمة مونتيه.

* المترجم: نفس الملاحظة السابقة.

ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [سورة الأعلى، الآيتان: ١٨، ١٩]. ويؤكد أن إبراهيم الوارد في الآية ليس هو النبي إبراهيم الذي يعرفه المسلمون؛ لأننا لا نجد في القرآن -كما يذكر الجرفادقاني- ولا في غير القرآن ما يبين أن النبي إبراهيم قد جاء بدين جديد نزل إليه في صحف أو ألواح مثلما أنزل على موسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- ممن جاؤوا حديثًا أو من الأنبياء الذين جاؤوا قديمًا مثل بوذا وكونفشيوس وبرهمان وزرادشت؛ لأنه كان أمة وحده حيث لم يرسل إلى أحد يعني إلى أمة من الأمم السابقة، فالتعاليم التي نزلت على إبراهيم لا تختص بأحد غيره، ولم تكن رسالته نشر تلك التعاليم بين الناس، وبالتالي فلا يوجد هناك أحد غير إبراهيم زرادشت مؤسس الديانة المجوسية التي تعد من أكبر الديانات وأكثرها أهمية».

وعلى الرغم من جدية ومصداقية صاحب كتاب «الحراب» وأن ما ينسبه من قول إلى الجرفادقاني وفقًا للأسلوب العربي والمصطلحات المستخدمة عادة بأنه له، فإننا نشكك إلى حد ما في صحة ما ينسبه إلى الجرفادقاني؛ لأننا وجدنا في مؤلفات الجرفادقاني هذا البيان التالي:

«ظهر إبراهيم زرادشت في بلاد فارس في العصور القديمة، وعلَّم أهل فارس عبادة الرحمن، ومحا الشرك في عقيدتهم، وأعلن مجيء اليوم الآخر، وبين علامات ذلك اليوم، وأعلن أن شمس المهدي المنتظر «الباب» تشرق في آفاق الشرق وأن «الأصل القديم»، «بهاء الله» لا يخرج إلا من أصل فارسي»[٩١].

ويقول في نفس الكتاب أيضًا: «جاء في القرآن: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

(٩١) الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحة ٨.

وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾» ويضيف الجرفادقاني إلى ذلك قائلا: «انظروا كيف جعل الله الأديان السابقة الصابئية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلام دينًا يخرج من مشكاة واحدة»[٩٢].

ونستطيع تأكيد القول إن القرآن لا يذكر شيئًا عن ذلك الزرادشتي الذي يسميه الجرفادقاني بإبراهيم. فالقرآن الكريم لم يتعرض له لا باسمه هذا ولا بغيره. أما إبراهيم الذي أشار إليه القرآن وذكره في أكثر من ستين موضعًا فهو إبراهيم أبو إسحاق وإسماعيل وهو الذي رفع مع ابنه إسماعيل بناء الكعبة في مكة، وذكر القرآن الكريم أن الله قد أرسله إلى قوم يعبدون الأصنام ليخرجهم من عبادة الأوثان. ونسوق فيما يلي العديد من آيات القرآن التي لا تدع مجالا للشك في شخصية إبراهيم الحقيقة:

-﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

-﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾.

-﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

---

(٩٢) مرجع سابق.

-﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

-﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ *[93].

وحتى لا نرهق القارئ، فإننا نقتصر على ذكر تلك الآيات التي تثبت بها لا يدع مجالا للشك أن إبراهيم -عليه السلام- الذي تحدث عنه القرآن هو بالفعل أبو إسحاق وإسماعيل -عليهما السلام- وأن الله أرسله بالشرائع لتعليم قومه.

ونقول على الرغم من أن هذا الكلام يبدو أنه لا طائل من ورائه إنه هو إبراهيم الذي تحدث عنه الكتاب المقدس وذكر اسمه والبلد الذي ولد فيه، ونسبه ورسالته إلى قومه، وزوجتيه سارة وهاجر وذريته إسحاق وإسماعيل وانتقالاته والأحداث المتعلقة بابن أخيه لوط... إلخ. ولقد ذكر ذلك كله في سفر التكوين في الإصحاح الحادي عشر وحتى الإصحاح الخامس والعشرين. لذلك فإننا نتساءل في دهشة: كيف يمكن أن نقول أو بالأحرى أن نتصور أن النبي إبراهيم هو زرادشت الفارسي مؤسس الديانة المجوسية؟!

هذا بالإضافة إلى أن زرادشت ولد عام ٦٦٠ قبل ميلاد المسيح في قرية ماد بشمال غرب فارس. ولقد ذكر أتباعه كتابًا له يسمى فيستا ويزعمون أن الإله الأعظم «أهورا مازدا» هو الذي أنزله عليه، ولقد مات زرادشت نحو سنة ٥٨٣

---

* المترجم: ذكر الباحث ترقيمًا مختلفًا للآيات فعدل المترجم عنها إلى الترقيم الصحيح فلزم التنويه.

(٩٣) القرآن الكريم، (ترجمة مونتيه) سورة الأنبياء، آيات من ٥١ إلى ٥٦، سورة الأنبياء، آيات: ٧٠، ٧١، ٧٢، سورة الأعلى، آيات: ١٨، ١٩، سورة إبراهيم، الأيتان: ٣٨، ٣٩، سورة البقرة، آية: ١٢٧.

قبل ميلاد المسيح،[٩٤] أما النبي إبراهيم والذي لم يذكر إبراهيم غيره في القرآن فلقد ولد في مدينة «أور» من أعمال «كلدان» لنحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

ويريد البهائيون من خلال طرقهم الغريبة إخفاء مشاعرهم الحقيقية تجاه الإسلام فيتظاهرون للبسطاء من الناس بأنهم أكثر تقديرًا لمقام إبراهيم بوضعه في مرتبة أعلى من المرتبة التي يضعه اليهود والمسيحيون والمسلمون فيها، ويستدلون على ذلك بالآية التالية: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة النحل، آية: ١٢٠]*.

في هذه الآية يقول البهائيون إن كلمة أمة تعني «الجماعة من الناس» لذلك يقولون إن إبراهيم لم يرسل إلى أي قوم من الأقوام وإنما كان يعده الله أمة في ذاته[٩٥].

وطريقة البهائيين ليست إلا نوعًا من المكر؛ وذلك لأنهم بخلع صفة أمة من الناس عليه فإن نيتهم تنحصر في تجريده من جميع صفات النبوة والرسالة من أجل خلعها بعد ذلك على دعيِّهم المعروف إبراهيم زرادشت.

ونجد في اللغة العربية أن كلمة أمة تطلق ويقصد بها عدة معانٍ والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد من الكلمة والتي تستخدم في واحد من المعاني التي سنبينها فيما يلي وسوف نذكر آيات القرآن التي وردت فيها هذه الكلمة:

---

(٩٤) راجع لاروس القرن العشرين، المجلد السادس، صفحة ١١٤١ كلمة زرادشت. أحمد أمين، فجر الإسلام، صفحات ١١٧-١١٨ في إشارته إلى كتاب الأستاذ جاكسون، حياة زرادشت.

* الآية رقم ١٢٠ وليست ١٢١ من سورة النحل.

(٩٥) محمد فاضل، الحراب، صفحات ٢٠-٢١.

١- طائفة من الناس: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٠٤]*.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٨١]*.

٢- القوم أو الجماعة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [سورة آل عمران، آية: ١١٠].

٣- الفترة من الزمن: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ...﴾ [سورة يوسف، آية: ٤٥].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ...﴾ [سورة هود، آية: ٨].

٤- الدين والملة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٩٢].

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١، ٥٢].

ففي الآية ٩٢ من سورة الأنبياء والآية ٥٢ من سورة المؤمنون يقول الله للرسل إن أديانهم من ناحية ثوابت العقيدة ليست إلا دينًا واحدًا.

---

* ذكر الباحث أن الآية رقم ١٠٠ والصحيح أنها رقم ١٠٤.

* ذكر الباحث أن الآية رقم ١٨٠ والصحيح أنها رقم ١٨١.

٥- قدوة أو أسوة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل، آية: ١٢٠]*.

نجد في الآية التي يستند إليها البهائيون أن كلمة أمة تعني أن إبراهيم كان يمثل بمناقبه من صبر وشجاعة، وتقوى وطاعة خالصة لله، وعقل سليم القدوة الحسنة والأسوة التي يقتدى بفضائلها. فكلمة أمة تعني الإمام؛ لأن الإمام قائد وقدوة وأسوة للناس كما أثبتت الآية التالية ذلك لإبراهيم:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٢٤](٩٦) (٩٧) *.

فالبابيون الذين تنحصر نيتهم في ذلك على تحريف آيات القرآن الكريم وإخراجها عن مقاصدها لا يريدون فهم اللغة العربية حسب القواعد التي تحكمها والتي يقبلها ويلتزم بها كل من كان على علم بهذه القواعد ويتحدث هذه اللغة.

وعلى فرض أننا لو أخذنا كلمة ﴿أُمَّةً﴾ الواردة في الآية رقم ١٢٠ من سورة النحل بمعنى الأمة أو القوم، فإن ذلك لا يبرر زعم البهائيين بأن إبراهيم يجب أن يعد أمة وليس رسولا من الله بغير رسالة سماوية إلى قومه.

فمن الواضح في الحقيقة أنه عندما قيل إن إبراهيم أمة كان ذلك على سبيل التشبيه، حيث إنه كما ذكرنا كان عنده من الصفات النبيلة والفضائل ما لا يوجد

---

* ذكر الباحث أن آية سورة النحل رقم ١٢١ والصحيح أنها رقم ١٢٠.

(٩٦) القرآن الكريم، ترجمة مونتيه، سورة البقرة، آية: ١٢٤.

(٩٧) راجع الشيخ رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الثاني، صفحة ٢٧٦.

* ذكر الباحث أن آية سورة البقرة رقم ١١٨ والصحيح أنها رقم ١٢٤.

إلا عند الأمة العظيمة والكريمة، ولأنه كان وحده الذي يؤمن بوحدانية الله في قوم وثنيين جميعهم.

ولقد كتب الجرفادقاني في كتابه الدرر البهية فصلا خاصًّا في تفسير الآية التاسعة عشرة من سورة القيامة وسنذكر فيما يلي تلك الآية مسبوقة بالآيات السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة من نفس السورة، وذلك للتيسير على القارئ في فهم القضية التي تناولها تفسير الجرفادقاني:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة، آيات: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩][٩٨].

يقول الجرفادقاني في تفسيره لهذه الآية: إن فيها إشارة إلى مجيء بهاء الله الذي يبين للناس هذا الوحي وهو القرآن ويفسر لهم المعنى الحقيقي له.

فهذا الدور لا يمكن أن يقوم به أحد غيره فهو يمثل أعظم وأجل ظهور لله. أما الدور الذي يختص بمجرد تلقي الكتب المقدسة فهو من شأن الأنبياء الذين يقتصر دورهم على تلقي نصوص الوحي وتبليغها للناس وليس أكثر من ذلك. وبهاء الله هو الذي يستطيع وحده تفسير الكتب المقدسة بما فيها القرآن، وكشف أسرارها وأنه هو روح القدس الذي بشر المسيح بمجيئه في قوله: «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء». يوحنا: ١٤، ٢٦.

ويواصل الجرفادقاني حديثه بأن بهاء الله هو من أشار إليه النبي محمد ﷺ أيضًا في الآية التاسعة عشرة من سورة القيامة والتي ذكرنا ترجمة معانيها لكازميريسكي والتي تشتمل على حرف العطف «ثم». ويرى الجرفادقاني أن

---

(٩٨) ترجمة كازميريسكي.

القرآن قد أشار بهذه الكلمة إلى مجيء بهاء الله لبيان المعنى الحقيقي للقرآن الكريم. فكلمة «ثم» في اللغة العربية تفيد التتابع مع التراخي، وهذا يعني أن بيان المعنى الحقيقي للقرآن لا يمكن أن يكون إلا بعد مرور فترة من الزمن تفصل بين نزوله وجمعه من جهة وبين بيان معانيه من جهة أخرى.

ويقدم الجرفادقاني تفسيرًا غريبًا للآية التاسعة عشرة من سورة القيامة والآيات الثلاث الأخرى التي تسبقها فيقول: يدرك أصحاب العقول من الناس أن أصعب شيء على العالم الكبير أن يوضح للناس المعنى العميق لفكرة ما، ولذلك يمكننا أن ندرك حد المعاناة التي لاقاها النبي محمد ﷺ في الفترة التي كان يتلو فيها على الناس ما نزل من القرآن متفرقًا فكان هناك من بين أولئك الناس من يسأله عن معنى ما كان يقرأه. فكان النبي ﷺ يحرك لسانه محاولة منه أن يقدم لهم التفسير المطلوب ولم يكن يستطيع ذلك؛ لأنه كان يعلم جيدًا أن هؤلاء الناس لم يكونوا مؤهلين لفهم معناه. فنزل عليه في تلك اللحظة قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ...﴾، فيقول الجرفادقاني في هذه الآية: «لا تحرك به لسانك محاولا تفسير المعنى الباطن لنصوص القرآن وبيان أسراره إنما علينا نحن جمعه وبيانه فيما بعد».

ويضيف الجرفادقاني أن القرآن جمع على أيدي الخلفاء بعد موت النبي ﷺ. أما بيان القرآن فلن يتم إلا في الفترة التي استطاع الناس فيها فهمه. وفي تلك اللحظة يتجلى رب العالمين «في صورة بهاء الله» ويبين المعنى ويكشف الأسرار التي تنطوي عليها نصوص القرآن. وهذا هو تفسير الجرفادقاني للآية التاسعة عشرة والآيات الثلاث التي تسبقها(٩٩).

(٩٩) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات ٢٠٨-٢١١.

ويستند في ذلك إلى أن حرف العطف «ثم» الوارد في الآية التاسعة عشرة من سورة القيامة يفيد التراخي بين النزول وجمع نصوص القرآن، وبين تفسير هذه النصوص. وهذا يوضح وفقًا لكلام الجرفادقاني أن محمدًا لم يفسر نصوص القرآن؛ لأن رسالته كما هو الحال بالنسبة لرسالة جميع الأنبياء الآخرين تقتصر على تلقي النصوص وتبليغها، أما تفسير هذه النصوص فهو من شأن شخص آخر ليس من بين هؤلاء الأنبياء وهذا الدور لا يلائم إلا روح القدس ورب العالمين يعني بهاء الله.

ولا نريد الدخول في جدل مع الجرفادقاني حول روح القدس المبشر به من قبل المسيح ؛ لأن هذه القضية سوف تبعدنا عن موضوعنا وستجعلنا نخوض في البحث حول ماهية الشخصية التي بشر المسيح بمجيئها، وإنما نريد أن نقول: إن صاحب الدرر البهية لم يفهم وإن شئت أن تقول لم يرغب في فهم الآيات السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة من سورة القيامة والتي أفرد لها فصلا كاملا في كتابه فهو لم يفهم هذه الآيات؛ لأنه لم يرد الوقوف على المناسبة الحقيقية لنزول هذه الآيات ولا حتى أسباب نزولها.

ومع ذلك يمكن أن نقول: إنه اخترع مناسبة وأسبابًا مخالفة للحقيقة بغرض تحريف المعنى الحقيقي لهذه الآيات وإعطائها معنى من خياله ليصل إلى مآربه التي يسعى إليها، وهذه الآيات واضحة في معناها، حيث إن محمدًا ﷺ كان منشغلا بالحفظ في كل مرة كانت تنزل عليه آيات القرآن، وبما أنه كان أميًّا ليس لديه غير ذاكرته ويخشى عدم القدرة على حفظ هذه الآيات لتبليغها للناس كان يحرك لسانه في صمت أثناء الوحي، بمعنى أنه كان يسارع في أن يردد في نفسه كل آية بمجرد سماعها؛ فطمأنة لنفسه أمره الله بألا يتعجل وألا يشق على نفسه، ووعده

بجمع أجزاء القرآن المختلفة حتى لا يضيع منها شيء وبترتيب هذه الأجزاء التي نزلت عليه في أوقات مختلفة ومناسبات متعددة، وبيانها له حتى يستطيع بذلك بعد جمع القرآن الكريم أن يفهم معناه، وفي هذا الصدد قال الله تعالى له ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [سورة طه، آية: ١١٤] ترجمة سافاري*.

وهكذا كما يقول جميع مفسري القرآن فإننا لا نرى أن حرف العطف «ثم» الوارد في الآية التاسعة عشرة من سورة القيامة لا يعني مرور فترة طويلة من الزمن بين الوحي والجمع وبين تفسير نصوص القرآن كما يزعم ذلك الجرفادقاني؛ لأن هذه القضايا الثلاثة الخاصة بالنبي محمد ﷺ تم وقوعها في حياته وأوفى الله بوعده معه.

وتشتمل الآيات السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة من سورة القيامة على القضايا الثلاث الخاصة بجمع القرآن والتي طمأن الله بها نبيه ﷺ وهي الجمع والترتيب «القرآن» والبيان مما يحتاج إليه النبي ﷺ.

ولقد وردت هذه القضايا الثلاث بهذا الترتيب في الآيات الثلاث كما يلي:

١- الجمع. ٢- الترتيب «القرآن». ٣- البيان (١٠٠).

---

* ذكر الباحث أنها الآية رقم ١١٣ من سورة طه والصحيح أنها رقم ١١٤.

(١٠٠) فيما يتعلق بكلمة قرآن نريد أن نشير إلى أن فخر الدين الرازي جعل لهذه الكلمة معنيين: الأول: القراءة والثاني الجمع، ولكن بما أن هذه الكلمة الواردة في الآية السابعة عشرة من سورة القيامة مسبوقة بكلمة الجمع، فإن الرازي قد اعترض على نفسه بما يلي: القول إن كلمة قرآن تعني الجمع سيكون تكرارا؛ لأن كلمة جمع قد وردت بالفعل في هذه الآية. وأجاب على هذا الاعتراض بأن كلمة جمع في هذه الآية تعني جمع القرآن في ذاكرة النبي ﷺ، في حين أن كلمة قرآن تعني جمع نصوص القرآن. ونفضل القول إن معنى كلمة قرآن هو الجمع، وللرد على الاعتراض الذي اعترض به الرازي على نفسه يمكن أن نقول: إن الجمع الثاني الوارد في الآية والذي تم التعبير عنه بكلمة قرآن هو جمع غير الجمع الأول، يعني جمع لنصوص القرآن بالترتيب. وتؤكد الآية الثامنة عشرة على ذلك، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

ولقد وعد الله نبيه محمدًا ﷺ بهذه الأمور وأوفى بوعده معه في حياته. فكيف يمكن إذن أن نقول إن القرآن لم يتم بيانه منذ نزوله على محمد ﷺ وحتى مجيء بهاء الله، وإن هذا البيان قد اختص به رجل فارسي؟!

في اللغة العربية يستخدم حرف العطف «ثم» الذي يستند إليه الجرفادقاني في تفسيره للآيات التي بين أيدينا لعطف شيئين، وإذا كان استخدام هذا الحرف في اللغة العربية يفيد التراخي ويفيد عدم التراخي، فلماذا يقصره الجرفادقاني هنا على إفادة التراخي مما يعني مرور فترة من الزمن تفصل ما بين الوحي والجمع وما بين البيان الذي لم يقم به أحد غير بهاء الله؟ إن الهدف الذي كان يسعى الجرفادقاني لتحقيقه واضح تمامًا كما بينا ذلك فيما سبق.

ولقد أخطأ الجرفادقاني عندما لوى عنق كلمة «ثم» ليجعلها تفيد التراخي، كما أنه أخطأ عندما زعم أن جمع نصوص القرآن الوارد في الآية السابعة عشرة لم يتم إلا عن طريق الخلفاء بعد موت النبي ﷺ.

وهذا خطأ قد وقع فيه غيره عندما زعموا أن جمع نصوص القرآن وترتيبها لم يكن في حياة النبي محمد ﷺ وإنما كان في خلافة أبي بكر، الخليفة الأول (٥١ قبل الهجرة - ١٣ بعد الهجرة = ٥٧٣ - ٦٣٤) أو في خلافة عثمان الخليفة الثالث (٤٧ قبل الهجرة - ٣٥ بعد الهجرة = ٥٧٧ - ٦٥٦) وهذا الزعم من شأنه القول إن الترتيب الحالي للقرآن لم يكن وحيًا من الله لنبيه وإنما كان بالتالي غير معروف حتى وفاة النبي ﷺ. وكان القول السائد في الحقيقة إن جمع نصوص القرآن في المرة الأولى كان على يد أبي بكر وفي المرة الثانية كان على يد عثمان، ومن هنا كان الخطأ الذي وقع فيه الجرفادقاني وغيره كما نعتقد.

ولقد تحدث الأستاذ أحمد أمين في كتابه «فجر الإسلام» عن جمع نصوص القرآن وما ذكره في هذا الشأن كان يساند الرأي المخالف للواقع، حيث يقول: «نزل القرآن منجمًا على رسول الله ﷺ في نحو عشرين سنة[١٠١] وكان ينزل حسب الحوادث ومقتضى الحال، وتوفي رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن في مصحف، بل كان في صحف مفرقة كتبها كتاب الوحي، وفي صدور الحفاظ من الصحابة. وفي عهد أبي بكر أمر بجمع القرآن، ولكن لا في مصحف واحد، بل جمعت الصحف المختلفة التي فيها آيات القرآن وسوره، وكتب منها ما كان في صدور الرجال، وأودعت الصحف الكثيرة التي فيها القرآن عند أبي بكر. وانتقلت من أبي بكر إلى عمر، ثم إلى حفصة بنت عمر، حتى إذا تولى عثمان أخذ الصحف من حفصة وعهد إلى جمع من الصحابة منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، بجمعها في مصحف واحد، وكتب منه نسخًا كثيرة، وزعت على الأمصار، وأحرق ما يخالفه من الصحف»* [١٠٢].

ومما يجعلنا نندهش أن الأستاذ أمين يقول: «ولم يجمع القرآن في مصحف، بل كان في صحف مفرقة». فهذا الكلام يمكن أن يفهم منه أن الصحف التي تم جمعها لم تكن مرتبة في خلافة أبي بكر بنفس الترتيب الذي بينه رسول الله ﷺ في آخر حياته عند قراءته للقرآن، وذلك الترتيب الذي كان في تلك الفترة هو نفس الترتيب الحالي. ويرى الأستاذ أمين أن العمل الذي قام به أبو بكر لم يكن يهدف إلى شيء آخر غير جمع الصحف المتفرقة حتى لا يضيع منها نص دون المساس

(١٠١) أنزل القرآن على النبي ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، كما ذكر المؤلف ذلك على وجه التحديد في موضع آخر من المرجع الذي ذكرناه آنفًا، صفحة ٢٦٧.

* الاستشهاد الذي جاء به الباحث من كتاب «فجر الإسلام» لأحمد أمين ورد في الصفحة رقم ١٩٥، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٩٦٩.

(١٠٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، صفحة ٢٢٩.

بترتيب السور أو الآيات. وهذا من شأنه أيضًا أن يفهم منه -ودون قصد من الأستاذ أمين- أن الترتيب الثابت للقرآن لم يكن وحيًا من الله إلى نبيه ﷺ وإنما كان من عمل أصحاب النبي ﷺ، وهذا العمل لم يكن في خلافة أبي بكر ولا عمر وإنما كان في زمن لاحق وهذا مما لا يتفق مع الحقيقة.

ولم يكن جمع القرآن على أيدي الصحابة بعد موت النبي ﷺ إلا جمعًا مكتوبًا لهذه النصوص، ولقد فعلوا ذلك وفقًا لما علمهم إياه النبي ﷺ. ونعتقد أنه حتى لو لم يكن الجمع الكتابي على أيدي الصحابة فإنه لا يستطيع أحد أن يشكك في جمع القرآن وترتيبه في حياة النبي ﷺ، فلقد كان الجمع شفويًا وجزءًا من تلاوة القرآن.

في الحقيقة، تدل الآية السابعة عشرة من سورة القيامة على أن ترتيب القرآن وقع في حياة النبي ﷺ. ولم نرد تصحيح الترجمة التي قام بها كازميريسكي للآيات الأربعة المذكورة، وإنما نقول: إن ترجمة الآية السابعة عشرة كان ينبغي أن تكون كما يلي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾: «جمع الأجزاء» ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: «وترتيبها»؛ وذلك لأنه يوجد في النص العربي للآية كلمة «جمع» ثم كلمة «قرآن» التي تعني الترتيب.

هذا بالإضافة إلى أنه عندما ترجم كازميريسكي الآية السابعة عشرة بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾: «جمع أجزائه»، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: «وقراءته كما يجب» فإن هذه الترجمة تفيد معنى الترتيب إذ من الواضح أنه لا يمكن قراءة القرآن كما يجب إلا إذا كان بالطبع مرتبًا.

ولا تسمح فضائل أبي بكر وعمر وزيد بن ثابت وغيرهم من الصحابة لأحد أن يعتقد أنهم أهملوا عند جمعهم للقرآن القيام أيضًا بالترتيب وفق ما تعلموه من النبي ﷺ.

ولقد ذكر البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ= ٨١٠-٨٧٠م) في صحيحه ما يؤكد مذهبنا بأن جمع القرآن بأمر أبي بكر لم يهمل الاهتمام بترتيبه وفق ما علمهم النبي ﷺ إياه. ويذكر البخاري عن زيد بن ثابت أنه لما استشهد العديد من أصحاب النبي ﷺ في معركة اليمامة وكانوا من قراء القرآن الكريم أشار عمر على أبي بكر بكتابة القرآن خوفًا من استشهاد بقية الحفاظ في معارك أخرى مما يجعل جمع القرآن في النهاية -كما يجب- أمرًا مستحيلا. وردًّا منه على تلك المشورة قال أبو بكر لعمر: «كيف نصنع شيئًا لم يصنعه رسول الله ﷺ؟» ومع ذلك أصر عمر ونجح في إقناع أبي بكر وفوض أبو بكر زيد بن ثابت، وطلب منه بما أنه من كُتَّاب الوحي للنبي ﷺ أن يجمع القرآن.

واعترض زيد بن ثابت على ذلك كما اعترض أبو بكر من قبل وانحاز في نهاية الأمر إلى رأي عمر، ومع ذلك قال بهذه المناسبة: «والله لو أمرت بنقل جبل كان ذلك أيسر مما كلفت به في جمع القرآن»[١٠٣].

فما هو الشيء الذي جعل عمر يرى ضرورة المشورة على أبي بكر بهذا العمل؟

هل يرجع ذلك فقط إلى جمع أجزاء القرآن المتفرقة على صحاف النخل والرقاع وغيره... في نسخة واحدة بغير ترتيب للنصوص؟ إننا نعلم أن القرآن الذي نزل منجمًا وفقا للمناسبات خلال ثلاث وعشرين سنة لم يكن على الصورة التي بين أيدينا الآن، كما أننا نعلم أن النبي ﷺ في كل مرة كان ينزل عليه فيها الوحي كان يأمر بكتابته عن طريق كتاب الوحي، وتم حفظ القرآن كتابة عنده

(١٠٣) محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، المجلد السادس، صفحات ٧١، ١٨٣، والمجلد التاسع صفحات ٧٤-٧٥. راجع الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب لهوداس، المجلد الثالث، صفحتي ٥٢١-٥٢٢.

وعند صحابته، وبالتالي لم تكن تلك الصحائف مرتبة حينئذ فكيف يمكن أن نقبل في مثل تلك الظروف أن مجرد نسخ النصوص دون ترتيب يمكن أن يكون بدعة قد خشي أبو بكر وزيد بن ثابت بسببها الوقوع في عمل يخالف الإسلام؟ وأين يمكن أن تكمن المشقة التي يشبهها زيد بن ثابت بحمل الجبل إذا كان العمل الموكول إليه لم يكن أكثر من مجرد جمع نصوص القرآن؟ في هذا الصدد يمكن أن يكون هناك اعتراض على كلامنا بأن جمع النصوص وترتيبها لا يمثل أي مشقة ما دام هناك العديد من أصحاب النبي ﷺ وفيهم زيد بن ثابت. فهؤلاء الصحابة قد حفظوا القرآن بترتيبه وقام العديد منهم بقراءته أكثر من مرة على رسول الله ﷺ بالترتيب الذي علمهم إياه.

ونجيب على هذا الاعتراض بأن زيد بن ثابت الذي كان يتولى بحماس الإشراف على جمع القرآن لم يكن يقتصر على ما كان يعلمه على المستوى الشخصي عن الوحي وإنما كان يستند إلى ما كان عند غيره من الوحي وطريقة تلاوته، حيث إنهم سمعوا -كما سمع هو- النبي ﷺ يقول عندما ينزل عليه بعض آيات القرآن: «ضعوها في موضع كذا أو موضع كذا..» وكان يعينه بوضوح[١٠٤].

ومع ذلك لم يعتمد زيد بن ثابت على حفظه ولا على حفظ غيره وإنما كان يريد دائمًا الاطلاع على النصوص الأخرى المكتوبة لمقابلتها بكل دقة مع ما كان يحفظه هو أو يحفظه غيره. ولم يكن يكتفي بمصحفه الخاص بالرغم من أن مصحفه كما يقول ابن قتيبة -في كتابه المعارف في صفحة ١٣-: كان من بين مصاحف الصحابة الأكثر قربًا من المصحف الحالي. وما يؤكد ذلك كلام زيد بن ثابت الذي رواه البخاري: «وجدت آخر سورة التوبة عند أبي خزيمة الأنصاري ولم أجدها

(١٠٤) جلال الدين السيوطي، الإتقان، المجلد الأول، صفحة ٦٠.

عند غيره» وبما أنه ليس من المحتمل أبدًا أن تكون نهاية هذه السورة قد غابت عن ذاكرة جميع الصحابة إلا أبا خزيمة الأنصاري فإنه من المؤكد إذن أن تكون نهاية هذه السورة موجودة عند أبي خزيمة مكتوبة؛ لأن الصحابة كانوا يعولون على الحفظ أكثر من الكتابة؛ لأن الكتابة في ذلك الوقت لم تكن منتشرة وأن العديد من الصحابة كانوا أميين. وكانت هناك مصاحف خاصة ببعض الصحابة الذين يعرفون القراءة والكتابة ومع ذلك لم تكن كاملة مثل مصحف عبد الله بن مسعود مثلا الذي كان ينقصه -كما يقال- الفاتحة والمعوذتان من المصحف الحالي.

ولا نرى ضرورة لأن نولي أهمية خاصة لهذا الأمر؛ لأنه من الممكن جدًّا أن يكون ابن مسعود قد اعتمد على حفظه لتلك السور الثلاثة القصار والتي كانت معروفة بصفة خاصة بين الصحابة لا سيما الفاتحة إذ إنها جزء من كل صلاة من الصلوات الخمس عند المسلمين[١٠٥].

---

(١٠٥) يسوق جلال الدين السيوطي آراء مختلف علماء المسلمين حول غياب هذه السور الثلاث من مصحف عبد الله بن مسعود، وكذلك حول الاتهام الموجه إلى ابن مسعود بأنه محا المعوذتين من القرآن. ويروي السيوطي كلام الإمام النووي حيث قال: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئًا كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح». وكما يذكر السيوطي، يقول ابن حزم: «هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زِرٍّ عنه وفيها المعوذتان والفاتحة». وأورد السيوطي قول ابن حجر حيث قال: «ما نسب إلى ابن مسعود -محو المعوذتين من القرآن وإغفال الفاتحة- ثبت من عدة طرق صحيحة مثل: ١- رواية أحمد وابن حبان والتي تقول إن ابن مسعود لم يكتب المعوذتين في المصحف. ٢- رواية الطبراني وابن مَرْدَوَيْهِ والتي تقول إن ابن مسعود محا المعوذتين، وقال إنهما ليستا من كتاب الله. ٣- رواية البزار والطبراني والتي تقول إن ابن مسعود محا المعوذتين، وقال: «إن النبي ﷺ لم يكن يأمر بقراءتهما إلا للتعوذ». وإذا كان من الواجب أن نصدق بصحة ما نسب حقيقة أو زورًا إلى ابن مسعود في أمر المعوذتين وبأن مصحفه لا يشتمل على الفاتحة، فإنه يجب القول أولا إننا لم نجد قط أي إشارة إلى أن ابن مسعود لم يعتبر الفاتحة من القرآن، وبالتالي لا يبقى أمامنا غير مناقشة ما يلي: ١- محو المعوذتين من القرآن. ٢- إغفال الفاتحة من القرآن. أما ما يتعلق بالمحو فإننا نجد أن البزار نفسه والذي ينسب إلى ابن مسعود تفسير سبب المحو يقول إن قراءة ابن مسعود لم يتبعها أحد من أصحاب النبي ﷺ، كما ثبت أن النبي ﷺ قرأ المعوذتين في الصلاة، وهذا يعني أن المعوذتين تمثلان جزءًا من القرآن. ولقد ذكرنا أيضًا قول الإمام النووي: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن...». ويذكر ابن الصباغ أن ابن مسعود لم يستقر القطع عنده بأن المعوذتين جزء من القرآن. ثم حصل الاتفاق بعد ذلك وحاصله أنهما كانتا متواترتين (وبالتالي فإن ابن مسعود يعد من بين هؤلاء العلماء). وكما يقول ابن قتيبة فإننا نخلص من ذلك =

وبما أن العمل الذي كان يقوم به زيد بن ثابت هو -كما بيناه- نسخ القرآن وترتيب سوره وآياته التي أخذها عن النبي ﷺ وهذا الترتيب لم يكن موجودًا بالنسبة للصحاف المكتوبة المتفرقة ولم يكن معروفًا إلا عن طريق الرواية اللفظية، وبما أن زيدًا أخذ على عاتقه مقابلة ما كان يحفظه مع ما كان يحفظه غيره من الصحابة بالإضافة إلى مقابلة كل ذلك بالرقاع المنسوخة فإننا نستطيع أن ندرك حينئذ مدى الصعوبات التي اشتمل عليها هذا العمل.

وبالتالي قام زيد بن ثابت بناء على أمر أبي بكر بنسخ القرآن، وقام بجمعه بالكامل في هذا الترتيب وأصبح القرآن مُصْحَفًا كاملا لا ينقصه إلا التجليد! وهذا الأمر لم يغفل عنه المؤرخون الذين سجلوا ذلك وأكدوا عليه بقولهم: «أبو بكر هو أول من أطلق على القرآن اسم المصحف»[١٠٦]. «وهو أول من جمع القرآن بين دفتيه وأطلق عليه لفظ المصحف»[١٠٧].

ومن ثم فإننا لا نعرف لماذا قال أحمد أمين إن العمل الذي قام به زيد بن ثابت في زمان الخليفة الأول أبي بكر لم يسفر عن مصحف واحد وإنما كان لا يزال في صورة مجموعة من الصحاف مكتوب عليها ما كان مكتوبًا على الرقاع المختلفة؟

= بأن ابن مسعود لم يكن يعتقد في البداية أن المعوذتين من القرآن؛ لأنه سمع النبي ﷺ يعوذ بهما حفيديه الحسن والحسين. فيرى ابن مسعود أن المعوذتين دعاء وليستا من القرآن. ويضيف ابن قتيبة أن ابن مسعود في هذه الحالة قد وجد نفسه مخالفًا لجميع أصحاب النبي ﷺ.

وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة: ١- الشك ٢- النسيان ٣- الزيادة والنقصان. ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل واحد. (راجع جلال الدين السيوطي، الإتقان، المجلد الأول، صفحات ٧٩-٨٠).

(١٠٦) ابن الأثير، الكامل، المجلد الثاني، صفحة ١٧٨.

(١٠٧) أبو العباس القرماني، أخبار الدول وآثار الأُوَل (على هامش الكامل لابن الأثير)، المجلد الأول، صفحة ١٩٦.

ومع ذلك فإننا نلاحظ أن أحمد أمين في موضع آخر من كتابه فجر الإسلام يؤكد أن القرآن جمع في مصحف واحد في عهد أبي بكر وهذا القول الثاني يتعارض مع القول الأول[108].

ويتبين مما سبق أن القرآن حفظ كتابة في حياة النبي ﷺ على الرقاع المختلفة، أما ترتيبه كتابة فلم يكن قد تم بعد، ويتضح من ذلك أيضًا أن القرآن تم ترتيبه في نفس تلك الفترة ولكن كان ترتيبًا بالتلاوة[109]. ويذكر المؤرخون أن النبي ﷺ بين أنه قرأ القرآن على جبريل مرتين وهذا يعني أن القراءة كانت على الترتيب الموجود عليه القرآن بين أيدينا وكان ذلك في السنة الأخيرة من حياة النبي ﷺ[110] ويذكر المؤرخون أيضًا أن كثيرًا من الصحابة مثل أبي بن كعب (٢١ هجرية= ٦٤٢) وعبد الله بن مسعود قرؤوا القرآن كاملا عدة مرات على النبي ﷺ، وهذا يعني أنهم قرؤوه على الترتيب الذي هو عليه الآن[111]. ولا يمكن لأحد أن يعترض على ذلك بأن مصاحف هؤلاء الصحابة ليست على الترتيب الذي عليه المصحف اليوم؛ لأن ما صدر عن هؤلاء هو ما صدر عن غيرهم من الصحابة الذين كان لديهم مصاحف فقد كانوا يكتبون آيات القرآن أولا بأول بمجرد نزولها من أول الوحي وبالتالي يمكن أن نقبل بأنه لم يكن لديهم الوقت ولا القدرة العملية على ترتيب مصاحفهم، نعني بذلك الترتيب الذي كان يبينه لهم النبي ﷺ تلاوة؛ وذلك لأنه حينما تم الجمع والترتيب النهائي في عهد أبي بكر لم يعترض على ذلك أحد من

(١٠٨) أحمد أمين، فجر الإسلام، صفحة ٢٧٧.

(١٠٩) السيوطي، الإتقان، المجلد الأول، صفحات ٦١-٦٣، الألوسي، روح المعاني، المجلد الأول، صفحات ٢٣-٢٥.

(١١٠) البخاري، الصحيح، المجلد السادس، صفحة ١٨٦، المجلد الثامن، صفحة ٦٤. الألوسي، روح المعاني، المجلد الأول، صفحة ٢٥. السيوطي، الإتقان، المجلد الأول، صفحة ٦٢.

(١١١) الألوسي، روح المعاني، المجلد الأول، صفحة ٢٣.

الصحابة وإلا لكانت الفرصة سانحة أمام أبي بن كعب وابن مسعود للاعتراض على ذلك لو لم يكن الترتيب موافقًا للقراءة التي يعرفونها.

والاعتراض الوحيد الذي ظهر بشأن جمع القرآن وترتيبه كان في خلافة عثمان وهذا الاعتراض لم يكن على خطأ في الترتيب وإنما كان على حرق جميع المصاحف غير المتطابقة تمامًا مع مصحف زيد بن ثابت. فلقد روي في هذا أن عليًّا قد اعترض على الإنكار على عثمان لهذا الفعل وقال: «لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا، فوالله، ما فَعَلَ الذي فَعَلَ في المصاحفِ إلا عن ملأ منَّا جميعًا». «والله، لو وُلِّيتُ لفعلتُ مثلَ الذي فعلَ»[١١٢]. وكان عند علي مصحفه الذي كتبه وفقا لترتيب نزول الوحي على محمد ﷺ، ويبدأ هذا المصحف بسورة العلق يعني بأول سورة نزلت على النبي ﷺ ولم تكن تشتمل هذه السورة إلا على خمس آيات ثم نزلت بقية السورة فيما بعد[١١٣].

وبالتالي نجد أن القرآن في ترتيبه الحالي قد مر بالمراحل الآتية:

١- كتابة آيات القرآن النازلة على النبي ﷺ في الرقاع المختلفة بغير ترتيب، وتم حفظها عند النبي ﷺ وأصحابه. ولم يكن هناك ترتيب كتابي أو كان هناك ترتيب ولكن بصورة جزئية، ولكن الترتيب كان في قراءة النبي ﷺ وقراءة الصحابة وفقًا لقراءته ﷺ.

٢- جمع النصوص القرآنية كتابة من على الرقاع المختلفة بأمر أبي بكر

(١١٢) السيوطي، الإتقان، المجلد الأول، صفحة ٦٠، الألوسي، روح المعاني، المجلد الأول، صفحة ٢٢.

(١١٣) السيوطي، مرجع سابق، المجلد الأول، صفحة ٦٢.

لزيد بن ثابت. وتم الترتيب وفقًا لقراءة النبي ﷺ المحفوظة في صدور الصحابة ومن ثم تم جمع القرآن في مصحف واحد.

٣- هذا المصحف الواحد الذي تم جمعه بأمر أبي بكر تم نسخه بأمر عثمان إلى عدة نسخ وإرسالها إلى مختلف الأقطار حتى تستطيع الأمة الإسلامية قراءة القرآن بنفس قراءة النبي ﷺ، وقام عثمان بإجماع من جميع أصحاب النبي ﷺ بحرق جميع المصاحف الأخرى غير المطابقة للمصحف الذي قام بنسخه والذي اتفق جميع الصحابة عليه.



الفصل الثالث

البابية والشيعة

١- الشيعة ومقصدهم

تستخدم كلمة شيعة في اللغة العربية للدلالة على أتباع شخص معين، فنقول: هؤلاء الرجال شيعة فلان. وتستخدم هذه الكلمة في الإسلام للدلالة، على وجه الخصوص، على أتباع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي كانوا يزعمون أنه أحق بلقب الخليفة الأول للأمة الإسلامية، وذلك بعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى. وعلى ذلك، تَجمَّع هؤلاء الأشياع حول علي، وكونوا فرقة أطلق عليها فرقة الشيعة. ولم تقتصر هذه الفرقة على القول بأحقية علي في الخلافة، وإنما طالبت أيضًا بهذا الحق لذرية علي في حمل اللقب، جاعلين الخلفاء الأمويين والعباسيين مغتصبين لهذا الحق.

وهناك العديد من فرق الشيعة مثل الحسنية وهم أتباع الحسن بن علي (٣-٥٠ هجرية= ٦٢٤-٦٧٠)، والكيسانية والمختارية وهم أتباع محمد ابن الحنفية (٢١-٨٠ هجرية= ٦٤٢-٦٩٩). ولكننا نجد من بين هذه الفرق ثلاثة هم أكثر أهمية:

١- الإمامية الاثنا عشرية: وهم أصحاب الرأي القائل إن الأئمة -يقصدون بذلك الخلفاء الأحق بخلافة النبي ﷺ- هم: علي بن أبي طالب وذريته التي تختتم بمحمد بن الحسن العسكري. ويزعم هؤلاء أن محمدًا ﷺ عيَّن عليًّا خليفة له مما يعطي له ولذريته من بعده الحق في خلافته ﷺ[1].

---

(١) ينتمي إلى هذه الفرقة معظم أهل بلاد فارس.

٢- الزيدية: وهم أتباع زيد بن علي (١٢٢ هجرية= ٧٤٠ ميلادية)، الملقب بزين العابدين (٣٨ - ٩٤ هجرية= ٦٥٨- ٧١٢)، ولقد انفصلت هذه الفرقة عن فرقة الإمامية الاثنا عشرية بعد موت زين العابدين واعتبرت زيدًا - وليس أخاه محمدًا الباقر (٥٧- ١١٤ هجرية= ٦٧٦- ٧٣٢)- إمامًا لهم. وهذه الفرقة لا تزعم أن النبي ﷺ قد عيَّن عليًّا ليكون أول خليفة للمسلمين، ولكنها تقول إنه الأجدر للقيام بهذه المهمة. ويمكن اعتبار هذه الفرقة الأكثر اعتدالا من بين أهم ثلاث فرق للشيعة. ويعد أهل اليمن حاليًا امتدادًا لهذه الفرقة.

٣- الإسماعيلية: وهم أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق (٨٠-١٤٨ هجرية= ٦٩٩-٧٦٥). ولقد تكونت هذه الفرقة في زمان جعفر الصادق، وكانوا يفضلون إسماعيل على أخيه موسى الكاظم (١٢٨-١٨٣ هجرية= ٧٤٥- ٧٩٩).

وبنشأة هذه الفرق الثلاثة، لم تعد كلمة شيعة تعني مجرد أتباع شخص معين، وإنما أصبحت فرقًا دينية نشأت عن هذه التفضيلات التي اشتملت عليها عقائدهم ومراجعهم الدينية الخاصة التي تتناول أحكام الشريعة، هذا بالإضافة إلى ما لديهم من كتب الحديث التي تتفق مع مذاهبهم.

ومن الواضح أن الآراء التي تعطي لعلي الحق في أن يكون الخليفة الأول، تعد أقدم من نشأة هذه الفرق الشيعية الهامة الثلاثة، فهذه الآراء ترجع إلى يوم وفاة النبي ﷺ وهو اليوم الذي اجتمع فيه الأنصار-أصحاب النبي ﷺ من أهل المدينة- وحدهم في بادئ الأمر، ثم مع المهاجرين-أصحاب النبي ﷺ من أهل مكة- لتعيين خليفة للأمة الإسلامية. وأثناء ذلك الاجتماع بين الأنصار ذكرت مناقب سعد بن عبادة وأهليته للخلافة، أما المهاجرون وفيهم أبو بكر وعمر

وأبو عبيدة، فإنهم أظهروا أهمية وضرورة إسناد الخلافة إلى رجل من كبار قريش. وانتهى الأمر بالانحياز إلى الرأي الأخير، حيث بايع جمهور الحاضرين أبا بكر.

وفي اليوم التالي للاجتماع، قوبل هذا القرار بالاستحسان التام والشامل من جانب المسلمين المجتمعين في مسجد المدينة وبايعوا أبا بكر ليكون الخليفة الأول وخليفة رسول الله ﷺ في الأمة الإسلامية.

ولم يكن علي بن أبي طالب حاضرًا الاجتماع الذي تم فيه اختيار أبي بكر، حيث كان مشغولا بالقيام بالواجبات المتعلقة بموت النبي ﷺ، فلما علم باختيار أبي بكر خليفة اعترض على ذلك؛ لأنه كان يعد نفسه الأكثر أهلية لشغل ذلك المنصب لحسبه وقرابته للنبي ﷺ. ولقد وجد هذا الرأي أشياعًا، فكان من بينهم عم النبي ﷺ العباس، وابن عمته الزبير ابن صفية بنت عبد المطلب. وهذه الشيعة الأولى لعلي قد انتهى بها الأمر إلى قبول مبايعة أبي بكر ليكون الخليفة الأول للمسلمين، وكذلك كان الأمر بالنسبة لعلي في غضون بضعة أيام.

وظهر في عهد الخليفة الثالث عثمان رجل يقال له عبد الله بن سبأ، الذي سبق وأن أشرنا إليه. وهذا الرجل اليهودي قد كان اعتنق الإسلام في ذلك الوقت، وكان يكن في داخله مشاعر في حقيقتها معادية للإسلام، ويسعى لإدخال بعض الأفكار الهدامة في الإسلام. ولقد كانت طريقة هذا السبئي وأتباعه من السبئية دليلا على ذلك. فهو الذي أدخل في الإسلام مفهوم التوريث الروحي لعلي، مؤكدًا أن الخلافة كانت من الواجب أن تؤول إليه. وثار هذا الرجل على عثمان باعتباره خليفة للمسلمين فنفاه عثمان إلى عدة أقطار مختلفة في بادئ الأمر ثم نفاه إلى مصر في النهاية. واستطاع ابن سبأ وهو في مصر أن يشعل ثورة أسفرت عن

مقتل عثمان. وأطلق ابن سبأ فكرة الخلافة لصالح علي. وكان يزعم أن لكل نبي وصيًّا، وأن عليًّا كان وصي رسول الله ﷺ. ومع ذلك لم يرد أن يقتصر في بدعه على ذلك، فقد كان يسعى هو وأتباعه إلى المغالاة في مزاعمهم، حتى وصل الأمر إلى تأليه علي، فزعموا أن الله قد تجسد فيه عن طريق حلول روح الله في الأنبياء وأوصيائهم.

وقام علي بحرق الكثير من السبئية ونفى الآخرين. ولقد تم نفي ابن سبأ نفسه بأمر من علي خليفة المسلمين إلى المدائن[٢]. وكان علي قد أراد تعذيب جميع السبئية وقتل زعيمهم ابن سبأ إلا أن ابن عباس قد نصح عليًّا أن يكتفي بنفي جميع السبئية خشية من مغبة النتائج العنيفة المترتبة على ذلك، وأخذ علي بهذا الرأي.

ويذكر ابن حزم أن السبئيين قد ذهبوا إلى علي وقالوا له: «أنت هو» فقال علي: «وما هو؟» فقالوا: «أنت الله!» فغضب علي غضبًا شديدًا لما سمع هذا الكلام وأمر بحرق هؤلاء السبئيين المجترئين أحياء. فلما تم إلقاؤهم في النار صرخوا قائلين: «الآن تأكدنا أنك أنت الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله». فلما قتل علي، زعم ابن سبأ أنه لم يقتل، وإنما رفع إلى السماء كما أن عيسى لم يصلب، وإنما صلب من ألقي الشبه عليه، مما دفع اليهود والنصارى إلى الاعتقاد في صلب المسيح. وكان يزعم ابن سبأ أن ذلك هو ما حدث مع علي، لأن من قتله ابن ملجم لم يكن عليًّا، ولكن واحدًا من الجن قد تمثل في صورته وهيئته الإنسانية في حين أن عليًّا -الخليفة الحقيقي- قد رفع إلى السماء وسوف ينزل يومًا للثأر من أعدائه وكان يقول: «لو حملت إلينا رأسه في خرقة فلن نؤمن بموته؛ لأنه لن يموت إلا بعد أن

(٢) راجع البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحة ١٥. الشهرستاني، الملل والنحل (على هامش الفصل)، المجلد الثاني، صفحة ١٢.

ينزل إلى الأرض ويفتح الدنيا». وبناء على ذلك الكلام، يقول السبئيون إن عليًّا يسكن السحاب، وإن الرعد هو صوته، وإن البرق هو سوطه، فإذا سمعوا الرعد قالوا: «عليك سلام الله يا أمير المؤمنين»[3].

ولم يكن موقف ابن سبأ وأتباعه حيال علي إلا ستارًا من الورع قد أخفى وراءه في حقيقة الأمر مشاعره العدائية ضد الإسلام. وأسفرت هذه الطريقة عن نتائج مؤسفة في حقل الدين، وأصبحت هذه الكلمات فيما بعد النقطة التي انطلقت منها الأفكار الكافرة، ومثلت القاعدة التي ارتكزت عليها بدع كل من أراد أن يسهم في زعزعة التعاليم الإسلامية الثابتة، وإضعاف السلطة الإسلامية. ولقد لَبِس أولئك الناس -ومعظمهم من أصل فارسي أو عراقي- عباءة الإسلام ليتمكنوا من محاربته، وذلك على طريقة ابن سبأ وهي بالطبع طريقة ضالة وخادعة. ومع ذلك فإنه من الواضح أن عددًا كبيرًا من أولئك الذين هم من أصل فارسي أو عراقي قد اعتنقوا الإسلام عن اقتناع وإيمان، واتبعوا قواعده وأحكامه حُبًّا في التوحيد وكراهيةً في الشرك. ونجد من بينهم عددًا كبيرًا من الرجال المخلصين والأتقياء الذين يرجع الفضل في اكتساب علومهم إلى اللغة العربية وأحكام الشريعة الإسلامية، فأصبحوا من كبار العلماء في مختلف ميادين العلوم اللغوية والشرعية حتى وصل بهم الأمر أحيانًا إلى التفوق على كبار علماء العرب في هذه الميادين. وفي المقابل نجد من الواضح أيضًا أنه قد خرج من هذه البلاد رجال لم يستفيدوا من الإسلام إلا لمحاربته، فلم يعتنقوا الإسلام إلا بقلوب كارهة ورغبة في الانتقام منه؛ لأنهم يرون أن الإسلام قد غزا بلادهم، وأسقط حكوماتهم، واستبدل عاداتهم القديمة، فأبطل الشرك وأقام التوحيد. والحقيقة

---

(٣) البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٤٥، ٢٢٣- ٢٢٥.

أنه يوجد من بين المسلمين من أصول فارسية وعراقية من انحاز إلى ذرية علي بحسن نية، ودون أدنى نية في إلحاق الضرر بالإسلام، لاقتناعهم بأن ذرية علي هم الأحق بالخلافة لاتصال نسبهم اتصالا مباشرًا بالنبي ﷺ. وكانوا على اقتناع بأن الحقوق الشرعية لعلي، التي لم تراع ولم تحترم بعد موت النبي ﷺ، ولم تعد إليه إلا بعد موت الخليفة الثالث عثمان، كانت تشكل خطأً مرتكبًا في حق علي، فليس من المقبول أبدًا أن يتكرر هذا الخطأ لينال ذريته من بعده؛ لهذا وتحت تأثير هذا الاقتناع البريء والصادق تعاطفوا تمامًا مع ذرية علي وساعدوهم على تحقيق مطالبهم التي عارضوا بها الخلفاء الأمويين والعباسيين. فهم يرون أن ذرية علي لم ترتكب خطأً عندما طالبوا بحقهم العادل في استرداد الخلافة.

وبجانب هؤلاء الشيعة المعتدلين المحقين في بعض مطالبهم القائمة مع ذلك على قاعدة غير صحيحة، والذين كانت مشاعرهم تجاه العلويين صادقة، فإنه كانت هناك جماعات أخرى قد اتخذت من علي وآله ذريعة مقبولة ليستطيعوا من خلالها -وهم في مأمن- أن يضعوا العقبات أمام الحكومة المسلمة من خلال إشاعة عدم الرضا وإشعال الثورة في مختلف البلاد. وكانوا يسعون إلى صد الناس عن القيام بواجباتهم نحو حكوماتهم المسلمة في تلك البلاد. وكان لا يعنيهم في شيء أن تكون السلطة التي تمثلها تلك الحكومات سلطة أموية أو عباسية أو علوية إذ كان ينصب عداؤهم على كل ما يمثل الإسلام، ذلك الدين الذي اقتلع كل ما كان قبله مما كانوا يريدون الرجوع إليه[٤]. وعليه فإن هدف هذه الفرق الشيعية المتشددة أن يعيدوا إلى بلاد فارس -التي فتحها الخليفة الثاني عمر- استقلالها القومي والديني. وإلى هذا الهدف سعت كل جهود الإسماعيلية الباطنية وغيرها من

---

(٤) راجع بلوشيه، المهدي المنتظر في المرطقة الإسلامية، صفحات ٤١، ١٣٠، ١٦٠. إدوار مونتيه، الدراسات الشرقية والدينية صفحة ٢٩٠.

الفرق التي خرجت من رحمهم وهم القرامطة والعبيدية المعروفة باسم الفاطميين والدروز وغيرهم... وكانت هذه الفرق جميعها من أصل فارسي أو عراقي. ولم تكن أنشطتهم تسعى إلا لتحقيق هدف واحد، وهو إعادة بناء الإمبراطورية الفارسية على أنقاض الإسلام.

يقول البغدادي في حديثه عن الفرق الباطنية التي كانت تسعى لتشويه الإسلام من خلال إدخال بعض الشعائر المجوسية فيه، إن هدف الفرقة الباطنية كان تشويه الإسلام، وإن هذه الفرقة قد أعدت مخططًا لذلك، ولكن عندما عجزوا عن التحرك بصراحة لجؤوا إلى اصطناع الحيل. فبالنسبة لشعيرة عبادة النار على سبيل المثال، نجد أنهم قد عرضوا فكرة وضع المباخر في المساجد. ويضيف البغدادي أن البرامكة قد نصحوا أيضًا هارون الرشيد أن يضع المباخر في الكعبة، إلا أن هارون قد أدرك في تلك اللحظة أنهم يريدون بتلك الطريقة الضالة إدخال عبادة النار إلى الكعبة لتصبح بذلك في نظرهم «معبدًا للنار». ويرى البغدادي أن ذلك كان سببًا من الأسباب التي جعلت هارون الرشيد يسومهم سوء العذاب[٥]. ويضاف إلى هذا السبب أيضًا أسباب أخرى سياسية، حيث يقول ابن خلدون: «استولى البرامكة على السلطة وعلى جميع موارد الدولة بصورة شاملة تمامًا إلى درجة أن هارون الرشيد كان يطلب أحيانًا جزءًا من الموارد ولا يتحصل عليه».

ويقول أيضًا: إنه في بلاط الخليفة كان هناك خمسة وعشرون رجلا من البرامكة من نسل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي يشغلون وظائف متنوعة، وبلغ نفوذ هذه الأسرة حدًّا جعل من أفرادها أصحاب الأمر والنهي في الدولة. هذا بالإضافة إلى أنهم أساؤوا استخدام السلطة إلى الحد الذي جعل أخوال جعفر بن

(٥) البغدادي، مرجع سابق، صفحة ٢٧٠.

يحيى -وهم من بني قحطبة- يثورون عليهم[٦]. ومع ذلك فإن هذه الأسباب السياسية لا تمنع من أخذ الأسباب الدينية -التي يتناولها البغدادي- في الاعتبار.

هذا ونقول أيضًا في خاتمة هذا الفصل إنه لو كان من بين الإمامية الاثنا عشرية أو من بين الزيدية من المغالين الذين يقولون بتأليه علي بن أبي طالب ويخلعون أيضًا على ذريته بعض صفات الألوهية، وإذا كان هؤلاء قد أدخلوا في الإسلام بدعًا، كان من شأنها إفساد الفطرة السليمة للناس، وإفساد العقيدة الإسلامية، فإن الفرقة الشيعية الأكثر خطرًا، والمعروفة في تاريخ الإسلام، هي الفرقة التي أسسها الإسماعيليون الباطنيون، والتي سنتناولها على وجه الخصوص في الفصل التالي؛ لأننا نرى أنها أصل التصورات الفاسدة عند البابيين، وأن الغاية التي يسعون إلى تحقيقها هي نفس غاية البابيين بعضهم من بعض.

٢- الإسماعيلية

تعرف إحدى الفرق الثلاثة التي تناولناها في الفصل السابق باسم الفرقة الإسماعيلية، وتنتسب هذه الفرقة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من ذرية علي بن أبي طالب. ويزعم أتباع هذه الفرقة أنه بموت جعفر الصادق كان ولده إسماعيل هو الأحق بالإمامة من بعده. ويعارض هؤلاء الإسماعيليون مذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين كانوا يزعمون أن موسى الكاظم -الأخ الأصغر لإسماعيل- هو الأحق بالإمامة بعد موت جعفر. وكانوا يقولون إن الإمامة كانت تنبغي أن تنتقل من جعفر إلى إسماعيل الذي عينه والده لخلافته من بعده، فكانوا يتبعون إسماعيل باعتباره إمامًا على الرغم من موته في حياة أبيه[٧]. وعلى الرغم من أن

---

(٦) ابن خلدون، المقدمة، صفحات ١٦- ١٧.

(٧) «مات إسماعيل ودفن بالمدينة سنة ١٤٣هـ (٧٦٠- ٧٦١) وهذا يعني أنه مات قبل موت أبيه بخمس سنوات» راجع هوارت، مقال: الإسماعيلية، الموسوعة الإسلامية.

جعفرًا كان قد أنكر عليه الحق في خلافته وأسنده إلى ولده موسى الكاظم، الأخ الأصغر لإسماعيل.

وتقول الإسماعيلية إن كلمة الإمام لا تُرد، وإن الإمام الذي تم تعيينه لا يمكن تغييره أو عزله، إذن فهم يعدون تعيين إسماعيل من جانب جعفر لخلافته في الإمامة أمرًا غير قابل للتغيير، ولا يقبلون بصحة تعيين موسى مؤخرًا من جانب جعفر. وكانوا يزعمون أيضًا أن إسماعيل لم يمت، وإنما غاب هروبًا من اضطهاد الخلفاء العباسيين له[8]. ومع ذلك يرى الآخرون قبول القول بالموت الحقيقي لإسماعيل، ويقولون إن الخلافة كان ينبغي أن تنتقل من بعده إلى ولده محمد. ولتبرير ذلك الرأي يقولون إن جعفرًا كان إمامًا معصومًا، وإنه عين ولده إسماعيل لخلافته، ولكن لما مات إسماعيل في حياته، كان من اللازم قبول اعتبار تعيين محمد بن إسماعيل لخلافته من بعده.

ويعرف هؤلاء الإسماعيليون أيضًا باسم الباطنية؛ لأنهم يزعمون أن الإمام يمكن أن يختفي حتى تحين اللحظة المناسبة للظهور مرة ثانية لإعلان رسالته، وخلال فترة الاختفاء، يكون له دعاة على اتصال به، فينقل إليهم التعاليم التي ينبغي أن يُعلِّموها للناس. وهذا هو السبب الذي من أجله أطلق على «محمد بن إسماعيل» اسم «محمد المكتوم» الغائب. وهو أول الأئمة الغائبين وكان آخرهم محمد الحبيب الذي كان الإمام السابق لعبيد الله المهدي بشمال إفريقيا (٢٥٩-٣٢٢ هـ= ٨٧٣-٩٣٤)[9].

ويذكر الكثير من العلماء أن الإسماعيليين كان يطلق عليهم اسم الباطنيين

(٨) الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الثاني، صفحات ٨، ٢٥.

(٩) ابن خلدون، المقدمة، صفحات ٢٢٠- ٢٢١.

لأنهم كانوا يزعمون أن القرآن له معنى ظاهر ومعنى باطن، وأن المعنى الظاهر هو الصَّدَفَة الخارجية للثمرة، وأن المعنى الباطن هو الثمرة نفسها. ويقولون إن المعنى الظاهر هو العذاب والمعنى الباطن هو الرحمة، ويفهمون الآية التالية بهذا المعنى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[10][11].

ويطلق عليهم أيضًا «التعليمية»؛ لأنهم -كما يقول الغزالي- يزعمون أن الناس يحتاجون دائمًا إلى إمام معصوم يعلمهم الشريعة ويملي عليهم طبقًا لما يقتضيه الحال الأحكام التي لا يستطيعون بدونه إيجادها[12].

وتقول هذه الفرقة الإسماعيلية إن محمد بن إسماعيل هو أحد الأئمة، وإن الإمامة تمتد من بعده إلى الأئمة الغائبين أو الظاهرين. وهناك فرقة إسماعيلية يقال لها الإسماعيلية السبعية؛ لأنهم يقصرون الإمامة على سبعة أئمة. وتنقسم هذه الفرقة إلى فرقتين: الأولى هي الفرقة الإسماعيلية السبعية الواقفية الذين يقصرون الإمامة على إسماعيل وولده محمد، زاعمين أنهما يمثلان معًا الإمام السابع والخاتم؛ لأنه بموت إسماعيل -كما ذكرنا- قبل والده جعل الإمامة تنتقل إلى ولده محمد الذي سوف يظهر يومًا على أنه «المهدي». والفرقة الإسماعيلية الثانية، هم الذين يعدون محمد بن إسماعيل ليس مجرد إمام، ولكن نبيًّا قد اختتمت به النبوة. ويزعمون أيضًا أن محمد بن إسماعيل، شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء السابقين، له سبعة أئمة متتالين، وأنه مع هؤلاء الأئمة يمثل المرحلة السابعة والأخيرة للنبوة التي لا يوجد بعدها أحكام تشريعية أخرى. أما أبوه إسماعيل فإنهم يرونه الإمام السابع

---

(١٠) البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحة ٢٨٧.

(١١) القرآن الكريم ترجمة مونتيه، سورة الحديد، آية: ١٣.

(١٢) الغزالي، المنقذ، صفحات ١٩، ٢٦. بلوشيه، المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية، صفحة ٥٠.

الخاتم للإمامة في المرحلة السادسة للنبوة، والتي كان من بينها محمد نبي الإسلام ﷺ. وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

فها هي الفرقة الشيعية الإسماعيلية التي أنجبت العديد من الفرق الأخرى مثل: القرامطة[١٣]، والفاطميين، والدروز، والحشاشين. فجميع هذه الفرق كانت تتميز بأسماء خاصة بها، ولكن جميعها كان يقوم على المبادئ الأساسية للفرقة الإسماعيلية[١٤].

ومن الواضح أن المؤرخين غير متفقين على شخصية المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة الشيعية. يقول البغدادي إن عدة أشخاص، من بينهم ميمون بن ديصان الفارسي المعروف باسم القداح، ومحمد بن الحسين الملقب بـ «زيدان وهو فارسي أيضًا»، قد قاما بتأسيس المذهب الباطني عندما كانا في أحد سجون العراق، ثم قاما بنشر هذا المذهب بعد الإفراج عنهما. ويضيف البغدادي أن ميمونًا كان له ولد يدعى عبد الله، وهو الذي كان يقوم بنشر هذا المذهب[١٥]. ولا يذكر فخر الدين الرازي، في كتابه «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، ميمونًا على أنه مؤسس هذه الفرقة، وإنما يعزي ظهور هذه الحركة إلى ولده عبد الله[١٦]. ويخلط بعض المؤرخين بين ميمون وعبد الله، فيذكرون أحيانًا اسم الأول، وأحيانًا أخرى

(١٣) هي فرقة إسماعيلية زعيمها حمدان بن الأشعث المعروف باسم قرمط. يقول عبد الرحمن خليفة شارح كتاب الفصل لابن حزم في صفحة ٣٦ من المجلد الأول: «إن قرمط هي إحدى قرى واسط (بالعراق)» أما البغدادي فإنه يرى في كتابه السابق ذكره في صفحة ٢٦٦ وكذلك ابن النديم في كتابه الفهرست صفحة ٢١٤ أن حمدان كان يُدعى «قرمط» لأنه كان قصيرًا. ولقد ظهر نشاط قرمط في سنة ٢٧٨ من الهجرة في زمان الخليفة العباسي المعتمد.

(١٤) راجع إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ٢٦٦، ٢٧٧.

(١٥) البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٢٦٦، ٢٧٧.

(١٦) فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، صفحات ٧٦- ٧٧.

اسم الثاني على أنه مؤسس المذهب الباطني إلى درجة أننا لا نستطيع أن نقول إن هناك شخصين أو شخصًا واحدًا يحملان أو يحمل اسم ميمون وعبد الله. ومن الواضح لنا أنهما شخصان مختلفان، وأن ميمونًا هو مؤسس هذا المذهب، وأن ولده عبد الله قد سعى في نشره وبيانه. ونعتقد أن السبب الذي جعل بعض المؤرخين مثل الرازي يقولون إن عبد الله هو مؤسس المذهب الباطني، هو أنه كان يتمتع بمكانة أسمى من مكانة أبيه على صعيدي العلم والمعرفة.

واستطاع عبد الله، من خلال بعض الطرق المستترة، أن يستقطب إلى هذا المذهب عددًا من البسطاء وسليمي الطوية. وكان من بين مزاعمه أنه يعلم ما في المستقبل، وأنه يستطيع أن يطلع على الغيب، وأن عنده القدرة على اختصار طول المسافة الفاصلة بين مكانيين. ولكي يوهم الناس في ذلك، كان يحكي أخبارًا تتعلق بأماكن شديدة البعد، وذلك بفضل الحمام الزاجل الذي كان يرسله إليه أتباع له في تلك الأماكن البعيدة. ولقد أسهمت بساطة الناس وجهلهم بهذه الوسيلة في نقل المعلومات في أن يتحول هذا العمل إلى معجزة[١٧]. ويذكر ابن النديم أن زيدان كان يعد من بين أولئك الناس الذين كانوا يساعدون عبد الله في افتتان البسطاء من الناس به، وأنه كان يخلع على نفسه لقب فيلسوف ومنجم، وهو فارسي متعصب لقوميته، يكن للإسلام كراهية شديدة. هذا وكان يزعم أيضًا أنه وجد في نتائج الحسابات الفلكية أن النفوذ الفارسي سيعود إلى بلاد فارس على أنقاض الحكم الإسلامي. ولقد وجدت هذه النبوءة التي كان يقوم بنشرها آذانًا صاغيةً عند عبد الله[١٨].

ولقد سعى مؤسسو المذهب الباطني في نشره، وأرسلوا الدعاة إلى مختلف

---

(١٧) راجع ابن النديم، الفهرست، صفحة ٢٦٤.

(١٨) مرجع سابق، صفحة ٢٦٧.

الأقطار. ووصل هؤلاء الدعاة إلى الكوفة أيضًا، وهي المدينة التي كان يعيش بالقرب منها رجل يقال له حمدان بن الأشعث -الملقب بقرمط- نحو سنة ٢٧٦ من الهجرة. ولقد صادف المذهب الجديد قبولا عند هذا الرجل كما لاقى هوى في نفس أخيه ميمون من قبل. ولقد شرع حمدان -قرمط- في تطوير مفاهيم هذا المذهب التي نالت استحسانه، وأدخل عليها بعض العناصر السبئية، حيث كان هو نفسه سبئيًّا من العراق. وهكذا أصبح يطلق على الفرقة التي نشأت تحت رعايته وإشرافه اسم «القرامطة». وكان من بين الدعاة الذين تم إرسالهم إلى مختلف الأقطار رجل يقال له سليمان بن الحسن القرمطي الذي تم إرساله إلى الأحساء والبحرين. كما تم إرسال أبي عبد الله المشرقي إلى شمال إفريقيا، الذي كان إرهاصًا بقرب ظهور عبيد الله المهدي.

ومع ظهور عبيد الله المهدي غيرت الفرقة اسمها، وأطلقت على نفسها اسم «الفاطميين»، وأقام هؤلاء الفاطميون الخلافة الفاطمية في مدينة القيروان في نهاية القرن الثالث الهجري (٢٩٧ هجرية)، وقاموا بغزو مصر في سنة ٣٥٩ هجرية. وعقب الغزو اتخذ الخليفة من القاهرة مقرًّا له، واستمر الحكم باسم الخلافة الفاطمية. وعندما مات الحاكم، الخليفة الفاطمي الثالث (٣٧٥-٤١٠= ٩٨٥-١٠٢٠)، أطلقت إحدى طوائف الفاطميين على نفسها اسم الدروز.

وهكذا تأسس المذهب الإسماعيلي الباطني نحو سنة (١٤٣ هجرية=٧٦٠) ميلادية، في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، وامتد إلى العراق والجزيرة العربية وشمال إفريقيا ومصر ليصل إلى لبنان، حيث أطلق أتباع هذا المذهب على أنفسهم اسم الدروز. أما عن دخول هذا المذهب إلى بلاد فارس، وانتشاره فيها، فإنه قد أسفر عن ميلاد فرقة الحشاشين تحت إمرة حسن بن صباح (٥١٨= ١١٢٤).

فمن الواضح إذن أن المذهب الباطني قد تم تأسيسه وانتشاره على أيدي أهل فارس الذين كانوا يتبعون الديانة الزرادشتية وديانة ماني ومزدك وذلك قبل إسلامهم[١٩].

ولقد سعى الفارسيون إلى تأسيس مذهب في الإسلام يجمع أحكام الأديان الثلاثة التي تختلف تمامًا عن الإسلام، ويشتمل على قضايا جديدة من محض تصورهم، فينكرون اليوم الآخر ويفسرون آيات القرآن بطريقة تتفق مع مذهبهم[٢٠]. ويجعلون من هذا الخليط دينًا يسعون إلى نشره في جميع الأقطار المسلمة تحت ستار الإسلام.

فلقد أخذوا عن الازدواجيين الفكرة التي تقول إن الكون مخلوق لخالقين، يطلق عليهما الازدواجيون اسم «النور» و «الظلام»، ويطلق عليهما الباطنيون اسم «الأول» و «الثاني» أو «العقل» و «النفس»، آخذين هذين الاسمين الأخيرين عن الفلاسفة -أو على الأقل عن بعضهم- فالله عندهم ليست عنده القدرة على الفعل، وليس له أسماء ولا صفات، ولم يخلق الكون. والقدرة الخالقة لهذا الكون هي العقل الصادر عنه وهذا العقل مستقل عنه[٢١].

---

(١٩) ولد زرادشت في مدينة ماد نحو سنة ٦٦٠ قبل الميلاد وأصلح الديانة الإيرانية القديمة وأقام المجوسية ومات نحو سنة ٥٨٣ - وولد ماني في بابليون سنة ٢١٥ أو ٢١٦ ومات في فارس في الفترة ما بين ٢٧٥ و٢٧٧. وهو مؤسس الديانة الازدواجية التي تجعل النور إلَهًا للخير والظلمات إلَهًا للشر- كان مصدق بن نامدان قاضيًا من بلاد فارس وعين قاضيًا للقضاة. وعاش في ظل حكم قوباز والد أنوشروان الملقب «بالملك العادل». وفي سنة ٤٧٨ ميلادية زعم أنه نبي واعتبر مؤسسًا للشيوعية التي بالغ فيها إلى حد القول بجعل النساء ملكية عامة وقتله أنوشروان غضبًا من نصيحته في شأن أمه زوجة قوباز.

(٢٠) يرون أن الجنة هي حال الإنسان إذا ما وصل إلى درجة الكمال في العلم وأن النار هي الجهل. ويزعمون أنه ليس هناك عذاب مقيم ولكن يمكن للنفس أن تتطهر بانتقالها من جسد إلى جسد، ويمكن للنفس أن تعود إلى الأرض بنفس تلك الطريقة لمعرفة الإمام الحالي وتتلقى العلم عنه. راجع هوارت، موسوعة الإسلام، مقال: الإسماعيلية.

(٢١) راجع إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحة ١٣٤.

ولقد أخذوا عن ديانة ماني المذهب القائل بالتناسخ، بل وتجاوزوا حدود هذا المذهب أيضًا. فيرى أتباع ديانة ماني أن نفوس البشر إن كانوا صالحين فإنها تصعد إلى السماء حيث النور وتستقر هناك في نعيم مقيم، أما نفوس العاصين فإنها تخلد إلى الأرض فتحل في جسد بعض الحيوانات لتتطهر وتتخلص من ظلمتها لتصعد في النهاية إلى السماء من أجل أن تستقر في نعيمها المقيم[٢٢]. هذا ويضيف الباطنيون إلى الإيمان بهذا التناسخ للروح البشرية الإيمان بحلول الروح الإلهية في جسد الإنسان، فيقولون إن الروح الإلهية تتجسد في أجسام الأنبياء والأئمة عن طريق الحلول فيها. وهذا هو المفهوم الذي يجعل من مذهبهم كفرًا صريحًا.

ولقد أخذوا أيضًا عن المزدية مبدأ الإباحية المطلقة مع النساء ومشروعية جميع ألوان الاستمتاع بها. فقالوا بجواز أن يتزوج الرجل من أخته أو ابنته وبلغ بهم أن أباحوا للرجال الشذوذ الجنسي. «كان أبو زكريا التامي -والذي كان يعمل على نشر مذهب القرامطة في مدينة الأحساء وفي البحرين نحو سنة ٣١٩ هجرية وذلك من بعد سليمان بن الحسن- يدعو إلى هذا الغلو، وكان يأمر بقتل الطفل إذا ما امتنع عن الامتثال إلى من أراد اغتصابه»[٢٣]. واتبع الباطنيون جميع هذه الأعمال أخذًا عن مختلف الديانات الفارسية، فأخذوا أيضًا عن الدهرية المذهب الذي ينكر اليوم الآخر وبالتالي ليس هناك ثواب ولا عقاب، وذلك خلافًا لأحكام جميع الأديان السماوية. ولقد أضافوا إلى ذلك -كما سنرى فيما بعد- المذاهب الباطلة الموجودة عند الصابئة وعند غيرهم. وجعلوا من هذه الأشياء المتنافرة تعاليم دينية، ووضعوا لها منهجًا ومراحل لتنفيذها. والطريقة التي اتبعوها في نشر تلك التعاليم كانت طريقة ماهرة، فلم ينشروها إلا من خلال التدرج، وكان يحرم

(٢٢) البغدادي، مرجع سابق، صفحة ٢٥٤.

(٢٣) مرجع سابق، صفحة ٢٧٠.

على الشخص تحريمًا قطعيًّا أن يظهر للغير تعاليم تخص مرحلة من المراحل أو أن يكشف عن أسرارها إذا لم يكن المريد قد أثبت إيمانه التام بالتعاليم الخاصة بالمرحلة السابقة. ولجمع أكبر عدد ممكن من التابعين كانوا يدعون جميع الأشخاص، أيًّا كان فكره ودينه. وتجدر الإشارة هنا إلى بعض فقرات من هذا المنهج، فيذكر البغدادي أن عبيد الله القيرواني أرسل إلى سليمان بن الحسن القرمطي -مبعوث الفرقة في الأحساء والبحرين- رسالة ينصحه فيها بأن يتحدث مع الناس ويتصرف معهم بالطريقة التي تتناسب مع كل على حدة، وذلك حتى يستطيع أن يجذب اهتمام الناس، وأخبره إن لاقى فيلسوفًا فعليه أن يضمه إلى صفه؛ لأن الباطنيين والفلاسفة يشتركان في القول بإنكار رسالة الأنبياء.

ويقول البغدادي في هذه الرسالة إن عبيد الله أنكر الحياة الآخرة بقوله: إن الجنة لا تعني إلا متاع الحياة الدنيا، وإن العذاب يكمن في الالتزام بالأحكام الشرعية، وأضاف إلى ذلك أن جميع العباد يعبدون إلهًا لا يعرفونه ولا يستطيعون معرفته وأن عبادتهم لا تنصرف إلا لمجرد اسم الإله. هذا وقد نصحه أيضًا بأن يعظم شأن الدهريين الذين ينكرون الثواب والعقاب في الآخرة، وأن يشكك في القرآن والتوراة والإنجيل، وأن يقول بنسخ جميع الأحكام الدينية. ويقول عبيد الله أيضًا في هذه الرسالة لسليمان، إنه يجب عليه معرفة جميع أعمال السحر التي جاء بها الأنبياء، وبيان تناقضها للنيل من رسالتهم. فيذكر على سبيل المثال للتناقض قول عيسى لليهود إنه ما جاء لتغيير الشرائع، فإذا به يجعل يوم الراحة الأحد بدلا من السبت. ويقول أيضًا إن عيسى أمر الناس أن يتوجهوا في صلاتهم إلى قبلة غير القبلة التي أمر بها موسى وإن هذه التناقضات هي التي جعلت الناس يثورون عليه. ونصحه أيضًا بألا يصنع مثلما صنع نبي الأمة المسلمة البائسة عندما

سئل عن الروح، لأنه لما لم يستطع الإجابة قال إن الروح من أمر ربي. وأما نبي الله موسى فإن عبيد الله يقول في رسالته إنه لم يستطع أن يقيم الحجة على فرعون لبيان صدق رسالته، وإن ما صنعه لم يتجاوز حد السحر، مما جعل فرعون يقول لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾. هذا ويقول عبيد الله لسليمان إنه ليس هناك أغرب من الرجل تكون عنده الأخت الجميلة أو البنت الجميلة وزوجته ليست على درجة جمالها فيحرم نفسه من أخته أو بنته ليزوجها لرجل آخر، فهذا النوع من الحرمان ليس له سبب وجيه، فالرجل لا يفعل ذلك إلا لأن نبي الإسلام حرم على الرجال الزواج من أخواتهم وبناتهم، وأن يخشوا إلها غير معروف يؤمنون به، وهذا الإله قد بين لهم أن هناك حسابًا في الآخرة وأن هناك ثوابًا وعقابًا، على حين أن الجنة في الدنيا والنار ليست إلا العزوف عن متاعها والتمسك بالأحكام الشرعية.

ويشتمل المنهج الذي وضعته الإسماعيلية لنشر مذهبها -كما يقول البغدادي- على تسع نقاط، منها: سبر أغوار الرجل لمعرفة الدور الذي يمكن أن يقوم به، والاجتهاد في التشكيك في جميع الأديان، وإفساد معاني نصوص الكتب المقدسة، والحلف بعدم كشف أسرار الفرقة. ولقد ناقش البغدادي والمقريزي النقاط التسعة لهذا المنهج، وذكروا أمثلة تؤيد تعليقاتهم(٢٤).

ولا يمكن للرجل العادي أو سليم الطوية أن يعمل على نشر المذهب الإسماعيلي واتباع منهجه، إنما يلزم لذلك رجل لا يؤنبه ضمير، ويعرف بذكائه كيف يستفيد من الصفات الحسنة والصفات السيئة عند من يخاطبهم، ويعرف كيف يظهر في مختلف المواقف، وكيف يتحرك في جميع الأوساط، ليصل إلى مآربه.

---

(٢٤) مرجع سابق، صفحات ٢٧٨- ٢٨٥. المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، صفحات ٢٢٧- ٢٣٥.

فإن قابل -على سبيل المثال- رجلا متمسكًا بالشعائر الدينية، فعليه أن يجتهد في صرفه عنها بسؤاله بمهارة عن أحكام دينه، وإن وجد -في المقابل- رجلا يشك في الحياة الآخرة، فعليه أن يقنعه أن ذلك ضرب من الخيال، وإذا لقي الداعية للمذهب الشيعي رجلا يعترف بفضل أبي بكر وعمر، فعليه في البداية أن يتظاهر له بمشاركته في ذلك الرأي، ويجب عليه أن يقول له إن هذين الرجلين لهما فضل كبير ومقدرة على بيان أحكام الدين الإسلامي بيانًا واضحًا، وذلك هو السبب الذي جعل النبي يصحب أبا بكر معه في الهجرة من مكة إلى المدينة، وأن يفضي إليه، عندما كان في الغار خلال تلك الرحلة، بالتأويل الحقيقي لأحكام الإسلام.

فإذا ما سأل الرجل الذي يعترف بالفضل لأبي بكر عن هذا التفسير الحقيقي فعليه أولًا أن يأخذ منه العهد بحفظ السر، فإن فعل أفضى إليه بعد ذلك ببعض الأمثلة وكشف له عن أسرار الفرقة، فإن أبى أن يعطيه العهد بحفظ السر، وجب عليه أن يتركه في جهله وفي صراع مع القلق الذي ألقت به الشكوك في قلبه.

ولقد كان الإسماعيليون ينسبون إلى أحرف الهجاء قيمة عددية، وهذه الطريقة كان يمارسها في الأصل اليهود، ثم صارت ديانة زرادشت وماني ومزدك المنتشرة في بلاد فارس على هذا المنهج، وجاء الباطنيون من بعدهم فأخذوا به، ومع ذلك فإننا لا نريد أن نفصل القول أكثر من ذلك حول تلك المسألة المتعلقة بهذا الميدان المتفرد في الغرابة.

أما تأثير الفلاسفة على الباطنيين فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، فإننا نذكر ما أورده هنري ماسيه في هذا الصدد حيث يقول: «إن الله مجرد من الصفات ومنزه عن كل تصور، ولكنه يظهر بإرادته في صورة العقل الكلي -الألوهية الحقيقية عند الفرقة الإسماعيلية- المتصف أساسًا بصفة العلم. والعقل قد خلق بدوره

النفس الكلية التي أوجدت المادة الأولى من خلال صفتها الجوهرية «الحياة». ولقد أخذت هذه المادة وبصورة سلبية أشكالها المختلفة التي حددها العقل لها. أما النفس فإنها لا تكف عن السعي وراء اكتساب العلم لترتقي إلى طبيعة العقل. ويضاف إلى فعل هذه الأسباب الثلاثة، فعل الزمان والمكان، فأثر هذا الفعل على الجميع يختص بالمادة الكلية، وبالتالي فإن هناك سبعة أسباب ابتداء من الله وحتى المادة الكلية، وهذه الأسباب «ما عدا الله» تتجلى في شخص الأنبياء والأئمة»[٢٥]. ولقد استند الإسماعيليون في تأسيس مذهبهم على المفاهيم الفلسفية التي ذكرناها كما أوردها هنري ماسيه.

ويقول الإسماعيليون -شأنهم في ذلك شأن الفلاسفة- بوجود العقل الكلي والنفس الكلية والمادة الكلية، زاعمين أن العقل هو أول ما صدر عن الله، وهذا العقل أوجد النفس، وهكذا وصولا إلى المادة الكلية، فيزعمون، بناء على ذلك، أن الله ليس له صفات، ولا يمكن تحديده، إنما يتجلى من خلال العقل الكلي الذي يتصف بصفة العلم المطلق. وهذا العقل هو الذي يتجسد فيما بعد في الأنبياء السبعة ومن ينوب عنهم. ويقولون إن هذا العقل هو المتصف الحقيقي بجميع صفات الذات الإلهية، ومن ثم فهو الله ذاته، ويزعمون أيضًا أن الغيب «الله» لا يمكن أن يكون معبودًا، فالصلاة لا تتوجه إلا لمن يتمثل فيه وهو العقل الذي يتجسد في الأجسام البشرية[٢٦].

ونستطيع أن نجد -فضلا عن ذلك- في هذا المذهب فريقًا يجرد الله من جميع الصفات والأسماء في بعض الأوساط اليهودية المتأثرة -دون أي تعلم-

---

(٢٥) هنري ماسيه، الإسلام، صفحات ١٦٣- ١٦٤.

(٢٦) موسوعة الإسلام، مقال: الإسماعيلية، هوارت.

بالنظريات اليونانية الخاصة بالإله والعالم والإنسان كما يقول جينيبير، فلقد بالغوا في تعظيم التمثيل القديم ليهوه، والذي أصبح الإله ذاته الذي لا يمكن تحديده ولا تسميته[٢٧]. ومن المحتمل أن يكون انتقال هذه الفكرة إلى الفرقة الإسماعيلية قديمًا عن طريق المذهب الأفلاطوني الجديد الذي كان له تأثيره السابق على المسيحية، ثم امتد تأثيره إلى الأوساط الإسلامية فيما بعد. وهكذا نستطيع أن نتبين المصادر التي استند إليها الإسماعيليون في تأسيس مذهبهم القائل إن الله مجرد من جميع الصفات وإن العقل الكلي هو أول ما صدر عن الله، وإنه يشتمل على الروح الإلهية التي ظهرت أو تجسدت بعد ذلك في الأنبياء والأئمة. ومع ذلك لا نعتقد إمكانية القول إن الإسماعيلية -كما يقول هنري ماسيه- تتفق مع المعتزلة «أو يتشابه القول معهم» في إنكار الصفات الواجبة لله، ويتفقون معهم في القول إن العقل له ولاية مطلقة.

وهذا نص ما ذكره هنري ماسيه: «أثَّرت الفرقة الإسماعيلية الشيعية تأثيرًا كبيرًا على مقدرات الدين الإسلامي من خلال الحركات السياسية التي نشأت عنها بطريقة مباشرة نوعًا ما، وهي: القرامطة والفاطميون والحشاشون، هذا بالإضافة إلى الجانب المذهبي، حيث أسهمت في تطور الفكر الإسلامي، لا سيما اتفاقها مع المعتزلة في إنكار الصفات الواجبة لله والأهمية التي توليها إلى العقل»[٢٨]. إننا لا نستطيع أن نتفق مع هنري ماسيه في هذا الرأي؛ لأنه لو قالت المعتزلة بإنكار الصفات الواجبة لله وأثبتت ولاية العقل فإنهم لا يقصدون بذلك ما يزعمه الإسماعيليون ويريدون من الناس تصديقه، كما أنهم لا يقصدون

(٢٧) شارل جينيبير، المسيحية القديمة، صفحة ٤٤.

(٢٨) هنري ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٣.

أيضًا تأييد مفهوم الفلاسفة -حتى المسلمين منهم- للعقل والصفات الواجبة لله. فالفلاسفة يقولون إن الذات الأولى واحدة وإن وحدانيتها مطلقة، وبالتالي يستحيل إسناد أي صفة إلى تلك الذات الواحدة، أو إسناد الأفعال المختلفة إليها. فالفعل الصادر عن الذات الأولى لا يمكن أن ينتج إلا ذاتًا واحدة يطلق عليها الفلاسفة العقل الكلي، ويمكن أن ننظر إلى هذا العقل من جانبين: الأول أنه أزلي مثل الذات الأولى. الثاني أنه حادث، حيث إنه وجد عن الذات الأولى. فمن حيث إن هذا العقل قديم، فإنه يمكن أن ينبثق عنه عقل ثان. ومن حيث إنه حادث، فإنه يمكن أن ينبثق عنه النفس الكلية، وهكذا يستمر التوالد حتى يصل إلى العقل العاشر الذي يصل أثره إلى المادة. وتقول المعتزلة إن الله واحد، وإن الله قد خلق هذا العالم بصورة مباشرة، ولا يقولون كما تقول الفلاسفة إن خلق الكون تم عن طريق عقل وسيط.

أما ما يتعلق بالصفات الواجبة لله، فإن المعتزلة يختلفون مع الأشعرية -وهم أتباع مذهب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٤= ٨٧٤-٩٣٦)- والماتريدية -وهم أتباع محمد أبي المنصور الماتريدي (السمرقندي) (٣٣٣ هجرية= ٩٤٤ ميلادية)-، فالأشعرية والماتريدية يقولان إن لله صفات مثل العلم والقدرة... إلخ. ووجود هذه الصفات حقيقة، وبها يتحقق الفعل. وفي المقابل، نجد أن المعتزلة لا تقول بهذا الرأي، فهم يرون أن هذا الرأي يؤدي إلى القول إن هناك أكثر من إله، ويقولون إن الذات الإلهية بطبيعتها عليمة قادرة، وإن هذه الذات قادرة على الفعل والخلق دون حاجة إلى تلك الصفات. ومن ثم، فليس هناك اختلاف حقيقي من ناحية المضمون بين مفهوم المعتزلة من جهة، وبين مفهوم الأشعرية والماتريدية من جهة أخرى، فالشيء الذي لا خلاف عليه بين هذه الفرق

الثلاثة يكمن في عدم إنكارهم قدرة الذات الإلهية على الخلق والإيجاد. لذلك لا نستطيع أن نقول بوجود أدنى علاقة بين هذه الفرق وبين الفرقة الإسماعيلية التي تنكر -كما أشرنا إلى ذلك من قبل- اتصاف الله بأي صفة كمقدمة لإنكار صفة الخلق له.

وليس هناك أدنى علاقة بين رأي المعتزلة حول ولاية العقل وبين تصور الفلاسفة للعقل الكلي، والذي تقول الفرقة الإسماعيلية به. والمعتزلة لا يضعون هذا العقل الكلي في اعتبارهم، ولكن الشيء الذي ينظرون إليه ويعطونه القدرة على التمييز بين الخير والشر في أعمال البشر هو العقل الإنساني، الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، والذي بموجبه يصبح الإنسان مكلفًا وتوضع له التشريعات. والذي يمكن اعتباره خلافًا بين المعتزلة والأشعرية في هذا الصدد هو قول المعتزلة إن العقل الإنساني يمكنه بنفسه أن يميز بين الخير والشر، فتقول المعتزلة إن الأحكام الشرعية التي يخاطب بها البشر، والتي تدعوهم وتحثهم إلى التدبر في الخلق، والتي تلوم على أولئك الذين يتمسكون بالعادات الموروثة بدلا من تحكيم العقل، لا يمكن أن يصدر عنها ما يتعارض مع الحكم السليم للعقل الإنساني.

بل نجد أن الشريعة تؤيد العقل الإنساني فيما يقرره، وتساعده على اتخاذ حكم واضح في المسائل التي ربما يتردد العقل في اتخاذ قرار بشأنها. ويتفق الماتريدية مع المعتزلة في هذا الرأي. أما الأشعرية فإنهم يقولون إنه لا يمكن تمييز الحسن من السيئ دون الشرائع؛ لأن ما نحسبه خيرًا يمكن أن يكون شرًّا، وما نحسبه شرًّا يمكن أن يكون خيرًا. وبالتالي فإن الحكم الصحيح هو حكم الشرع، فما يأمر به هو الخير، وما ينهى عنه هو الشر. فكيف يمكن إذن التقريب بين تصور المعتزلة فيما يتعلق بولاية العقل الإنساني وبين تصور الفلاسفة -وهو الرأي الذي تتبعه

الإسماعيلية- والذي يتعلق بالعقل الكلي؟! إننا لا نجد بين العقل الذي تتحدث عنه المعتزلة وبين العقل الكلي أدنى علاقة إن لم يكن تطابق الاسم فحسب. فهم يختلفون أيضًا في التسمية؛ لأن كلمة «عقل» تختلف عن «العقل الكلي».

ويبدو لنا أن هنري ماسيه لم يقم بدراسة مفهوم المعتزلة الذي تناولناه آنفًا دراسة كافية. ويتضح لنا أيضًا أن إدوار مونتيه قد وقع في خطأ مشابه، وهو بصدد الحديث عن مفهوم المعتزلة المتعلق بقضية خلق القرآن، وببعض القضايا الأخرى التي نتناولها فيما يلي، ولا نرى أن الحديث عن هذه القضايا يعد خروجًا عن موضوع الدراسة المتعلقة بها وببعض الموضوعات الأخرى محل هذا البحث.

لقد عرض إدوار مونتيه في كتابه «الإسلام» مذهب المعتزلة في قضية خلق القرآن بطريقة جعلته يستنتج أن المعتزلة يزعمون أن القرآن هو نتاج العقل الإنساني، على حين أن مفهوم المعتزلة في هذا الصدد بعيد تمام البعد عن هذا الاستنتاج. يقول إدوار مونتيه: «إن كلام الله مخلوق. وبما أن كلام الله مخلوق فإنه قد تم التعبير عنه في صورة حروف وأصوات، هذه هي المقدمة الكبرى وهذا هو الاستنتاج المنطقي لها: القرآن كتاب من عمل البشر، فالقول إن القرآن غير مخلوق يعني القول -كما يقول المزدار- أنه قديم بقدم الله، وهكذا يؤدي إلى القول بوجود إلهين، فالحديث عن قدم القرآن يعد كفرًا حقيقيًّا» «فالقرآن هو نتاج العقل الإنساني»[٢٩]. هكذا يفسر إدوار مونتيه مفهوم المعتزلة، ويستنتج منه أن «القرآن هو نتاج العقل الإنساني».

في الحقيقة، تقول المعتزلة -ومن بينهم المزدار- إن القرآن يتألف من حروف

---

(٢٩) إدوار مونتيه، الإسلام، صفحة ٦٥.

وأصوات لا يمكن القول إنها قديمة، وبالتالي فإن القرآن مخلوق، فهذه هي المقدمة المنطقية الكبرى كما يقول إدوار مونتيه، ولكن ما يثير الدهشة هو أن يبني عليها إدوار مونتيه هذا الاستنتاج. فاعتبار القرآن مخلوقًا لا يؤدي إلى القول إن «القرآن نتاج العقل الإنساني»؛ لأننا لو قلنا إن السماء والأرض والإنسان من المخلوقات، فإن ذلك لا يعني مطلقًا أنهم من نتاج العقل الإنساني. ويمكن البحث عن سبب الخطأ الذي وقع فيه إدوار مونتيه في كلام المزدار الذي أورده الشهرستاني حيث يقول: «يمكن للناس أن يأتوا بمثل هذا القرآن من الناحية الأدبية»[٣٠]. بيد أن المزدار لا يتحدث هنا إلا عن القيمة الأدبية للقرآن التي يرى أن بإمكان البشر محاكاتها، فهو لا يتحدث هنا عن قدرة الإنسان على أن يأتي بمثل هذا القرآن، وهذا لا يعني مطلقًا أن القرآن بالصورة التي هو عليها هو من عمل الإنسان.

ولقد عرض إدوار مونتيه في نفس ذلك الكتاب رأيين آخرين قد نسبهما إلى المعتزلة ولكنهما لا يمثلان تمامًا فكر المعتزلة.

أولا: يقول: «يجب تفسير القرآن وفقًا لرأي المعتزلة تفسيرًا مجازيًّا بصفة عامة».

الثاني: يقول أيضًا مفسّرا لرأي المعتزلة: «يجب فهم الثواب والعقاب في الحياة الآخرة بالمعنى الروحي، فالمعتزلة تنكر الخلود في العذاب»[٣١].

ويمكن القول إنه لا يوجد في مذهب المعتزلة ولا في تفاسير علماء المعتزلة - والتي يعد كتاب «الكشاف» للزمخشري خير مثال على ذلك- ما من شأنه أن يبين أن

---

(٣٠) الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الأول، صفحات ٧٥- ٧٦.

(٣١) إدوار مونتيه، الإسلام، صفحة ٦٥.

القرآن يجب تفسيره مجازيا؛ وذلك لأن المعتزلة وغيرهم من علماء المسلمين يقولون إن القرآن لم يخرج عن ميدان اللغة العربية، وإنه يشتمل على مفردات مستخدمة في معناها الحقيقي، ومفردات أخرى مستخدمة في معناها المجازي. ويتفق المعتزلة وغيرهم من العلماء على أنه طالما يمكن استخدام اللفظ بمعناه الحقيقي، فليس من المقبول رفض هذا المعنى والانصراف عنه من أجل إعطائه معنى مجازيًا. والشيء الوحيد الذي يميز المعتزلة عن غيرهم من العلماء الذين يقفون عند حدود ظاهر النص هو أن المعتزلة عند تفسيرهم للقرآن يلجؤون إلى المعنى المجازي أكثر من أولئك الذين يقفون عند حدود اللفظ. فالفارق بين هؤلاء العلماء يكون في غالب الأمر متعلقًا بالنصوص التي تجعل لله أفعالا أو أعضاء مشابهة لأعضاء البشر وأفعالهم، أو النصوص التي تتحدث عن الدار الآخرة كالميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة. فحينما يتعلق الحديث بالأعمال والأعضاء المشابهة لأعضاء البشر، فإننا نجد المعتزلة لا يقولون إلا بالمعنى المجازي للفظ، ويجتهدون في بيان ذلك كما هو مبين بالتفصيل في حديثنا عن المتشابهات. أما الميزان الذي توزن به أعمال العباد، فإنه لا يقصد به عند المعتزلة ميزان مادي، وإنما هو تقييم الله لأعمال العباد، خيرها وشرها. فلا نعتقد في صحة ما قال به إدوار مونتيه من أن المعتزلة يفسرون القرآن كله بالمعنى المجازي. فإذا كانت المعتزلة تلجأ كثيرًا إلى المعنى المجازي فإنهم لا يلجؤون إليه إلا في المواضع التي بيناها، وفي المواضع المشابهة لها.

أما ما يتعلق بمسألة الثواب والعقاب في الدار الآخرة، فإن المعتزلة لا يقولون إن ذلك لا يكون إلا روحيًا، فربما يكون الوهم الذي وقع فيه أولئك الذين يعزون هذا الرأي إلى المعتزلة، راجع إلى ما قاله المعتزلة إن جميع ما يتعلق

بالدار الآخرة من ثواب وعقاب هي أمور غيبية، وليس من الإنصاف مقارنة الثواب والعقاب في الآخرة برخاء الحياة الدنيا وشقائها. وإذا كان القرآن قد تحدث إلينا عن الثواب والعقاب بالصورة المادية والروحية وجعل لهما معنًى ساميًا حسب تصوراتنا، فإن ذلك لا يعني أن الثواب والعقاب يتطابق مع مفهومنا له في الحياة الدنيا. ويمكن أن يكون لهذا الثواب ولذلك العقاب صورة أرقى وأعظم من الفكرة التي يمكن أن نتصورها في هذه الحياة الدنيا. وبالتالي فإن المعتزلة لا ينكرون النعيم المادي الذي يرافقه نعيم روحي في الدار الآخرة، وكذلك الحال بالنسبة للعذاب.

أما الخلود في العذاب الذي تنكره المعتزلة كما يقول إدوار مونتيه فإننا نقول إن المعتزلة لا ينكرون على الإطلاق خلود الكفار في العذاب ولا ينكرون خلود المؤمنين في النعيم، ولقد ذهب المعتزلة -وعلى رأسهم واصل بن عطاء (٨٠-١٨١= ٧٠٠-٧٩٧) وعمرو بن عبيد (٨٠-١٤٤= ٦٩٩-٧٦١)- إلى ما هو أبعد من ذلك في مفهومهم للخلود في العذاب في الدار الآخرة، فقالوا بالخلود في النار لمرتكبي الكبيرة حتى ولو كانوا من المؤمنين، ويتفقون في ذلك مع الخوارج في خلود مرتكب الكبيرة في النار رغم اختلافهم مع الخوارج الذين يقولون بكفر مرتكب الكبيرة[٣٢].

يقول البغدادي في حديثه عن جعفر بن مبشر (المتوفي سنة ٢٣٤ هجرية= ٨٤٨ ميلادية)، أحد كبار المعتزلة: «إن المبشر زعم أن من سرق حبة أو أقل منها فهو عاص مخلد في النار، فهو يختلف في ذلك مع قدامى المعتزلة الذين يقولون بمغفرة الصغائر طالما أن العبد لا يقع في الكبائر». ويضيف البغدادي أن ابن المبشر

(٣٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحة ٩٨.

يزعم أن الخلود في العذاب للعصاة وفقًا لقواعد العقل الإنساني ضرورة، وأنه يختلف بذلك عن قدامى المعتزلة الذين كانوا يقولون إن ذلك لا يمكن الحكم عليه إلا عن طريق الشرع وليس عن طريق العقل الإنساني[٣٣]. وهكذا نجد أن آراء المعتزلة لا تتفق مطلقا مع الآراء التي ينسبها إدوار مونتيه إليهم فيما يتعلق بإنكار الخلود في العذاب.

والعالم الوحيد من بين كبار علماء المعتزلة على حد علمنا، والذي يجعل إدوار مونتيه محقًا فيما يقول، هو أبو الهذيل العلاف (١٣١-٢٣٥=٧٤٨-٨٥٠). ويسوق لنا البغدادي رأيه فيما يلي: «الأشياء الخاضعة لقدرة الله ليست خالدة، وهذا هو السبب الذي لا يجعل النعيم والعذاب خالدين، فبالنسبة للمحسنين وكذلك للمسيئين، سوف تأتي اللحظة التي يصل فيها الأمر إلى مرحلة السكون»[٣٤]. ويذكر ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦= ٩٩٤- ١٠٦٤) أن أبا الهذيل يقول: «إن الجنة والنار لن تزولا، وإن المحسنين والمسيئين لا يخرجون منها وإن الذي سيزول إنما هو الحركة فيها، فسيظلون فيها بغير حركة كالمادة الخاملة، مع بقائهم أحياء ينعمون ويعذبون»[٣٥].

ويتضح من هذين الاستشهاديين أن أبا الهذيل لا ينكر استمرارية الإحساس بالعذاب والنعيم للناس في الآخرة، وإنما ينكر خلود من يتعرض للعذاب والنعيم وأبدية الحركة.

ويتضح لنا أن هذا التفسير لما يعتقده أبو الهذيل يتطابق مع تفسير

---

(٣٣) مرجع سابق، صفحات ١٥٣- ١٥٤.

(٣٤) مرجع سابق، صفحة ١٠٢.

(٣٥) ابن حزم، الفصل، المجلد الرابع، صفحة ٧٠.

أبي الحسين الخياط؛ لأنه يقول إن أبا الهذيل يقصد أن الله عز وجل –عند قرب انتهاء مقدوراته– يجمع في أهل الجنة اللذات كلها، فيبقون على ذلك في سكون دائم[٣٦]. ولقد ذكرنا آراء أبي الهذيل حتى ولو كانت واضحة وصريحة في إنكار العذاب والنعيم المقيم، فإن ذلك لا يجعلنا نقول إن المعتزلة –نقصد الغالبية منهم– ينكرون الخلود في العذاب؛ لأن رأي الواحد منهم لا يعني بالضرورة أن يكون بمثابة شريعة لهم جميعًا، لا سيما أن رأي أبي الهذيل في هذا الصدد لم يصادف قبولا لدى غيره من المعتزلة، والقول بذلك يعادل تماما على سبيل المثال القول إن النسخ وتجسيد الذات الإلهية في الإنسان جزء لا يتجزأ من مذهب المعتزلة؛ لأن واحدًا من المعتزلة وهو أحمد بن خابط يقول بهذا الرأي.

ويتبين مما سبق أن المعتزلة لا يتفقون في شيء مع الإسماعيلية، وأنه عندما نريد البحث عن نقاط الاتفاق بين المذهب الإسماعيلي وغيره من المذاهب، فإن ذلك لا يجب البحث عنه عند المعتزلة في الحقيقة، إنما يجب البحث عنه في الأديان الفارسية عند ماني ومزدك وزرادشت وعند الصابئة، أو في بعض آراء اليهود وبعض فلاسفة الأفلاطونية الحديثة. ومن هنا نجد بل ندرك حجم الهدف الذي يسعى إليه الإسماعيليون، وبعض من سبقهم ممن لا يرتدون عباءة الإسلام إلا للنيل منه.

وإذا كانت الفرقة الإسماعيلية قد استشهدت بمبادئها التي تحدثنا عنها فيما سبق، فإن ذلك لا يعني أنهم أول من أدخلوا تلك المبادئ في الإسلام، فقد سبقهم إلى ذلك جماعات تنتسب للإسلام ظاهرًا، على حين أن كل واحدة منها كان لها سماتها المستمدة من تلك المبادئ المذكورة. وما فعله الإسماعيليون كان ينحصر في

(٣٦) البغدادي، مرجع سابق، صفحة ١٠٣.

جمع هذه المبادئ المختلفة والمتناثرة ليجعلوا من هذا الجمع مذهبًا، ووضعوا لهذا المذهب -كما بَيَّنَّا- منهجًا وطريقًا لنشره.

فالمذهب القائل بتجسد الروح الإلهية في الأنبياء والأئمة وتناسخ هذه الروح من نبي إلى نبي ومن إمام إلى إمام هو مذهب السبئية والراوندية والبيانية والخطابية والجناحية.

والسبئية -وهم أتباع عبد الله بن سبأ- كانوا يقولون بألوهية علي بن أبي طالب بناء على نظرية تناسخ الروح الإلهية من جسد إنسان إلى آخر.

والراوندية وهم أتباع أبي هريرة الراوندي كانوا يقولون بتناسخ وتجسد الروح الإلهية.

وكانوا يزعمون أن الإمامة بعد النبي ﷺ يجب أن تنصرف إلى عمه العباس، وأن الروح الإلهية التي تجسدت في العباس وذريته قد حلت في شخص أبي مسلم الخراساني[٣٧].

والبركوكية، ويطلق عليهم أيضًا أبو مسلمية، كانوا يدعون إلى ذلك الرأي، ويزعمون أن موت أبي مسلم لم يكن موتًا وإنما كان اختفاء، وأنه سيعود يومًا. وكانوا يقولون أيضًا إنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على شيطان فأخذ صورته ووجهه. هذا ونجد أن السبئيين كانوا يزعمون نفس الشيء بالنسبة لعلي بن أبي طالب.

والبيانية، وهم أتباع بيان بن سمعان، وكانوا يزعمون أن الروح قد انتقلت

(٣٧) مرجع سابق، صفحة ٢٥٥. الرازي، اعتقادات فرق المسلمين، صفحة ٦٣.

من جسد الأئمة إلى جسد ابن سمعان بعد تجسدها في علي وانتقالها منه إلى محمد بن الحنفية ثم إلى ولده أبي هاشم.

ونجد أن هذا الذي يقال له بيان بن سمعان قد زعم بادئ ذي بدء أن أبا هشام قد أوصى له بالإمامة ثم زاد على ذلك فيما بعد، فزعم أنه نبي ورسول من عند الله بدين ناسخ لدين محمد ﷺ، وأنه يحمل الاسم الأعلى لله وهو المفتاح الذي يغلب به كل عدو والمهيمن على كل ما في السماوات وما في الأرض. وكان يقول أيضًا عن نفسه إنه «البيان»، وإنه هدى وموعظة للناس الذي تحدث عنه القرآن في الآية ١٣٨ من سورة آل عمران*. ووصل به الغلو إلى حد الزعم أنه إله عن طريق التجسد والتناسخ[٣٨].

والخطابية هم أتباع أبي الخطاب بن أبي زينب الأسدي كانوا يقولون إن الروح التي كانت تحل في الأنبياء والأئمة تجسدت في جعفر الصادق ثم في زعيمهم أبي الخطاب[٣٩]. ويذكر فخر الدين الرازي أن الخطابية كانوا يعبدون جعفرًا، وعندما بلغ جعفرًا ذلك غضب ولام أبا الخطاب على ذلك. فقام أبو الخطاب عقب هذا اللوم بإعلان أن الروح الإلهية قد خرجت من جعفر لتستقر فيه هو، مما جعله في درجة أعلى من درجة الإله[٤٠].

والجناحية وهم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ولقد ثار زعيمهم عبد الله في سنة (١٢٧ هجرية= ٧٤٤ ميلادية) على آخر الخلفاء

---

* ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

(٣٨) البغدادي مرجع سابق، صفحات ٢٢٧- ٢٢٨، ٢٤١، ٢٥٥.

(٣٩) مرجع سابق، صفحات ٢٤٢، ٢٥٤.

(٤٠) الرازي، مرجع سابق، صفحة ٥٨.

الأمويين مروان الثاني زاعمًا أنه هو صاحب الخلافة الشرعية، وقال بتناسخ الروح وحلولها في الأجساد البشرية، وبناء على ذلك زعم أنه نبي وإله[41].

أما إنكار البعث والحساب، فإن هذه المسألة قد وجدت قبل ظهور الإسماعيلية من يقول بها، فكان من بين «الجناحية» -الذين سبق ذكرهم- من يستند إلى التناسخ في إنكار الحياة الآخرة، والقول إن الثواب والعقاب ليس إلا مجرد السعادة أو الشقاء اللذين تحسهما النفس إذا ما حلت في جسد إنسان أو حيوان.

وتواجدت ظاهرة إنكار البعث والحساب أيضًا عند المنصورية وهم أتباع أبي المنصور العجلي الذي كان يزعم أن الإمامة بعد محمد الباقر قد انتقلت إليه نفسه، وكان يزعم أنه نبي، وكان يقول إنه عرج به إلى السماء، فلما كان بجوار ربه مسح الرب على رأسه وقال له: «يا بني، انزل إلى الأرض وحدث باسمي». وكان يزعم أيضًا أنه الكسف الساقطة من السماء المذكورة في القرآن في الآية ٤٤ من سورة الطور*. ثم انتهى إلى إنكار البعث والحساب مفسرًا الجنة بنعيم الدنيا والنار بشقائها[42].

أما ما يتعلق بالانحلال الأخلاقي، وإهمال الفرائض الدينية، فقد كان هناك قبل الإسماعيلية فرقة تسمى «الفرقة المقنعية»، وهم أتباع المقنع الذين كانوا يقولون بتأليه أبي مسلم الخراساني والمقنع نفسه، باعتبار أن المقنع قد جاء إلى هذه

---

(٤١) ابن حزم، الفصل، المجلد الرابع، صفحة ١٣٨. الشهرستاني، مرجع سابق، المجلد الرابع، صفحة ١٣٨. الشهرستاني، مرجع سابق، المجلد الأول، صفحات ١٥٦ - ١٥٧.

* المترجم: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾.

(٤٢) البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٢٣٤ - ٢٣٥، الشهرستاني، مرجع سابق، المجلد الأول، صفحات ١٥٦ - ١٥٧. ابن حزم، الفصل، صفحات ١٤١ - ١٤٢.

الدنيا إلهًا في عدة صور متتابعة من آدم ونوح و... إلخ، ثم بعد النبي محمد ﷺ في صورة علي وذريته، ثم في صورة أبي مسلم الخراساني. وكانوا يقولون إن الله يظهر في صورة أناس رحمة بالبشر، وإلا احترقت أعينهم من نوره. وكان المقنع يقول لأتباعه إنه لم يعد هناك نواهٍ أخلاقية ولا فرائض دينية[٤٣].

والجناحية -السالف ذكرها- كانوا أيضًا أتباعًا لمذهب الانحلال الأخلاقي والتخلي عن أحكام الدين، وكانوا يقولون إن الإنسان إذا ما وصل إلى درجة معينة من العلم، فليس هناك داعٍ للتمسك بالفرائض الدينية[٤٤].

ولقد استند أيضًا إلى هذه المبادئ -التي ذكرناها آنفا- الصوفية الباطلة، ونطلق عليها الصوفية الباطلة لنتجنب الخلط بينها وبين الصوفية الحقة التي لا غبار على إيمان واستقامة رجالها من أمثال الحسن البصري، والمحاسبي، الذين ضربوا في ذلك مثلا يحتذى به[٤٥]. ويذكر فخر الدين الرازي أن المنصورية -والتي سبق ذكرها- كانت تبيح الزنا وما هو شر منه[٤٦]. وهذا الانحلال له أصله عند المزدكية قبل مجيء الإسلام، وكان له أتباعه من بين الخرامية في أذربيجان الذين لم يدخلوا في الإسلام إلا ظاهرًا. ويقول البغدادي إن البابكية، وهم أتباع بابك الخوارمي، كانوا يحتفلون بعيد لهم، وفي ليلة العيد كانوا يجتمعون للغرق في ملذات الخمر والمرح، وأثناء ذلك الاحتفال، كانت تطفأ الأنوار تمامًا، ويختلط الرجال بالنساء في مستنقع المتعة على مقتضى الصدفة[٤٧].

---

(٤٣) البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٢٤٣- ٢٤٤.

(٤٤) الرازي، مرجع سابق، صفحة ٥٩. الشهرستاني، مرجع سابق، المجلد الأول، صفحة ١٥٧.

(٤٥) راجع عبد الحليم محمود في كتابه الرائع «المحاسبي»، و«المحاسبي صوفي مسلم ومربي» (جوتنر، باريس، ١٩٤٠، مجموعة: شخصيات عظيمة من الشرق).

(٤٦) الرازي مرجع سابق، صفحة ٥٨.

(٤٧) البغدادي مرجع سابق، صفحات ٢٥١- ٢٥٢.

أما ما يختص بطريقة التفسير الخاطئ للقرآن، فإن الإسماعيلية كانوا خلفًا لسلف من أمثال بيان بن سمعان، وأبي منصور العجلي، والمغيرة بن سعيد العجلي زعيم الفرقة المغيرية. وكان المغيرة يفسر قول الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٤٨]. بما يلي: يقول إن الأمانة هي حفظ علي بن أبي طالب وحمايته من أعدائه، وإن هذه الأمانة قد عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، فلما تليت هذه الآية على الناس أصر عمر أن يتولى أبو بكر حمل الأمانة ووعده بمساعدته على حملها، شريطة أن يعيِّنه أبو بكر خليفة له من بعده بدلا من علي، فقبل أبو بكر هذا الشرط. ويرى المغيرة أن الظلوم الجهول الوارد في الآية هو أبو بكر، وأما عمر، فيقول المغيرة، إنه الشيطان الذي تحدثت عنه الآية الكريمة ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾[٤٩][٥٠].

ولقد أدخل الإسماعيليون -الذين هم من أصل فارسي- وكذلك سابقوهم الذين هم من أصل فارسي أيضًا في الإسلام أمورًا كان لها تأثيرها على عقيدة المسلمين. وهذه المسألة لا شك فيها كما يقول الأستاذ أحمد أمين عندما

---

(٤٨) القرآن الكريم، ترجمة مونتيه، سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٤٩) مرجع سابق، سورة الحشر، آية: ١٦.

(٥٠) البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحات ٢٢٩- ٢٣١. الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الثاني، صفحات ١٤- ١٥. تم إعدام المغيرة بأمر الوالي خالد القسري وانقسم أتباعه عقب موته فقالت طائفة منهم إنه كذاب لادعائه أن المهدي الذي يفتح العالم هو محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب في حين أن محمدًا هذا قد أعدم بأمر الخليفة العباسي المنصور لقيامه بإشعال الثورات في المدينة. وتقول طائفة أخرى إن محمدًا هذا لم يمت وإنما ألقي شبهه على شيطان فأعدم مكانه، وأما هو فغائب الآن وسوف يعود يومًا وسوف يؤمن الناس به، وإن ذلك سيكون في مكة بين الركن والمقام وسوف يختار من بين المؤمنين به سبعة عشر رجلا (عين الباب ثمانية عشر رجلا وجعل منهم «أحرف الحي») وسوف يعطي كل واحد منهم حرفًا من أحرف الاسم العلي من أسماء الله، ويستطيع هؤلاء الذين وقع عليهم الاختيار فتح العالم بهذه الحروف. راجع البغدادي، مرجع سابق، صفحات ٢٢٩- ٢٣٣.

تحدث عن الأديان الفارسية. ففي حديثه عن الديانة الزرادشتية والمانوية والمزدكية نجده يقول: «إن المذاهب الدينية الفارسية قد تسللت إلى الإسلام، فدخل عدد من الفارسيين الإسلام دون أن يتخلوا عن عقائدهم الموروثة، ومع الوقت أثرت هذه الموروثات في الصبغة الإسلامية، فتعظيم الشيعة لعلي يوازي تعظيم الفرس لملوك الساسان»(٥١).

ومع ذلك يبدو لنا أن الأستاذ أحمد أمين يعطي بُعدًا كبيرًا لرأيه فيما يتعلق بتأثير الفرس على المسلمين؛ لأنه يقول إن أبا ذر -أحد أصحاب النبي ﷺ- كان متأثرًا في زهده وتصوفه بديانة مزدك ومذاهبه الشيوعية التي جعلت منه بصورة أو أخرى مؤسسًا للفكرة الشيوعية.

يقول أحمد أمين إننا نجد وجهًا للمقارنة بين رأي أبي ذر ورأي مزدك فيما يتعلق باقتسام الأموال، حيث يروي الطبري أن أبا ذر في خطبة له -بصدد اقتسام الأموال- قال: «أيها الأغنياء، أعطوا الفقراء فالذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾».

وهكذا استطاع أبو ذر من خلال نشر هذا المذهب أن يجذب إليه الفقراء ويثير قلق الأغنياء. ولما أحيط الخليفة عثمان خبرًا بموقف أبي ذر عن طريق واليه على الشام معاوية، سأل الخليفة أبا ذر عن ذلك، فأجاب أنه لا يجب على الأغنياء أن يكنزوا أموالهم. ويلفت أحمد أمين الانتباه إلى أن رأي أبي ذر في مسألة اقتسام

---

(٥١) أحمد أمين، فجر الإسلام، صفحة ١٣٢.

الأموال يتشابه كثيرا مع رأي مزدك، ويتساءل من أين جاء أبو ذر بهذا الرأي؟ ويجيب أحمد أمين على هذا التساؤل الذي طرحه فيقول: إن الطبري يذكر أن ابن السوداء لقي أبا ذر وجعله يقبل بنظرية اقتسام الأموال، وأنه عندما توجه إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت عارضًا عليهما فكرته قوبل برفضهما لتلك النظرية، بل إن عبادةَ حَمَلَ ابن السوداء على المثول أمام معاوية -والي المسلمين على الشام- وقال له: إن ابن السوداء هذا هو الذي دفع أبا ذر إلى القول بهذا الرأي الخطير عن اقتسام الأموال.

ويضيف الأستاذ أحمد أمين: «إننا نعلم أن ابن السوداء ليس في الحقيقة إلا عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني الذي جاء من صنعاء، ودخل في الإسلام في زمان الخليفة عثمان، وسعى في زعزعة عقيدة المسلمين، وجاب عدة أقطار من بينها الحجاز ومصر، وكذلك بعض المدن، كالكوفة والبصرة. ومن المحتمل جدًّا أنه أخذ تلك النظرية -الخاصة باقتسام الأموال- عن أصحاب الديانة المزدكية بالعراق أو اليمن، وأن أبا ذر أخذ ذلك عنه بحسن نية بعد أن صبغهما بصبغة الزهد، فلقد كان زاهدًا ورعًا، وشخصية نالت احترام الصوفية»[٥٢].

وعلى الرغم من أن هذا الذي ذكرناه عن أبي ذر يعد بعيدًا نوعًا ما عن موضوع دراستنا، إلا أننا نريد أن نقف على تأكيدين وَرَدَا في سياق عرض رأي الأستاذ أحمد أمين. يتعلق أحدهما بتأثير ابن السوداء على أبي ذر في قضية اقتسام الأموال، ويتعلق الثاني بتطابق الشخصيتين: شخصية ابن السوداء وشخصية عبد الله بن سبأ. فنقول بادئ ذي بدئ إنه ليس بوسعنا دحض القول إن ابن السوداء لقي أبا ذر بهدف حمله على القبول بنظرية اقتسام الأموال، ولا نستطيع

(٥٢) مرجع سابق، صفحات ١٣٠- ١٣١.

معارضة القول إن فكرته قد صادفت قبولا عند أبي ذر، وإنما الذي يجب وضعه في الاعتبار، ويمكن أن يكون سببًا حقيقيًا لتصرف أبي ذر في مسألة اقتسام الأموال هو علمه بهذه الآيات القرآنية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٥٣].

وما يعضد رأينا في أن أبا ذر قد استند إلى هذه الآيات، أن بعض العبارات التي استخدمها أثناء خطبته ليست في الحقيقة إلا اقتباسًا حرفيًا من الآيات التي ذكرناها آنفًا، والتي يستطيع القارئ أن يدركها بنفسه.

ولكن أبا ذر بالغ عندما جعل من الآيات أمرًا سماويًا موجهًا إلى جميع الأغنياء لينفقوا جميع أموالهم. أما تأثير ابن السوداء على أبي ذر فإننا نقول إنه لو كان لابن السوداء تأثير ما على أبي ذر المهيأ سلفًا لهذا التأثر نظرًا لورعه الشديد وطبيعته الصوفية التي ترى أن متاع الدنيا زائل- فإننا نرى أن هذا التأثير لم يتجاوز حد القطرة التي جعلت الإناء يفيض.

أما ما يتعلق ثانيًا بتطابق الشخصيتين: شخصية ابن السوداء وشخصية عبد الله بن سبأ، والتي يؤكدها أحمد أمين، فيبدو لنا أن ابن السوداء هو شخصية أخرى غير شخصية عبد الله بن سبأ.

(٥٣) القرآن الكريم، ترجمة سافاري، سورة التوبة، آيات: ٣٤- ٣٥.

وفي هذا يقول البغدادي رواية عن الشعبي إن ابن السوداء كان يدعم الاعتقادات السبئية، وإنه كان من أصل يهودي من الحيرة -إحدى مدن العراق العربية- وادعى الإسلام، وكان يعمل على تحسين صورته أمام أهل الكوفة، فكان يقول لهم إنه وجد في التوراة أن كل نبي له وصي وإن عليًّا هو وصي النبي محمد ﷺ، وبما أن محمدًا هو أعظم الأنبياء فإن عليًّا كذلك هو أعظم الأوصياء. ولما علم شيعة علي بذلك ذهبوا إلى علي وأخبروه أن عبد الله بن السوداء من بين المحبين له.

ثم إن عبد الله بن السوداء لما كان بحضرة علي حدثه علي عن التقدير الذي كان يكنه له، ولما كانت إحدى خطبه بالمسجد أجلسه علي بجواره. ومع ذلك، لما علم علي بمغالاة عبد الله بن السوداء في حقه، وأنه يضعه في درجة أعلى من درجات البشر أراد أن يأمر بقتله، ولكن ابن عباس لم ينصح بذلك، فانحاز علي إلى رأيه. ويضيف البغدادي «أن عليًّا امتنع عن قتل عبد الله بن السوداء وعبد الله بن سبأ» خوفًا من النتائج التي يمكن أن يسفر القتل عنها، وإنما اكتفى بنفيهما إلى المدائن، وبعد موت علي استطاع هذان الرجلان -من خلال المغالاة في علي- أن يجذبا إليهما العامة من الناس. ويذكر البغدادي أيضًا أن عددًا من كبار المسلمين أدركوا أن عبد الله بن السوداء كان يريد زعزعة عقيدة المسلمين من خلال أقواله في علي وذريته، وأنه كان يريد من الناس أن تعتقد في علي كما تعتقد النصارى في عيسى. ولكي يصل إلى مآربه انضم ابن السوداء إلى السبئية؛ لأنه وجدهم أكثر عداء للإسلام على الرغم مما يقتضيه ظاهرهم[٥٤]. ونعلم أن عبد الله بن سبأ الذي دخل في الإسلام في خلافة عثمان كان يهوديًّا من صنعاء باليمن، كما

(٥٤) البغدادي، مرجع سابق، صفحة ٢٢٥.

يقول الأستاذ أحمد أمين، بينما نرى عبد الله بن السوداء -وهو يهودي أيضًا- كان من الحيرة بالعراق العربية. وإذا كان الاختلاف في الموطن الأصلي في حد ذاته غير كافٍ لتأكيد القول إنهما شخصان مختلفان، فإن الأسباب الأخرى -المذكورة فيما سبق والتي أشرنا إليها- تمثل لنا شهادة كافية على ذلك.

وبعد هذا الإسهاب الخارج عن موضوع دراستنا -والذي نرجو أن يلتمس القارئ لنا العذر فيه- فإننا نعود إلى الإسماعيلية السبعية التي تحدثنا عنها بإيجاز في هذا الفصل، وهناك من بين هؤلاء الإسماعيلية السبعية ممن نهتم بذكرهم، أولئك الذين لا يعدون محمد بن إسماعيل إمامًا سابعًا وخاتمًا للأئمة، ولكن نبيًّا خاتمًا للأنبياء.

وترى هذه الفرقة الإسماعيلية أن الكون قد وجد بفعل العناصر السبعة وهي: الله -مجرد من أسمائه وصفاته-، والعقل الكلي، والنفس الكلية، والمادة الأولى، والزمان، والمكان، والمادة الكلية. وتقول إن أي نظام في هذا الكون مبني على العدد سبعة: فهناك السماوات السبع، والأرضون السبع، والنجوم السبع، وأيام الأسبوع السبعة، وقنوات الوجه السبعة (عينان ومنخاران وأذنان وفم) التي تنقل إلى المخ كل ما هو ضروري لعمله. وبخلاف هذا الجانب المادي للعدد سبعة، فإن هناك الجانب المعنوي لهذا العدد، نقصد بذلك الجانب الديني: فالأديان سبعة، والأنبياء سبعة، وكل نبي له سبعة أئمة، وهم أوصياؤه، ومراحل النبوة سبعة، ولكل نبي في كل مرحلة سبعة أئمة، يكون أولهم معاصرًا للنبي، ليأخذ عنه التعاليم، والنبي الأول هو آدم، وكان شيث هو أول إمام له، والنبي الثاني نوح وإمامه الأول سام، والنبي الثالث إبراهيم وإمامه الأول إسماعيل وإسحاق، والنبي الرابع موسى وإمامه الأول هارون، والنبي الخامس عيسى وإمامه الأول

شمعون بطرس، والنبي السادس محمد وإمامه الأول علي، أول الأئمة في مرحلة النبوة السادسة والتي كان آخرها الإمام السابع إسماعيل بن جعفر، والنبي السابع والخاتم هو محمد بن إسماعيل[٥٥] وإمامه الأول عبد الله بن ميمون القداح، المتوفى سنة ٢٦١ من الهجرة.

ولقد وضعت هذه الفرقة الإسماعيلية السبعية سبع مراتب لمذهبهم، أعلاها مرتبة الأول الذي يمثل نقطة البدء وهو الله، ثم يأتي بعد ذلك السابق (العقل)، ثم التالي (النفس)، ثم النبي، ثم الإمام، ثم الرسول، ثم المريد[٥٦]. ويمكن بالطبع لكل مبتدئ أن يصل بالتدريج إلى المرتبة السابقة له، وأن يحل محل الذي كان عليها مَن قَبْلَه. ونصل بذلك إلى أنه من الممكن لجميع المبتدئين أن يصلوا إلى أعلى المراتب، وأن يتحدوا مع الأول وهو الله. ويقولون أيضًا إن كل واحد من الأئمة السبعة يجب أن يصاحبه اثنا عشر رسولا بالتوافق مع أبراج السماء الاثني عشر، والاثني عشر شهرًا للسنة، والاثنتي عشرة فقرة لأصابع اليد الواحدة، باستثناء فقرتي الإبهام اللتين تمثلان النبي والإمام[٥٧]. ولهذا السبب نجدهم يعظمون العدد سبعة والعدد اثني عشر اللذين يمثلان أساس النظام الديني، ويحكمان طريقة العمل به. وبما أن العالم كله -كما تقول الفرقة الإسماعيلية السبعية- قائم في صورته المادية والمعنوية على هذين العددين، فإن هذه الفرقة الإسماعيلية تزعم أنها العالم نفسه أو على الأقل أنها تمثيل حي لهذا العالم. ولا يقتصر هذا التمثيل على العالم فقط، وإنما يمتد إلى العناصر السبعة الخالقة لهذا الكون والتي سبق وأن أشرنا إليها.

---

(٥٥) الرازي، مرجع سابق، صفحات ٨٠- ٨١. المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، صفحات ٢٢٠- ٢٣١. لامينز، الإسلام، صفحة ١٧٥. هنري ماسيه، الإسلام، صفحة ١٥٩.

(٥٦) إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ٥٩- ٦٠. نلاحظ أن السيد بلوشيه في ذكره للمراتب لم يذكر السابعة وهي مرتبة المريد.

(٥٧) مرجع سابق، صفحة ١٣٤. والمقريزي، الخطط، المجلد الثاني، صفحة ٢٣١.

ونرى أن تعظيم هذين العددين: سبعة واثني عشر، والمعروف من قبل في الحضارة الفارسية القديمة، لم يكن من عند هؤلاء الإسماعيلية، وإنما من عند الصابئة بالعراق الذين كانوا يعبدون -كما رأينا- الكواكب السبعة السيارة، ويعظمون أبراج السماء الاثني عشر. وكانوا يزينون معابدهم بالنجوم رمزًا لما يعبدونه، ومن هنا -كما يقول ابن حزم- عرف العرب الوثنية[٥٨]. فالصابئة في زمان إبراهيم كانوا وثنيين.

وفي زمان موسى دخل عدد منهم في اليهودية، كما دخل عدد منهم بعد ذلك في المسيحية، وظل عدد من هؤلاء الصابئين على عاداتهم الوثنية الموروثة من العصور القديمة، حتى مجيء الإسلام، في الفترة التي كانت فيها العراق خاضعة لملوك الفرس. فلما كان فتح العراق وفارس، دخل عدد من أهل هذه البلاد في دين الإسلام ظاهرًا، حتى يتمكنوا من محاربته بأدنى درجة من المخاطرة. واعتمدوا في تلك الحرب السرية على إظهار إخلاصهم وولائهم لذرية فاطمة بنت النبي محمد ﷺ. ومن المحتمل أن يكون المؤسسون الفارسيون للمذهب الإسماعيلي، قد أدخلوا في الإسلام -بجانب العقائد الغريبة عليه- عقيدة عبادة النجوم، وتعظيم الأبراج الاثني عشر، وهي عقيدة موجودة عند الصابئين في العراق، فالإسماعيليون كانوا أكثر قربًا من الصابئين المعاصرين منهم للفارسيين القدماء. ولكن إذا لم يكن الإسماعيليون قد قاموا بإدخال هذه العقيدة في الإسلام وقت تأسيس هذا المذهب، فمن القريب إلى المعقول أن الذي أدخلها فيما بعد هو حمدان قرمط -من صابئة العراق- والذي لعب دورًا مشهودًا في نشر هذا المذهب، وبلغ

---

(٥٨) ابن حزم، الفصل، المجلد الأول، صفحة ٣٦.

من أهمية هذا الدور في الأقطار التي انتشر بها أن أطلق على المذهب الإسماعيلي اسم المذهب القرمطي، وأطلق على القائمين بنشره اسم القرامطة.

ولقد ظل النظام القائم على العدد سبعة -والمتمثل في المذهب الإسماعيلي السبعي بطائفتيه: القرامطة والفاطميين- أساس تعاليم هذا المذهب، ولكن التطبيق كان يختلف تبعًا لتطور المذهب. ولا يزال ينظر إلى محمد بن إسماعيل على أنه النبي السابع، وأما أئمته السبعة، فإن رأي المؤرخين يختلف بشكل ملحوظ حول شخصيتهم الحقيقية. ومع ذلك يمكننا أن نذكر من بين هؤلاء السبعة -كما بيَّن ماسيه- عبد الله القداح، وولده أحمد بن عبد الله القداح، وولده الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح، وعبيد الله «مهدي شمال إفريقيا». ولكن من هم الأئمة الذين جاؤوا من بعد هذا الأخير لختام المرحلة السابعة من مراحل النبوة؟ وكيف اتصلت سلسلة الإمامة مع الحفاظ على القيمة المذهبية للعدد سبعة، حتى ظهور الفاطميين الذين وصل بهم الغلو إلى حد القول بألوهية الحاكم بأمر الله، الخليفة الفاطمي الثالث بمصر؟

نعلم أنه يوجد بين الحاكم بأمر الله وعبيد الله أربعة خلفاء متتابعون وهم: أبو القاسم نزار القائم بن عبيد الله (٢٨٠-٣٣٤ هجرية)، والمنصور بن نزار (٣٠٣-٣٤١ هجرية)، والمعز بن المنصور (٣١٧-٣٦٥ هجرية)، وهو أول خليفة فاطمي في مصر، والعزيز نزار بن المعز (٣٤٤-٣٨٦ هجرية). ونرى من ثم، أن الرجال الذين قاموا بالتتابع على أمر المذهب الإسماعيلي منذ عبد الله القداح حتى مجيء الحاكم يتجاوز عددهم السبعة. ويذكر المقريزي من جهة أخرى أنه من بين أولئك الذين قاموا على أمر هذا المذهب قبل عبيد الله المهدي كان هناك رجل يقال له محمد الملقب بالشلعلع، أخو الحسين وابن أحمد بن عبد الله القداح.

وبذلك يصل العدد إلى تسعة، ويمكن أن نقول إن الفاطميين كانوا يجتهدون في السعي للتخلص بأي صورة من الصور من قيد العدد سبعة. ولقد سبق وأن تخلوا عنه بالفعل عندما جعلوا منهجهم في نشر مذهبهم في تسع نقاط. وعلى آية حال، فإنه عندما آلت الخلافة إلى الحاكم بأمر الله، وجد الفاطميون أنفسهم أمام مشكلة من شأنها أن تأتي على النظام الذي أسسته الإسماعيلية السبعية على العدد سبعة، حتى مع مراعاة التغير الذي حدث من وراء العدد تسعة. وهكذا انتهت مراحل النبوة بمجيء محمد بن إسماعيل، واختتمت رسالة الأئمة السبعة أو التسعة قبل أن يصبح الحاكم خليفة، فكيف كانت إذن الرسالة الروحية لهذا الخليفة إذا استثنينا السلطة الدنيوية؟ يقول أتباع هذا المذهب إنه كانت هناك ضرورة ملحة لإيجاد حل لهذه المشكلة، ويجب أن يتفق هذا الحل مع النظام القائم على أساس هذا العدد، وأن يحفظ للخليفة الحاكم مكانة إن لم تكن أعلى من الخليفة السابق فلا ينبغي أن تكون أقل منها.

ونظرًا لهذا الوضع قال فريق منهم إنه باختتام رسالة الأنبياء وانتهاء المراحل الدينية السبعة بمجيء الحاكم أصبح الناس في حل من التكاليف الشرعية، وإن الحال التي هم فيها تمثل ما وعدوا به في الآخرة باسم الجنة. ويقول آخرون إنه بأداء الأنبياء وأئمتهم لرسالتهم وبانطفاء نور الله الذي كان يشع منهم بسبب غيابهم فإن الله قد تجسد في شخص الحاكم، ولقد بدا هذا التفسير الثاني صحيحًا ومناسبًا للحاكم الذي بدأ يزعم أنه الله، ومع أن المصريين -الذين كانوا في ذلك الوقت شديدي التمسك بالإسلام- استشاطوا غضبًا من مثل هذا الادعاء، وبموت الحاكم في سنة (٤١٠-١٠٢٠) ظهرت مشكلة جديدة وصعبة أمام الفاطميين تتعلق بإمكانية انتقال وظيفة المتوفى، الذي تجسدت فيه الذات الإلهية إلى شخص آخر.

وفي ذلك الوقت ظهرت جماعة الدروز، وكان ذلك على إثر خلاف في الرأي بين الرجلين اللذين عملا في زمان الحاكم على نشر مقولة «إن الله تجسد في شخصه» وهما: حمزة ودرازي، حيث كان يزعم حمزة أنه حل محل الحاكم بأمر الله، وأن الله قد تجسد فيه. وأما الثاني فظل يقول بألوهية الحاكم بأمر الله رغم موته، وأخذ ينشر هذا المذهب في سوريا، ولكنه اصطدم بفرقتين من فرق الشيعة المتشددة وهما النصيرية والعلي إلهية، اللتان تؤلهان علي بن أبي طالب. ومع ذلك فإن النصيرية كانت تنظر إلى التأليه في صورة تثليث: علي ومحمد (نبي الإسلام ﷺ) وسلمان الفارسي، وتجعل النصيرية عليًّا في درجة أعلى من محمد، زاعمين أن نبي الإسلام قد صدر عن نور علي، وأن سلمان كان مبشرًا بمجيء علي. وكانت فرقة العلي إلهية تقتصر على تأليه علي بقولهم إن الروح الإلهية قد تجسدت في شخصه. ولم يستطع درازي أن يقنع أتباع هاتين الطائفتين بألوهية الحاكم، فلما لم ينجح في إقناعهم، انتقل هو وأتباعه إلى مدينة حوران في جنوب سوريا، حيث كان يطلق على المنطقة الجبلية التي كانوا يسكنونها اسم جبل الدروز. وأدرك هؤلاء الدروز أنه إذا كان العدد سبعة ينبغي أن يظل أساسًا لنظامهم الديني، فإنه من الضروري إجراء بعض التعديلات على هذا النظام لتبرير ألوهية الحاكم، وهي ألوهية لا يمكن أن تنتقل بعد إلى غيره. ولتحقيق ذلك قاموا بإدخال الرقم سبعة في صورة الأحكام الأساسية السبعة[٥٩].

وهذا التفسير الذي قدمناه لمذهب الإسماعيلية السبعية الذي يجعل محمد بن إسماعيل نبيًّا يتفق مع ما قاله فخر الدين الرازي عندما تحدث عن السبعية، ويتفق هذا التفسير أيضًا مع زعمهم بأن محمد بن إسماعيل هو النبي السابع الذي جاء

(٥٩) ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٠.

في نهاية مرحلة النبوة السادسة التي كان نبيها محمد ﷺ نبي الإسلام. واختتمت الإمامة في هذه المرحلة بإسماعيل بن جعفر. وفي النهاية نجد أن هذا التفسير يتفق أيضًا مع مفهومهم الذي يرى أن وظيفة الإمام أقل من وظيفة النبي، فالإمام عند الإسماعيلية السبعية ليس إلا وكيلا للنبي يتلقى منه التعاليم والأحكام.

يقول بلوشيه في كتابه «المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية»: «الشيعة الذين يقولون بإمامة إسماعيل، ثم إمامة ولده محمد، ليسوا من الإسماعيلية. فالإسماعيلية تنظر إلى إسماعيل ومحمد على أنهما شخص واحد، وهوية واحدة»[٦٠]. وما ذكره بلوشيه يمكن أن يمثل وجهة نظر فرقة إسماعيلية أخرى -سبق وأن أشرنا إليها- وهي الفرقة الإسماعيلية السبعية الواقفية، وهي الفرقة التي تعد محمدًا إمامًا، وتجعل الإمامة تنتهي عنده، معتبرة إياه الإمام الخاتم والمهدي المنتظر. ويتضح لنا أن هناك غموضًا بين تفسير مذهب الإسماعيلية السبعية الواقفية التي تعد محمد بن إسماعيل إمامًا، وبين تفسير مذهب الإسماعيلية السبعية التي تعده نبيًا.

ونرى أن هناك ملاحظة أخرى على ما ذكره بلوشيه نقلا عن فكر علاء الدين التماليكي الجويني. يقول بلوشيه:

١ - «في الوقت الذي يكون فيه الإمام غائبًا، يجب على رسله وأنبيائه أن يعيشوا بين الناس...».

٢ - «... يقوم الأنبياء بتلقي الكتب المنزلة من السماء (أصحاب التنزيل)، ويقوم الأئمة بتفسيرها (أصحاب التأويل)».

٣- «... الخضر الذي علم موسى العلم اللدني كان إمامًا...»[٦١].

---

(٦٠)إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحة ٥٦، ملاحظة.

(٦١) مرجع سابق، صفحات ٥٦- ٥٧.

ويعبر بلوشيه عن رأيه الخاص في هذه المسألة قائلا: «قبول الإسماعيلية لفكرة تفسير الأئمة للكتب المقدسة، واقتصار الأنبياء على تلقيها من السماء، وتعليم الإمام الخضر للنبي موسى العلم اللدني، يوضح تمامًا أن هذه الفرقة تقول إن رسالة الأئمة أعلى من رسالة الأنبياء، ومن ثم يقرون في أعماقهم بأن عليًّا أعلى من محمد ...».

«وهذا يبين أن الإسماعيلية ليست بعيدة عن الغالية والعلي إلهية اللتين تقولان صراحة بأفضلية علي على محمد»[٦٢].

ونريد أن نقول في هذا الصدد إن المذهب الذي يتحدث عنه بلوشيه قد قبلته فرقة من الإسماعيلية خرجت من رحم الفرقة الأم، وقامت خلال فترة تطور هذا المذهب بتغييره، جاعلين للإمامة مفهومًا خاصًّا، يختلف عن مفهوم الإسماعيليين الأوائل لها. بينما يرى هؤلاء الإسماعيليون الأوائل أن الإمام مفوض من قبل نبي، وبالتالي لا يرون عليًّا إلا مفوضًا من قبل محمد ﷺ. وتزعم الفرقة الإسماعيلية، التي خرجت من رحم الفرقة الأم، أن الإمام فوق النبي، وبالتالي يجعلون محمدًا تابعًا لعلي الذي كان إمامه. وتقتصر مهمة النبي ﷺ على تلقي القرآن الكريم، وأما دور علي فهو تفسير القرآن، فمنزلة محمد من علي كمنزلة موسى من الخضر. ونرى مما لا شك فيه أن هذا المفهوم يعد تحريفًا للمذهب الأصلي للفرقة الإسماعيلية. ولقد انتقل إلى هذا المذهب بعض المفاهيم المأخوذة عن الصوفية الباطلة الذين جاؤوا ببعض المصطلحات الخاصة مثل العلم اللدني، وصاحب الوقت، على سبيل المثال. ولقد تم تحريف كلمة إمام عن معناها الأصلي، فلقد كانت تعني

(٦٢) مرجع سابق، صفحة ١٩١.

وفقًا للمذهب الإسماعيلي الأصلي «المفوض» من قبل النبي، ثم تحولت إلى الولي «ولي الله» وهو أمين الأسرار وصاحب العلم اللدني. وهذه التغيرات التي طرأت على المذهب الإسماعيلي الأصلي تعد شيئًا طبيعيا؛ لأن مذهبًا غريبًا كهذا من شأنه أن يفرز حتمًا تغيرات أكثر غرابة تهدف إلى نفس الغاية وهي زعزعة استقرار الإسلام.

وفي خاتمة هذا الفصل عن الإسماعيلية، يبقى لنا الحديث عن فرقة الحشاشين. ولقد خرجت هذه الفرقة أيضًا من رحم الإسماعيلية، وتتألف من أتباع الحسن بن صباح. ولقد ذهب هذا الرجل إلى مصر عام (٤٧١= ١٠٧٨)، في زمان الخليفة الفاطمي الخامس: المستنصر (٤٢٠-٤٨٧= ١٠٢٩-١٠٩٤)، وأقام بها سنة ونصف السنة، وكان من أتباع الفاطميين، ونال رضا الخليفة. ولقد عين الخليفة المستنصر -تحت تأثير وزيره- ولده الثاني المستعلي خليفة له، مما أضر بحقوق ولده الأكبر نزار. فانبرى حسن بن صباح للدفاع عن حقوق نزار، فقام المستنصر -بناء على نصائح وزيره الملحة- بطرده من مصر، فعاد ابن صباح إلى بلاد فارس، وقام بالدعاية لصالح نزار. وهناك اشتد تأثيره ونجح في أن يكون هناك عالم دين مستقل، وتحصن هو وأتباعه في حصن ألموت، الواقع في شمال شرق قزوين، ومن هناك قاد هجومًا مسلحًا في جميع أنحاء القطر، واستطاع الاستيلاء على حصون أخرى عضدت من قوته. واستمرت هذه الفرقة تمارس أعمالها طيلة قرنين تقريبًا، إلى أن جاء المغول الذين قضوا على قوتها. ولكي تصل هذه الفرقة إلى مآربها، وتقضي على أعدائها، كانت تستخدم -بناء على أمر قائدها حسن بن الصباح- الوسائل الأكثر جرمًا كما كانت تستخدم الخناجر والسم. وكان يطلق على منفذي العمليات المختلفة الذين ماتوا في سبيل هذا المذهب اسم «الفدائية»

بمعنى «الذين يضحون بأنفسهم». ولتهيئة هؤلاء الفدائيين نفسيًّا لتنفيذ جرائمهم، كانوا يجعلونهم يقيمون قبل أداء المهمة في حدائق ذات بهجة، ويعدونهم بحدائق أكثر بهجة في الجنة بعدها جزاء على أعمالهم وشجاعتهم. ثم إنهم كانوا يجعلونهم يثملون من أثر الحشيش، وهو نبات هندي يجعل حالة الثمل تصل إلى ذروتها. وعلى ذلك نجد أن مذهب الحشاشين ليس إلا مجرد فرع عن المذهب الإسماعيلي الأصلي.

والشيء الذي يمكن أن يميزهم، وأن يجعل منهم الإسماعيليين الجدد، هو زعمهم أن الإيمان الحق بوحدانية الله يكمن في الاعتقاد بأن الألوهية والنبوة أمر واحد، كما أن النبوة والإمامة أمر واحد، ومن الواضح أن هدف مفهوم وحدة الإله يهدف إلى جعل الإمام في درجة أعلى من الله.

كان حسن بن الصباح -كما يقول الشهرستاني- يحرم على جمهور تابعيه السعي في طلب العلم، وأما أتباعه المثقفون فكان يحرم عليهم التعمق في دراسة الكتب التي تحت أيديهم [٦٣]. ومات ابن الصباح سنة (٥١٨= ١١٢٤).

وهذا المذهب الإسماعيلي الذي قمنا بعرضه طرأ عليه مع مرور الوقت بعض التغييرات الناتجة عن بعض الأحداث والأهداف السياسية ولا يزال موجودًا إلى يومنا هذا. وهذا المذهب له من يمثله في العديد من البلاد، منها على سبيل المثال سوريا، وعمان، وفارس، وأفغانستان، والهند، وهم في الهند أكثر عددًا. ويعد السيد محمد شاه بن أغا علي الملقب بأغا خان هو القائد الحالي لأكبر عدد من الإسماعيلية في بلاد الهند. ولقد أسند أغا خان نسبه إلى نزار -الولد الذي

---

(٦٣) الشهرستاني. الملل والنحل، المجلد الثاني، صفحة ٣١. راجع أيضًا هنري ماسيه، الإسلام، صفحات ١٦١- ١٦٢. وكليمان هوارت، موسوعة الإسلام، مقال الإسماعيلية.

جرده والده الخليفة المستنصر من حقوقه- ويعد أغا خان الحالي هو الإمام السابع والأربعون انتهاء بعلي بن أبي طالب صهر نبي الإسلام ﷺ(٦٤).

وعلى الرغم من أن الإسماعيليين الموجودين إلى اليوم لا زالوا يتمسكون بعقائد الإسماعيلية الأولى لا سيما فيما يختص بالتفسير المجازي للقرآن، والعدد سبعة باعتباره أساسًا لمنظومتهم الدينية، فإنا لا نستطيع مع ذلك القول إنهم كانوا يسعون إلى نفس الهدف الذي كان يسعى إليه أسلافهم الأوائل من الإسماعيلية، وهو العمل في جميع الظروف على هدم الإسلام. وبغياب الهدف السياسي وانحسار الهدف الديني على مر القرون، لم يبق من المذهب الإسماعيلي إلا الطقوس والشعائر.

٣- البابية والإسماعيلية

تناولنا في الفصل السابق المبادئ الأساسية للفرقة الإسماعيلية وبينا جذورها، كما تناولنا التغييرات التي طرأت على المذهب الإسماعيلي على مر العصور، وهي التغييرات التي أدخلتها الفرق التي خرجت من رحم هذه الفرقة الأصلية. وذكرنا أيضًا أن أتباع هذا المذهب الإسماعيلي لا زالوا يعيشون في أيامنا هذه في مختلف البلاد ومنها بلاد فارس.

وفي العصر الذي ولد الباب فيه في بلاد فارس كان هناك -بجانب الشيعة الإمامية المعتدلة التي تمثل جمهور الأمة الفارسية- قلة ممن يتبعون المفاهيم الإسماعيلية. وفي الوقت نفسه كان هناك في العراق فرقة دينية تعرف باسم الفرقة الشيخية، وهي فرقة خرجت من رحم الإمامية الاثنا عشرية، إلا أنها تختلف عنهم

(٦٤) جولدتسيهر، عقيدة وشريعة الإسلام، صفحة ٢٠٨. لامينز، الإسلام، صفحات ١٦٦- ١٧٧، موسوعة الإسلام، مقال: الإسماعيلية، كليمان هوارت.

في الآراء والتعاليم الخاصة التي ستتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد. ومؤسس هذه الفرقة هو الشيخ أحمد الأحسائي، والذي خلفه فيها الشيخ كاظم الرشتي، الذي أعلن كسابقه يومًا لتلاميذه -خلال إحدى حلقات الدرس- قرب ظهور الإمام المهدي المنتظر. وكان يقول إن هذا الإمام المهدي يجب أن يكون له تلميذ مقرب هو «الشيعي الكامل» الذي يكون في اتصال روحي معه.

ومن هنا كانت نقطة الانطلاق للبابية، فالشاب الميرزا علي محمد عقب حضوره لبعض دروس الرشتي، طفق يزعم بأنه هو هذا «الشيعي الكامل»، ثم أعلن أنه «الباب» المؤدي إلى معرفة هذا الإمام المهدي، وأنه عن طريق هذا الباب -يقصد نفسه- يستطيع الناس أن يكونوا في اتصال مع الإمام المهدي.

وهذا المهدي الذي أعلن الميرزا علي محمد أنه بابه هو المهدي الذي كانت تنتظر الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مجيئه، يقصدون بذلك الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، الذي عاش في القرن الثالث الهجري، واختفى في سنة ٢٦٠ هجرية. والنقطة المتعلقة في هذا المذهب بهذا الإمام هي نقطة الالتقاء الوحيدة بين مذهب الباب ومذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، فكما يقول إدوار مونتيه: «تنتمي البابية في الأصل إلى مذهب الأئمة الاثنا عشر»[٦٥]. ومع ذلك فإن هذا لا يعني بالمرة القول إن مذهب الباب له علاقة بالأحكام الإسلامية التي تتمسك بها الإمامية الاثنا عشرية، فالباب عند تأسيس مذهبه أخذ عن الإمامية المتشددة وبحث في مذاهبهم عما يتعارض مع أحكام الإسلام حتى في أحكام الإسلام التي تعمل بها الشيعة المعتدلة، ومن بينهم الإمامية الاثنا عشرية.

---

(٦٥) إدوار مونتيه، الدراسات الشرقية والدينية، صفحة ٢٣٣.

ومع ذلك فإن المذهب الذي استند إليه الباب كثيرًا في وضع أحكامه الدينية هو مذهب الإسماعيلية الباطنية وما خرج من رحم هذه الفرقة.

ولقد تناولنا -باختصار- تحت عنوان «مذهب الباب» النقاط الرئيسية في مذهب الباب، وسوف نعيد الحديث عنها فيما يلي، ولكن ما نعرضه الآن هو أوجه التماثل بين البابية والإسماعيلية، بعد دعوة القارئ إلى الرجوع أيضًا إلى الفصل السابق المتعلق بالإسماعيلية.

١- يرى البابيون أن الله ليس له صفات ولا أسماء وهذا هو أيضًا مفهوم الإسماعيلية السبعية ومفهوم القرامطة والفاطميين الذين يزعمون نفس الأمر[٦٦].

٢- تعني وحدانية الله عند البابيين توحد الذات الإلهية مع ما صدر عنها، وهذا الصدور هو العقل الكلي الذي يسميه الباب «النقطة الأولى» وهو ينتقل من نبي لآخر. وهذا يرجع إلى القول إن وحدانية الله هي توحد الألوهية مع النبوة. وهذه هي أيضًا وجهة نظر الدروز والنصيرية والحشاشين. فالدروز والحشاشين يظهرون وحدانية الله في صورة توحد الألوهية مع النبوة، أما النصيرية فإنهم يقولون إن وحدة الله تتألف من علي وما صدر عنه وهو محمد وسلمان[٦٧].

٣- زعم الباب أنه «النقطة الأولى» التي انبثقت عن الذات الإلهية فخلقت

(٦٦) الميرزا علي محمد الباب، كتاب دلائل السبعة، (ترجمة نيكولا)، صفحة ٢. راجع أيضًا اللوح الرابع الذي أورده مهدي خان في كتابه مفتاح باب الأبواب، صفحة ٢٩٤. الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحات ٢٤- ٢٦. إدغار بلوشيه، المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية، صفحة ١٣٤. هنري ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٣. المقريزي، الخطط، المجلد الثالث، صفحات ٢٣٢- ٢٣٣.

(٦٧) كتاب دلائل السبعة، (ترجمة نيكولا) صفحات ٤- ٥. الجرفادقاني، مرجع سابق، صفحات ٢٤- ٢٧. إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحة ٩٢. الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الثاني، صفحة ٣١. هنري ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٠.

الكون وأرسلت الأنبياء إلى الناس. ويوجد مثل هذا التصور أيضًا عند النصيرية والعلي إلهية الذين يسندون هذا الدور إلى علي بن أبي طالب[٦٨].

٤- أوجب الباب التوجه في الصلاة إلى بيته الذي ولد فيه، كما أوجب حج هذا البيت وذلك باعتباره «النقطة الأولى» وأول ما صدر عن الله وأنه انعكاس له. وهذه الفكرة موجودة أيضًا عند الإسماعيلية الذين يقولون إن العقل الكلي هو أول ما صدر عن الله، وإن هذا الصدور هو وحده المتصف بالصفات الإلهية، وهو الذي ظهر في صورة الإنسان، لذلك يجب التوجه إلى ذلك الإنسان في الصلاة وحج بيته لأنه يمثل الصدور عن الله. ويوجد هذا المفهوم على وجه الخصوص عند النصيرية والعلي إلهية ويختص بشخص علي وعند الدروز نجده يختص بالحاكم بأمر الله. وتزعم الفرقة الباطنية «أهل الحق» أن التجسيد الأول لله كان في شخص خواندكار[٦٩].

٥- أما ما يتعلق بالبعث والحساب والجنة والنار، فإننا نجد أن الباب قد ابتعد تمامًا عن المفاهيم التي تقول بها جميع الأديان السماوية، وأنكر حدوث هذه الأمور في المستقبل. ولقد أخذ ذلك عن التصورات النصيرية والحروفية والفاطمية. فالنصيرية ينكرون البعث والحساب يوم القيامة، ويقولون بالتناسخ، ويرون أن أرواح المؤمنين تتحول إلى نجوم، وأن أرواح الكافرين تنتقل إلى أجسام

---

(٦٨) لامينز، الإسلام، صفحات ١٩٤- ١٩٥. إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ١٠٣، ١٣٤، ١٧٣- ١٧٤.

(٦٩) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٢٤. إدغار بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ١٠٣، ١٣٤، ١٧٣- ١٧٤. موسوعة الإسلام، مقال هوارت الإسماعيلية ومقال أهل الحق، مينورسكي. لامينز، الإسلام، صفحات ١٩٣- ١٩٤.

الحيوانات. أما الفاطميون فإنهم يقولون إن الجنة هي المعرفة، وإن النار هي الجهل، فهم يقولون أيضًا بالتناسخ(٧٠).

٦- فيما يختص بنهاية الإنسان، فإن الباب يقول بفكرة تأليه الطبيعة: «عند نهاية الخلق سيعود المخلوق إلى الله وسيكون فيه وإليه» ولقد أخذ الباب هذه الفكرة عن الإسماعيلية السبعية لا سيما الدروز الذين قرروا التدرج الذي سبق أن بيناه والذي ينبغي أن يمر به الإنسان بالتتابع ليندمج في الله(٧١).

٧- عندما زعم الباب أنه نبي، فإنه قد خالف بذلك المفهوم الإسلامي الذي يقرر بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء. ومن الواضح أنه أخذ هذا الرأي عن الإسماعيلية السبعية الذين ينكرون أن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء.

٨- أراد الباب أن يضع نفسه في مكانة أعلى من النبي ﷺ، لذلك أمر تلاميذه أن يذكروا اسمه في الأذان للصلاة بالصيغة الآتية:

«وأشهد أن عليًّا (الباب) قبل نبيل مرآة الله»، فهو يضع نفسه في درجة أعلى من درجة محمد الذي يسميه بعض الشيعة «نبيل»، فأخذ الباب هذا المفهوم عن الشيعة المتشددة الذين يفضلون عليًّا على محمد، ولكن يقصدون بعلي علي بن أبي طالب(٧٢).

٩- يفسر البابيون القرآن بطريقة مغلوطة لا تتفق على الإطلاق مع

---

(٧٠) بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ٥٩- ٦٠، ٩٢. ماسيه، مرجع سابق، صفحة ١٦٤. مونتيه، مرجع سابق، صفحة ٢٦٣، جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحة ٢٦٢.

(٧١) بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ٥٩- ٦٠، ٩٢. ماسيه، مرجع سابق، صفحة ١٦٤. مونتيه مرجع سابق، صفحة ٢٦٣. جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحة ٢٦٢.

(٧٢) ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٠. موسوعة الإسلام، مقال: الباب، هوارت.

استعمال اللغة العربية، ومع ذلك يزعمون أن تفسيرهم يكشف عن المعنى الحقيقي لآيات القرآن. ولقد أخذوا ذلك عن الإسماعيلية الباطنية على وجه العموم، وعن القرامطة والفاطميين على وجه الخصوص، وكذلك عن الفرقة النصيرية. وتزعم تلك الفرق جميعًا أن آيات القرآن ليست إلا مجرد رموز لا يمكن حملها على معناها الظاهر، وإنما يفسرها المعلم والإمام لبيان معناها الباطن. فهم يسعون بذلك إلى هدم أحكام الإسلام[٧٣].

١٠- لقد أعطى الباب أهمية خاصة للعدد تسعة عشر، وأقام عليه مذهبه، وزعم أن من يمثلون الله عددهم تسعة عشر: هو وتلاميذه الثمانية عشر، الذين أطلق عليهم اسم «أحرف الحي»، ولقد أخذ ذلك عن الإسماعيلية السبعية، فهذه الفرقة تعظم العددين: سبعة، واثني عشر، جاعلين منهما أساسًا لنظامهم الديني، وهو العدد الذي يبين عدد الأديان والأنبياء والمفوضين من قبلهم بينما يبين العدد الثاني عدد الرسل[٧٤].

١١- لقد أولى الباب أهمية كبرى للقيمة العددية المنسوبة للحروف الهجائية. ولقد زعم في كتابه البيان وفقًا لهذا النظام أن كتابه فيه كل شيء، وأنه كل شيء؛ لأنه أراد أن يجعل كتابه البيان في ثلاثمائة وواحد وستين فصلا، ليتوافق مع أيام السنة البابية، وليتوافق أيضًا مع المجموع الكلي للقيمة العددية المنسوبة إلى حروف الكلمتين العربيتين «كل شيء»، بيد أن رغبته هذه لم تر النور. وبموجب هذه العملية الحسابية الغريبة زعم أنه الرب؛ لأن القيمة العددية المنسوبة لحروف

---

(٧٣) المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، صفحات ٢٢٧- ٢٣٥. البغدادي، الفرق بين الفرق، صفحات ٢٧٩- ٢٨٧. جولدتسيهر، عقيدة وشريعة الإسلام، صفحات ٢٠٤- ٢٠٧. بلوشيه، مرجع سابق، صفحة ١٨٦.

(٧٤) هوارت، دين الباب، صفحات ٥٦- ٥٧. بلوشيه، مرجع سابق، صفحة ١٣٤.

هذه الكلمة تتوافق مع العدد ٢٠٢ وهذا الرقم يتوافق أيضًا مع القيمة العددية المنسوبة لحروف اسمه «علي محمد»، ولقد أخذ هذا النظام عن الباطنيين على وجه العموم، لكننا نجد هذا النظام على وجه الخصوص عند الحروفيين، أي «مفسرو الحروف»[(٧٥)].

١٢- إن الباب في تحريمه على جمهور تلاميذه تعلم العلم وقصر العلم بالنسبة للمثقفين على دراسة كتاب «البيان»، قد أخذ ذلك عن حسن بن الصباح زعيم الحشاشين الذي كان يحرم على تلاميذه من بين العوام أن يتعلموا، وحرم على الصفوة من تلاميذه التعمق في دراسة الكتب التي بين أيديهم[(٧٦)].

١٣- الأمثلة التي تناولناها توضح أن الباب أخذ عن الإسماعيلية العناصر الرئيسية في مذهبه. حتى لقب الباب الذي خلعه على نفسه في مطلع ظهور دعوته المزعومة قد أخذه عن الإسماعيلية والدروز والنصيرية. «كان الإسماعيليون يستخدمون هذه الكلمة بمعناها المجازي للشيخ والأساس «المعلم» الذي يبين أسرار المذهب الديني...، وكانت النصيرية تطلق على سلمان الفارسي لقب «الباب»؛ لأنه كان مكلفًا بتبليغ الرسالة -رسالة النبي محمد ﷺ- «ويطلق الدروز لقب «الباب» على المرشد الروحي الأعلى». (موسوعة الإسلام، مقال الباب، كليمان هوارت).

«اسم الباب لم يكن من اختراعه، فلقد كان موجودًا من قبل عند النصيرية...». «... وسكان الجبال العارفون ببواطن الأمور في شمال سوريا كانوا يرون في هذا الاسم الشخص المكلف بأن يبين للناس المذهب الذي أنزله «الاسم»

(٧٥) ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٤.

(٧٦) راجع البيان العربي، الوحدة الرابعة، الباب العاشر، الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الثاني، صفحة ٣١.

وهو التشخيص الظاهر للألوهية» (دين الباب، كليمان هوارت، صفحات ٩-١٠). ويوجد عند النصيرية ثلاثة أسماء للإشارة إلى المثلث الإلهي وهي: «المعنى» وهو ما يطلق على علي، و«الاسم» وهو ما يطلق على محمد ﷺ، و«الباب» وهو ما يطلق على سلمان(٧٧).

١٤- وإذا كان مذهب الباب قد خلا من أي تشريعات تدعو إلى الانحلال الأخلاقي فإن أكبر تلاميذه الأوائل كانوا يسعون لإدخال ذلك التحلل الأخلاقي في مذهبهم عندما خلعوا عن أنفسهم عباءة الإسلام وأعلنوا مجيء البابية. ولقد أعلن هؤلاء التابعون على لسان زرين تاج أثناء عقد مؤتمر بدشت التحرر الكامل من الأخلاق. ولقد دافع قرامطة البحرين من قبل عن تلك الرؤية وهناك آراء شبيهة بذلك عند الفاطميين(٧٨).

١٥- وبمجيء بهاء الله أعلن البابيون أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء وسعوا إلى رفع بهاء الله فوق درجة النبوة. ولتحقيق ذلك الهدف أعلنوا أن الأنبياء ليسوا إلا مجرد مظاهر للألوهية، وحيث إن رسالة الأنبياء قد انتهت بمجيء النبي محمد ﷺ فإن الله كان يتمثل بنفسه للناس في شخص بهاء الله، أما بالنسبة للباب فإن البابيين البهائيين قد أعلنوا أن الباب هو المبشر بمجيء بهاء الله يقصدون بذلك مجيء الله(٧٩). وبذلك بدأت مرحلة أخرى وهي مرحلة ظهور الله المباشر للناس.

وفي ذلك تقليد واضح للطرق التي اتبعها الفاطميون عندما جعلوا من

---

(٧٧) بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ١٨٧ - ١٨٨. لامينز، الإسلام، صفحة ١٨٧.

(٧٨) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحات ١٠٦، ١٨٠ - ١٨٢. نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٨٠، الملاحظة. البغدادي، مرجع سابق، صفحة ٢٧٠. المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، صفحات ٢٣٢- ٢٣٣.

(٧٩) بهاء الله، نبذة من تعاليم بهاء الله، كتاب فرج الله الكردي، صفحات ٢- ٣، ١٤٣، ١٥٨. الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحات ٤- ٣٣، ٩٨- ٩٩.

شخص الحاكم إلهًا، حيث انتهت مرحلة النبوة السابعة عندهم قبل مجيء الحاكم. ولقد اتبع الحروفيون طريقة مشابهة لذلك عندما قالوا: «... وجاء الأولياء بعد الأنبياء وبشروا بالتجسد الإلهي الذي تحقق أولًا في شخص مؤسس الطائفة» (ماسيه، الإسلام، صفحة ١٦٤).

١٦- ولكي يستقطب البهائيون أتباعًا لهم من بين المسيحيين كانوا يزعمون أن بهاء الله هو المسيح المنتظر وبالتالي فهو تجسيد لشخص المسيح. ولقد سبق واستخدم الفاطميون طريقة مشابهة لجمع الناس تحت راية الخليفة الحاكم فزعموا للأقباط أن الحاكم هو تجسيد لشخص المسيح[٨٠].

ولقد ذكرنا في الفصل السابق أن الإسماعيلية السبعية قد أخذت من الفلسفة الرأي القائل إن خلق الأشياء لا يكون إلا عن طريق الانبثاق عن الله، وإنه يوجد بين الله وبين المادة اللدنة خمسة أشياء تمثل العناصر الخالقة للكون، وقرر الإسماعيليون أن العقل الكلي وهو أول ما صدر عن الله يمثل الله ويتصف بجميع الصفات الإلهية، حيث إن الله ليس له اسم ولا صفة. ويقولون أيضًا إن هذا العقل الذي يمثل الله تجسد بالتتابع في الأنبياء الذين اختتموا بمحمد بن إسماعيل. وإذا كانت علوم الباب قاصرة فلم تسمح له بالتعمق في دراسة أو فهم الفلسفة؛ فإنه قد استطاع القول -وفقًا لمذهب الإسماعيلية- إن الله ليس له اسم ولا صفة، وإن الروح الإلهية تظهر بالتتابع في الأنبياء الذين يطلق عليهم «مظاهر الله». ولما بلغت مزاعمه منتهاها جعل من نفسه العقل الكلي والأزلي وخلع على نفسه ألقابًا تتناسب مع هذا العقل، فأطلق على نفسه من بين هذه الألقاب: «الذكر الأول» و«النقطة الأولى» و«الإرادة الأولى لله».

---

(٨٠) الجرفادقاني، مرجع سابق، صفحات ١٠- ١١، ١٠٨- ١٠٩. محمد فاضل، الحراب، صفحات ٣٣٦- ٣٤٢. بلوشيه، مرجع سابق، صفحات ٩٢- ٩٤.

ويبدو أن الباب كان يكتفي بالاستماع إلى بعض الأشياء حتى المتناقضة ثم يستحوذ عليها ويذكرها دون تمحيص، ولقد ذكرنا أن بعض الإسماعيلية يرفعون النبي فوق الإمام أو الولي، والبعض الآخر يرى أن الإمام أو الولي أعلى منزلة من النبي. ولقد أخذ الباب نفسه بهذين الرأيين المتناقضين، فلما أراد أن يقترب من منزلة نبي الإسلام محمد ﷺ أخذ بأحد الآراء الفلسفية للشيخ أحمد الأحسائي التي تقرر أن شخصية الإنسان التي تميزه عن غيره والتي تحدد اسمه تقوم على أخلاقه، والشخص الذي يكون على نفس درجة هذه الأخلاق يكون هو ذاته مهما كان الفاصل الزمني بينهما. ومن منطلق هذه الفكرة جعل الباب من نفسه صورة حقيقية للنبي محمد ﷺ، ثم أعلن أنه في درجة أعلى منه ومن جميع الأنبياء؛ لأن صفة الأنبياء هي التفسير، أما صفة «الأبواب» فهي العلم[٨١]. ولم ينشغل الباب بهذا التناقض.

أما ما يختص بالأسماء والصفات الإلهية، فإن الباب إما مثبت وإما منكر وفقًا لكل حالة، فيقول في بادئ الأمر «إن الله ليس له أسماء»[٨٢]، ويقول ثانيا: «أقسم على ذلك بأسماء الله العلى»[٨٣] فنجده في جميع كتاباته يتبع أسلوب الإثبات وأسلوب النفي لأسماء الله تعالى. ويفسر لنا نيكولا قول الباب الأول فيقول: «جميع الصفات والأسماء التي ننسبها لله لا تعكس ولو من بعيد دقة تامة، فالبر والقوي والرحمن إنما هي صفات لا نجدها إلا في طبيعتنا الخاصة»[٨٤]. ويبدو لنا في هذا الصدد أن السيد نيكولا قد وجد نفسه أمام مشكلة عندما وجد الباب

---

(٨١) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة ٩٨، ما ذكره البستاني صفحات ٢٩٤- ٢٩٦.

(٨٢) كتاب دلائل السبعة (ترجمة نيكولا)، صفحة ٢.

(٨٣) مرجع سابق، صفحات ١٠، ٥٥.

(٨٤) مرجع سابق. راجع ملاحظة نيكولا، صفحة ٢.

يعطي الله أسماء وصفات، ولهذا السبب بلا شك أضاف قائلا: «نحن ننسبها إليه لكنها لا يمكن أن تعرِّفه»[٨٥]، إننا لا نستطيع أن نشارك السيد نيكولا رأيه الذي يقرر «أنه يكفي أن نعجز عن أن نتصور ذات الله تصورًا دقيقًا لكي نؤكد القول إن الله ليس له أسماء ولا صفات وإن جميع ما ننسبه إليه «لا يعكس ولو من بعيد دقة تامة».

فإذا كنا لا نعرف حقيقة الذات الإلهية ولا صفاتها فإننا نعلم مع ذلك أن لله صفات تليق بذاته ونرى أثرها في خلق هذا الكون. والله الأعلم بذاته قد جعل لنفسه أسماء وصفات وأمرنا في كتبه التي أنزلها على رسله أن نذكره وأن ندعوه بها، فكيف يمكن قبول قول الباب إن الله ليس له أسماء حتى مع تفسير السيد نيكولا لهذا القول؟

يتبين مما سبق أن البابية ما هي إلا نسخة باهتة للمذهب الإسماعيلي الذي لم يستطع الباب أن يجعل منه نظامًا دينيًا متناسقًا. ولا نستطيع أن نقرر وجه شبه بين البابية والشيعة الإمامية الاثنا عشرية وهم شيعة معتدلة لا يختلفون مع أهل السنة في شيء من أصول العقيدة الإسلامية. فهم يؤمنون بالله والبعث والحساب والجنة والنار كما تحدث القرآن عنها ووفقًا لعقيدة جميع المسلمين، ويؤمنون أيضًا بأن محمدًا خاتم الأنبياء في هذا الزمان وأنه لن يكون هناك دين سماوي جديد من بعده. وهم لا يقولون بالتناسخ ولا يقولون بتجسد الذات الإلهية في الإنسان ولا يفسرون القرآن بطريقة الباطنية التي تسعى إلى هدم أحكام القرآن. أما رأيهم في مسألة الخلافة، وهي مسألة لا علاقة لها بأصول العقيدة الإسلامية، فإنهم يزعمون أن عليًا هو الأحق في خلافة محمد ﷺ، وهذا هو رأي الزيدية أيضًا ومع

---

(٨٥) مرجع سابق.

ذلك فإنهم لا يخلعون على علي أي صفة من صفات الألوهية كما فعل المتشددون من جميع الفرق الكافرة ولا يعدون عليًّا نبيًّا ولا يعدون المهدي المنتظر نبيًّا يأتيهم بدين جديد ينسخ دين الإسلام، فهم لا يرون في هذا المهدي إلا مسلمًا كاملا يلتزم بتعاليم الإسلام وسيأتي لقتال قوى الشر من أجل أن يسود العدل في هذا العالم.

وعلى الرغم من أن الباب في الفترة التي صدع فيها في بلاد فارس بالدين الجديد كان يمكن أن يتناقش مع أغلبية ذات رأي معتدل في الدين، وكان من الممكن أن يأخذ عنها نرى أنه اتجه إلى الآراء المتشددة والكافرة التي كانت تنتشر أيضًا في العراق ولم يكن يؤمن بها إلا أقلية من الناس. لذلك نرى أن العلاقة الجامعة بين الباب وبين أصحاب الأفكار الكافرة نشأت في مدرسة الشيخ الأحسائي الذي كان يدرس مفاهيم مخالفة لمفاهيم الإمامية الاثنا عشرية وتبعه في ذلك خليفته من بعده كاظم الرشتي. ولم يتأثر الباب بكاظم الرشتي فحسب وإنما تأثر ببعض تلاميذه مثل البشروئي وصادق الخراساني وزرين تاج وغيرهم ممن أرادوا تطوير هذه التعاليم والتي هي تعاليم مخالفة للمذاهب المعتدلة وذلك بعد موت الرشتي إلى نظام ديني أكثر تشددًا، ولقد بذلوا ما في وسعهم ليصبح الباب خليفة للرشتي ليس فقط على رأس الشيخية وإنما من أجل أن يكون مؤسسًا لدين جديد يقوم على ظهور المهدي الذي بشر بقرب مجيئه الشيخ الأحسائي والشيخ الرشتي.

٤- البابية والشيخية

نريد أن نتحدث في هذا الصدد عن تعاليم مذهب الشيخية، وعلى الرغم من أنه لا يوجد تحت أيدينا وثائق كافية لتناول أفكار هذه الطائفة بالتفصيل إلا أننا نستطيع أن نبين بعض هذه الأفكار الأساسية والتي من شأنها تعريف القارئ

بالآراء الدينية لأصحاب هذا المذهب وكذلك معرفة المصادر التي نهلوا منها العناصر الأساسية لمذهبهم.

نجد في مقالات موسوعة الإسلام مقالا تحت عنوان «الأحسائي» ولكن صاحب هذا المقال غير معروف، وكان من بين ما ورد في هذا المقال ما يلي: «الأحسائي، واسمه الحقيقي أحمد هو عالم شيعي معروف ومؤسس للطائفة الشيخية، وهو ابن الشيخ زين الدين من مدينة الأحساء (في البحرين)، ولد عام (١١٥٧=١٧٤٤). ولقد غادر موطنه الأصلي في وقت مبكر ورحل إلى بلاد فارس وأقام في مدينة إيزد ومدينة كرمانشهان ثم يبدو أنه سكن أيضًا كربلاء وقزوين ومات في سنة (١٢٤٢=١٨٢٧-١٨٢٨) عندما كان يحج مكة. وكان وليًّا وعالمًا... والمذهب الذي كان يدعو إليه في مؤلفاته لم يكن معروفًا بصورة كافية فكان ينتمي -وفقًا لما ذكره براون- إلى الشيعة التي تقول بتأليه الطبيعة وعبادة علي... وكان تلميذه حاجي سيد كاظم -من مدينة رشت- يسير على نفس النهج، ولكن بعد موت الأحسائي اختلفت آراء الشيخية، فانضم بعضهم إلى البابيين، وأما البعض الآخر فإنهم على النقيض كانوا يحاربون مزاعم الباب»[٨٦].

يقول البابيون إن الأحسائي ينحدر من قبيلة عربية يقال لها صخر، وكانت تقيم في البحرين. وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية رحل إلى العراق العربية للعكوف على الدراسات العليا وإتمامها وواصل التعليم حتى أصبح معلمًا، وذاع صيته فاجتمع حوله العديد من التلاميذ، يذكر عبد الحسين أواره أن الأحسائي كان ينشر الآراء الجديدة التي اختلف الناس حولها، فقال بعضهم إن الأحسائي هو المؤمن الحقيقي الذي كانت تتبعه الشيعة الأتقياء وإن طاعته واجب مقدس، وأما

---

(٨٦) موسوعة الإسلام، مقال: الأحسائي.

الآخرون فإنهم على العكس قد تملكهم القلق من آرائه المبتدعة وقاموا بمعارضته وبالبحث في مناطق الضعف التي تشتمل عليها تعاليمه. ومع ذلك فإن الأحسائي كان على حذر تام وكان يتحدث بتحفظ شديد، فكان لا يكشف أسرار فكره إلا في حضور أتباعه المخلصين، وذلك هو السبب الذي جعل أعداءه لا يتمكنون من كشف الأخطاء التي كانت تشتمل عليها تعاليمه والتي بسببها حكموا عليه بكفره وجحوده للإسلام[87]. وما ذكره أواره يجعلنا ندرك أن الأحسائي كان يلجأ إلى ما يسمى «بالكتمان». وفي هذا الصدد يقول جوبينو: «يؤكد الجميع أنه كان يلجأ إلى الكتمان وأنه في الخلوة كان في منتهى الجرأة وكان يصرح بآراء مذهبه الذي يحمل اليوم اسمه بكل صراحة ووضوح»[88]. وأيًّا كانت درجة الحذر وطريقته في الحديث إلا أننا نستطيع من خلال تعاليمه أن ندرك الاتجاهات التي تجعلنا نقول إن آرائه تتعارض مع مذهب الشيعة الإمامية المعتدلة ومذهب أهل السنة. فلقد كان في الحقيقة ماهرًا في إخفاء نزعاته السرية وراء ستار التحرر الذي يخالف التقاليد الجامدة الموروثة. ويذكر أواره أيضًا أن الشيعة كانوا يعتادون في صلاتهم بمسجد كربلاء ألا يتجهوا إلى قبر الحسين ليظهروا أنه لا يجب اتخاذ القبر قبلة أثناء الصلاة.

ولم يكن الشيخيون يولون أدنى أهمية إلى هذا التحريم فكانوا يتجهون في صلاتهم شطر الكعبة دون أن يتأكدوا أن قبر الحسين أمامهم[89]، وما ذكره أواره هنا من شأنه أن يفسر ما ذكر في موسوعة الإسلام في المقال الذي أشرنا إليه والذي يرى أن الأحسائي كان من الشيعة القائلة بتأليه الطبيعة وكان يعبد عليًّا،

(٨٧) أواره، الكواكب الدرية، صفحات ٤٠ - ٤١.

(٨٨) جوبينو، مرجع سابق، صفحة ٢٥.

(٨٩) أواره، مرجع سابق، صفحة ٤٢.

ويمكن أن نقول إن الأحسائي وتلاميذه عندما كانوا يصلون في مسجد كربلاء كانوا يتعمدون التوجه نحو قبر الحسين باعتبار أن روح الله قد تجسدت فيه بعد أن تجسدت في أبيه علي وفي أخيه الحسن من بعده، ولكنهم كانوا يقولون إن ذلك كان بهدف قطع حلقة الوصل التي تربط الإمامية بالتعاليم التي كانت تحرم التوجه نحو القبر أثناء الصلاة. وهذا المنهج الذي اتبعه الشيخية من شأنه أن يضعهم في سلة واحدة مع النصيرية والعلي إلهية الذين يؤلهون عليًّا. وكل ما سبق يبين وجهة نظر الأحسائي في العقيدة القائلة بالتأليه.

أما ما يتعلق بالبعث وحياة الناس في الآخرة فإن الأحسائي كان ينكر بعث البشر بأجسامهم، وكانوا يقولون إن الأرواح وحدها هي التي تحاسَب وهي التي يقع عليها الثواب والعقاب. يقول أواره إن الأحسائي فسر الحياة المستقبلية للكائنات عند البعث بقوله: «إن أجسام البشر تتركب من عناصر أرضية فانية والتي تتحول إلى العدم بعد موت الإنسان ولا يمكن إعادتها، وما يتبقى من الإنسان ويكون محلا للثواب والعقاب في الآخرة هو الروح»[٩٠]. وفي هذا الصدد أيضًا يقول السيد نيكولا: «...يعتقد الشيخ أحمد أن جسم الإنسان يتكون من عناصر مأخوذة من السماوات التسع ومن العناصر الأربعة: فإذا ما خرجت الروح من الجسد عاد كل عضو من الأعضاء إلى أصله ولا يبقى منها شيء إلا ما كان مأخوذًا من السماوات وهو ما يبعث يوم القيامة، ولا ريب أن هذا الكلام يناقض عقيدة الإسلام...»[٩١].

ذات يوم، سأل الملا تقي بركاني الأحسائيَّ عن بعث الناس فأجابه قائلا:

(٩٠) مرجع سابق، صفحة ٤٣.

(٩١) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٧١.

«أرى أن البعث لن يكون بأجسامنا المادية وإنما لروح الجسم وأقصد بالروح العنصر الزجاجي الشفاف المتوافر بقوة في الحجر بها يجعله متماسكًا»[٩٢]. ونحن نتفق تمامًا مع السيد نيكولا في قوله إن مفهوم الأحسائي مخالف تمامًا لأحكام الإسلام، حيث يقول الله تعالى: ﴿...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ١٠٤]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ...﴾ [سورة الحج، آية: ٥].

ولقد واصل كاظم الرشتي الذي خلف الأحسائي مسيرته بعد موته فقام بنشر جميع تعاليم معلمه، وكان يعلم الناس أن مراحل الإسلام اثنتا عشرة مرحلة تستغرق كل مرحلة منها مائة سنة، قريبًا في ذلك القول من عقائد الفرقة الإسماعيلية السبعية التي كانت تزعم أن مراحل الأديان كانت سبعًا. وكان يقول إنه كان يظهر على رأس كل قرن -يعني مع بداية كل مرحلة- رجل يجدد الدين ويفسره تفسيرًا مناسبًا. وكان يقول أيضًا إن الإسلام له وجهان: وجه عملي وآخر روحي ويختص الوجه العملي بالشعائر العملية كالصلاة والصوم والحج ...إلخ. وتنتهي فترة تطبيق هذه الشعائر عند انتهاء القرون الاثني عشر وبانقضاء هذه المدة يبدأ الوجه الروحي في الظهور. وتكمن وظيفة هذا الجانب في التعمق في أسرار الدين وكشفها.

وهذه النظرية حول مفهوم الإسلام تعني القول إن مدة هذا الدين في صورته الأصلية إنما هي اثنا عشر قرنًا. وكان يقول أيضًا إن نبي الإسلام له من الأسماء اثنان: محمد وأحمد ولكل منهما مغزى خاص: أما محمد فهو الاسم الذي ظهر به النبي في هذه الدنيا والذي يتصل من خلاله بالجانب العملي للإسلام، وأما

---

(٩٢) مرجع سابق، صفحة ٢٦٥.

أحمد فكان على النقيض هو الاسم الخاص به في المجال السماوي، يقصد بذلك عالم الأرواح. وبما أن محمدًا هو أول من نشر الإسلام في صورته العملية، فإن أول من ينشر الإسلام في صورته الروحية يجب أن يكون اسمه أحمد، وفقًا للاسم الروحي لنبي الإسلام[٩٣]. ويتضح لنا من خلال تلك الأفكار المتفردة في غرابتها أن كاظم الرشتي كان يسعى إلى تحقيق هدفين:

الأول: يريد أن يجعل من أحمد الأحسائي الإمام الروحي الأول في الدين الإسلامي.

الثاني: كان يسعى إلى التشكيك في استمرارية أحكام الإسلام مما يؤدي إلى إلغاء وجوب التمسك بها وتطبيقها. وأساس هذه الأفكار موجود، كما سبق وأن أشرنا إليه من قبل عند الفاطميين.

ونريد أن نتحدث الآن عن رأي الشيخية في المسألة المتعلقة بالمهدي المنتظر. فهذه المسألة كما تناولناها آنفًا هي نقطة انطلاق البابية، فعلاقة البابيين برأي الأحسائي في هذه المسألة غير واضحة، فالبابيون يعللون ويفسرون هذا الغموض بغياب الوضوح والدقة في كلام الأحسائي؛ لأنه كان يقول أحيانًا إن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الذي لا يزال حيًّا على ظهر هذه الأرض ويوجد في مكان يقال له جابلسا ينتظر اللحظة المناسبة لظهوره، وكان يقول أحيانًا أخرى إن المهدي غادر العالم الأرضي وذهب إلى العالم الروحي وأقام هناك في جنة يقال لها هورقليا، وكان يزعم أيضًا أن جابلسا ليست على الأرض وإنما في السماء. وأضاف إلى ذلك كله أن الإمام المهدي يجب أن يعود إلى الأرض ولكن في صورة

(٩٣) مهدي خان، مرجع سابق، صفحات ١١٦ - ١١٨.

شخص آخر. ونرى أن الغموض الذي كان يتبدى في كلام الأحسائي كان نظامًا متبعًا عنده فكان إذا تواجد في وسط شيعة للمذهب الإمامي كان يظهر نفسه منحازًا إليه ويقول بالرأي القائل إن المهدي ليس إلا محمد بن الحسن العسكري، وكان إذا وجد نفسه في صحبة تلاميذه المخلصين كان يقول رأيه الحقيقي بصراحة الذي كان يقرر أن المهدي في السماء وأنه سيعود إلى الأرض في صورة شخص آخر[٩٤]. ومن خلال هذا الرأي الثاني للأحسائي يمكن القول إنه كان من أتباع مذهب التجسيد.

وكما يقول البابيون فإن الأحسائي كان يصر في كلامه على التبشير بقرب ظهور المهدي، وكان ينصح تلاميذه بالشروع في البحث عنه واللجوء إليه والاستعداد للقائه، وكان يقول لهم إنه لا يجب أن يكون هناك أدنى عقبة في طريق الإيمان به واتباعه إذا ما جاء[٩٥]. ويقول البابيون أيضًا إن كاظم الرشتي قد طلب من الأحسائي أن يبين له أمارات ظهور المهدي وأن يحدد زمن ظهوره، فأجاب الأحسائي أنه سيظهر يومًا ولكن لا يجب الإفصاح عن هذا اليوم[٩٦]. وتعد هذه الإجابة على سؤال كاظم الرشتي نوعًا من أنواع تهرب الأحسائي. هذا فضلا عن أن منهج الأحسائي يدعونا إلى القول إنه كان يفكر أن يظهر نفسه في يوم مناسب على أنه المهدي المنتظر، ولما لم يكن عنده من الشجاعة لتأكيد ذلك سعى من خلال كلامه الغامض أن يمهد الطريق كما فعل ذلك بعض المهديين ولكن الموت قطع عليه الطريق في تحقيق ما كان يسعى إليه.

---

(٩٤) أواره، مرجع سابق، صفحات ٤٣- ٤٤.

(٩٥) مرجع سابق، صفحات ٤٥- ٤٦.

(٩٦) مهدي خان، مرجع سابق، صفحة ١١٥.

ويتضح لنا أيضًا أن خليفته كاظم الرشتي كانت له مقاصد متشابهة إلا أن الفرصة المواتية لتحقيق تلك المقاصد لم تكن سانحة أمامه. واضطر لذلك السبب إلى الاكتفاء بأن يجعل من نفسه مبشرًا بقرب مجيء المهدي المنتظر، وفي اليوم الذي وقع فيه صريع المرض ورأى في أعين تلاميذه الخوف والحزن عليه قال لهم متنبئًا بموته: «لماذا تحزنون من هذه النبوءة؟ ألا تحبون أن أذهب وأن تظهر الحقيقة؟»[97]. وهذه الكلمات فيها محاكاة لعيسى عندما قال للحواريين قبل أن يتركهم: «لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنني أقول لكم إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» (إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، ٦-٧).

وعلى كل حال، فمن المؤكد أن الباب قد استغل البشارة التي بشر بها إماما الشيخية بقرب ظهور المهدي المنتظر لصالحه ولخدمة أغراضه.

ويتضح من دراستنا للمعتقدات التي دعا إليها مذهب الشيخية أنه لا يمكن القول إن هذه التعاليم هي تعاليم مذهب الإمامية الاثنا عشرية، بل تتصل بالعقائد الباطنية، وإن البابية التي قامت على أنقاض المدرسة الشيخية، تنتمي من خلالها إلى الإسماعيلية الباطنية.



(٩٧) أواره، مرجع سابق، صفحات ٥١- ٥٢.

الباب الثاني

ادعاءات الباب وأدلتها

الفصل الأول

ادعاؤه «الباب» و«المهدي»

رأينا في الجزء الأول من هذا البحث أن الميرزا علي محمد بدأ حياته الدينية بادعاء أنه «الباب»، وكان يقصد بذلك أنه الباب الموصل إلى معرفة المهدي المنتظر[1]، وكان يستلهم ذلك من خلال ما بشر به الأحسائي وكاظم الرشتي بشأن المهدي، وحينما كان يتحدث إلى أناس لا يخشى عاقبة الحديث معهم، كان يوهمهم أنه خليفة المهدي المنتظر، وكان يقول لهم: «ادخلوا البيت من بابه»[2]، في إشارة للآية الكريمة: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وبالرغم من احتفاظه بهذا اللقب، إلا أنه غيَّر في مدلوله الذي سبق بيانه، وذلك رغبة منه في الارتقاء؛ فقال بوجوب تفسير كلمة «باب» بأنه الباب الموصل إلى العلم الحقيقي وإلى معرفة الله[4]، ولقد أوضحنا في فصل «البابية والإسماعيلية» من أين جاء لقب «باب» وما هي معانيه، ونريد الآن أن نتناول أدلة «الباب» على هذا الادعاء: كانت الإمامية الاثنا عشرية تعد الإمام علي بن أبي طالب خازن العلوم التي تمثل الميراث الروحي للنبي محمد ﷺ، ولإقامة الدليل على هذا الرأي كانوا يعزون هذا الحديث للنبي ﷺ: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها»، وترى الشيعة الإمامية أن الأئمة هي الأبواب الموصلة إلى العلم، وباختفاء الإمام الثاني عشر

---

(١) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢٩.

(٢) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحات: ١١٤ – ١١٥.

(٣) القرآن الكريم، ترجمة كازميريسكي، سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٤) مهدي خان، مرجع سابق، صفحات ١٨٦ – ١٨٧.

أوصد الباب الموصل للعلم، وبادعاء الميرزا علي محمد أنه «الباب»، يكون بذلك قد أعلن أن هذا الباب قد أُعِيدَ فتحه.

ولا يمكن الأخذ برأي الإمامية الاثنا عشرية؛ لأن النبي ﷺ لم يقل قط شيئًا من ذلك الذي نُسِبَ إليه، فلم يقل قط إنه مدينة العلم، حتى يجعل من عليٍّ بابًا لها، فالإسلام يرفض الاعتقاد بأن العلم يمكن أن يكون ملكية خاصة لرجل واحد، كما يرفض أيضًا الاعتقاد بأن باب العلم يمكن أن يُغلق يومًا، فلا يوجد في العقائد الإسلامية من يستحوذ بمفرده على العلم، وبالتالي فليس هناك خازن واحد لهذا الميراث الروحي.

ويتبين لنا من خلال الحديث عن هذا الميراث الروحي أنه لا يوجد ما يمكن توارثه من دور الأنبياء، فدور النبي محمد ﷺ يشتمل على وظيفتين:

الأولى: تَلَقِّي الوحي من الله وبلاغه للناس.

والثانية: مراقبة تنفيذ الأوامر التي يشتمل عليها هذا الوحي.

والوظيفة الأولى غير قابلة للتوارث، حيث إن صفة النبوة صفة لازمة، فليس للنبي أن يتنازل عن شيء منها أو أن يورثه لأحد.

أما الوظيفة الثانية فيمكن أن نشبهها بدور الحكومة في مراقبة تنفيذ القوانين التي تم تشريعها، والنبي محمد ﷺ لم يعين أحدًا لخلافته، وذلك لإيمانه بأن من يتولى أمر تطبيق الشريعة الإسلامية بعد وفاته يجب أن يكون منتخبًا من قبل الأمة الإسلامية ذاتها، ولم تصدر عنه أي إشارة بأن هذه السلطة يمكن أن تكون محل إرث، مما يعني أن الوظيفة الثانية تمامًا كالأولى ليست بالملكية القابلة للتوريث تلقائيًا.

ومن ثم فإننا لا نتفق كذلك مع بلوشيه حين يقول: «من الصعب إدراك ما كان لدى النبي من تصور في مسألة نقل السلطات التي يدعي أن الله أوكلها إليه، وما كان لدى هذا النبي من منظور للخلافة، وهذه السلطة لم تكن أبدًا روحية فحسب، حيث إنه لم يكتفِ بتبليغ الناس تعاليم الدين، إنما كان يسعى دائمًا لجمع الناس حوله، وأن يجعل منهم أمة واحدةً عظيمةً، وبالتالي كان من السهل نقل السلطة الدنيوية التي كان يمارسها النبي لأي خليفة بعده، لكن هل كان الحال كذلك بالنسبة للسلطة الروحية التي تبلغ من الأهمية ما يفوق الأخرى، حيث إنه لولا هذه السلطة الروحية ما كان لأي سلطة أخرى أن تتواجد ولو للحظة واحدة؟»[٥].

إننا نؤكد أنه لا يوجد في الإسلام ما سمّاه بلوشيه «سلطة روحية»، والأدلة القرآنية على ذلك كثيرة، ونقتصر هنا على ذكر بعضها:

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل، الآيتان: ٨٠ – ٨١].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص، الآية: ٥٦].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية، الآية: ٢١ – ٢٢][٦].

(٥) إدغار بلوشيه، المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية، صفحات: ١ – ٢.

(٦) ترجمة كازميريسكي.

هذا بالإضافة إلى أن ماسينيون قد أَيّدَ وجهة نظرنا برأيه الذي تأتي أهميته من كونه مبنيًّا على تعاليم الإسلام نفسها، فهو يقول: «قامت الأمة الإسلامية تاريخيًّا على سلسلةٍ من العقود المشروطة يأتي على رأسها الطاعة لله، ففي بَيْعَتَي العقبة وفي صحيفة المدينة، نجد أن محمدًا لا يظهر إلا كإداري مُفوَّض عن الله يسهر على تنفيذ التعاليم التي كان هو أول من قبل بها، والله وحده يؤلف القلوب، ولا نجد في القرآن أو الأحاديث النبوية ذات الطابع السياسي أي أساس للفكرة الإمامية الداعية إلى تولي الحكم على أساس الحق الإلهي الذي سيتوارثه الأبناء عن الآباء وراثة شرعية»[٧].

وفي المرحلة التالية من خطته ادعى الباب أنه المهدي المنتظر، مستندًا إلى بعض الوثائق التي سوف نتحدث عنها، لكن نود قبل ذلك إلقاء الضوء على التناقض الشديد الذي سيظهر بين الادعاء الأول بأنه «الباب» والادعاء الثاني بأنه «المهدي المنتظر»، فادعاؤه بأنه الباب المؤدي لمعرفة المهدي يعارض تمامًا كونه المهدي المنتظر نفسه، وفي محاولة مستميتة من أجل تعليل ادعاءات الباب الغريبة يقول نيكولا: «لا يوجد ثمة تعارض في السيرة الذاتية للسيد علي محمد، والقول بخلاف ذلك هو بالتأكيد خطأ فادح وقع فيه المسلمون الذين لا يبتغون إلا تكبيله بالاتهامات»[٨].

ولا نستطيع فهم ما أعلنه نيكولا في كتابه، خاصة وأن الباب نفسه أعلن في كتابه دلائل السبعة ما يلي: «انظر كيف أفصح صاحب السمو المنتظر -يعني المهدي المنتظر أي الباب نفسه- عن حقيقته أمام أعين المسلمين؛ ليفتح لهم طريق

---

(٧) لويس ماسينيون، آلام الحلاج، صفحات: ٧٢٠ - ٧٢١.

(٨) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة: ٢٢٣.

النجاة، فلقد تنازل وقبل -وهو إشراقة الخلق الأولى ومرآة الله- أن يظهر للناس على صورة الباب الموصل إلى معرفة الإمام المختفي من ذرية محمد»[9]، وفي هذا تناقض بَيِّنٌ لا يمكن أن يكون من قبيل الخداع.

وبالفعل، ادعى الباب أنه المهدي المنتظر مستندًا في ذلك إلى أحاديث مفتراة على النبي تنبئ في جملتها بظهور المهدي الذي يكون من نسل آل محمد، إلا أن الإمامية الاثنا عشرية تقول بصحة هذه الأحاديث، ومن جهة أخرى استند الباب إلى عملية حسابية غريبة تقول إن الإمام الثاني عشر قد اختفى في عام ٢٦٠ من الهجرة، وبعد اختفائه بألف عام يظهر المهدي، أي في سنة ١٢٦٠ هجريًّا، ولكن من أين أتى الباب بهذه الألف المضافة لعام اختفاء الإمام الثاني عشر حتى يثبت أنه هو المهدي المنتظر؟ يطرح الباب التفسير الآتي للإجابة على هذا السؤال: في حديث للنبي ﷺ عن مجيء المهدي: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأطال الله هذا اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهلي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي**»، وبناءً على هذا الكلام إذن نجد أن المهدي يجب أن يظهر يومًا، ويقصد الباب بهذا اليوم زمانًا طويلا يصل إلى ألف عام، واستند في ذلك إلى الآية القرآنية التالية: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[10]، وبهذا التفسير المصطنع للآية التي استند إليها الباب في تلك العملية الحسابية الغريبة ظن الباب أن بإمكانه إثبات مجيئه على أنه مجيء المهدي وذلك بما أنه قد بدأ بالفعل حياته الدينية نحو عام ١٢٦٠ هجريًّا.

وفيما يتعلق باستناد الباب لهذه الآية القرآنية لإثبات صحة مهمته بأنه

---

(٩) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢٩.

(١٠) القرآن الكريم، السجدة، الآية: ٥.

المهدي، نجد أننا لسنا في حاجة إلى بيان عبث هذه الطريقة، إلا أننا نريد على الرغم من ذلك ذكر آية قرآنية أخرى في هذا الصدد، تشير إلى أن كلمة «يوم» قد يراد بها خمسون ألف سنة: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج، الآية: ٤]، وحيث إن هذا التفسير لليوم بخمسين ألف سنة ليس من شأنه أن يعضد مجيء الباب على أنه المهدي، نجد أن الباب قد عزف عن الاستناد إلى ذلك المعنى.

ولنعد الآن إلى استشهاد الباب بالأحاديث الموضوعة، ونقول بادئ ذي بدء: إنه لا يوجد في القرآن مطلقًا أي نص يشير بأي صورة من الصور إلى ظهور المهدي، وبما أن القرآن قد سكت عن ذكر واقعة كهذه في المستقبل فإن الأحاديث النبوية تمثل المصدر الوحيد الذي نرجع إليه في بيان ظهور المهدي، ونؤكد في هذا الصدد على أنه لا يوجد في أيٍّ من أمهات كتب الحديث حديث واحد يمكن القطع بصحته في الدلالة على ظهور المهدي*، ومن الملاحظ أيضًا أن الأحاديث

* تجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث أخذ برأي بعض العلماء في هذه المسألة، ولكن هناك الكثير من الأحاديث الصحيحة المتواترة في مسألة ظهور المهدي، وهو مُعْتَمد السواد الأعظم عند أهل العلم الثقات من أهل السنة -مع اختلاف التصور بين أهل السنة وفرقة الشيعة-، وقد صنف الكثير في إثبات هذه المسألة والرد على منكرها، ولقد أصدرت دار الإفتاء المصرية في هذا الصدد فتواها المقيدة برقم ١٥١٢ لسنة ٢٠٠٥م وهذا نصها:

اطلعنا على الطلب المقيد برقم ١٥١٢ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن ما يأتي:

هل المهديُّ المُنتَظَر شخص حقيقي سيظهر يومًا؟ وهل هناك أي حديث صحيح يتكلم فيه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- عنه؟

الجـــــــواب

١- دلت الأحاديث الواردة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على أن للساعة علامات صغرى تعقبها علامات كبرى، ومن هذه العلامات ظهور المهدي عليه السلام، حيث إن الأحاديث التي جاء فيها ذكر المهدي كثيرة متواترة كما نص على ذلك حفاظ الحديث ونُقّادُه، فقد قال الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبُرِيُّ -ت ٣٦٣ هـ- رحمه الله تعالى في مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته، =

= وأنه يملأ الأرض عدلا، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى عليه السلام خلفه... في طُولٍ مِنْ قصته وأمره». اهـ.

والأحاديث التي جاء فيها ذكر الإمام المهدي فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف، ولكنها -لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مُخَرِّجيها- يُقَوِّي بعضها بعضًا؛ حتى صارت تفيد القطع واليقين، وهذا بخلاف الآثار الكثيرة المصرحة بذكر المهدي عن الصحابة والتي لها حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي ولا مجال للاجتهاد فيه.

٢- ومن مجموع الروايات الواردة في المهدي يتضح لنا أنه من بيت النبوة، من نسل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والإمام الحسين عليه السلام جده لأبيه، والإمام الحسن عليه السلام: جده لأمه -أو العكس- وهو شبيه في صورته بجَدِّه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ فوجهه كالكوكب الدُّرِّيِّ في الحُسن والوضاءة، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أكحل العينين واسعهما، أَزَجُّ -أي دقيقُ الحاجبين طويلُهما-، أبلج -أي مفروقُ الحاجبين غير مقرونهما-، كث اللحية، بَرَّاق الثنايا، يواطئ اسمُه اسمَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واسمُ أبيه اسمَ أبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو لا يعرف نفسه ولا يدعو إلى مهديته، وإنما يختاره الناس فجأة ويبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره بعد أن يهرب منهم مرة بعد مرة، ويتولى الخلافة وهو ابن أربعين سنة فيمكث فيها سبع سنين أو ثماني أو تسعًا يعم فيها الرخاء والعدل وكثرة المال، ويُكتَب له القبول في الأرض والسماء، إلى غير ذلك من الصفات التي جاء ذكرها في الأحاديث الواردة فيه عليه السلام.

٣ - وقد عُنِيَ بجمع الأحاديث والآثار الواردة في الإمام المهدي عليه السلام جماعة من العلماء كالإمام أبي داود السجستاني -ت ٢٧٥هـ- في كتاب السنن، والحافظ أبي نُعَيْم الأصبهاني -ت ٤٣٠هـ- في الأربعين في أخبار المهدي، والحافظ أبي العلاء الهمداني الحنبلي -ت ٥٦٩هـ- في الأربعين في المهدي، والحافظ السيوطي الشافعي -ت ٩١١هـ- في العرف الوردي في أخبار المهدي، والعلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي -ت ٩٧٣هـ- في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، والمحدث المتقي الهندي -ت ٩٧٥هـ- في البرهان عن مهدي آخر الزمان، والشيخ ملا علي القاري الحنفي -ت ١٠١٤هـ- في كتابيه: الرد على من حكم وقضى أن المهدي جاء ومضى، والمشرب الوردي في أخبار المهدي، والإمام الشوكاني -ت ١٢٥٠هـ- في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء عن المهدي والدجال والمسيح، والحافظ السيد أحمد بن الصِّدِّيق الغماري -ت ١٣٨٠هـ- في ردِّه على ابن خلدون ما أنكره من أمر المهدي وسمَّاه: إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، وشيخنا الحافظ المحدث السيد عبد الله بن الصِّدِّيق الغماري -ت ١٤١٣هـ- في رسالته: المهدي المنتظر التي جمع فيها طائفة من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين الواردة في الإمام المهدي... وغيرهم كثير ممن يضيق المقام عن ذكرهم وسرد مؤلفاتهم في ذلك.

٤ - ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي عليه السلام:

- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وحسَّنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم، ولفظ أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**»، وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم بلفظ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلا يَعُدُّهُ**».

- وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند أبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، ولفظ أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي -أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي- يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي**، =

التي تناولت المهدي ليس لها ذكر بالمرة في صحيحي البخاري ومسلم، ولا يخفى على أحد مكانة هذين المرجعين ومقام صاحبيهما عند المسلمين، فلقد اشتهرا بمدى العناية الشديدة في ضبط الأحاديث التي قاما بتخريجها، ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة لتلك الأحاديث الموضوعة التي تقوم عليها حقيقة المهدي:

١- أخرج أبو داود عن علي بن أبي طالب أن النبي محمدًا ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إلا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»، يقول العلماء المحققون: «إن سلسلة الرواة في هذا الحديث والتي تبدأ من علي إلى أبي داود بها اسم قطن* بن خليفة وهو ليس من الرواة الثقات».

= يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» قال الحاكم في المستدرك: «رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم، وطُرُق عاصم عن زِرٍّ عن عبد الله كلُّها صحيحة على ما أَصَّلْتُه من الاحتجاج بأخبار عاصم؛ إذ هو إمام من أئمة المسلمين». اهـ.

- وحديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند أحمد وأبي داود وابن ماجه وغيرهم، ولفظ أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ الله رَجُلا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَأُهَا عَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا».

- وحديث أم سلمة رضي الله عنها عند أبي داود وابن ماجه والحاكم وغيرهم وصححه ابن حبان، ولفظ أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الْـمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ» إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الواردة في المهدي عليه السلام.

٥- والمهدي عليه السلام ليس مُنْتَظَرًا عند أهل السنة؛ فلم يصدر من الشرع تكليف للأمة أو للأفراد بترقُّبِ ظهوره وتحسُّسِ مجيئه، وليس الإسلام متوقفًا في كماله ولا في تطبيق أحكامه على ظهور المهدي؛ بل الإسلام هو كلمة الله الأخيرة إلى العالمين وهو العهد الأخير الذي ارتضاه الله تعالى للبشر: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهو دين الله الذي جعله مرنًا مستوعبًا لعوامل التغير؛ فأمر عباده بتطبيقه عبر الزمان والمكان والأشخاص والأحوال من غير أن يترقبوا في ذلك مهديًّا أو يُوقفوا العملَ على نزول مَنْ بُشِّرُوا بنزوله، وإنما غاية المراد من رواية أحاديث المهدي ونهاية المقصود من معرفة أخباره وأخبار غيره -مما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين يدي الساعة- هو التصديق بخبر المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم فيه واتباع ما أرشد إليه في ذلك كله عند ظهوره، فإذا حصل شيء من ذلك وظهر ووافق الخُبْرُ فيه الخَبَرَ كان ذلك معجزة نبوية متجددة تشهد بجلاء على صحة خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا ما رآها الناس قالوا:﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

والله سبحانه وتعالى أعلم».

* الاسم الوارد في هذه الرواية عند أبي داود هو «فطر بن خليفة».

٢- أخرج أبو داود والترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي»، يقول علماء الحديث إن سند هذه الرواية يشتمل على رجل يقال له عاصم بن بهدلة الذي يقول عنه كثير من العلماء إن ذاكرته بها ضعف شديد مع العلم بأنه ثقة، ولقد اشتهر عاصم هذا بأنه صاحب إحدى قراءات القرآن الكريم، وبالتالي فهل يمكن الاعتراض بالقول إن ضعف ذاكرته يمكن أن يكون مدعاة للتشكيك في صحة تلك القراءة؟ إننا لا نعتقد في صحة هذا الاعتراض؛ لأن الذاكرة إذا خانته في حفظ حديث يعتمد حفظه على الذاكرة فقط، فإن ذلك لا يمكن أن يكون بالنسبة للقرآن الذي حُفِظَ في ذاكرته وذاكرة غيره كما حُفِظَ كِتَابَةً، إن رفض علماء الحديث الأخذ بهذه الرواية يمكن أن يكون مشروعًا؛ لأنها كانت محفوظة فقط في ذاكرة عاصم، ولكن لو كان قد حفظها كتابة أيضًا لما أمكن ردها، إن قراءة القرآن برواية عاصم لا تعني أنه أحد الرواة الأساسيين للقرآن، وإنما يعني ذلك أن عاصمًا قد أفنى حياته في تعليم تلاوة القرآن؛ لأنه توفي في سنة ١٢٨ من الهجرة، كما أنه شخصيًّا قد حفظ القرآن وفقًا لما تواترت به الروايات قراءة وكتابة في العالم الإسلامي.

٣- أخرج ابن ماجه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في الحديث المشهور «بحديث الرايات السود»، والذي قَوَّلُوا فيه النبي ﷺ أقوالا منها: «...سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدًا وتشريدًا في البلاد حتى ترفع رايات سود من المشرق بينهم رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأته ولو حَبْوًا على الثلج»، ويذكر علماء الحديث اسم يزيد بن أبي زياد في سند هذه الرواية وكانوا يردون شهادته؛ إذ كان من بين أسباب ذلك نسبته لرسول الله ﷺ أحاديث

هي من قول الصحابة، ويقول محمد بن الفضيل إن يزيد بن أبي زياد كان من كبار رجال الشيعة[11]، وهذا يعني عند علماء الحديث أنه من أشد المتعصبين لفكرة المهدي المنتظر، وبالتالي فإنه يجب التثبت من الأحاديث المروية عنه في هذه المسألة طالما أن هذه الأحاديث ليست مروية من طريق آخر لأحد الرواة الثقات، وقد يؤدي التعصب لرأي ما يمكن أن يكون في حقيقة الأمر دافعًا لوضع حديث برمته أو لتحريف حديث إن كان صحيحًا كما فعل ذلك بعض الشيعة في روايتهم لما يلي: سقط نجم من السماء في عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ لنفر من أصحابه: «اذهبوا فانظروا من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي، فقام فتية من أصحابه فنظروا فإذا الكوكب انقض في حجرة علي، فهاج القوم فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾» [النجم، الآية: ١ - ٢].

يقول علماء المسلمين: إن هذه الحكاية التي تحولت لحديث إنما وُضِعَتْ لتكون مناسبة لنزول هذه الآيات.

وبعدما رأينا هذا المثال للحديث الموضوع نجد أن البابيين لجؤوا لتحريف بعض الأحاديث النبوية كما سنرى في الحديث التالي، حيث قال النبي ﷺ لعلي: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**، فحرف البابيون العبارة الثانية في هذا الحديث متقولين على النبي ﷺ: «إلا أنك لن تكون نبيًّا بعدي»[12]، فما غاية البابيين من وراء هذا التحريف؟

إنها مجرد الرغبة في إثبات النبوة المزعومة للباب حيث تَقَوَّلُوا على محمد أن عليًّا لن يكون نبيًّا، وإنما يمكن أن يأتي يومًا رجل آخر بعد نبي الإسلام فيكون

---

(١١) ابن خلدون، المقدمة، صفحة: ٣٤٩.

(١٢) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة: ٨٦، هامش: ٦٥.

نبيًّا، وبذلك استطاع البابيون -ولأول مرة- أن يُعْمِلُوا المنطق، بدلًا من الوقوع كعادتهم في غياهب التناقضات، فلو لم يحرفوا الحديث ما كان بوسعهم تقديم الباب نبيًّا.

إن حقيقة المهدي المنتظر -كما سبق وأن أشرنا إليها- لا أصل لها في القرآن ولا في السنة الصحيحة، فمن أين إذن جاءت هذه الفكرة إلى الإسلام؟ إننا نعلم أن هناك فكرة مشابهة لهذه الفكرة وهي فكرة «الرجعة»، ويقصد بذلك عودة الإنسان للدنيا، ولقد تسللت هذه الفكرة لأول مرة إلى الإسلام على لسان رجل يقال له عبد الله بن سبأ -والذي سبق وأن تحدثنا عنه- حيث ادعى أن عليًّا لم يمت، وأنه لم يغادر هذه الدنيا إلا من أجل أن يعود إليها فيها بعد، والمرة الأولى على حد علمنا التي دخل فيها مصطلح المهدي في قاموس الإسلام كان عن طريق رجل يدعى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يقصد به محمدًا ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب.

ونعلم أن بلاد فارس كانت في فترة من الفترات تمثل ملاذًا للعلويين المشتتين والمطاردين منذ بدء الخلافة الأموية، وفي هذه البلاد وجد العلويون دعمًا في كنف بعض الشيعة الذين كانوا يسعون تحت ستار الإسلام إلى الانتقام من هذا الدين وأصحابه، وكان هؤلاء الشيعة يظهرون أنفسهم للعلويين على أنهم أخلص حلفائهم فكانوا يشجعونهم على الصمود في المطالبة بحقهم في الخلافة من الأمويين والعباسيين المغتصبين لهذا الحق الذي يرونه بدهية مُسَلَّمًا بها باعتبارهم الورثة الشرعيين للنبي ﷺ، واستطاع الشيعة بتلك الطريقة استمالة قلوب العلويين المغتصب حقهم والذين كانوا يعملون على الوصول إلى الحكم بأي وسيلة كانت، وذلك هو السبب الذي جعلهم يُغْمِضُون أعينهم عن البدع المضادة للإسلام نفسه التي تضمنتها التظاهرة الفارسية لصالحهم.

وإرضاءً لتلك الرغبة العلوية اتهمت الشيعة الخليفتين الأولين أبا بكر وعمر باغتصابهما للخلافة، كما اتهمتهما بالخيانة عندما أخفيا وصية رسول الله ﷺ والتي أوصى فيها لعلي ولذريته من بعده بولاية أمر المسلمين، ولقد سكت العلويون وتركوا هذه الاتهامات باغتصاب الخلافة وبالخيانة وكذلك الاتهام المتعلق بتلك الوصية المزعومة تنتشر بين الناس بالرغم من علمهم اليقين بوعيد النبي ﷺ للكاذبين لا سيما إن كان الكذب على النبي ﷺ، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على صحته: «من كذب عَلَّي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، ومع ذلك فإن الشيعة الداعية إلى ثورة العلويين كانوا لا ينفكون عن وضع أحاديث ينسبونها إلى النبي ﷺ بإقرار العلويين لها، وكانت تتعلق هذه الأحاديث بمجيء المهدي سعيًا في جذب الناس إلى مساندة قضية آل محمد ﷺ وإيهامهم بشرعية هذه القضية، وعندما أحس العلويون بعجزهم عن الوصول إلى الخلافة اضطروا إلى الاكتفاء بلقب «إمام» الذي يعني لديهم القائد الأعلى والشرعي للأمة، على الرغم من استبعاده من جميع السلطات والأنشطة القيادية، وكان يشير لقب «الإمام» إلى معارضتهم للقب «الخليفة» الذي يطلق على القائد الذي يتولى السلطة بطرق يعدونها غير شرعية، ولم يبق للعلويين إلا مواساة أنفسهم بالأمل في عودة السلطة الدنيوية إليهم يومًا بمجيء المهدي المنتظر، ومن ثم فإن الشيعة الذين كانوا على علم بعقيدة مجيء مصلح للديانة الزرادشتية قد قاموا بتطبيق تلك المعرفة لصالح العلويين اللاجئين في بلاد فارس.

ونجد أيضًا في العهد القديم عدة نصوص تشير إلى مجيء نبي في المستقبل، نذكر منها ما يلي:

«يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي -موسى- له

تسمعون»، «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك -موسى- وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه»[13]، «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب»[14].

كما أننا نجد أيضًا في إنجيل يوحنا نبوءات مشابهة[15].

ويرى الميرزا مهدي خان أن البوذيين يقولون بعودة بوذا، وأن البرهمانية يقولون بعودة روح براهما في أجساد يختارها بنفسه[16]، ويقول برنارد لويس في كتابه (أصول المذهب الإسماعيلي، صفحات: ٢٤ و٢٥): «إن درمستيتر وجويدي يقولان: إن فكرة المهدي ترجع لأصولٍ فارسية، على حين أن سنوك يرى أنها ترجع لأصول مسيحية؛ إذ يقول: إن فكرة المهدي تتصل بفكرة عودة المسيح، ومع ذلك فإننا نقول: إن مفهوم المهدي المنتظر ليس مأخوذًا عن اليهودية ولا المسيحية ولا البوذية ولا البرهمانية.

فالنبوءة في اليهودية واضحة وصريحة، فالديانة اليهودية تتحدث عن نبي مثل موسى وليس عن رجل يظهر وفقًا لرأي الشيعة المعتدلة بين المسلمين في صورة المؤمن الكامل الذي لا يأتي بدين جديد يحل محل دين الإسلام، إنما هو رجل مستمسك بالأحكام الإسلامية.

أما في الديانة المسيحية فإن النبوءة تتعلق بالمعزي الذي يأتي إلى الناس،

(١٣) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح: ١٨، آيات: ١٥- ١٨- ١٩.

(١٤) مرجع سابق، سفر التكوين، الإصحاح: ٤٩، آية: ١٠.

(١٥) مرجع سابق، إنجيل يوحنا، الإصحاح: ١٤، آيات: ٢٤- ٢٦، الإصحاح: ١٦، الآيات: ٧- ٢٢.

(١٦) مهدي خان، مرجع سابق، ص: ٨، ١٠.

ولا تختلف البشارة بمجيئه عما ذكر في العهد القديم، فليس هو المهدي في الفكر الشيعي.

أما بالنسبة للمفاهيم البوذية والهندوسية المتعلقة بهذه القضية فإننا نريد أن نقول: إن الفترة التي ظهرت فيها فكرة المهدي عند الشيعة لم يكن الإسلام بعد قد تجاوز حدود الأقطار الفارسية ولم يتأثر تأثرًا مباشرًا بتلك الأديان، ولا نستطيع القول إن فكرة المهدي لم يطرأ عليها بعد ظهورها أي تأثير من جانب إحدى هذه الديانات الأربعة التي أشرنا إليها أو أكثرها أثناء مرحلة تطورها، ومع ذلك فإننا نتفق في الرأي مع ماسينيون ورأيه حجة لم يغفل برنار لويس عن ذكره في نفس الصفحات التي أشرنا إليها في المرجع السابق، ويعد هذا الرأي أن «فكرة المهدي تعد تطورًا لنبت إسلامي نما في وطنه الأصلي خارج تربة القرآن والسنة والأساطير العربية وفرت عودة الظروف الاجتماعية»، ويرى درمستيتر وجويدي -ونؤيدهما في الرأي- أن شيعة بلاد فارس هم الذين قاموا بدس فكرة المهدي في قلب الإسلام، حيث كان يعتقد أتباع الديانة الزرادشتية في مجيء مصلح ليقيم أحكام الديانة المجوسية، ويروي الشهرستاني أنه مذكور في «الأفيستا» أن رجلًا سيأتي في آخر الزمان يملأ الدنيا عدلا ويقضي على الظلم ويعيد للمجوسية كمالها، وسيخضع له كل الملوك وسيعم الأمن والسلام بمجيئه(١٧).

ولقد بَيَّنَّا جذور فكرة المهدي عند الشيعة في الديانة الزرادشتية، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن تأثير العقيدة الزرادشتية في الشيعة وقع عن طريق الديانة المزدية التي لا زالت ترتبط بفكرة مجيء مصلح، وبصدد حديثه عن هذه المؤثرات الزرادشتية والمزدية، يقول بلوشيه في كتابه: «المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية»:

---

(١٧) الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الثاني، صفحة: ٦٥.

«ويمكن أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ونقول: إن فكرة مهدي الشيعة أُخِذَت عن شخص عاش في كنف الديانة المزدية يقال له بهرام الكياني المنتصر، صفحة: ١٢٦»، ثم يسوق بلوشيه في موضع آخر بعد ذلك النص البهلوي التالي: «في ذلك الزمان سيخرج من كابولستان رجل يحمل مجد أسرة الآلهة الكيانية، ويطلق على نفسه اسم بهرام، وسيتبعه جميع الرجال، وسيكون سلطانًا على الهند واليونان وتركستان وجميع البلدان، وسيزهق جميع الأديان الباطلة ويقيم الديانة الزرادشتية ويومئذٍ لن يعتنق أحد دينًا غير هذا الدين» (ص: ١٢٨)، ثم يذكر الكاتب في الصفحتين (١٣٠ - ١٣١) هذا النص: «عندما يأتي اليوم الذي يأتي فيه من بلاد الهند رسولٌ يبشر بقدوم الملك بهرام من الهندستان في ألف فيل على ظهورها القادة رافعين الرايات وهي ترفرف من فوق رؤوسهم، كتلك التي يحملها القواد في طليعة الجيش».

ونريد أن نشير في هذا الصدد إلى العلاقة الواضحة التي تربط بين هذين النصين اللذين أشار إليهما بلوشيه وبين الأحاديث المتعلقة بمجيء المهدي المزعوم، فلا تزال الشيعة تقول إن هذا المهدي سوف يأتي من أجل رد الحقوق إلى آل بيت النبوة، وسوف يحكم البلاد ويملأ الأرض عدلا، ويتضح لنا من جهة أخرى أثر النص البهلوي الثاني على حديث الرايات السالف ذكره، ولهذه الأسباب لا نستطيع إسناد فكرة المهدي المنتظر لأي مصدر آخر غير ذلك المصدر الفارسي المرتبط بديانة زرادشت ومزدك.

وانطلقت فكرة المهدي من بلاد فارس على أيدي شيعة تلك البلاد إلى أقطار مسلمة أخرى، فانتقلت إلى شمال إفريقيا والسودان وكذلك بلاد الهند، وإذا عرفنا أن عدد المهديين في بلاد شمال إفريقيا وفي السودان يتجاوز بكثير عددهم

في أي أقطار أخرى فإن سبب ذلك يجب أن يرد إلى أن الإسماعيليين من بلاد فارس والعراق قد جاؤوا إلى شمال إفريقيا باسم الفاطميين من أجل غرس ونشر المذهب الشيعي، وبما أنهم قد ادعوا صلة نسبهم بالنبي ﷺ فإنهم كانوا موضع ثقة الناس؛ إذ إن الناس يتعلقون بكل ما هو ذو صلة بالنبي ﷺ، هذا بالإضافة إلى أن المهديين كانوا يقدمون أنفسهم للناس دائمًا على أنهم من آل محمد، وهذا هو العامل الذي جعلهم يلقون قبولا لدى السذج والبسطاء من الناس دون أدنى تمحيص من جانبهم، ومن جهة أخرى كانت شعوب شمال إفريقيا والسودان متمثلة في مجموعة من القبائل المتناحرة فيما بينها تعاني من طغيان حكامها الذين كانوا يجرونهم إلى حروب مستمرة، وبالتالي كانت هذه الشعوب أو الجماعات المنهكة مما هي فيه على أتم استعداد لاستقبال أي مهدي، لا سيما إن كان من آل بيت النبوة؛ لمساعدتهم على التخلص من كل تلك المحن، ومن خلال العزف على هذا الوتر نجح أبو عبد الله الشيعي في القرن الثالث من الهجرة في المهمة التي كان قد كلفه بها عبيد الله الفار من سوريا إلى بلاد شمال إفريقيا، ونفخ هذا الشيعي في نيران العداوة بين قبيلتي كتامة والأغالبة، وذلك بإيهام قبيلة كتامة بأن المهدي سوف يأتي عونًا لهم على النصر وقهر عدوهم، وانتصروا بالفعل على الأغالبة، وانحازت كتامة إلى صفوف الشيعي مبعوث عبيد الله، وبالتالي بايعوا عبيد الله على أنه المهدي الذي بُشِّرُوا به والذي وعدوا بنصرته، وكان هذا بمثابة حلقة في سلسلة خلعت لقب المهدي على عبيد الله وجعلته أول خليفة فاطمي في هذا القطر الإسلامي.

ولقد أخذت فكرة المهدي في الانتشار على وجه العموم بإعلان قرب مجيء المهدي؛ لتهيئة عقول الناس له، وأحيانًا كان القائم على نشر هذه الفكرة يجد الأرض الخصبة لنشرها فيزعم أنه هو نفسه المهدي الذي بُشِّرَ بمجيئه، وهذا

ما فعله الباب ومحمد بن أحمد مهدي السودان (١٨٤٨ – ١٨٨٥م)، وفي أحيان أخرى كان يجيء رجل فيدعي فجأة أنه هو المهدي دون إعلان مسبق بمجيئه وهذا لا يحدث بالطبع إلا إذا كانت الظروف تفرض بأي صورة من الصور أن يأتي رجل فيعد الناس بمستقبل واعد تحت مسمى جديد، وأما الرجل الذي وجد نفسه في ظروف مواتية لذلك فهو محمد بن تومرت (٤٨٥ – ٥٢٤هـ، ١٠٩٢ – ١١٣٠م)، وأقام دولته في المغرب في بداية القرن الخامس الهجري تحت اسم دولة الموحدين.

ومن الملاحظ أن معظم أولئك المغامرين الذين أعلنوا مهديتهم قد سعوا مسبقًا إلى تعلم علوم التنجيم ومفاهيم القيمة العددية الواجب نسبتها إلى حروف الهجاء، وكانوا يزعمون أيضًا أن عليًّا قد ورث عن النبي ﷺ علمًا آخر غير العلم الذي يشترك فيه مع غيره من الصحابة ألا وهو علم الباطن، والذي استطاع عليٌّ بموجبه معرفة مستقبل الناس في هذا الزمان والأحداث المستقبلية التي سوف تحدث فيه، واستنادًا لذلك كانوا يقولون إن هذا العلم الباطن يُنْقَل من إمام إلى إمام حتى يصل إلى آخر إمام وهو المهدي المنتظر، واستفادوا من تلك الدعوة فزعموا أن جعفرًا الصادق كان يمتلك وعاء من أدم يقال له الجفر وكان يحوي جميع أسرار العالم.

ويرى بعض الشيعة أن ذلك هو العلم الذي أمر الله نبيه أن يبلغه إلى عليٍّ، وحذره إن لم يفعل ذلك فما بلغ رسالة ربه التي أمر بتبليغها، ويرون أن هذا الأمر هو الوارد في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[18]، وهذه الآية واضحة المعنى فلا تحتاج

(١٨) القرآن الكريم، المائدة، آية: ٧١.

إلى تفسير وهي لا تتحدث مطلقًا عن علم باطن يجب على محمد أن ينقله إلى عليٍّ، وفي هذا العلم الباطن ربط الشيعة بين مفهوم القيمة العددية للحروف وبين معرفة الأشياء الخاصة بعلم التنجيم، وذلك هو أيضًا السبب الذي جعل الباب يسعى إلى اكتساب هذين العلمين ومع ذلك لم يفلح في اكتساب أي منهما على الرغم من زعمه أن عنده جميع العلوم من لدن الله.

ولقد أدى ظهور العديد من المهديين ممن يمتلكون معرفة بدائية بهذين العلمين اللذين بيناهما إلى ظهور حرفة من شأنها استغلال سذاجة الناس وجهلهم ورغباتهم وآلام المساكين، وكان يجوب الأقطار أفراد يرتدون خرقًا ممزقة ويزعمون أنه قُدِّرَ عليهم أن يعيشوا في الفقر والمسكنة، ولقد طفق هؤلاء المهديون الجدد من وراء تلك المظاهر الزائفة إلى التنبؤ بالمستقبل بقراءته في الرمال على سبيل المثال أو تفسيره بمحاولة إعطاء مغزى لوضع الصدف الملقى على الرمال، وكانوا يزعمون قدرتهم على إغناء الفقراء وإشفاء المرضى وتحويل الحصى إلى أحجار كريمة ... إلخ، وقام هؤلاء السحرة المنجمون بخداع العديد من السذج وارتكبوا الكثير من أعمال السرقة وكانوا بمثابة بلاء حقيقي في كثير من الأقطار الإسلامية، إلا أن هذه الأقطار بدأت تتخلص بفضل الله في أيامنا هذه من ذلك الوباء.

ولقد جذبت أيضًا فكرة المهدي المنتظر الصوفية الضالة فانضموا إلى أتباعها، وحينئذ تم استغلال هؤلاء السذج من الصوفية في نشر هذه الفكرة في أوساط الناس التي يسهل اختراقها، وقام هؤلاء الصوفيون بشرح هذه الفكرة الجديدة على طريقتهم القائمة على التقريب في الأهمية بين درجة الإمام ودرجة النبي، وكانوا يقولون: إن إقامة الحقيقة ونشرها هي غاية الرسالة النبوية، وبما أن النبوة قد خُتِمَتْ بمحمد ﷺ فإن الإمامة التي يطلقون عليها الولاية يجب أن تقوم

مقام الرسالة التي أداها محمد ﷺ، وكما أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبوة فإن خاتم الولاية يتمثل في شخص الولي الإمام الأخير من ذرية نبي الإسلام، ولقد جاءت رسالة محمد ﷺ إسهامًا في بناء جميل تنقصه لبنة، وَبَيَّنَ النبي ﷺ أنه اللبنة المكملة لهذا البناء، ولقد قفز هؤلاء الصوفيون الضالون على هذه الصورة التشبيهية من النبي ﷺ وقالوا: إن محمدًا ﷺ هو لبنة البناء الذهبية، وإن خاتم الولاية يقصدون بذلك المهدي المنتظر الذي كانوا يبشرون بمجيئه سيكون لبنة البناء الفضية.

أما السؤال الذي لا يزال مطروحًا فهو معرفة الميعاد الذي سوف يأتي فيه المهدي حقيقة والذي أعلنت الشيعة مجيئه فيه، فمنذ ميلاد تلك الفكرة وقد وضع أتباع المهدي المنتظر تاريخًا محددًا لظهوره، ولقد استندوا في ذلك كما يقول ابن خلدون إلى القيمة العددية المنسوبة للحروف، وأعلنوا تاريخ ظهوره الذي طال انتظاره، إلا أن أتباع المهدي الحقيقي قد وجدوا للأسف أن التواريخ التي تم تحديدها تباعًا بدت لهم غير صحيحة، وحفاظًا على ماء وجوههم في أعين الناس قدموا لهم تفسيرات لم تكن هي الأخرى صحيحة عند تطبيقها[١٩].

وبذلك ظل السذج والجهلة من الناس تحت رحمة تلك المزاعم والأقوال المغلوطة القائمة على أحاديث موضوعة، ولقد عانى الناس -ولا زالوا يعانون- من هذه الضلالات، ولقد كانت الأحداث المؤسفة والمعاصرة تقريبًا والتي جرت وقائعها في بلاد فارس من جراء خطأ الباب وتلاميذه مثالا مؤسفًا للنتائج التي أفرزتها تصرفات مهديين آخرين هيؤوا مجيء الباب.

---

(١٩) ابن خلدون، مرجع سابق، صفحات: ٣٥٧ - ٣٦٠.

ضبط الحديث

تحدثنا بإيجاز فيما سبق عن الأحاديث الموضوعة التي استند إليها أصحاب فكرة المهدي المنتظر، وذكرنا عدة أمثلة للنقد الذي قدمه المحققون من علماء الحديث إلى رواة تلك الأحاديث المشكوك في صحتها، ويدعونا ذلك إلى اغتنام الفرصة لتعريف القارئ بطرق الجرح والتعديل التي يتبعها علماء المسلمين في كشف زيف الأحاديث، وهذه المسألة تعد خارجة عن موضوع دراستنا إلا أنه من الواضح لنا أن لها من الأهمية ما يجعلنا نفصل القول فيها بالقدر الذي لم نستطع فعله في الفصل السابق، وهذا بالإضافة إلى أن هذه المسألة تتعلق بالأحاديث الخاصة بالمهدي المنتظر.

ويأخذ الكثير من العلماء على طرق الجرح والتعديل بأنها غير كافية في بيان ضعيف الحديث من صحيحه، فيقولون في أكثر من موضع: إن هذه الطرق تتعلق في غالب الأمر بسلسلة الرواة وهو ما يطلق عليه السند وليس بالمتن لبيان الصحيح من الضعيف.

يقول ليونيه كايتاني في كتابه «قراءات في الإسلام»: «إن جميع جهود محققي الحديث قد تمركزت في مجال غير مثمر من خلال اقتصارها على تحقيق السند دون أن يهتم أحد بالنظر في متن الأحاديث»[٢٠].

يقول «م. ت. ج. دي بوير» الأستاذ بجامعة أمستردام في كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام»: «لقد تم وضع قواعد لبيان صحيح الأحاديث من غيرها، وتختص هذه القواعد بسند الحديث والغايات التي يستشهد به عليها أكثر من

(٢٠) راجع الموسوعة الإسلامية، الترجمة العربية، الجزء الثاني، الملزمة الخامسة، تعليق أمين الخولي على مقالة أصول لجوزيف شاخت.

اختصاصها بمعرفة ما إذا كان الحديث لا يشتمل على تناقض أو ما إذا كان منسوبًا حقيقة للنبي ﷺ»(٢١)، وأما جولدتسيهر فإنه يرى أن المسلمين كان لهم السبق إلى هذا العلم الخاص وهو علم تحقيق الحديث، ويضيف قائلا: «إننا نفهم بوضوح أن علم التحقيق لا ينطلق من نفس وجهة نظرنا التي لها مجال واسع في ميدان يتصور فيه التحقيق الإسلامي أنه بإزاء نصوص حديثية مقطوع بصحتها»(٢٢)، ومن جانبه يقول جوزيف شاخت: «إنه من المهم أن نلاحظ أن علماء المسلمين قد قدموا تحقيق السند على تحقيق متن الحديث»(٢٣)، ويقول العلماء الذين أشرنا إلى أقوالهم بنفس الرأي، فيقول أحمد أمين أخذًا عن هذه الآراء: «إن علماء المسلمين قد اهتموا في الحقيقة بسند الحديث أكثر من اهتمامهم بالمتن، وإنه من النادر أن نجد من جانبهم تحقيقًا يقوم على توضيح ما إذا كان الحديث موضع الدراسة يتفق مع ملابسات العصر والحقائق التاريخية أو ما إذا كان الحديث يشتمل على أحد المفاهيم الفلسفية التي لا تتفق مع الأحكام الشرعية التي جاء بها النبي ﷺ أو ما إذا كانت أيضًا لا تشتمل على تعبير يختلف عن الطريقة التي كان يعبر بها النبي ﷺ(٢٤).

إننا لا نعتقد في صحة المأخذ الموجه إلى علماء المسلمين، فبالنسبة لتحقيق الحديث نجد أن علماء الحديث قد اهتموا أولا بتحقيق السند وألفوا في ذلك أبحاثًا كثيرة، وهذا ما أثار دهشة المستشرقين وحملهم على القول إن علماء الحديث كانوا

---

(٢١) بوير، تاريخ الفلسفة في الإسلام، مترجم إلى العربية، أبو رضا، صفحة: ٤٣.

(٢٢) جولدتسيهر، العقيدة والشريعة الإسلامية، صفحات: ٣٣ - ٣٤.

(٢٣) راجع موسوعة الإسلام، مقال: أصول لجوزيف شاخت.

(٢٤) أحمد أمين، فجر الإسلام، صفحات: ٢٥٥- ٢٥٦، ضحى الإسلام، المجلد الثاني، صفحات: ١٣٠- ١٣١.

يهتمون بهذا النوع من التحقيق ويقدمونه على غيره من أنواع التحقيق، ونريد أن نسوق بعض الأمثلة المرتبطة بتحقيق متن الحديث وليس السند.

أولا: فيما يتعلق بحديث الرايات الذي سبق وأن أشرنا إليه، نجد أن أبا أسامة لا يقول بصحته؛ لأن يزيد بن أبي زياد يرويه بسلسلة تشتمل على ثلاثة أشخاص لا تتفق أفكارهم مع ما جاء في الحديث وهم: إبراهيم النخعي وعلقمة وعبد الله بن مسعود، وهكذا نرى أن شخص يزيد -راوي هذا الحديث- لم يكن موضع طعن مباشر من جانب أبي أسامة، على حين أن كثيرًا من العلماء قاموا بالطعن في شخصه[٢٥].

ثانيًا: يُجمع علماء الحديث على أن من بين دلائل الوضع في الحديث مخالفته لأحكام الإسلام والمنطق، وهذا أمر لا علاقة له بالسند[٢٦]، وهذا هو الشأن أيضًا بالنسبة لكل حديث يخالف الحقائق العلمية.

ثالثًا: يستند بعض الفلاسفة المسلمين القائلين برأي أرسطو فيما يختص بالعقل الأول الذي يعد وفقًا لمذهبهم أول مخلوق إلى ما يسمونه حديثًا لإثبات مذهبهم: «**أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أكرم عَلَيَّ منك، فبك آخذ وبك أعطي، وبك الثواب، وبك العقاب**»، يقول علماء المسلمين ممن لهم قدم ثابتة في العلم مثل أبي حاتم الْبُستي والدارقطني وأبي الفرج الجوزي وأحمد بن حنبل إن هذا الحديث موضوع، ويقول ابن تيمية: إن هذا الحديث لا سند له من الرواة الثقات ولا غير الثقات، ومع ذلك فإن ما روي بسند ضعيف أو مشكوك فيه فهو ما يلي:

(٢٥) ابن خلدون، المقدمة، صفحة: ٣٤٩.

(٢٦) الشيخ رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الأول، صفحة: ٤١٥.

«أول ما خلق الله العقلَ... إلى آخر الحديث»، ويضيف ابن تيمية قائلا: إن في هذا الحديث إشارة تمنع من القول بصحته وهي كلمة «العقل»، فعلى الرغم من وجود الكثير من المترادفات والاشتقاقات لهذه الكلمة إلا أنه لا أثر لها في القرآن ولا في سنة النبي ﷺ إلا في خطاب واحد للنبي ﷺ موجه إلى النساء ويختص بطبائعهن الناشزة تجاه أزواجهن، فبعد أن أنكر النبي ﷺ عليهن جحود حقوق أزواجهن، قال: **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»**[٢٧].

ومن الواضح أن كلمة «عقل» قد استخدمت في هذا الحديث للدلالة على التفاهم الإنساني، فلا يراد بها مطلقًا «العقل الكلي» الذي يعد مفهومًا فلسفيًّا؛ لأن ذلك المفهوم بعيد عن مراد النبي ﷺ، ولذلك رفض ابن تيمية هذا الحديث، ولم يكن ابن تيمية وحده هو القائل إن المفاهيم الغريبة على سنة النبي ﷺ أو الكلمات أو التعبيرات التي ليست من مفرداته ﷺ فما هي إلا علامات توضح زيف الأحاديث المنسوبة إليه ﷺ.

رابعًا: هذا هو الشأن أيضًا بالنسبة للحديث المعروف «بحديث الفرق» فلقد روي هذا الحديث بطرق مختلفة، ويرويه الغزالي بهذا اللفظ: **«ستفترق أمتي نَيِّفًا وسبعين فرقة، كلهم في الجنة إلا الزنادقة»** وهي فرقة[٢٨]، يقول ابن تيمية: إن العلماء يعدون هذا الحديث باللفظ الذي ذكره الغزالي حديثًا موضوعًا مكذوبًا على النبي ﷺ، ويضيف: إن كلمة زندقة -ومنها زنديق والجمع زنادقة- لا أصل

(٢٧) ابن تيمية، بغية المرتاد، صفحة: ٣٠ - ٣١.

(٢٨) الغزالي، فيصل التفرقة، صفحة: ٨٥.

لها في القرآن ولا في السنة، وهي غريبة على اللغة العربية؛ إذ إنها من أصل فارسي ولم تدخل في الإسلام إلا مؤخرًا بعد تعريبها(٢٩).

خامسًا: كان علماء تحقيق الحديث أكثر دقة في طرق التحقيق، فيروي البخاري ومسلم حديث النبي ﷺ الذي حذر الناس فيه من خلال خطبة له من ظهور الدجال -يعني المسيخ الدجال الذي يزعم أنه إله- «وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور»*، يقول الفخر الرازي: «إن هذا الحديث موضوع»، ويبين أن النبي ﷺ إذا أراد أن يخبر الناس من حوله بأمارات هذا الكذاب الدجال، لبين علامة أو علامات أخرى غير مادية، فليس من المقبول أن ينسب إلى النبي ﷺ أنه أخبر أن الدجال سيكون أعور والله ليس كذلك، أما ابن تيمية فإنه يؤيد هذا الرأي وينكر على الرازي الطعن في صحة هذا الحديث دون دليل معتبر، فيقول: إن هذا الحديث واضح لا لبس فيه، وإن النبي ﷺ عندما أخبر بأن الدجال سيكون أعور، إنما أراد بذلك أن يبين للناس العلامة التي يرونها ويميزون بها المذكور في الحديث(٣٠)، وربما يكون الرازي قد خالف الصواب في طريقة تحقيقه، وبالتالي في الرأي الذي قال به، كما بين ذلك ابن تيمية، ولكن المؤكد الذي لا شك فيه هو أن متن الحديث كان موضوعًا لدراسة دقيقة وتحقيق بالغ من جانب علماء المسلمين.

سادسًا: حينما نرجع بالكلام إلى عصر أقدم من هذا العصر الذي عاش فيه

---

(٢٩) ابن تيمية، بغية المرتاد، صفحة: ٦٣.

* أورد المؤلف في ترجمته لنص الحديث معنًى يخالف المعنى الوارد في الحديث، حيث يقول: «سوف أخبركم بما لم يخبركم به نبي من قبل، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»، وهذا خطأ في الترجمة استلزم رد الأمر إلى أصله والتنويه عليه.

(٣٠) ابن تيمية، بغية المرتاد، صفحة: ١٣٣.

ابن تيمية والرازي، فإننا نجد أن أبا محمد البطليوسي الذي عاش في القرن الخامس الهجري والذي تناول طرق التحقيق التي اتبعها علماء المسلمين قد أفرد في كتابه «الإنصاف» بابًا تحدث فيه بالتفصيل عن العيوب التي تساعد على اكتشاف الحديث الموضوع وقسمها إلى ثمانية أنواع لا يتعلق بتحقيق السند منها إلا نوع واحد فقط، ولا نريد في هذا المقام سرد الأنواع الثمانية التي تحدث عنها المؤلف مع ذكر أمثلة لكل نوع من الأنواع؛ لأن ذلك من شأنه أن يذهب بنا بعيدًا عن موضوع دراستنا، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى ذلك الكتاب إن أراد الاستزادة في هذا الباب، ومع ذلك فإن البطليوسي في نهاية الفصل المتعلق بتلك المسألة يقول إنه قام بهذه الدراسة لبيان القواعد التي استند إليها علماء التحقيق لبيان الصحيح من المكذوب، ونجد على الجانب العملي أن تحقيق العلماء للحديث كان يقوم على فحص كل حديث صادم في صيغته مشتمل على ما يخالف الثوابت المقررة، فكانوا يدرسون سلسلة الرواة أولا فإن اشتملت السلسلة على ما يثير الشك بسبب وجود راوٍ من الرواة به صفة من الصفات يراها العلماء عيبًا فإنهم يرفضون تلك الرواية، أما إذا كان الرواة ثقات، فإنهم يقومون بدراسة المتن لبيان ما إذا كان مقبولا من حيث المعنى وبيان ما إذا كان موافقًا أيضًا لمبادئ الإسلام وحقيقة الأشياء، فإن كان موافقًا لذلك أخذوا به وإلا ردوه[٣١].

سابعًا: إذا ما رجعنا إلى الأعمال التي تهتم بعلم أصول الفقه عند المسلمين لوجدنا أن السادة الأحناف فيما يتعلق بالمسائل الكبرى التي تهم الناس جميعًا يردون خبر الآحاد حتى ولو كان رواته ثقات، حيث يرى الأحناف وجوب تواتر الخبر المتعلق بتلك المسائل، ولا يأخذون أيضًا بحديث من يتعارض رأيه

(٣١) أبو محمد البطليوسي، الإنصاف، صفحات: ١٠٠ وما بعدها.

وسلوكه مع الحديث الذي يرويه، ولا يأخذون كذلك بالأحاديث التي تتعارض مع القواعد المقررة عند الأخذ بالقياس.

ثامنًا: حينما نرجع إلى عصر الصحابة أنفسهم، فإننا نجد أن بعضًا منهم كانوا يردون الحديث إذا تعارض مع إحدى الثوابت، وهذا عين ما فعله ابن عباس -على سبيل المثال- في الحديث الذي رواه أبو هريرة والذي يقول فيه النبي ﷺ: «**من حمل جنازة فليتوضأ**»، وعلل هذا الرد بقوله: «لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة»، أما هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة أيضًا فهو حديث مردود: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتّى يغسلها ثلاثًا، فإنه لا يدري أين باتت يده**»، قالت عائشة هذا حديث مردود، وعللت هذا الرد بقولها: «فكيف يأخذ إذن من المهراس؟!»، ومن الواضح إذن أن هذا كله لا يتعلق مطلقًا بسند الحديث.

وإذا كان هناك من علماء المسلمين من اهتم بالسند أكثر من اهتمامه بالمتن، فإننا لا نستطيع مع ذلك القول إن هؤلاء العلماء قد اقتصروا في ضمان صحة الحديث على كون الرواة ثقات حتى لو تعارض ذلك مع الثوابت الدينية والتاريخية والعلمية، ومن ثم فليس هناك ما يبيح القول إن طرق التحقيق التي عول عليها علماء المسلمين لم تكن كافية لبيان الضعيف من الصحيح.

ولقد ذكر بلوشيه حديثين قد استند إليهما أصحاب فكرة المهدي المنتظر، ثم ضعف هذين الحديثين، ولكن باتباع طريقة غير الطريقة التي اتبعها العلماء المسلمون فيما بيناه من أمثلة قد سبق ذكرها، يقول بلوشيه بصدد الحديث الأول: إذا أخذنا بأخبار الرواة من العرب، لأصبح الإيمان بالمهدي من ثوابت العقيدة،

شأنه في ذلك شأن الإيمان بالله وبنبيه ﷺ، فقد جاء في الخبر: «من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كفر»، يقول بلوشيه: «إن هذا الحديث لا يمكن أن يكون قد صدر عن النبي ﷺ لأنه يبطل -كما سنرى فيما بعد- ركنًا مهما من أركان العقيدة الإسلامية، ألا وهو الركن المتعلق بأن محمدًا ﷺ هو خاتم رسل الله إلى الناس على الأرض، ومع ذلك فإن راوي هذا الحديث وهو أنس بن مالك يعد واحدًا من الرواة الثقات»، ويضيف أنه من المحتمل أن العلويين قد وضعوا هذا الحديث لمساندة قضيتهم.

أما بالنسبة للحديث الثاني، فإن بلوشيه يسوق الحديث باللفظ التالي: **«سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورًا»**، يقول بلوشيه في تحقيقه لهذا الحديث الذي يطعن في صحته: «إن هذا الخبر فيه من الشك ما يجعله لا يرقى لدرجة الصحيح؛ لأنه لو صح لكان ذلك دليلا على أن النبي ﷺ قد بَيَّنَ نظام الحكم الواجب اتباعه بعد وفاته ﷺ إن لم يكن قد حدد من يخلفه»[٣٢].

يمكن أن نؤيد رأي بلوشيه في الطعن في صحة هذين الحديثين، ولكننا لا نستطيع قبول طرق التحقيق التي اتبعها في بيان رأيه، وسوف نذكر سر اعتراضنا عليها، ولكن ما نريد أن نقوله في بادئ الأمر هو أن نسبة هذا الحديث للنبي ﷺ عن طريق أحد الصحابة العدول ليس مانعًا للعلماء من دراسة متن الحديث والحكم عليه من خلال طرقهم في التحقيق بأنه موضوع إذا ثبت حقًّا أنه موضوع.

يقول بلوشيه: إن هذا الحديث بالرغم من أنه موضوع إلا أنه مروي عن

(٣٢) إدغار بلوشيه، المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية، صفحات: ٢٣- ٢٥ .

طريق أنس بن مالك وهو من الرجال الثقات، والدهشة التي أثارها بلوشيه لا محل لها؛ لأن واضع الحديث يقوم بإسناده إلى أحد كبار الصحابة؛ ليخلع على الحديث صورة الخبر الصحيح، بل على العكس يكون الأمر مثيرًا للدهشة إذا كانت سلسلة رواة الحديث لا تشتمل على واحد من الصحابة الثقات، أما دور المحقق فإنه يقوم على دراسة ما إذا كان الصحابي قد روى بالفعل هذا الحديث أم لا، ولقد بذل المحققون جهدًا كبيرًا في البحث والتقصي حتى يصلوا إلى ذلك فقد عكفوا على دراسة كل راوٍ في سلسلة الرواة؛ لمعرفة عمره وتاريخ وفاته والمكان الذي عاش فيه وأسلوب حياته، وذلك يعني معرفة ما إذا كان مقيمًا أم كثير الترحال ومعرفة أخلاقه وحال ذاكرته وعقله والظروف التي روى فيها الحديث ... إلخ، وذلك كله لبيان ما إذا كان ذلك كافيًا لقبول صحة الخبر، ولقد استطاع العلماء المحققون من خلال وضع ذلك كله في الاعتبار أن يدركوا في كثير من الأحوال أن هذه العبارة أو هذه الكلمة الواردة في الحديث ليست منه حقيقة وأن هذا الذي ألحق بالحديث يعد غريبًا عنه.

وقد يحدث في بعض الحالات أن حديثًا يُرْوَى عن النبي ﷺ عن طريق راويين مختلفين كلاهما من الثقات ثم يجيء ثالث فيسمع هذا الحديث من هذين الطريقين، وكان بينهما اختلاف طفيف على مستوى اللفظ، فيأخذ كلمة من إحدى الروايتين فيجعلها في الأخرى، ولقد وصل الأمر بالمحققين إلى بيان ذلك وإثبات الخلط الواقع في الحديث في جزء منه مع رواية أخرى قام ثالث بروايتها.

وبالتالي قام العلماء في بادئ الأمر بدراسة السند ثم دراسة المتن، ويتضح لنا أن ذلك كان أمرًا منطقيًّا؛ لأن الحديث إن لم يكن متصلا بالنبي ﷺ فلا فائدة مطلقًا في دراسة متنه بالتفصيل، ونريد أن نقول -من خلال المقارنة-: إن دور

المحققين يقابل دور القاضي؛ إذ لا يستطيع القاضي أن ينظر في قضية دون التحقق من وقوع المخالفة.

وقبل دراسة الأسباب التي جعلت بلوشيه يطعن في صحة هذين الحديثين اللذين ذكرهما، نريد أن نقول: إن الحديث الأول -كما يقول ابن خلدون- رواه مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر الصحابي عن النبي ﷺ، ومن الواضح لنا أن هناك لَبْسًا عند بلوشيه بين مالك بن أنس -صاحب أحد المذاهب الأربعة والذي مات في نحو سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة- وأنس بن مالك الصحابي المعروف والذي مات لسنة ثلاث وتسعين من الهجرة، وهو العام الذي ولد فيه الفقيه مالك.

ولقد أشار ابن خلدون إلى شكوك العلماء حول صحة هذا الحديث وصحة إسناده إلى مالك بن أنس؛ إذ يوجد من بين رواة هذا الحديث رجل يقال له أبو بكر الإسكاف، وهو رجل معروف بوضعه للحديث، وهو الذي أسند هذا الحديث إلى أنس بن مالك[٣٣].

ونأتي الآن إلى الأسباب التي ذكرها بلوشيه لرفض هذين الحديثين اللذين أشار إليهما، فالحديث الأول موضوع، ونحن نتفق تمامًا مع بلوشيه في ذلك، لكن السبب الذي يذكره في رفضه لهذا الحديث والمتمثل في قوله: «إن هذا الحديث يشكك في أحد ثوابت العقيدة الإسلامية التي تقرر أن محمدًا ﷺ هو خاتم رسل الله إلى الناس على الأرض ...»، ونقول: إن هذا سبب -كما يبدو لنا- غير مبرر، فهذا الحديث لا يتحدث بادئ ذي بدء عن رسالة نبوية للمهدي، ومن الواضح

(٣٣) ابن خلدون، مرجع سابق، صفحة: ٣٤٣.

لنا أن بلوشيه في حكمه هذا قد أخذ بقول بعض الشيعة المتشددين الذين يرون في المهدي المنتظر نبيًّا يأتي بدين ناسخ لدين الإسلام، أما أهل السنة والإمامية المعتدلة فلا يرون مطلقًا في هذا المهدي نبيًّا يأتي بدين جديد، وإنما هو مسلم حنيف يقيم العدل في هذه الدنيا من منطلق الدين الإسلامي، يقول ماسيه -والحق معه في ذلك-: «بينما يعد أهل السنة محمدًا خاتم الأنبياء وأن المهدي سيأتي لإعادة أمور شريعته إلى نصابها في آخر الزمان، نجد أن الإسماعيلية تقول بنسخ رسالة النبي ﷺ بمجيء دين جديد»[٣٤].

ونجد إضافة إلى ذلك عددًا من الأحاديث منسوبة للنبي ﷺ تتحدث عن عودة المسيح في آخر الزمان، وتحظى هذه الأحاديث بمكانة عند بعض العلماء، وهي مكانة لا تتمتع بها الأحاديث التي تتحدث عن مجيء المهدي، بالرغم من أن عيسى -عليه السلام- كان نبيًّا من أولي العزم ورسولا من عند الله، فإن الأحاديث المتعلقة به تتحدث عنه باعتباره مصدقًا لدين الإسلام، وليس ناسخًا له، وإذا كان من الواجب علينا القول بصحة هذه الأحاديث، فإننا لا نجد فيها ما يشكك في العقيدة الإسلامية.

أما الحديث الثاني الذي ذكره بلوشيه فإننا متفقون معه في القول بأنه موضوع، غير أن هذا الحديث حتى لو افترضنا -كما يقول بلوشيه- صحته، فإنه لا يثبت على حد زعمه «أن النبي ﷺ بيَّن نظام الحكم المتبع بعد وفاته».

إن ما يشتمل عليه هذا الحديث الموضوع هو إخبار النبي ﷺ بالأحداث التي ستقع بعد موته والتي لم تُذْكَر إلا لتشير إلى أنه ستنقضي فترة من الزمن وتقع

(٣٤) هنري ماسيه، الإسلام، صفحة: ١٥٩.

فيها أحداث تفصل بين موته ومجيء المهدي، ونرى في حقيقة الأمر استحالة اعتبار التصريح بتلك الأحداث إشارة من النبي ﷺ لنظام الحكم بعد موته، وإذا ما اتبعنا في الحقيقة مثل هذه الطريقة الاستنباطية في تحقيق الأحاديث لآلَ بنا ذلك حتمًا إلى تصنيف الحديث الصحيح على أنه موضوع والعكس صحيح، وهذا ليس من الإنصاف في شيء.



الفصل الثاني
ادعاء النبوة

أولا: هل كان الناس بحاجة إلى نبوة الباب؟

منذ أن بزغ فجر الوجود البشري في هذا الكون والإنسان يسعى بالفطرة إلى الاستفادة بما يجده فيه وإلى تحصيل المنفعة من كل شيء، وشاءت إرادة الله أن تُزَكَّى هذه الفطرة بملكة عقلية لا تجعل النفس قادرة على تحصيل المنفعة المادية فحسب، وإنما تجعلها قادرة أيضًا على تمييز الخبيث من الطيب والخير من الشر، ولم تشأ الإرادة العلية أن تترك الإنسان هملا أمام قضايا الكون الغيبية؛ لأن الإنسان بالرغم من الملكة العقلية الملازمة له، يمكن أن يخطئ في فهمه للخير والشر، وأراد الله للإنسان أن يتخطى تلك العقبة، فأقام له علامات إرشادية تهديه الطريق القويم المؤدي إلى الخير، وما هذه العلامات إلا تلك الأحكام التي كلف الله الرسلَ بتبليغها للناس، وهؤلاء الرسل هم الأنبياء، وحاجة الناس إلى الأنبياء كحاجة الطفل إلى معلمه، ودور المعلم هو تعليم الناس ما يجعل سلوكهم الاجتماعي ينعكس بثماره الطيبة على المجتمع الإنساني، وتغيير ما من شأنه أن يمنع هذه التعاليم أن تُؤْتِيَ ثمارها، ولقد وافقت تعاليم الأنبياء مستوى عقول الناس الذين أُرْسِلُوا إليهم وكذلك أوضاع الحياة التي يعيشونها، فكل نبي أُرْسِلَ إلى قومه جاء بالتعاليم التي ترقى بهم وتهيئهم لتلقي التعاليم التي تتفق مع عقولهم ومستوى حياتهم والتي يأتي بها إليهم فيما بعد رسول من عند الله.

فجاء كل نبي بتعاليم مصدقة لما جاء بها الرسول الذي قبله من ثوابت

الدين الأساسية، ولكنها تختلف في بعض الأحكام الخاصة بالحياة العملية التي لم تعد تتفق مع واقع العصر، وبالتالي اشتملت شريعة كل نبي على قواعد ثابتة لا يمكن أن يطرأ عليها أي تغيير، وهذه القواعد الثابتة تتمثل في أصول العقائد ومبادئ الأخلاق، كما اشتملت أيضًا هذه التعاليم على أحكام تختص بالحياة العملية عند الناس، وهذه الأحكام وحدها هي التي يمكن أن يطرأ عليها التغيير وفقًا للزمان الذي يأتي فيه الرسول.

وأهم ما في هذه العقائد هو الإقرار بأن جميع ما جاء به الأنبياء من شرائع هو من عند الله خالق الكون، وهو وحده الذي يتوجه إليه الناس بالعبادة والشكر على ما أنعم، ومن مهمة الرسل أن يبينوا لأقوامهم كيفية الشكر والعبادة، ولكن درجة العقل والاستعداد للطاعة ليست متساوية عند الناس جميعًا، وهذا الاختلاف هو الذي أوجد منذ فجر النبوة أولئك الذين لم يفهموا -أو لم يريدوا أن يفهموا- أن هذا الكون له إله خالق، لا تدركه الأبصار ومنزه عن المادة، ولكي يؤمن الناس به، لم يدرك أحد منهم -أو لم يرد أن يدرك- أنه ليس من الضروري أن تكون ذات الإله محسوسة مرئية؛ لأن الخلق كان شاهدًا على وجوده، ولقد أراد الناس رؤية الله حتى يؤمنوا به، وهذا ما جعلهم ينحرفون عن التعاليم الخاصة بذات الله، وشرعوا في تصور ذاته في صور مختلفة لطيفة ومفيدة حسب تصور عقولهم القاصرة، ولقد صوروا ذلك الإله في صورة شجرة أو حيوان أو شمس أو قمر، ولكن بما أن عبادتهم لهذه الأشياء كانت تتطلب أن تكون مرئية دائمًا أمام أعينهم وفي متناول وقت التعبد، فإنهم قاموا بتمثيل آلهتهم في صورة تماثيل مصنوعة من الحجر أو الخشب أو في صورة تصاوير.

ولقد أدى موت الأنبياء الذين أرسلوا إلى الناس إلى حدوث تفريط في

التمسك بالتعاليم التي جاء بها كل نبي إلى قومه والتي كان حريصًا على تطبيقها، بل كان يحدث أكثر من ذلك، فالنصوص التي جاء بها الأنبياء قد تعرضت بعد موت الأنبياء للتحريف والتغيير وذلك من خلال التفسيرات الخاطئة أحيانًا، أو ارتكاب جريمة التحريف ذاتها أحيانًا أخرى، ولقد تحدث القرآن عن ذلك فأنكر على أولئك الذين حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا الكتب السابقة لهوى في نفوسهم، وبين المصير الذي ينتظرهم:

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

وهكذا -كما سبق وقلنا- نرى أن الله أراد مراعاة أن يعامل الناس على قدر عقولهم، كما أراد أيضًا أن يُرَسِّخَ العقائد والأحكام الجوهرية التي جاء بها الأنبياء، وذلك على مراحل مختلفة، ولذلك السبب لم يكن هناك نبي واحد، ولكن أنبياء متتابعون، وكان خَاتَمَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ الذي جاء بالقرآن من عند الله، ولقد أكد القرآن أنه مصدق لما قبله من الكتب السماوية التي جاء بها الأنبياء إلى الناس،

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، آية: ٤٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، آيات: ٧٥- ٧٩.

والتي تشتمل على العقائد والأخلاق التي تمثل أساس الشرائع السماوية، وأما الجانب الذي تعرض للتغيير في تلك الشرائع، فإننا نكرر القول إنه كان الجانب الخاص بالأحكام المتعلقة بحياة الناس العملية والتي كانت تختلف من عصر إلى آخر.

ولقد احتفظ القرآن بنصه الأصلي الكامل منذ أن نزل إلى يومنا هذا، فلم يطرأ عليه أي تحريف أو تبديل، أما ما يختص بالجانب العملي في حياة الناس فإن القرآن قد وضع أحكامًا تتناسب مع التغيرات التي يمكن أن تطرأ على حياة الناس، وهذا التناسب أمر مباح بفضل عموم الأحكام التي اشتمل عليها القرآن، وكذلك أيضًا بفضل الدعوى القرآنية إلى الرجوع -إن كان ثَمَّ ضرورة- إلى الأحكام التشريعية التي عمل بها النبي ﷺ وأصحابه والتي كان في عدادها القاعدة المعروفة بالقياس، ومن ثم كان السببان اللذان يجعلان الناس في حاجة إلى مجيء نبي جديد هما:

١- تحريف الشرائع السماوية والكتب المنزلة وتبديلها.

٢- حاجة الناس إلى تشريعات جديدة تتناسب مع متطلبات حياتهم العملية.

إن أخذ ذلك في الاعتبار يجعلنا نتساءل هذا السؤال: ما هي حاجة الناس إلى نبوة الباب المزعومة؟ وما هي التعاليم الجديدة التي جاء بها لتلبية حاجة الناس في القرن التاسع عشر؟

فيما يتعلق بالثوابت العقدية الجوهرية لكل الأديان السماوية، فيبدو أن الباب كان يسعى إلى هدمها والعودة بالناس إلى براثن الشرك، فعبادة الأصنام

لا تتحقق في عبادة صنم من حجر أو خشب فحسب، إنما تتحقق أيضًا في مفهوم تَجَسُّد الذات الإلهية في جسد الإنسان، حيث يجب عبادة هذا الإنسان باعتبار تَجَسُّد الذات الإلهية فيه، ولقد بَيَّنَّا فيما سبق أصول ديانة الباب الباطلة، وسنعود إلى الحديث عنها مرة ثانية، ولكن ما نريد أن نقوله في هذا الصدد، فيما يتعلق بمبادئ الأخلاق، هو أن الباب الذي كان قد زعم من قبل أنه ظهر في صورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قد زعم أيضًا أنه سيعود إلى الدنيا يومًا متجسدًا في صورة رجل يقال له: «من يظهره الله»، وهذا الرجل سيكون له الحق والقدرة على محاسبة الناس على أعمالهم، والناس ليس لهم أي حق في محاسبته، يفعل ما يشاء، فيخلع بذلك على نفسه صفة الإله، وبما أن الله غيب لا يمكن إدراكه، وليس له صفات، ولا يفعل شيئًا بذاته -كما يقول الباب موافقًا في ذلك مذهب الإسماعيلية- فإن صفة الإله التي بموجبها تتم محاسبة الناس دون مساءلة من جانبهم لا بد أن تنخلع على إنسان قد تجسدت فيه الذات الإلهية، وذلك الإنسان ليس أحدًا إلا الباب، الذي سيأتي في صورة «من يظهره الله»، ويتعارض قول الباب هذا بكل وضوح مع المبادئ والأخلاق التي لا تسمح لأي إنسان -أيًّا كانت أفعاله- أن يضع نفسه فوق مستوى المسؤولية أمام غيره من الناس.

أما بالنسبة للشرائع الجديدة التي يجب أن تتناسب مع متطلبات الناس الجديدة، فإن الباب لم يأتِ بشيء يمكن أن يكون مساهمة في تقدم البشرية، بل كان في هذا المجال أيضًا داعيًا إلى الجهل، عندما كان يَقْصُر التعليم على تعلُّم كتابه «البيان» والشروح التي كُتبت عليه، ومما زاد الطين بلة إنكاره البَيِّن للتقدم الإنساني الناتج عن دراسة العلوم وتعلُّمها.

ولقد تضمنت كتابات الباب بعض التعديلات التي أدخلها على بعض الأحكام الجارية في زمانه، ولكن ذلك التعديل كان عبثيًا وبلا أهمية تُذكر كما سبق وأشرنا إليه وكما نوضحه الآن، ونخلص إلى القول إن إسهامه في تلبية حاجة الناس التي تتطلبها حياتهم العملية كانت معدومة.

ويبين لنا البابيون ومعهم الميرزا أواره أسباب حاجة البشرية إلى نبوة الباب والدور الذي لعبه بهاء الله، فيقولون: إنه مما لا شك فيه أن الدين الإسلامي القائم على القرآن قد استقرت أحكامه في صورتها الثابتة والكاملة، ولكن بعد ذلك الاستقرار وتحت تأثير اختلاف الآراء بين العلماء أصبح الدين غامضًا وينقصه الوضوح، وقد أدى ذلك إلى توقف تطوره، وذلك هو السبب الذي جعله لا يتناسب مع المتطلبات المستجدة في حياة الناس[٣].

وهكذا يعترف البابيون صراحة بأن الإسلام القائم على القرآن قد استقرت أحكامه في صورتها الثابتة والكاملة، ويؤكدون بصراحة أيضًا أن اختلاف العلماء هو الذي أدى إلى توقف تطوره، وبالتالي فإنه لولا ذلك الاختلاف لاحتفظ الإسلام بثباته وكماله، ولأوفى بحاجة البشر طالما أن القرآن الذي هو مصدره لم يطرأ عليه أي تحريف أو تبديل، إننا نجد في كلام البابيين اعترافًا ضمنيًا بأن القرآن الذي بُنِيَ عليه الإسلام قد كان مفهومًا ومطبقًا لإقامة هذا الدين، وأن آياته كانت واضحة ومفهومة لدى الناس، ومن ثم يقع البابيون في التناقض مرة أخرى؛ لأنهم أخذوا على الشيعة الإمامية الاستناد إلى القرآن والسنة، وبرروا ذلك القول بأن الشيعة كانوا يجهلون أن آيات القرآن مغلقة وغامضة بأمر الله، وكان لا بد أن

(٣) أواره، الكواكب الدرية، صفحة: ٢٤.

تبقى كذلك ردحًا من الزمن حتى تجيء اللحظة التي يتجلى فيها الله، ويؤكدون أن القرآن قد أعلن ذلك صراحة[٤].

فالبابيون يرون حينئذ أن معنى آيات القرآن الكريم يكون -بحسب أهوائهم- إما واضحًا مفهومًا وإما غامضًا غير مفهوم، ولكنهم لا يبينون الوقت الذي كان فيه المعنى غامضًا غير مفهوم، فهل يريدون بذلك القول إن آيات القرآن نزلت متشابهة وشاءت الإرادة أن تظل كذلك عدة قرون حتى يأتي اليوم المحدد لظهور الباب أو بهاء الله الذي يكشف أسرارها؟ وإذا كان ذلك كذلك، فكيف تسنى للمسلمين الأوائل فهم هذه الآيات وقاموا بتطبيقها؟ وكيف استقر أمر الإسلام القائم على القرآن بجميع أحكامه بصورة ثابتة وكاملة؟ أم على النقيض يريد البابيون أن يقولوا: إن آيات القرآن كانت واضحة ومفهومة في صدر الإسلام، وإن اختلاف العلماء في الرأي هو الذي جعلها خفية ومغلقة لدرجة لا يتسنى لأحد سوى الباب أو بهاء الله الكشف عن معناها الحقيقي؟

إن القرآن المحفوظ في المصاحف وفي صدور المسلمين لم يطرأ عليه منذ نزوله أي تحريف أو تبديل بأي صورة من الصور، وإن الخلاف الواقع في الرأي بين علماء التفسير وعلماء استنباط الأحكام الفقهية لم يكن له أدنى تأثير على وضوح معاني آيات القرآن ودقتها، وحيث إن نصوص القرآن لم يطرأ عليها أي تغيير من أحد، فكيف يمكن ادعاء غموض هذه النصوص غموضًا جعل معناها مُلْغِزًا وجعل من دين الإسلام دينًا جامدًا ولم يعد متناسبًا مع المستجدات للوجود الإنساني؟

(٤) مرجع سابق، صفحة: ٢٥.

يقول شانتبي دو لا سوساي في هذا المقام ما يلي: «ليس هناك ما يقال عن أهل السنة، لا في الشريعة ولا في العقيدة، فلم يبتعدوا بشكل ملحوظ عن مواقف أئمة المذاهب الأربعة ولا عن مواقف الأشعري والغزالي؛ ومع ذلك فإن كثيرًا من الكُتَّاب المسيحيين قد أخطؤوا في دراستهم للإسلام، عندما جعلوا من ذلك سمة عامة ومطلقة ودليلا على جمود الإسلام وموقفه العدائي من الحضارة، بيد أن أسباب هذا الجمود المزمن الذي أصاب المسلمين أكثر من مرة لم يكن يكمن في دينهم ذاته»[٥].

ويقول البابيون إن القرآن قد بين بوضوح أن آياته خفية، وأن معناها ليس هو المعنى الظاهر، ويفرض علينا هذا الكلام أن نكرر ما ذكرناه آنفًا في هذا الموضوع وهو أنه لا يوجد في القرآن آية واحدة يمكن أن تتسم بهذا الطابع، وإذا كان البابيون يستندون إلى الآية السابقة من سورة آل عمران والتي تتحدث عن المتشابهات لتأييد رأيهم، فإننا قد بَيَّنَّا فيما سبق أن رأيهم هذا لا يستند على دليل، ويضيف البابيون للاستدلال على رسالة الباب وبهاء الله المزعومة أن اختلاف العلماء في الرأي قد وقع بين علماء السنة كما وقع بين علماء الشيعة، ولكن علماء السنة يرون أن الخلاف لا يتعلق إلا بالأحكام القرآنية المتعلقة بالمسائل الفقهية، أما الشيعة فيرون أنها تتعلق بالمسائل الكبرى والتي يأتي على رأسها مسألة الخلافة[٦]، ونجد أنه من الواجب أن نقول في هذا الصدد: إن الجانب والأمر الأساسي والجوهري في الإسلام هو تلك العقائد ومبادئ الأخلاق التي تمثل القاسم المشترك بين جميع الأديان السماوية، أما البابيون فإنهم يتعمدون تجاهل العقائد والمبادئ الأخلاقية، ويجعلون من مسألة الخلافة أمرًا جوهريًا في الدين الإسلامي.

---

(٥) شانتبي دو لاسوساي ، كتاب تاريخ الأديان، ص: ٣٠٩.

(٦) أواره، مرجع سابق، ص: ٢٦.

وبما أن مسألة الخلافة هي المثال الوحيد الذي يقدمه البابيون على أنه أكثر قواعد الدين الإسلامي أهمية، فمن الواجب أن أقول في هذا الصدد: إن عقائد الإسلام وقواعد الأخلاق فوق مستوى الشبهات، وإن مسألة الخلافة لا يمكن أن تعد بحال أبدًا من المسائل الجوهرية في الإسلام، وقد نجد بالفعل أن بعض المراجع الإسلامية تفرد فصلا لمسألة الخلافة، ولكننا نقول: إن إضافة مثل هذا الفصل إلى تلك المراجع ليس مبررًا؛ لأن مسألة الخلافة لا يمكن اعتبارها من ثوابت الدين الإسلامي، والعلماء الذين أفردوا في كتبهم فصلا عن الخلافة لا يعدون مطلقًا أن هذه المسألة جزء من العقيدة، فلقد تم إدراج هذا الفصل في كتبهم لاعتبارات سياسية، وهذا ما يفسر وضع هذا الفصل في آخر الكتب الإسلامية، وإن شئت فقل إن ذلك بمثابة تذييل للكتاب لا علاقة له بالموضوع، فلقد تناول العلماء مسألة الخلافة في تلك الكتب خارج أي اعتبار ديني؛ إذ إنها مجرد مسألة سياسية تقتصر على تحديد الصفات الواجب توافرها في الخليفة؛ ولذلك السبب يقول الغزالي على سبيل المثال: إن الخطأ الذي يمكن أن يقع في مسألة الخلافة لا يمكن أن يؤدي إلى اعتبار صاحبه كافرًا حتى ولو أنكر صاحب هذا الرأي ضرورة أن يكون للأمة الإسلامية خليفة، ويزيد الغزالي على ذلك فيقول: إن ابن كيسان قد أنكر ضرورة الخلافة دون أن يقول أحد بكفره، وبالتالي فليس هناك اعتبار لأولئك الذين يولون الخلافة أهمية كبرى ويجعلون الإيمان بالخليفة على نفس درجة الإيمان بالله ورسوله(٧)، وفي حقيقة الأمر لا نجد في القرآن ولا في السنة ما يتعلق بتحديد الشخصية التي يجب أن تقود الأمة.

إن كل ما يشير إلى ذلك في القرآن والسنة إنما يختص بالالتزام بأوامر الدين

(٧) الغزالي، فيصل التفرقة، صفحة: ٧٣

والمحافظة على مبادئ العدل والمساواة وطاعة أولي الأمر الذين أجمعت عليهم الأمة، وإذا كان ثمة أحكام شرعية متعلقة بمسألة الخلافة، فإن ذلك يعد بمثابة قواعد لتنظيم الحياة العملية للناس، وأي اختلاف في الرأي في هذا الصدد فإنه لا يتعلق بالعقيدة الإسلامية في شيء، وإن الاختلافات التي ظهرت بشأن تلك القضية تعد أمرًا طبيعيًّا، فجميع الاختلافات التي نشأت حول الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ لا تخرج عن كونها خلافات سياسية، والأحزاب التي تكونت في تلك الفترة ليست إلا مجرد أحزاب سياسية، فالمذهب الشيعي لا يعدو إلا أن يكون ثمرة لهذه الاختلافات، والشيعة ليست إلا مجرد حزب أرستقراطي يريد أن يجعل الخليفة من ذرية محمد ﷺ، والخوارج أنفسهم لم تظهر نشأتهم إلا بعد الخلاف الواقع بين عليٍّ ومعاوية بشأن الخلافة، وهؤلاء الخوارج كانوا يتبنون رؤية ديمقراطية للخليفة؛ لأنهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة مُنتخبًا من جانب الأمة فهم لا يعترفون بضرورة أن يكون الخليفة من آل محمد ﷺ أو أن يكون قُرشيًّا، فكل ما يسعون إليه أن لا ينحرف الخليفة عن أحكام الدين، وكانوا يقولون بالخروج على الخليفة إذا خالف أحكام الدين حتى ولو كان خطؤه لا يؤدي إلى إيقاع ضرر أو أذى بالأمة الإسلامية، ولقد نشأ أيضًا حزب آخر عقب هذا الخلاف في الرأي وهو حزب معتدل تأتي آراؤه وسطًا بين الشيعة والخوارج وَيُطلق على أصحاب هذا الحزب أهل السنة، ولا يجعل أهل السنة الخلافة مقتصرة على آل بيت النبي ﷺ، ولقد مثل أهل السنة حزبًا ديمقراطيًّا يدعو إلى انتخاب الخليفة؛ بشرط أن يكون الاختيار واقعًا على رجل من قريش، ولم يكن أهل السنة بنفس درجة تحرر الخوارج في مسألة المرشح للخلافة، فالخوارج لا يشترطون -كما رأينا- أن يكون قرشيًّا وقد فتحوا الباب على مصراعيه عندما قرروا أنه لا مانع أن يكون الخليفة أسود بما يعني أنه ليس من العرب، ولقد كان الخوارج يقولون: إن الناس في

الإسلام سواسية، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، ثم جاء المعتزلة بعد ذلك فأكدوا ما ذهب إليه الخوارج فيما يتعلق بشخصية الخليفة، ولكنهم كانوا أكثر سماحة في مسألة الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الخليفة، إن الاختلاف في الرأي بين هذه الأحزاب المختلفة حول قضية الخلافة يبين بوضوح أنه لا يخرج عن دائرة الخلاف السياسي.

يقول الباب بصدد نبوته: «ما إن كانت البيئة مهيأة في عالم الممكن إلا وأرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب بالتشريعات، وسوف يستمر ذلك أيضًا عندما تكون هناك حاجة إلى ذلك»[٨]، ويقول نيكولا مفسرًا قول الباب: «...القول إنه لن يكون هناك نبي بَعْدُ يعني القول إن الإنسان قد وصل إلى درجة الكمال وإنه قد فهم أسرار الذات الإلهية»، ويكفي لبيان وهن وضعف مثل هذا القول أن ننظر في أنفسنا، ومن ثم فإن الباب معارض لفكرة ختم النبوة بمحمد لكي يجيء بدوره لوضع اللبنة في البناء الذي أرسى قواعده باسم آدم وواصل بناءه بأسماء مختلفة أطلقها الناس عليه وهي: إبراهيم وموسى ومحمد[٩]، يقول نيكولا -وهو متخصص في تفسير أفكار الباب-: «إن غاية النبوة هي إفهام الناس أسرار الذات الإلهية»، ويزعم أن أسرار الذات الإلهية لم تظهر بَعْدُ للناس؛ ولذا فإنهم بحاجة إلى أنبياء جدد.

ومن الواجب أن نقول بصدد هذا التفسير: إن هناك أمرًا لا يختلف عليه أتباع أي دين سماوي، وهو أنه ليس هناك من أحد -إنسانًا كان أم نبيًّا أم ملكًا- يمكنه أن يصل إلى أسرار الذات الإلهية، فهذا أمر لا طائل من ورائه، بل يمثل

---

(٨) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢.

(٩) مرجع سابق، ص: ٣، الهامش.

ضررًا على المؤمن إذا ما سعى وراء معرفة أسرار الذات الإلهية المنزهة عن مشابهة الذات الإنسانية، فكل ما تسمح به عقولنا البشرية في معرفته، وكل ما جاء به الأنبياء من أخبار عن الذات الإلهية يدلنا على أن هذا الكون ليس له إلا إله واحد، عليم قدير، خالق لهذا الكون، وأن الله قديم ليس كمثله شيء، ونجد -خارج حدود ذلك- أن عقولنا غير قادرة على معرفة ماهية الذات الإلهية، وأن البحث وراء تلك المعرفة ليس من شأن النبوة، فالأنبياء أنفسهم قد حَرَّمُوا ذلك وَأَمَرُوا بالامتناع عن الشروع فيه، ولقد جاء في الحديث الشريف: «تفكروا في آلائي ولا تفكروا في ذاتي فتهلكوا»، ويعلق الشيخ محمد عبده على ذلك قائلا: «أما الفكر في ذات الخالق فهو طلب للاكتناه من جهة وهو ممتنع على العقل البشري لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ولاستحالة التركب في ذاته وتطاول إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى فهو عبث ومهلكة، عبث لأنه سعي إلى ما لا يُدْرَك، ومهلكة لأنه يؤدي إلى الخبط في الاعتقاد؛ لأنه تحديد لما لا يجوز تحديده، وحصر لما لا يصح حصره، لا ريب أن هذا الحديث وما أتينا عليه من البيان كما يأتي في الذات من حيث هي يأتي فيها مع صفاتها، فالنهي واستحالة الوصول إلى الاكتناه شاملان لها، فيكفينا من العلم بها أن نعلم أنه متصف بها، أما ما وراء ذلك فهو مما يستأثر هو بعلمه ولا يمكن لعقولنا أن تصل إليه؛ ولهذا لم يأت الكتاب العزيز وما سبقه من الكتب إلا بتوجيه النظر إلى المصنوع؛ لينفذ منه إلى معرفة وجود الصانع وصفاته الكمالية، أما كيفية الاتصاف فليس من شأننا أن نبحث فيه»[10].

إذا كانت رسالة الباب رسالة نبوية فحسب فَلِم يقول نيكولا في تفسيره

---

(١٠) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، الترجمة الفرنسية، صفحات: ٣٥- ٣٦.

لقول الباب الذي ذكرناه آنفًا: «... وهاهو قد جاء لوضع اللبنة في البناء الذي أرسى قواعده باسم آدم وواصل بناءه بأسماء مختلفة أطلقها الناس عليه وهي: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد»، وكيف يمكن فهم هذا التفسير الذي يعني أن:

١- الباب رجل فارسي، ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي، يعني بعد ثلاثة عشر قرنًا من مجيء الإسلام.

٢- الباب نبي ورسول من عند الله الذي أرسل إلى الناس رسلا وهم: آدم ونوح وإبراهيم... إلخ.

٣- الباب جاء في صورة نبي لهداية الناس إلى الخير، ولوضع اللبنة في البناء الذي رفعه الأنبياء من قبله.

٤- الباب قام بوضع قواعد هذا البناء ورفعه.

٥- الباب هو آدم؛ لأنه أول من رفع هذا البناء ثم هو نوح وإبراهيم وموسى... إلخ.

٦- الباب هو هؤلاء الأنبياء جميعًا في آن واحد بالرغم من اختلاف بعضهم عن بعض في الاسم والعمر والأصل والزمن الذي جاء فيه والقرى التي أُرْسِلَ إليها، فالباب هو ذلك كله بالرغم من مجانبته للفطرة السليمة وحقيقة الأشياء؛ وذلك لأن الناس -كما يقول نيكولا في تفسيره لرسالة الباب التي خلعها على نفسه- هم الذين أطلقوا جهلا أو لأي سبب آخر اسم «أول الذكر» يقصد بذلك الباب على آدم ثم نوح ... إلخ.

إننا نجد في واقع الأمر أن الباب -منذ اليوم الذي زعم فيه أنه المهدي- قد خلط دون أن يدرك ذلك التناقض بين كونه مهديًّا ونبيًّا وإلهًا، فزعم في آن واحد أنه المهدي والنبي والإله، وإذا كان نيكولا قد بذل جهدًا كبيرًا -وهو جهد جدير بقضية كتلك- في التوفيق بين مزاعم الباب التي لم يستطع التوصل إلى الفصل بينها؛ لأن عقله لم يكن يسمح له بذلك، فإن هذا الخلط في مزاعم الباب يظل دائمًا في دائرة العبث.

ثانيًا: الأدلة الواجب توافرها لإثبات النبوة

ما من نبي أرسله الله إلى الناس إلا وآتاه دليلا أو أكثر يؤيد رسالته التي أمره بتبليغها إليهم، وتأييد هذه الرسالة يعد أمرًا ضروريًّا حتى يتقبل الناس دعوته، ولا يمكن للناس أن يؤمنوا بمن يدعي حمل تلك الرسالة السامية التي تمثل الحلقة الرابطة بينهم وبين ربهم دون أن يقدم الدليل على صدق نبوته، وهذا الدليل الواجب تقديمه لإثبات تلك الرسالة السامية يجب أن يتناسب مع أهمية تلك الرسالة حتى لا يترك شكًّا في شرعية تلك الرسالة وحتى لا يسمح بتسريب أي شك من شأنه أن يجعل الناس تعتقد أن هذا الذي يقول إنه نبي لا ينشر إلا مجرد أقواله التي ليست من عند الله، وبالتالي فإن هذا الدليل يجب أن يتمثل في عمل لا يمكن لأحد أن يقوم به، بمعنى أن يكون خارقًا للعادة، ولا يمكن لهذا الدليل أن يأتي إلا في صورتين فقط:

إما أن يكون في صورة الكتاب الذي يأتي به النبي كما هو الحال بالنسبة لنبي الإسلام.

وإما أن يكون الدليل في يد النبي وقت إعلانه لنبوته؛ لكي يقيم الحجة إذا

ما طلب منه الناس أن يثبت لهم رسالته كما كان الحال بالنسبة لموسى وعيسى على سبيل المثال.

ومع ذلك فإننا لا نقصد القول إن الكتب التي جاء بها موسى وعيسى كانت مجردة من دلالات الإعجاز لإثبات نبوتهم، أو أن محمدًا ﷺ لم تكن له معجزة تؤيد رسالته غير القرآن، إن ما نريد أن نقوله هو أن موسى وعيسى قد جاءا لإثبات صدق رسالتيهما بأعمال خارقة للعادة، أما دليل صدق محمد ﷺ فكان في الكتاب الذي جاء به من عند الله، ويمكن أن نجمع بين هذين النوعين من الدلائل فنجعل منهما نوعًا واحدًا؛ لأن العمل الخارق للعادة إذا كان معجزة لإثبات صدق نبي، فإن الكتاب الذي يأتي به النبي يعد في حد ذاته أمرًا خارقًا للعادة، فإذا كلف رجل أحدًا بتبليغ رسالة بالغة الأهمية لثالث فإنه يعطي رسوله الدليل القاطع على صحة الرسالة التي حَمَّلَهُ إياها، وفي كل مرة أرسل الله فيها رسولا إلى الناس من بينهم لإبلاغهم بها، فإنه كان يؤيد رسوله بالمعجزة الإلهية التي تؤكد أنه رسوله، وعليه فإن الدليل الواجب على الرسول أن يقدمه لإثبات رسالته يجب أن يكون من عند الله ولا يمكن لأحد أن يأتي به إلا بإذن الله، بل ويجب أن يكون هذا الدليل صادرًا عن قدرة الله وعلمه؛ إذ إن هاتين الصفتين هما اللتان تظهر آثارهما في هذا الكون وبهما تميز أفعال الله عن أفعال العباد.

والإخبار عن الأمور الغيبية الماضية أو المستقبلية، وكذلك الكشف عن الحقائق العلمية قبل اكتشاف العلماء لها يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر علم الله المحيط، فانقلاب العصا حية وإبراء الأبرص ورد بصر الأعمى وإحياء الموتى يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر قدرة الله، فكل دليل يقدمه الرسل لا بد أن يكون صادرًا عن هذين

المصدرين، بمعنى أن يكون من فعل القدرة والعلم الإلهيين، وكل دليل لا يصدر عن ذلك لا يقبله أحد ولا يؤيد رسالة نبوية.

يقول الشيخ محمد عبده: «أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم والذي خلق الإنسان وعلمه البيان؛ علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعِدُّ لها بمحض فضله بَعْضَ مَنْ يصطفيه من خلقه -وهو أعلم حيث يجعل رسالته- يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والأمانة على مكنون سره»[١١]، «ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونون بذلك رسلا من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين»[١٢]، «فأقام له من بين أفراده مرشدين هادين، وميزهم من بينهم بخصائص في أنفسهم لا يشركهم فيها سواهم، وأيد ذلك زيادة في الإقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخزي الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع إلى رشده وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه. يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بها لا مندوحة عن الإذعان له»[١٣]، «الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر للشاهد الذي يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان كما سلف في الوجه الأول من الكلام على الرسالة، أما للغائب عن زمن

---

(١١) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، الترجمة الفرنسية، صفحات: ٦٣- ٦٤.

(١٢) مرجع سابق صفحة: ٦٤.

(١٣) مرجع سابق صفحة: ٧٣.

البعثة فدليلها التواتر...»[14]، «ومن الأنبياء ما استوفى الخبر عنهم شرائط التواتر كإبراهيم وموسى وعيسى»[15]، «ومع استحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بدعوة إلى الله على رغم الملوك وأجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم في عروشهم، وادَّعوا أنهم يبلغون عن خالق السماوات والأرض ما أراد شرعه للناس، وأقاموا من الدليل ما تصاغرت دونه قوة المعارضة، ثم ثبتت في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفِطَرِ، وكان الخير لأممهم في اتباع ما جاؤوا به، حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة ما كانوا قائمين عليها، ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها وخلطوا فيها، فهذا وما أقاموه من الأدلة عند التحدي لا يصح معه في العقل أن يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ولا في دعواهم أنه كان يوحى إليهم ما شرعوا للناس»[16].

ولقد ظهرت الآيات التي أجراها الله على أيدي الأنبياء والتي كانت تتجاوز حدود العقل في عدة صور مختلفة وفقًا للأحوال ومستوى ثقافة الناس، فالقدماء المصريون كانوا معروفين بالفنون والطبيعة ومشهورين في مجال السحر؛ لذلك أيد الله موسى بالآيات الخاصة بتلك المعارف، وهذه الآيات تجاوزت بكثير مستوى ما يعرفه العلماء والسحرة، مما كان له الأثر البالغ على عقولهم، ولقد أسفرت تلك الدلائل عن إيمانهم وإقرارهم أن مثل هذه الأعمال ليست من أعمال البشر، وبما أنها جرت على يد رجل يقول إنه نبي فهي إذًا من لدن القدير، ويذكر القرآن في حديثه عن القدماء المصريين أن كبار السحرة المجتمعين بِأَمْرٍ من فرعون

---

(١٤) مرجع سابق صفحة: ٧٣.

(١٥) مرجع سابق صفحة: ٧٩.

(١٦) مرجع سابق صفحة: ٧٩- ٨٠.

لمقابلة معجزات موسى بسحرهم قد أقرّوا بأن ما جاء به موسى يتجاوز حدود الممكن، ثم اعترفوا برسالته وآمنوا به.

وفي زمان عيسى كان الرومان متفوقين في علوم الطب أكثر من غيرها من العلوم، فأيد الله نبوة عيسى بدلائل من نفس المجال الذي نبغوا فيه؛ فأعطاه الله القدرة على إبراء الأبرص، ورد بصر من ولد أعمى، وإحياء الموتى دون اللجوء إلى أي وسيلة من وسائل الطب، وفي الزمان الذي جاء فيه محمد ﷺ كان العرب أربابًا للفصاحة، وكانوا يتنافسون في النثر والشعر، فأيّد الله نبيه محمدًا ﷺ بمعجزة في نفس المجال الذي نبغوا فيه، فأرسله الله إلى العرب بالقرآن الذي يتجاوز في جماله وكماله كل ما أنتجته اللغة العربية، فكان بمثابة تحدٍّ لأولئك الذين أرادوا أن يأتوا بمثله.

ولقد اختلفت الآيات التي جاء بها الأنبياء على رسالتهم باختلاف العصر والوسط اللذين ظهروا فيهما، وكانت المعجزات متناسبة مع المعارف الموجودة في كل عصر بالدرجة التي جعلت العلماء يتبيّنون ما إذا كانت هذه المعجزات صادقة أم كاذبة، وبما أن النبي في حاجة لأن يثبت بالدليل القاطع صدق رسالته، فلا يكفيه إن جاء بكتاب للناس ويزعم أن هذا الكتاب من عند الله وأنه المعجزة الدالة على رسالته إذا اقتصر هذا الكتاب على بيان بعض الأحكام العملية للناس وبعض المعطيات العلمية التي لا تتجاوز حدود الطاقة الإنسانية، فالرجل الذي يأتي بمثل هذا الكتاب زاعمًا أنه نبي لن يصدقه الناس، حيث يعترض الناس دائمًا على كل ما هو جديد بدافع تقاليدهم -حسنة كانت أو سيئة- حيث تبدو لهم هذه التقاليد أفضل من كل ما هو جديد -الذي لا يزال محل التجربة- وذلك لا يكون إلا على حساب الناس وحدهم، ويجب أن يشتمل الكتاب الذي جاء به من يقول

إنه رسول من عند الله على الحجة الدامغة التي تثبت أنه كذلك، وحتى تكون هذه الحجة مقبولة عند الناس فإنه من الواجب أن تكون تجليًا واضحًا لقدرة خارقة للعادة، وبذلك يكون الله قد أراد إثبات صدق نبيه حتى تكون الأحكام التي جاء بها من عنده مقبولة ما إن تعلقت بالحياة المادية للناس والجانب الروحي في علاقاتهم.

وذلك هو السبب الذي يجعلنا لا نتفق مع الشيخ رشيد رضا في مقارنته للمعجزة التي جاء بها محمد ﷺ بالمعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون لبيان صدق رسالتهم؛ إذ يقول: «سبق لنا أن ضربنا مثلا لنبوته ﷺ رجلا ادعى في بلاد كثرت فيها الأمراض أنه طبيب وأن دليله على ذلك أنه ألف كتابًا في علم الطب يداوي المرضى بما دونه فيه فيبرؤون، فاطلع عليه الأطباء البارعون فشهدوا بأنه خير الكتب في هذا العلم وما يتعلق به من عمل، ثم عرض عليه من لا يحصى عددًا من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرئوا من عللهم وصاروا أحسن الناس صحة، فهل يمكن المراء في صحة هذه الدعوى مع هذين البرهانين العلمي والعملي؟ كلا، وإن العلم بطب الأرواح أعلى وأعز منالا من العلم بطب الأجساد، وإن معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع أعسر من مداواة أعضاء الأفراد، ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية وأصول التشريع الاجتماعي والمدني وأن النبي ﷺ عالج به أمة عريقة في الشقاق وحمية الجاهلية، غريقة في الجهل والأمية ورذائل الوثنية فشفيت ...»(١٧)، ويضيف الشيخ رشيد رضا أنه لو استدل ذلك الطبيب الجسداني على صحة دعواه بعمل غير مألوف للناس، ولكن لا علاقة له بالطب لأمكن المراء في صحة دعواه،

---

(١٧) الشيخ رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، المجلد الأول، صفحات: ٢١٨- ٢١٩.

كذلك شأن هذا النبي في ادعائه أنه مرسل من الله لهداية البشر، فإن كتابه العلمي المؤيد بنجاح العمل به أدل على كونه وحيًا أوحاه الله إليه من جعل عصاه حية، أو إحيائه ميتًا؛ لأن هذين -على غرابتهما- ليسا من موضوع الإرشاد والتعليم، كما أنهما ليسا من موضوع الطب، فهما إن دلا على صدق الرسول فدلالتهما ليست في أنفسهما، والإتيان بعمل خارق للمألوف في العادة من سنن الكون هو دون الإتيان بالعلوم العالية الإلهية والتشريعية من غير تعليم[18].

وفيما يتعلق برأي الشيخ رشيد رضا نريد أن نقول: إن نجاح الأحكام التي يشتمل عليها كتاب مدعي النبوة عقب مجيئه به ومع مرور الوقت لا يعد دليلا على النبوة ولا يثبت في وقت ظهوره أنه من عند الله، إننا نجد في الحقيقة كثيرًا من المؤلفات التي كتبها أناس في موضوعات تتعلق بمختلف ميادين العلم وفي جميع ما يتعلق بالحياة العملية للناس، وما أكثر تلك الأعمال التي كان لها إسهامات كثيرة في أوضاع الحياة الإنسانية والتي شهدت نجاحًا كبيرًا في التعبير المثمر عن الفكر الإنساني من خلال تطبيق المفاهيم التي اشتملت عليها، ومع ذلك لم نجد واحدًا من أصحاب تلك الكتب قد زعم نفسه رسولا من عند الله أو زعم كتابه وحيًا من الله، هذا بالإضافة إلى أن النجاح الذي يمكن أن يحققه أي كتاب من خلال تطبيق أحكامه ومبادئه التي يشتمل عليها لا يظهر على وجه العموم إلا بعد مضي فترة من الزمان وحتى يثبت من خلال تطبيق الأحكام التي يشتمل عليها أن هذه الأفكار صحيحة وبناءة، فالفائدة التي يتحصل عليها الناس من هذه الأعمال لا تأتي على وجه العموم لمصلحة المعاصرين وإنما لمصلحة الأجيال التي تأتي من بعدهم، وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن الرجل الذي يأتي بكتاب ذي منفعة كبرى في مجال الأخلاق

---

(١٨) مرجع سابق، صفحة: ٢١٩.

وحياة الناس العملية إذا كان عاجزًا عن الإتيان بمثله؛ لأن الأحكام التي يشتمل عليها تتجاوز حدود معارفه وبعيدة عن متناوله، فإننا نستطيع القول والاعتقاد بأن هذا الكتاب قد أنزلِ عليه من عند الله، كما يمكن اعتبار هذا الكتاب دليلا قاطعًا على الفور وليس بمرور الوقت على نبوة صاحبه، وهذا ينطبق على وضع النبي محمد ﷺ، بيد أن هذا القول لا يتفق تمامًا مع ما صرح به القرآن الكريم؛ إذ إن القرآن لا يقتصر على تحدي الأميين مثل محمد ﷺ أو غير المثقفين، وإنما يتوجه بالتحدي على وجه الخصوص إلى المثقفين والمؤهلين للإتيان بمثله كاملا أو بجزء منه إذا شك أحد منهم في كونه كلام الله، وبهذا التحدي الذي أطلقه القرآن في أكثر من موضع لم يعد كافيًا لإثبات أن القرآن من عند الله إثبات ثقافة النبي ﷺ القاصرة وعجزه عن الإتيان بمثله؛ إذ يجب لبيان إعجاز القرآن اعتباره مُعْجِزًا في ذاته؛ لأننا نجد أن الإتيان بمثله يتجاوز قدرات النبي ﷺ حتى ولو كان عميق الثقافة وذلك وفقًا للتحدي الذي أطلقه القرآن.

ويشتمل القرآن على العديد من الدلائل التي تؤكد أنه من عند الله وليس من عمل البشر، ولقد لخص الشيخ رشيد رضا في كتابه «تفسير المنار» هذه الدلائل في سبعة أوجه:

١- أسلوب القرآن الذي أَسَر بإبداعه وجماله قلوب العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان، وهذا الأسلوب هو ما عَبَّرَ عنه الوليد بن المغيرة -وهو من أكبر بلغاء قريش وأشدهم عداء للنبي ﷺ- بقوله عندما طلبت منه قريش أن يقول في القرآن قولا يبعد العرب عن محمد ﷺ: «وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني -لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن- والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه

لثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته»، فلما لم يحظ هذا الرأي باستحسان القرشيين طلبوا منه أن يعبر بطريقة أخرى عن قوله في القرآن، فقال بعدما فكر: «هذا سحر يؤثر».

٢- فصاحة القرآن التي تتجاوز فصاحة أي كتاب عربي آخر، مما جعل العرب يخرون ساجدين عند قراءته برغم عدائهم الذي كان يدفعهم للمجيء بمثله.

٣- إخباره عن الأحداث الغيبية التي وقعت في الماضي والتي سوف تقع في المستقبل.

٤- سلامته من التناقض والتعارض.

٥- اشتماله على الأحكام الدينية في العقائد والأخلاق والعبادات.

٦- عجز القرون عن إبطال حكم من أحكامه.

٧- إخباره عن المسائل العلمية قبل أن يكتشفها الناس[(١٩)].

إننا لا نريد الدخول في أية تفاصيل يتطلبها تفسير إحدى هذه النقاط السبع، ولكننا نريد أن نقول: إنه إذا كانت هذه النقاط السبع تعد دلائل على أن القرآن من عند الله، فإن هذه النقاط تعد متفاوتة في درجة أهميتها باعتبارها دلائل لنبوة محمد ﷺ؛ إذ إن بعض هذه الدلائل كانت تتطلب لتأكيدها تحقق بعض الأحداث التي كانت تتناولها لبيان إعجازها، ونأخذ في بادئ الأمر مثالا على ذلك للوجه السابع المتعلق بالإخبار عن الأحداث العلمية والتي لم تثبت صحتها إلا بعد مرور

(١٩) مرجع سابق، صفحات: ١٩٨- ٢١٥.

زمن طويل من نزول القرآن ويقصد بذلك الزمن الذي تبين فيه صحة ما جاء في آيات القرآن، وهذا هو الشأن بالنسبة لما ورد في الآية القرآنية الثانية والعشرين من سورة الحجر: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾، يريد القرآن من خلال قوله: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ أن يقول: إن الرياح تحمل حبوب لقاح التذكير إلى الإناث في النباتات وهذه الحقيقة العلمية لم تثبت إلا بعد وفاة النبي محمد ﷺ بزمن طويل، وتقول الآية الخامسة من سورة الزمر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾، ففي الوقت الذي بعث فيه النبي ﷺ كان الناس يجهلون كروية الأرض وحركة دورانها حول نفسها وحول الشمس التي غمرتها بالضوء، ويبين هذا التعبير الجمالي في الآية من خلال قوله تعالى ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾، حركة الأرض الكروية، وتتحدث الآيتان الثالثة والرابعة من سورة القيامة عن بعث الناس يوم القيامة حيث يقول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾، فما هي الأهمية الكبرى التي تكمن في البنان حتى يقول الله تعالى إنه قادر على تسويتها؟ لقد أورد المفسرون عدة تفسيرات مختلفة حول هذا الموضوع بما لا يتناسب بصورة كافية مع الأهمية العظمى التي توليها هذه الآية القرآنية لهذا الجزء من جسم الإنسان، فلقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أنه لا يوجد إنسان مطلقًا يتشابه في بصمة أصبعه مع غيره من البشر، ولم تظهر هذه القيمة الكبيرة لهذا الكشف العلمي إلا بعد تحققه.

أما ما يختص بالوجه الثالث المتعلق بإخبار القرآن عن الأحداث المستقبلية التي تتحقق بعد الإخبار عنها في الآيات القرآنية كما جاء في سورة الروم:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾.

لقد تحققت هذه النبوءة الواردة في هذه الآيات بعد هزيمة الفرس على أيدي الرومان بعد الإخبار عن ذلك في القرآن بعدة سنوات.

يقول الله تعالى في الآية السابعة والعشرين من سورة الفتح: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، فهذه النبوءة التي تؤكد دخول النبي ﷺ دخولا سِلْمِيًّا هو وأصحابه مكة وتبشر بنصر آخر قد تحققت بالفعل. إننا نستطيع القول إن الأحداث العلمية التي أشرنا إليها لم يكن من الممكن إثباتها وقت نزول القرآن، كما أن الإخبار عن الأحداث المستقبلية لا يمكن أن يكون دليلا على صدق نبوة محمد ﷺ في أعين الكفار المعاندين طالما أن الواقع لم يأت بَعْدُ مُصدِّقًا لخبر القرآن.

أما بالنسبة لأولئك الذين صدقوا بالدلائل الأخرى التي جاء بها القرآن على صدق نبوة محمد ﷺ فإن الإخبار عن الحقائق العلمية والأخبار والأحداث المستقبلية يمكن أن يُعَدَّ دليلا على أن القرآن من عند الله.

أما الوجه السادس المتعلق باستحالة إبطال حكم من أحكام القرآن مع مرور الزمن، فإنه يجب علينا القول إن هذا الدليل يتوقف على المستقبل لإثبات صحته، وهذا هو الحال أيضًا بالنسبة للوجه الرابع المتعلق بسلامة القرآن من أي تناقض أو تعارض؛ حيث إن ذلك لا يمكن إثباته في بداية الوحي وإنما في نهايته فقط بعد تمام نزول القرآن.

وفي معرض حديثه عن الأوجه السبعة المذكورة أعلاه تناول الشيخ رشيد رضا القرآن في كماله الإلهي واضعًا في اعتباره الحقب الزمنية التي مرت بعد نزوله

وهي حقب تأكدت فيها الأخبار والأحداث التي ذكرها القرآن، ولا يجب التمادي في ذلك إلى حد القول إنه إذا كانت المعجزات التي جاء بها موسى وعيسى - عليهما السلام- تؤكد صدق نبوتهم، فإن وجه الإعجاز فيها ليس في ذاتها؛ لأن هذه المعجزات في تجليها -شأنها في ذلك شأن القرآن- تؤكد أنها نتاج علم الله وقدرته وليس عن معرفة البشر أو قدرتهم، فالدلائل القرآنية الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ والمتمثلة دائمًا في القرآن لا تبرر القول إن المعجزات التي جاء بها موسى وعيسى -عليهما السلام- ليست القدرة في ذاتها لإثبات نبوتهم، ومما لا شك فيه أن هذه المعجزات لا تتعلق مباشرة بالقواعد والأحكام التي تمثل الرسالة النبوية للأنبياء كما يبين ذلك الشيخ رشيد رضا؛ حيث إن ذلك ليس له أدنى أهمية في إثبات النبوة، فحاجة أي نبي إلى إثبات نبوته تمثل ضرورة قصوى تفوق في أهميتها أي مهمة أخرى.

ويتبين مما سبق:

أولا: أن معجزة القرآن والمعجزات التي جاء بها الأنبياء قبل النبي ﷺ تعد متساوية في قيمتها باعتبارها دلائل على صدق كل نبي في رسالته.

ثانيًا: أن هذه المعجزات تثبت في ذاتها صدق الرسالة النبوية مع أنها لا تتعلق مباشرة بالشرائع التي جاء بها الأنبياء، أما القرآن فإنه يعد معجزة في ذاته، وفي غالب الأوجه التي ذكرها الشيخ رضا تؤكد صدق النبي ﷺ فيما جاء به إلى الناس.

ثالثًا: أن الوجه الخامس من بين الأوجه التي ذكرناها يتعلق بالتعاليم المختلفة التي اشتمل عليها القرآن، وهذه التعاليم ليست في متناول الإنسان الأمي غير المتعلم، وهذا الوجه يمكن اعتباره دليلا إذا ما أخذنا في الاعتبار المستوى العقلي لمن جاء بهذه الأحكام، ومعلوم أن النبي ﷺ كان أميًا غير متعلم.

رابعًا: أن المعجزات التي تمثل دليل النبوة قد حفظها التاريخ، أما دليل بعثة النبي ﷺ فإنها ما زالت حية في القرآن ذاته.

لا يريد البابيون القول -أو بالأحرى لا يحرصون على القول- إن المعجزات التي تتجاوز قدرات البشر قد اعتبرت وحدها دليلا على نبوتهم في الحقيقة، يقول أبو الفضل الجرفادقاني: «من الضروري أن يكون الدليل على الشيء متعلقًا به وإلا فلا يمكن أن يكون دليلا أيًا كان وجه الإعجاز الذي يجعل منه دليلا، فإذا زعم رجل على سبيل المثال أنه طبيب وجعل دليله على ذلك قدرته على التحليق في السماء، فإن ذلك لا يمكن أن يكون دليلا على معرفته بالطب، على الرغم من أن التحليق في السماء معجزة؛ لأنه لا علاقة بين ذلك العمل الخارق للعادة والطب»، وتعضيدًا لهذا القول فإنه يقتبس من الغزالي الفكرة التالية: «إذا ادعى رجل أن الأربعة أكبر من العشرة واستدل على صدق ذلك بتحويل العصا إلى حية، فهذا الفعل بالرغم من كونه معجزة إلا أنه لا يثبت أن الأربعة أكبر من العشرة»؛ ويقول الجرفادقاني أيضًا: «إننا نفهم من ذلك بوضوح أنه لا يوجد ثمة علاقة بين ادعاء النبوة والقدرة على الإتيان ببعض المعجزات، فدور الرسول لا يتضمن ضرورة امتلاكه بعض الصفات التي يمتلكها الذي أرسله؛ لأنه إذا زعم رجل على سبيل المثال أنه رسول من قبل ملك لتنفيذ أوامره أو إبلاغ ما يريد إبلاغه، فإن هذا الزعم لا يقتضي بالضرورة أن يكون للرسول من الصلاحيات ما للملك نفسه كإعداد الجيوش مثلا، أو اتخاذ الحصون وقتل الأعداء وتعيين الوزراء وخلع الحكام»[٢٠].

(٢٠) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات: ٧٢- ٧٤.

ولقد أخذ الجرفادقاني برأي الغزالي، وهو رأي سديد في ذاته ولكنه أخذ به لغرض في نفسه، فادعاء النبي أنه رسول من عند الله ليس ادعاء يمكن مشابهته بادعاء رجل يزعم أنه صاحب مهنة أو حرفة، فالذي يزعم أنه رسول من عند الله يأتي بدعوة خارج إطار حياة الناس المعتادة، وبالتالي فإن الدليل الواجب عليه أن يأتي به يجب أن يكون خارقًا للعادة، بمعنى أن يكون من عند الله، وأن يكون الفعل الذي يشتمل عليه هذا الدليل خارقًا لعادات الناس، فإذا كنا لا نقبل من الرجل الذي يزعم أنه طبيب أن يأتي بدليل خارج مجال الطب، فإننا لا نقبل أيضًا من مدعي النبوة أن يأتي بدليل من عند غير الله؛ إذ يلزم لكل دليل يأتي به مدعي النبوة أن يكون من عند الله، والدليل الوحيد الذي يقبل في ادعاء النبوة لا بد وأن يكون خارقًا للعادة، وإلا لما أمكن تصديق مدعي النبوة، وذلك هو السبب الذي جعل كل رسول جاء إلى قومه يأتيهم بدليل لا يمكن أن يدركه إلا صفوة القوم من أهل الاختصاص في زمانه، حتى يتبين لهم أن هذا الدليل لا يمكن أن يكون من عمل الإنسان، والمثال الذي ذكره الجرفادقاني بشأن الملك ورسوله يعد مثالا صحيحًا، إلا أنه لا يثبت شيئًا عندما يكون الأمر متعلقًا بالله ورسوله، بل على العكس يشكك في هذه الحالة الثانية في رأي الجرفادقاني؛ لأن رسول الملك إلى غيره من الناس لا بد وأن يقدم لهم دليلا على أنه رسول الملك بدليل من عند الملك، وأما رسول الله فإنه لا بد وأن يقدم للناس دليلا تتجلى فيه قدرة الله على أنه رسول الله.

لم يزعم رسل الله أن الأعمال الخارقة للعادة التي جاؤوا بها أنها من محض قدرتهم، بل قالوا إن تلك الأعمال لم تجر على أيديهم إلا بأمر الله وإرادته وقدرته، ولهذا السبب كان الأنبياء يجيبون على المطالب غير المتعسفة من جانب بعض

الناس في زمانهم بأنه ليست لديهم القدرة على تحقيق جميع الأمور المطلوبة منهم، وأن رسالتهم تتضمن تحقيق المعجزات التي تلبي رغبات الناس، وكانوا يقولون إن مهمتهم -باعتبار أنهم رسل الله لهداية الناس إلى الخير- يجب الاعتراف بها وقبولها على ذلك؛ حيث إنهم قدموا دليل صدق نبوتهم من خلال المعجزات التي أجراها الله على أيديهم.

ومن الملاحظ أن الجرفادقاني -الذي قال إن مهمة الرسول الذي أرسله آخر لا تتضمن ضرورة معرفة القائم بها بما يمكن أن يقوم به مرسله- يزعم أن الأنبياء الذين يطلق عليهم «مظاهر الله» قادرون على الإتيان بكل شيء، وأنه ليس هناك مستحيل في حقهم؛ إذ إنهم روح الله التي ظهرت فيهم، وهذا هو أيضًا رأي البابيين والبهائيين.

وأما رفض هؤلاء الأنبياء للإتيان ببعض ما طلبه الناس منهم فإن هذا الرفض لا يعني العجز عن الإتيان بها، ولكنهم لم يأتوا بتلك الأعمال الخارقة للعادة؛ لأنها لا تثبت صحة نبوتهم، ويستدل الجرفادقاني على رأيه بتفسير خاطئ للآية الخامسة والتسعين من سورة الإسراء التي سنذكرها فيما يلي مسبوقة بخمس آيات لكي يتضح المعنى بصورة أفضل:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ

يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٢١).

ويفسر الجرفادقاني هذه العبارة بقوله: إنها لا تعني أن محمدًا لم تكن عنده المقدرة على الإتيان بما طلبه الناس منه من أعمال خارقة للعادة وإنما لم يفعل ذلك لأن هذه الأمور لا علاقة لها بنبوته(٢٢).

إننا نجد على النقيض من تفسير الجرفادقاني أن هذه العبارة الواردة في الآية تؤكد أن محمدًا ﷺ لم تكن عنده القدرة على أن يأتي بما طلبه الناس منه، وأنه كان لا ينظر إلى نفسه إلا باعتبار أنه بشر ورسول، إن رسالة محمد ﷺ شأنها في ذلك شأن رسالة الأنبياء السابقين لا تتحقق في مجرد الإتيان بالمعجزات لمجرد إرضاء مطالب الناس، بل في تعليمهم وهدايتهم إلى الخير، إن ضرورة الإتيان ببعض المعجزات ليست إلا لتأييد رسالته وهذا التأييد وُجد في القرآن ذاته، وبالتالي فإن جميع المطالب لا هدف من ورائها إلا أن تكون حجر عثرة في طريق أداء رسالة النبي ﷺ، وإن مثل هذه المطالب لا هدف لها سوى إلحاق الضرر برسالة جميع الأنبياء.

بالنسبة للدلائل التي جاء بها موسى على رسالته وتلبية بعض المطالب المتعلقة بها فإننا نرجع إلى هذه الآيات من سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

[سورة البقرة: آية ٥٠].

---

(٢١) سورة الإسراء، آيات: ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣.

(٢٢) الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحات: ٧٤-٧٥، الدرر البهية، صفحات: ٧٧-٧٨.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢٣]، كما يمكن أن نرجع أيضًا إلى هذه الآيات من سورة الأعراف:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢٤].

أما بالنسبة لعيسى فيمكن أن نرجع إلى ما جاء في العهد الجديد في إنجيل مَتَّى حيث يقول الإصحاح الثاني عشر، الآيتان: ٣٨، ٣٩: «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي».

ويروي مَتَّى نفس الشيء أيضًا في الإصحاح السادس عشر في الآيات: ١ - ٤ .

لا يريد البابيون أن يجعلوا من الأعمال الخارقة للعادة والمعجزات التي أجراها الله على يد الأنبياء ومن معجزة القرآن الذي نزل على محمد ﷺ دلائل على النبوة، ويكمن السبب في ذلك إلى رغبتهم في إعفاء أنفسهم من الإتيان بدلائل صحيحة على نبوة الباب المزعومة أو رسالة خلفائه من بعده، كما ينكرون مسألة الإخبار عن الأحداث المستقبلية كدليل على النبوة قائلين بأحقية الناس في عدم التصديق بها؛ إذ إنها لم تتحقق بَعْدُ، وبالتالي لا يعد ذلك دليلا لشرعية النبوة[٢٥].

---

(٢٣) سورة البقرة، آية: ٥٥.

(٢٤) سورة الأعراف، آية: ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.

(٢٥) الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحة: ٣٩.

ومن الواجب القول إن اعتبار هذه الأمور المستقبلية جزءًا من دلائل النبوة الصحيحة لا يعني أنها الدليل الوحيد الذي من شأنه أن يجعل الناس تؤمن بالرسالة، هذا ولقد ذكرنا من قبل أن بعض الأمور الدالة على النبوة لا تمثل في وقت الإتيان بها دلائل على صدق الرسالة، ولكن بما أن هناك دلائل أخرى واضحة قد جاء بها النبي، فإن الإخبار بالأحداث المستقبلية يجب أن يكون محل قبول عند الناس حتى قبل تَحَقُّقه، ونجد أن البابيين الذين ينكرون مثل هذا الدليل يقعون في التناقض؛ إذ يزعمون أن العلم المطلق جزء من صفات الأنبياء بفضل الروح الإلهية التي تظهر فيهم.

أما بالنسبة للأعمال الأخرى الخارقة للعادة فإننا نجد أن البابيين يتأرجحون بين الإثبات والنفي، وبذلك يقعون في التناقض فنجدهم يقولون: إن هذه الأعمال الخارقة للعادة لا ترقى إلى إثبات النبوة، وإنه لا علاقة بينها وبين النبوة؛ فلذلك ينكرون وقوع الأفعال الخارقة للعادة التي جاء بها الأنبياء، ويقولون: إن ما نُسِبَ من هذه الأعمال إلى موسى وعيسى -عليهما السلام- وغيرهما من الأنبياء ليس إلا على سبيل المجاز، مما لا يعني وقوع هذه الأحداث حقيقة، فعصا موسى التي تحولت إلى حية تبتلع حيات السحرة ليست إلا رمزًا لشريعة موسى التي ستمحو جميع الأديان الوثنية[٢٦]، أما بالنسبة لظاهرة انفلاق البحر الأحمر لعبور بني إسرائيل خلال خروجهم من مصر، فإن البابيين يميلون إلى إنكار هذا الحدث وما يتعلق به، بل ويشككون في إقامة اليهود في مصر قائلين: إنه لا يوجد حتى أيامنا هذه فيما رُوِيَ عن القدماء المصريين وَنُقِلَ إلينا بأي صورة كانت ما يدل على صحة

---

(٢٦) مرجع سابق، صفحة: ٣٦، الدرر البهية، صفحات: ٥١- ٥٤.

إقامة العبرانيين في مصر ولا ما يدل على خروجهم منها[٢٧]، ويقولون أيضًا: إن إحياء الموتى وإبراء الأكمه ورد بصر الأعمى على يد عيسى ليس إلا على سبيل المجاز، وإن هذه الأعمال تعني إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ثم فإن إحياء الموتى وإبراء العليل ورد البصر ليس لها إلا تفسير روحي[٢٨]، وفي النهاية فإنهم لا يقبلون دليلا على النبوة إلا الكتاب الذي يأتي به النبي، ومع ذلك نجدهم ينكرون وجهي الإعجاز المتعلقين ببلاغة أسلوب القرآن وفصاحة آياته باعتبارهما دليلا على أنه من عند الله، ويقول البابيون: إن هذين الوجهين لا يمكن أن يثبتا نبوة محمد إلا لأناس يَقْدِرُونَ من خلال دراساتهم المتعمقة في جميع فروع اللغة العربية أن يقارنوا ويقرروا ما إذا كانت تفوق أسلوب القرآن حقيقيًا أم لا، أما بالنسبة لغير أبناء اللغة أو لمن لا يعرف من هذه اللغة إلا النذر اليسير الذي لا يمكنه من المقارنة والحكم على أسلوب وفصاحة القرآن، فلهم الحق في عدم الإيمان به، طالما أنهم على غير قناعة بأن أسلوب القرآن وفصاحته ليسا من عند الله، كما أن لهم الحق في القول بوجوب أن يترك لهم الأمر في النظر والتقرير حتى لا يكون الإيمان بأنه من عند الله مبني على التقليد وعلى التأثر برأي الآخرين، ويرى البابيون أن هذا أمر منطقي وسديد ومن شأنه أن يهدم الدليل على نبوة محمد القائم على أسلوب القرآن المعجز وفصاحته[٢٩]، وهكذا يستطيع البابيون بهذا الرأي وبما قالوه من قبل بشأن الأعمال الخارقة للعادة التي جاء بها الأنبياء والدلائل التي قدمها القرآن على نبوة محمد ﷺ أن يتخلصوا من ضرورة تقديم الدلائل على صحة الكتب التي جاء بها الباب وخلفاؤه وقالوا إنها من عند الله،

---

(٢٧) مرجع سابق، صفحات: ١٨- ١٩.

(٢٨) مرجع سابق، صفحات ٣٦، ١٠٢- ١٠٣.

(٢٩) الجرفادقاني، الدرر البهية، صفحات: ١٢٨-١٣٣.

ونستطيع القول في هذا المقام: إن أولئك الذين لا يعرفون اللغة العربية أو الذين لا يعرفون عنها إلا النذر اليسير لا ينكرون أن القرآن قد نزل على عربي اسمه محمد، وهذا أمر محل إجماع الأمة منذ نزول القرآن، ولا يمكن إذن أن نقول إن من يؤمن اليوم بأن القرآن الذي قام محمد ﷺ بإبلاغه إلى الناس قد آمن به تقليدًا لغيره؛ لأن المصادر التاريخية التي يمكن أن يتحصل من خلالها على الدليل متوافرة، وهذه المصادر نفسها التي نسبت إبلاغ القرآن إلى محمد ﷺ تؤكد أن محمدًا ﷺ قد تحدى بهذا القرآن العرب أن يأتوا بمثله أو بآية منه، وأنهم عجزوا عن ذلك واعترفوا بعجزهم، ولكن بالرغم من عجزهم عن الرد على هذا التحدي فقد نسبوا القرآن إلى قوى خفية يطلقون عليها السحر والكهانة. إن إيمان المرء بهذا لا يمكن أن يتصف بأنه تقليد للغير.

ليس مطلوبًا من المرء الذي لا يجيد اللغة العربية بصورة كافية أن يعتقد في إعجاز القرآن لأن الغير يعتقد ذلك، أو لأن المصادر الدينية التاريخية تقول إنه من عند الله، وإنما يطلب منه أن يُعْمِل الفكر وأن يُمْعِن النظر بنفسه ويقرر بنفسه قيمة الاستدلال الذي يؤدي إلى هذا الإقرار، ولكي يكوّن المرء هذا الحكم عن القرآن ينبغي عليه أن يدقق في مُسَلَّمات هذا الاستدلال، والمُسَلَّمات في هذه الحالة ليست إلا أحداثًا تاريخية خالصة لا يمكن إنكار تلك الأحداث التاريخية الثابتة، فيمكننا أن نستدل على أن القرآن من عند الله بما يلي:

١- القرآن كتاب جاء به محمد ﷺ.

٢- القرآن هو الكتاب الذي تحدى به محمد ﷺ العرب.

٣- لم يستطع العرب أن يأتوا بشيء من مثله ولا بآية منه بالرغم من

نزوله بلغتهم، وبالرغم من عدم خروج ألفاظه عن مفردات لغتهم، وبالرغم من امتلاكهم للأدوات التي تساعدهم على الإتيان بمثله ودعوة القرآن لهم للإتيان بذلك، وتمثل هذه المسلمات الثلاثة أحداثًا تاريخية قاطعة لا يمكن إنكارها، فإذا ما افترضنا للحظة أن القرآن من عمل الإنسان متمثلا في شخص محمد ﷺ للزم ذلك قيام واحد ممن تحداهم النبي ﷺ بهذه المعجزة فجاء بمثله منفردًا أو مجتمعًا مع غيره، ولقد كان هؤلاء العرب -كما سبق وقلنا- يتنافسون فيما بينهم في ميدان اللغة وفصاحتها، ولم يكن النبي ﷺ يشاركهم في تلك المسابقات ولم يكن معروفًا بينهم بامتلاكه لتلك الملكات، وبالتالي فإن الكتاب الذي جاء به إليهم ولم يستطع العرب أن يأتوا بمثله كان عملا خارقًا للعادة، وهذا يعني أنه من عند الله، ويمكن الاعتراض على ذلك بأن محمدًا ﷺ قد استطاع أن يجعل من نفسه رجلا يتمتع بالحكمة والذكاء وبقدرات عالية على التأمل، وأنه استطاع بفضل تلك الملكات والصفات أن ينجح في النهوض بالمستوى الجمالي للغة العربية وأسلوبها من خلال إدخال بعض الصور الجديدة التي ليست بالنثر المعتاد ولا بالشعر المعروف، وأنه يشبه في ذلك -على سبيل المثال- الكيميائي العالم الذي استطاع بفضل خبراته أن يأتي بالجديد مستعينًا في ذلك بالعناصر المعروفة، فهل يمكن القول: إن اكتشاف هذا الكيميائي ليس ثمرة مجهوده الخاص، وإنه عمل خارق للعادة؟ لا، وينطبق هذا المنطق على الفصاحة والأشكال الأدبية الجديدة التي تُظهر بوضوح معجزة القرآن الكريم، وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن جميع الاكتشافات العلمية والإنجازات الفنية ما هي إلا ثمرة الأبحاث والتجارب الإنسانية، ولكن لا نستطيع القول إن الاكتشاف العلمي أو الاختراع الفني بعد أن خضع للدراسة من جانب العلماء الآخرين أو الفنيين يمكن أن يظل غير قابل للمحاكاة، كما لا يمكننا القول: إن الاختراع يمكن أن يصل إلى درجة كماله جملة واحدة؛ لأنه

إذا استقرت الأسس التي يقوم عليها الاختراع، فإن التطور يدخل عليه بعض التعديلات والإضافات التحسينية التي تصل به إلى ذروة كماله وقيمته.

إن القرآن -على النقيض من ذلك كله- كان ولا يزال منذ نزوله المثال الكامل لكل ما يتعلق باللغة العربية، والمعيار الذي يمكن بموجبه تمييز ما إذا كان أسلوب المتحدث بليغًا أم ركيكًا، كما أن هناك اختلافًا بين اكتشاف العالم والصور الأدبية الجديدة التي جاء بها القرآن، وإذا أراد عالم الكيمياء مثلا أن يصل إلى اكتشاف جديد فإنه يستخدم في ذلك عناصر معروفة، لكن أسلوبه في التعامل مع تلك العناصر لتحقيق هدفه يعد أمرًا خاصًّا به، وبالتالي غير معروف لغيره، أما ما يتعلق بالقرآن حيث يكمن الاختلاف في المقارنة التي عقدناها فإن العرب لا يعرفون فقط جميع العناصر التي تتألف منها لغتهم، وإنما يعرفون أيضًا قواعد استخدامها بما يسمح لهم تقدير القيمة الجمالية للأسلوب، أما ما لم يستطع العرب فعله فهو التزامهم الدائم بجميع القواعد التي يفرضها استخدام عناصر اللغة العربية لبيان جمال الأسلوب، فإذا ما التزموا بقاعدة أو أكثر من قواعد الاستخدام فإنهم يخالفون قاعدة أخرى أو أكثر غيرها، وبذلك لم ينجحوا في الإتيان بعمل أدبي يخضع في مجمله لجميع قواعد الاستخدام فيصل بموجب ذلك في أسلوبه إلى درجة كمال القرآن، عندما ندرس على سبيل المثال عملا أدبيًّا عربيًّا من النثر أو الشعر ونخضعه لتحليل قائم على الشروط التي تمثل قواعد التنافس الأدبي بين العرب، فإننا ندرك أنه إذا كان هذا العمل أحيانًا بديعًا -لا سيما في بدايته بأسلوبه الراقي- فإن جودة هذا الأسلوب لا تستمر على مستوى العمل الأدبي في مجمله، بمعنى أن صاحب العمل الأدبي لم يكن قادرًا على المحافظة على نفس درجة رقي الأسلوب من أول العمل إلى آخره، إن الدراسة التحليلية للقرآن تبين

لنا في المقابل أنه ظل مُتَّبِعًا لجميع القواعد الموضوعة في جمال الأسلوب وذلك على مستوى جميع آياته، وإن ما يضع القرآن في أعلى درجات الرقي الأدبي هو أنه مع التزامه التام بجميع تلك القواعد لم يحرف واقع الأشياء التي يتحدث عنها ولا يغير في حقيقتها، ونقصد بذلك أن القرآن لا يشتمل على أي تعبير جمالي لا يتفق تمامًا مع حقيقة ما يعبر عنه، إن القرآن بعيد كل البعد عن عادات الشعراء وأصحاب النثر الذين يضحون بالحقيقة في سبيل جمال الأسلوب، وأثر القرآن في هذا المجال واضح حتى ذهب العلماء المتخصصون في مقارنة أساليب العرب إلى القول إن شعر حسان بن ثابت بعد مجيء الإسلام أقل درجة من شعره قبل الإسلام، ويرجعون السبب في ذلك إلى اهتمام هذا الشاعر بعدم إطلاق العنان لخياله والتزامه بالحقيقة في شعره وامتناعه عن استخدام الصور الخيالية كأداة من أدوات الشعر.

ويمكن الاعتراض أيضًا بالقول إن عدم قيام العرب بالإتيان بعمل يضاهي القرآن في قيمته الأدبية بالرغم من امتلاكهم لناصية لغتهم بما يساعدهم على القيام بذلك، لا يعني عدم قدرتهم على ذلك، وإنما يعني أن نظرتهم للقرآن كنظرة المسلمين للعديد من الكتب التي جاء بها مدّعو النبوة كذبًا مثل غلام أحمد القادياني والباب وصبح الأزل وبهاء الله الذين تحدوا هؤلاء المسلمين بالإتيان بمثله، وهذا يعني أن المسلمين إذا امتنعوا عن الإتيان بمثله، فإن ذلك لا يعني عدم قدرتهم على الإتيان بكتب مماثلة لتلك الكتب التي جاء بها مدعو النبوة كذبًا، وأن الكتب التي جاء بها هؤلاء تعد خارقة للعادة، إننا نرى أن هذا الاعتراض ليس له ما يبرره؛ لأن العرب في زمان محمد ﷺ توحدوا لدحض نبوة محمد ﷺ التي جاءت لقلب عقائدهم واستئصال جميع عاداتهم ووضعت مصيره ومصيرهم

تحت رحمة قدرتهم أو عجزهم عن الإتيان بعمل له نفس قيمة القرآن، وهؤلاء العرب -الذين لا يعدون القرآن كتابًا عاديًّا، بل على العكس أقروا بتفرده في جمال أسلوبه وفصاحته- ما كان يمنعهم شيء عن الإتيان بمثله إن استطاعوا ذلك على وجه التحقيق، أما بالنسبة لمدعي النبوة كذبًا لا سيما أولئك الذين ليسوا من أصل عربي، فإن الكتب التي يأتون بها باللغة العربية لا تمثل أي قيمة تذكر أو يكون من شأنها استمالة وتشجيع الكتاب العرب ليقرروا ضرورة مقابلتها بمثلها أو بأعلى منها، إن كتب هؤلاء الأنبياء الأدعياء لم تلق أدنى اهتمام من جانب الكتاب العرب، بل واعْتُبِرَتْ وكأنها غير موجودة.

ويسعى البابيون -الذين لا يقرون صحة جميع الآيات التي جاء بها الأنبياء على صدق نبوتهم- إلى تقديم أدلة لصالح الباب وبهاء الله ذات طبيعة أخرى تختلف عن طبيعة الآيات التي جاء بها الأنبياء الصادقون، ونذكر بعض الأمثلة التي تبين طبيعة الأدلة التي جاؤوا بها، فيقول البابيون: إن محمدًا ﷺ لم يأت بدليل على صدق نبوته غير الكتاب الذي جاء به في صورة آيات مرتبة في سور القرآن، وإن جميع الناس الذين آمنوا به وأصبحوا مسلمين قد اكتفوا بهذا الكتاب على أنه دليل على صدق نبوته، وبالتالي يجب قبول صحة مزاعم الباب وبهاء الله حيث جاء كل واحد منهما بكتاب يشتمل على سور وآيات، وهذا ما عبر عنه الباب في كتابه دلائل السبعة كما سنرى فيما بعد، ويقولون أيضًا: إن أكبر وأهم دلالة على صدق النبوة تكمن في أن مدعي النبوة ينسب الكتاب الذي يأتي به إلى الله، وهذا الرأي الأخير هو ما عبر عنه الجرفادقاني في كتابه الدرر البهية في الصفحة الثامنة والستين، فهل نجد رجلا يتمتع بأدنى درجة من التمييز يقبل القول بمثل هذا الكلام؟! إن الجرفادقاني القائم على نشر العقائد البابية البهائية يعلم جيدًا

-كما نظن- أن العديد من مدعي النبوة كذبًا من أمثال مسيلمة والأسود العنسي وسجاح قد ادعوا النبوة بعد موت النبي ﷺ، زاعمين أن ما يقولونه هو من عند الله، وبالتالي يجب الإيمان بصدق ما جاء به هؤلاء الأنبياء الأدعياء، ولم لا يعد هو ومن معه على دينه «صبح الأزل» نبيًّا؟ لأنه قد جاء أيضًا بكتاب يقول إنه من عند الله، يقول البابيون أيضًا: إن من بين العلامات التي تثبت أن الكتاب الذي يأتي به الرجل مدعي النبوة هو من عند الله تكمن في اشتمال الكتاب على دين جديد يجعل من الناس أمة تسود غيرها من الأمم(٣٠)، إننا لا نستطيع القول إن الرجل الذي يأتي بفكرة فيجتمع حولها البعض، يمكن أن تكون بموجب ذلك فكرة صحيحة حتى ولو قال أصحابها بصحتها، وإذا كان من الواجب اتباع هذا النوع الغريب من الاستدلال فلن يكون هناك مجال للخطأ؛ إذ ستكون كل فكرة صحيحة، وبناء على استدلال البابيين الذين يزعمون أن أسلوب القرآن وفصاحته لا يصلحان أن يكونا آية لمن لا يعرف اللغة العربية أو يعرفها ولكن بدرجة غير كافية مما يجعله بحاجة إلى الوقت لإدراك القيمة الأدبية للقرآن، فإنه يمكن القول إن الذي ينكر صحة نبوة الباب أو بهاء الله من حقه أن يتحقق من المآل الذي آل إليه دينهم لمعرفة ما إذا كان هذا الدين قد ظهر على جميع الأديان الأخرى، وإذا ما كانت أمته أكثر أهمية من غيرها من الأمم، وما هو الدليل الذي قدموه إلى الأتباع الأوائل ليثبتوا لهم أن هذا الدين من عند الله؟ ألا يحق لهؤلاء الأتباع الأوائل أن ينكروا هذا الدين الجديد طالما أنهم لم يقيموا الحجة ويجعلوه ظاهرًا على غيره؟ وإذا ما افترضنا للحظة أن ظهور هذا الدين الجديد على غيره من الأديان يُعَدُّ دليلا على أنه من عند الله فإنه يجب علينا دراسة مواطن القوة فيه على غيره ومعرفة ما هي الأديان التي

(٣٠) مرجع سابق، صفحات: ٦٨- ٦٩.

حل محلها مذهب الباب؟ مما لا شك فيه أن مذهب البهاء قد انتصر على توأمه وهو مذهب «صبح الأزل» بناء على طرق ذُكِرَت في كتاب «مفتاح باب الأبواب» للميرزا مهدي خان، أما الشيء الذي لم نسمع عنه من قبل حتى وقتنا الحالي هو أن مذهب الباب وجميع المذاهب التي خرجت من رَحِمِهِ قد حققت ظهورًا على غيرها من الأديان السماوية المعترف بها عالميًّا، كما أننا لا نعرف أيضًا أن أتباع المذهب البابي لهم أغلبية، فلا يكفي في الحديث عن غلبة دين من الأديان أن ينضوي تحت لواء هذا الدين الجديد عدد محدود من الأتباع، فالمذهب البابي لا يمكن أن يزعم نفسه دينًا جديدًا؛ لأنه لكي يجذب أتباعًا له كان يدعي أنه دين شبيه لدين البيئة والوسط الذي يريد اختراقه.

٣- أدلة الباب على نبوته المزعومة

لم يكن الباب قادرًا على الإتيان بمعجزات تؤيد نبوته مثل معجزات موسى وعيسى -عليهما السلام- وغيرهما من الأنبياء، فلم يكن في مقدوره أن يأتي بأعمال خارقة للعادة بأمر الله بما يؤكد أنه رسول من عند الله حقًّا، ومن ثم أراد أن يقلد نبي الإسلام ويجعل من كتابه «البيان» باللغة العربية دليلا على صدق نبوته، وكان يعتقد أنه يكفي في ذلك أن يأتي بكتاب مؤلف من «سور وآيات» وأن هذا التقليد الشكلي للقرآن سيكون في ذاته دليلا على أن كتابه من عند الله، وهذا ما كان يعتقده ويزعمه.

هذا وقد سبق أن قلنا: إن الباب كان يزعم أحيانًا أن الأعمال الخارقة للعادة والمنسوبة إلى الأنبياء ليست إلا مجرد رموز، وكان يقول أحيانًا أخرى: إن الأنبياء قد جاؤوا حقيقة بهذه الأعمال الخارقة للعادة، وهو -في هذه الحالة الأخيرة- يحذو حذو المسلمين عندما يقولون إن محمدًا ﷺ قد أثبت بوضوح أنه رسول الله عندما

جاء بالقرآن ولم يكن بحاجة أن يأتي بالمعجزات من أي نوع آخر، حيث شهد الناس في حياتهم تطورًا من لدن أقدم الأنبياء.

إن القرآن يخاطب أذهان الناس وعقولهم، وما يشتمل عليه القرآن يعد كافيًا لإقامة الدليل على نبوة النبي ﷺ، والباب عندما يقتبس ذلك الاستدلال من المسلمين لصالحه، فإنه يرد جميع الأعمال الخارقة للعادة، ويقول: إن الدليل على صدق نبوته يكمن في كتاب «البيان» الذي جاء إلى الناس بتعاليم جديدة، وبما أن التناقض يُمَثِّل الوجه الثاني من طبيعته فقد أشار إلى أن الدليل على بعثته يكمن في قدرته على كتابة أربعة آلاف سطر في يوم وليلة، وهو عمل خارق للعادة لا يقدر عليه سواه.

ففي مقدمة كتابه «البيان العربي» وهي المقدمة التي لم يترجمها نيكولا ولم يبين لنا سبب ذلك يقول الباب: «الله أعظم أن يا ذلك الاسم على ما فصل من قبل يمكن أن ينزل من عند ربك في كل يوم وليلة أربع ألف بيت الذي لو ينزل الله يكون في سنة عدد كل شيء أربع ألف بيت فاحسب ما عندك ثم اذكر حتى تكمل عدل سنة ونمنع عن فوقه فإن هذا رزق ربك في العالمين»[٣١].

تعد هذه الكلمات التي صَدَّرَ بها الباب كتابه «البيان العربي» ذات طبيعة جعلت نيكولا -كما سنرى على سبيل المثال- يسجل إعجابه بالباب، وهذا ما يثير دهشتنا، وإننا لنتساءل عما يجب أن نفهمه من هذه الكلمات المرصوصة بعضها وراء بعض دون أن تعبر عن فكرة محددة، ولقد عانى «دو جوبينو» كثيرًا في ترجمة

(٣١) البيان العربي، المخطوطة، صفحة: ١.

هذه المقدمة، ونقول بالأحرى إنه اجتهد كثيرًا في محاولة بيان معناها، فقام بترجمة تلك الكلمات العربية على النحو التالي:

«يقول الله للباب: الله هو الأعظم وذلك هو الاسم الذي يبين ما هو كائن وما كان من قبل، فلقد نزل من عند ربك في يوم وليلة كاملة أربعة آلاف سطر، لو أنزلها الله حقيقة لجعلت في السنة كلها عدد كل شيء، فاحسب ما جاء من عندك ثم استعرضه حتى يكتمل ميزان السنة وحتى لا يكون هناك ما فوق ذلك، فما تأتي به هنا إنما هو رزق ربك للناس أجمعين»[٣٢]، لقد جاء دو جوبينو بنص فرنسي، ولكننا نتساءل عما إذا كان قد استطاع أن يكشف عن المعنى الحقيقي للكلمات العربية التي كتبها الباب، وكيفية ذلك، وعما إذا كان النص الفرنسي الذي جاء به يمثل التعبير الحقيقي عن الكلمات العربية التي استخدمها الباب، ولكن بالرغم من أن دو جوبينو قد بذل مجهودًا كبيرًا، وبالرغم من أن ترجمته للنص العربي قد غيرت في معناه حتى يتمكن من صياغتها باللغة الفرنسية، فهل بالإمكان القول إن هذه «الترجمة» لها في حد ذاتها معنى واضح ومحدد؟ إننا نعتقد أن دو جوبينو قد أدرك أن ترجمته نفسها لم تصل إلى تبديد ظلمة كلمات الباب، كما أنه رأى من الضروري أن يقدم تفسيرًا لتلك الكلمات لا سيما عندما يتعلق الأمر بالأربعة الآلاف سطر «التي تجعل السنة كلها عدد كل شيء»، فيقول في إحدى ملاحظاته: «إن ذلك يعني أن الله إذا كان مصدر الأحكام التالية فإن عددها يجب أن يكون أربعة آلاف بيت أو سطر مخطوط يجمع عدد الأحرف المرجوة»، وهذا يعد في العقيدة الإسلامية علامة من أكبر علامات النبوة التي لا يمكن إنكارها، فكل رسول من عند الله وكل إمام يجب أن يكون قادرًا على كتابة أربعة آلاف سطر

(٣٢) جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحات: ٣٨٩- ٣٩٠.

في يوم وليلة، يعني في أربع وعشرين ساعة، وهنا يفتخر الباب بذلك، كما أن الله يأمره أن يعلن ذلك[٣٣]. وبالرغم من اجتهاد دو جوبينو إلا أنه لم ينجح في بيان مقصد الباب من قوله:

«يمكن أن ينزل من عند ربك في كل يوم وليلة أربع ألف بيت الذي لو ينزل الله يكون في كل سنة عدد كل شيء أربع ألف بيت فاحسب ما عندك ثم اذكر حتى تكمل عدل سنة ونمنع عن فوقه»[٣٤].

إن ما يمكن أن نستنتجه من كلام الباب في ضوء ما ذكره دو جوبينو هو أن الباب يزعم أن القدرة على كتابة أربعة آلاف سطر في يوم وليلة يعد عملا خارقًا للعادة ويدل على صدق النبوة، والأمر الذي لا شك فيه هو أنه لا يوجد مطلقًا في العقيدة الإسلامية أدنى شيء من شأنه أن يؤكد على كلام دو جوبينو حيث يقول: «وهذا يعد في العقيدة الإسلامية علامة من أكبر علامات النبوة التي لا يمكن إنكارها».

ويوجد في كتابات الباب فقرات تبين بطريقة غاية في الغرابة الأهمية التي يعلقها الباب على قدرته في الكتابة السريعة باعتبارها دليل نبوته، فيقول في حقيقة الأمر: «ولقد كتب في اثنتي عشرة ساعة على سبيل المثال رسالة قوية دون أن يتوقف القلم، فأي شهادة أحق من أن يصل الإنسان إلى درجة حقائق الأذكار وهي درجة خاصة بالحبيب»[٣٥]، «ولقد أفاض الله على لسان الباب أذكارًا لا حصر لها بما لا يمكن لأكبر الفصحاء أن يأتي بمثلها بل سيظل حائرًا، وهذا هو سر الاندماج،

(٣٣) مرجع سابق، صفحات: ٣٨٩- ٣٩٠، ملاحظة رقم ٢.

(٣٤) البيان العربي، المخطوطة، صفحة: ١.

(٣٥) مرجع سابق، ترجمة نيكولا، صفحات: ٨٨- ٨٩.

فلم يُعْطِ الله بشرًا القدرة على كتابة ألف سطر من هذا النوع في ست ساعات كما ثبت»، «كما أن القرآن نزل من السماء في ثلاث وعشرين سنة بينما أعطى الله الباب القدرة بحيث يستطيع أن ينزل مثل القرآن في خمسة أيام ولياليهن دون انقطاع وقتما يشاء، فقل لي هل هذه القدرة خاصة بالباب أم كانت لأحد من قبله؟»[٣٦].

ولقد أرسل الباب رسالة إلى الشيخ محمود الألوسي -صاحب التفسير الشهير- يدعوه فيها إلى الدخول في الدين الجديد، يقول له فيها:

«ما قد نزل الله في ثلاثة وعشرين سنة حينئذ ينزل في أربعة يوم فإذا فتحضرن بين يدي لتكونن من الشاهدين»[٣٧].

ولقد أوردنا النص العربي للباب حتى يتبين لنا ما يشتمل عليه من أخطاء نحوية، ويقول الباب في كتابه «شؤون الخمسة»، في الصفحة الخامسة والأربعين وأربعمائة من المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية:

«وإنا قد أنطقنا من ربيناه في الأعجمين بتلك الآيات لعلكم لا تستطيعون أن تشكون هذا أعجب عمن ربيناه من قبل في الأعراب فما لكم كيف لا تبصرون قل إن فرقان الذي قد نزلناه من قبل في ثلاث وعشرين سنة إنا لنزلنه حينئذ إذ نشاء بمثله في ثلاث ليل ونهار أنتم عن يد حجتنا تحضرون لتسمعون بأسماعكم ثم بأعينكم تبصرون».

إن هذه الفقرة زاخرة أيضًا بالأخطاء الجسام وقد أوردناها هنا؛ لأن الباب قد اختصر فيها الوقت للإتيان بكتاب في حجم القرآن إلى ثلاثة أيام فحسب، وعلى

(٣٦) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢٧.

(٣٧) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة: ٣٠٧ راجع أيضًا شؤون الخمسة، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، ٦١٤٣، صفحة: ٤٤٥ وظهر الصفحة.

الرغم من ثبوت قدرة الباب على الكتابة بسرعة مستثناة إلا أنه لم يبرهن حقيقة أنه كتب أربعة آلاف سطر في يوم وليلة، أو أنه كتب كتابًا في حجم نصوص القرآن في ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أيام، وإذا افترضنا صحة قيامه بذلك، فإن هذا لا يجعلنا نقول إن هذا عمل خارق للعادة يتجاوز قدرات البشر؛ لأن كتابة عدد كبير من الكلمات في وقت يسير دون أن يكون لهذه الكلمات قيمة تذكر بالنسبة للمعنى الذي تعبر عنه لا يمكن أن يكون وحيًا من عند الله.

ولقد ذهب الباب إلى ما هو أبعد من ذلك في العبثية في اجتهاده لإثبات نبوته، فيقول في الواقع: «انظر: لم ينزل في القرآن شيء غير بسم الله الرحمن الرحيم، أما البيان فقد نزل فيه ٢٦١ تفسيرًا لهذه العبارة بطريقة واضحة تعد تبيانًا، ولقد نزل جزء من هذا التفسير في كتاب البيان وكان من الممكن نزول أكثر من ذلك لكن لم يكن ذلك مطلوبًا، ولو أراد الله ذلك لأنزل أكثر عن طريق شهادته، إلا أن عبارة بسم الله العلي العظيم تكفي الناس لِأَنْ تكون دليلا على هذا الظهور»[٣٨]، إننا لا نعلم في الحقيقة على أي اعتبار يمكن القول أن «بسم الله» تُعَدُّ دليلا على نبوة الباب.

يقول الباب أيضًا: «كم هي عجيبة صنعة الرب العظيم! وكم هي عظيمة قدرته! فمن معترك اختلاف الأديان اختار عبدًا من الأعجمين وسخر له اللغة في لغة الآيات بصورة لا مثيل لها من قبل، فكل ما يريده في أي لحظة يقول دون تردد ويكتبه دون توقف قلمه، ومن خلال التشابه بين ما يكتب وبين آيات الله لا يستطيع أحد أن يبين أدنى اختلاف»[٣٩].

(٣٨) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة:٦١.

(٣٩) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحة: ٨٢.

إننا لا نستطيع إنكار عدم وعي الباب بما يكتب دون أدنى اهتمام لما يمكن أن يقال عن كتاباته، فإذا ما شرع في الكتابة فإنه كان يكتب أي شيء يخطر بباله، لقد كان يكتب بغير تفكير متناسق يعبر عن شيء واضح ومحدد، وكان لا يأبه بمعرفة إذا كان ما يكتبه صحيحًا أم لا، أو إذا ما كان يخطه على الورق متناقضًا أم لا، ويظهر من خلال النظر فيما كتبه أنه كان مصابًا بهوس الكتابة؛ ونظرًا لأن ما كتبه كان ثمرة هذا الهوس وهذا الاضطراب العقلي، فإن كتاباته هذه قد تشابهت بعضها البعض ولا يمكن أن نلحظ أدنى تسلسل للأفكار فيها، ومن ثم تألفت كتبه من أشياء غير متجانسة لا علاقة بينها وبين عناوينها، ففي كتابه «البيان العربي» وهو تفسيره لسورة يوسف وسورة العصر وفي كتاباته الأخرى نجد أن الأشياء التي يتحدث عنها متنافرة فيما بينها، وإننا لنأسف أننا لا نجد مصطلحًا أَوْقَع في الدلالة غير هذا، وما تأخذنا الشفقة به عندما نفكر في حجم المتاعب التي واجهها في الكتابة بذلك المستوى، كما نشفق على أولئك الذين اضطروا إلى قراءة مثل هذه الكتابات لأسباب وجيهة.

وبذلك قضى الباب أهم فترة في حياته في هذا النتاج الذي يفتخر به ويعده وحيًا من عند الله.

ولقد شعر فولتير باشمئزاز لعدم التناسق الذي تشتمل عليه «أفيستا زرادشت» ووصف ذلك قائلا: «إننا لا نستطيع قراءة صفحتين من هذا الحشو الذي لا قيمة له والمنسوب إلى زرادشت دون أن تأخذنا الشفقة على الطبيعة البشرية، ويعد نوستراداموس –طبيب المسالك البولية– من بين العاقلين مقارنة بهذا الشخص الذي يتخبطه الشيطان من المس»[٤٠]، ما الذي كان يمكن أن يقوله

(٤٠) ريناخ، تاريخ الأديان، صفحة: ١٠٠.

فولتير -الذي أخذته الشفقة على الإنسان عندما قرأ ما كتبه زرادشت- إذا ما اضطر إلى قراءة سطرين اثنين فقط من كتابات الباب الذي يدعي أنه نبي القرن التاسع عشر والذي جاء إلى الناس بتعاليم جديدة!

إن نيكولا لا يتفق معنا في هذا الرأي، حيث تحدث عن عظمة أسلوب الباب لا سيما أسلوبه في كتابه «البيان العربي» الذي نراه أسوء أعماله، يقول نيكولا: «في واقع الأمر باستثناء بعض المصطلحات الخاصة وهي محدودة وغير مفهومة للقارئ حتى ولو كان مثقفًا لدرجة كبيرة طالما لا يعرف مفاتيحها فإن نص الكتاب ليس أكثر غموضًا من كتب الفلسفة التي يجد أصحاب المذاهب الصوفية متعتهم فيها، ومع ذلك فإنني أعترف أن جمهور القراء الفارسيين يعانون في قراءتها أشد العناء كما لو كانوا يقرؤون تفسيرًا متخصصًا للقرآن أو رسالة سامية في الفلسفة، مما يجعلنا نقول إن كتاب البيان قد كتب بلغة خاصة يستخدمها العلماء الذين هم على دراية بأعماق المعاني الخاصة في عالم الشهادة»[٤١].

ولقد جاء الباب بعمل خارق للعادة وجعل منه دليلا على نبوته المزعومة فيقول: «أذكر الأيام الأولى للظهور: كم من رجل مات فيها بسبب الكوليرا! ولقد كان ذلك معجزة من معجزات الظهور ولكن لم يفهم ذلك أحد، ثم انتشر ذلك بين المسلمين الشيعة دون أن يفهم أحد المغزى»[٤٢].

إن الحديث عن وباء الكوليرا باعتباره دليلا من دلائل النبوة يُعَدُّ أمرًا غريبًا، وإذا ما نجح الباب في وقف هذا الوباء لكان ذلك دليلا له قيمته، لكن لم يكن شيء من ذلك.

---

(٤١) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات: ٢- ٣.

(٤٢) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحات: ٦١- ٦٢.

يحدثنا إدوار مونتيه عن عمل آخر خارق للعادة وخاص بالباب، فيروي نيكولا قائلا: «لقد جرت العادة على نسبة بعض الأعمال الخارقة إلى الباب، ولا نذكر من هذه الأعمال إلا عملا واحدًا فقط له سمة أصيلة، عندما وضع الباب في الحصن الواقع بالقرب من ماكو على قمة أحد الجبال وكان مدخل هذا الحصن صعبا، كان أول ما طلبه الباب بعد التحية المعهودة هو السماح له بالذهاب إلى الحمامات الموجودة في القرية عند سفح الجبل، فنزل الحاكم على رغبته واصطحبه إلى القرية، فاغتنم الحاكم -الذي لم يكن يفكر إلا في الطبيعة البشرية أو الربانية لهذا الشخص الخارق للعادة الواقع تحت حراسته- هذه الفرصة ليمتحن سجينه امتحانًا فاصلا أمام عينيه، وكان في الإسطبل حصان جامح لم يستطع أحد أن يمتطي ظهره من قبل، فوضع السرج على ظهر الحصان وتم تكليف بعض الغلمان العاملين على رعاية الفرسان بضبط جماح ذلك الفرس الجامح واقتياده إلى مدخل الحمامات وإيقافه بين يدي الباب ليمتطي ظهره؛ ليجنبوه عناء السير على الأقدام في ذلك الطريق الوعر الملتوي الموصل إلى الحصن، حيث تلقوا الأوامر بقول ذلك، فلما اقترب الباب من الفرس الذي جاء به الغلمان إليه، كان الفرس يصول ويجول، ثم توقف فجأة، فامتطى الباب ظهره بكل يسر وسهولة، حتى وصل به إلى باب السجن، لقد أكرهت الدابة نفسها على طاعته وكأنها أدركت أنها تحمل على ظهرها من يمثل الله حتى سال عرقها من جميع أطراف بدنها، وأما الحاكم الذي كان يظن أن الباب لو كان كذابًا في دعوته لطرحه الفرس أرضًا وسحقه، فإنه ظل على اعتقاده بأن الباب هو من اختاره الله».

ويضيف مونتيه قائلا: «هذا ما ترويه الأسطورة، أما التاريخ فإنه يقول: إن الحاكم قد شدد الحراسة على السجين»[٤٣].

---

(٤٣) إدوار مونتيه، الدراسات الشرقية والدينية، صفحات: ٢٣٦- ٢٣٧، نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب صفحات: ٢٤٨- ٢٥٠.

وإذا كان ذلك قد حدث، فإنه لا يمكن أن نجعل لذلك الحدث قوة الدليل على نبوة الباب، وإذا كان من الواجب أن نعتبر أن كل من يمتطي ظهر فرس جامح ويكبح جماحه يمكن أن يكون نبيًّا لوجدنا في المستقبل كثيرًا من الأنبياء.

وننتقل الآن من الحديث عن الأعمال الخارقة للعادة المدعاة لإثبات نبوة الباب إلى دلائل أخرى قد جاء بها.

لقد جعل الباب هذه الدلائل في سبع نقاط ذكرها في كتابه «دلائل السبعة» ولقد ألف هذا الكتاب باللغة الفارسية، وقام نيكولا بترجمته إلى اللغة الفرنسية وجعل له مقدمة وحاشية تكشف رغبة نيكولا في جعل هذا الكتاب أكثر وضوحًا من تعبير الباب عن فكره الحقيقي، لقد بين الباب تلك الأدلة لشيعي سأله أن يقدم الدليل على نبوته، فرد قائلا: «أبين لك في هذا الكتاب سبعًا من الدلائل لا شبهة فيها تكفي كل واحدة منها في نفسها أن تكون دليلا قاطعًا في نظر كل منصف»[44]، ويقول نيكولا سعيًا منه لتأكيد كلام الباب: «لقد طلب السائل منه بوضوح جميع الدلائل على نبوته والإجابة التي تلقاها كانت محددة واضحة لدرجة الإعجاب، فلقد استند في إجابته على آيتين من آيات القرآن، أما الأولى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٨٨]، وأما الثانية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧]»[45]، إننا لا نعرف أين يكمن التحديد والوضوح الذي يثير الإعجاب في رد الباب على سائله، فلقد طلب السائل من الباب تقديم الدلائل على نبوته المزعومة، فأخذ الباب آيتين من آيات القرآن لا علاقة لهما بزعمه ولا تقدمان مطلقًا شيئًا من الدلائل المطلوبة،

(٤٤) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٩.

(٤٥) مرجع سابق، المقدمة ص: ٥.

فالآية الأولى التي يستند إليها هي الآية التي يخاطب الله فيها محمدًا ﷺ بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٨٨]، أي شيء تشتمل عليه الآية يكون من شأنه تبرير زعم الباب؟ إن هذه الآية لا يمكن أن تكون تبريرًا لزعمه إلا إذا كتبت كذلك: «كل من يدعي النبوة والرسالة من عند الله وجاء بكتاب يؤكد فيه أنه وحي من عند الله يجب اعتباره لذلك السبب فقط نبيًّا، ويجب أن ينظر إلى كتابه باعتباره معجزة»، إن كتابة تلك الآية التي ذكرها الباب بتلك الصورة يمكن أن تمثل دليلا على زعمه ولكن هذا التصور الجديد يختلف تمامًا عن نص الآية القرآنية التي يطلب الله فيها من محمد ﷺ أن يتحدى الناس أن يأتوا بكتاب مثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، أما بالنسبة للآية القرآنية الثانية التي يستند إليها الباب فإنه يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧]، إن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يتحدث عن المتشابهات التي لا يجب تفسيرها إلا في ضوء الآيات المحكمات اللاتي يمثلن أم الكتاب، وأما قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، لا يعني ما تقوله الشيعة: إن الأئمة وحدهم من آل محمد هم الذين يعلمون تأويلها، ولكن هذه الآية تعني أن جميع العلماء الحقيقيين هم الذين يعلمون تأويل هذه المتشابهات، لم يكن يرغب الباب –وإن شئت فقل لم يستطع أن يفهم– هذه الآية بمعناها الحقيقي، حيث يزعم أنها تعني أن جميع آيات القرآن لها معنى خاص لا يعلمه أحد إلا الله والعلماء الذين هم –على رأيه– أئمة الشيعة الذين أغلقوا باب المعرفة بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، وأن هذا الباب لم يفتح ثانية إلا بالباب نفسه

حسبما يرى الباب، إننا لا نريد أن نطيل الحديث حول هذه الآية، فلقد سبق وأن تحدثنا بالتفصيل عن معناها الحقيقي في الفصل الخاص بتفسير البابيين للقرآن.

يفسر السيد نيكولا في المقدمة التي صَدَّرَ بها كتاب دلائل السبعة الذي قام بترجمته محتوى كتاب الباب لكي يجعله بدون شك سائغًا للقارئين؛ ومع ذلك فإن ما يثير دهشتنا هو أن الطريقة التي يفسر بها نيكولا نصوص الباب لا تسمح بإدراك ما إذا كان يكتفي بتفسير هذه النصوص بطريقة تجعلها مقروءة ومفهومة، أو ما إذا كان يشارك الباب في أفكاره التي استطاع استنباطها من نصوص الباب معضدًا لها بأدلة منها، فيقول على سبيل المثال: «هي واحدة من اثنتين: إما أن الآية من عند الله وأنها الدليل الوحيد لنبوة محمد ﷺ كما ثبت ذلك في القرآن، وإما أنها عمل أدبي، وهذا ما يرفضه القرآن مطلقًا، وبالتالي لا يبقى إلا الافتراض الأول وهو ما يقره المسلمون جميعًا باعتباره حقيقة لا ريب فيها، وعليه فإن الباب جاء بتلك الآيات من عند الله، فهو إذن رسول الله وجاء بتلك الرسالة من عنده»[٤٦]، لقد كتب الباب في حقيقة الأمر كُتُبًا أطلق على عباراتها -إن جاز القول إنها عبارات- اسم «آيات»، ولكن ما قيمة هذه التسمية التي أطلقها الباب على عباراته؟ وما الدليل الذي يجعل تلك الآيات المزعومة وَحْيًا من عند الله؟ فلم يكن القرآن دليلا على نبوة محمد ﷺ؛ لأنه يشتمل على آيات وإنما كان دليلا بأسلوب آياته المعجز وفصاحتها وما اشتملت عليه من دلالة واضحة فيما تعبر عنه، كما سبق وبينا ذلك في حديثنا عن النقاط السبعة التي تمثل دلائل وحي هذا الكتاب، فالوحي لا يكمن في الشكل أو في إطلاق اسم الآية أو السورة، وإنما يكمن فيما جاء به هذا الكتاب من آيات تبين أنه من عند الله، أيًّا كانت الأسماء

(٤٦) مرجع سابق، المقدمة، صفحات: ٥- ٦.

التي تطلق على أجزائه، إن المقصود في واقع الأمر هو إثبات أن ما أطلق عليه اسم آية أو سورة بدون وجه حق هو وحي من عند الله، إن السيد نيكولا يقدم تفسيرًا مغلوطًا لرأي المسلمين؛ لأن المسلمين لا يقولون إن القرآن وحي من عند الله؛ لأنه يتألف من آيات، ولكن لأن آياته تشتمل على ما يدل على أنها من عند الله، إن فقرات الكتاب التي تسمى آيات يجب اعتبارها -على حد قول نيكولا- إما عملا إلهيًّا وإما عملا أدبيًّا من عمل الإنسان، ونحن نتمسك بالقول إن تلك الفقرات يجب أن تعد عملا بشريًّا ما لم يُقِمْ من جاء بها الدليل على أنها من عند الله.

وقبل الحديث عن الدلائل التي يزعمها الباب على نبوته في كتابه دلائل السبعة نريد أن نستعرض محاولة إثبات نبوته من خلال الاستناد في ذلك إلى المباهلة؛ بمعنى أنه يجعل من الله حكمًا على صدق كلامه، فيتحدث الباب في كتابه «بين الحرمين» عن رجل يقال له سيد عليّ الكرماني الذي طلب منه الدليل على نبوته، واستند الباب في الإجابة على هذا السؤال إلى آية قرآنية تتعلق بالمناسبة التي دعا فيها النبي ﷺ أولئك الذين جاؤوا لمحاجته أن يرجعوا إلى الله لبيان الحقيقة، وهذا هو نص الآية التي استند إليها الباب: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(٤٧).

لقد استلهم الباب هذه الآية القرآنية عندما ترك الحكم لله الأعلى في محاجته مع السيد عليّ الكرماني، أما النبي ﷺ فإنه قد استند إليها في اختلافه في رأي تمت مناقشته مع أولئك الذين جاؤوا لمحاجته قبل أن يلجأ إلى القول بتفويض الحكم لله، وإليكم تفصيل الظروف التي أدت إلى المباهلة:

---

(٤٧) سورة آل عمران، آية: ٦١.

جاء وفد من أحبار نصارى نجران -جنوب الجزيرة العربية- وعزم على الذهاب للقاء النبي ﷺ بالمدينة للوقوف على صحة دعواه أنه نبي، فلما لقي الوفد النبي ﷺ سأله عما إذا كان يعترف بألوهية المسيح أم لا، فأجاب النبي صلى الله عليه سلم بأنه يؤمن بأن عيسى رسول الله ولم يقر بأنه ابن الله، فطلب منه القساوسة حينئذ أن يبين لهم مَنْ أبوه فأجاب النبي ﷺ بأن آدم ليس له أب ولا أم، ومع ذلك لم يتصل بنسب إلى الله، ثم تلا عليهم النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤٨)، فلم يعرف أولئك الذين جاؤوا لمحاجة النبي ﷺ بما يجيبونه، وبما أنهم كانوا يتمسكون بالرأي القائل بألوهية عيسى، فإن النبي ﷺ وجد نفسه مضطرًا لدعوتهم إلى المباهلة وتحكيم الله بينهم، وبعد أن تشاور القساوسة فيما بينهم رفضوا تلك الدعوة؛ لأنهم تذكروا الويلات التي حلت بالأقوام السابقة عندما كذبوا أنبياءهم وفوضوا الأمر لعدالة الله، وبالتالي غادروا مدينة النبي ﷺ دون محاولة الدخول في تجربة تلك الدعوة مع البقاء على موقفهم في نفس الوقت(٤٩).

ولقد أراد الباب -من خلال دعوة سيد علّي الكرماني إلى المباهلة- أن يضع نفسه في نفس مرتبة نبي الإسلام ﷺ، ولكن في الوقت الذي كانت فيه نبوة النبي ﷺ ثابتة قد تأكدت بالدلائل القاطعة كانت نبوة الباب التي يفتخر بها في حاجة إلى التأكيد وهذه هي الدلائل التي كانت مطلوبة منه.

فالسؤال المحدد الذي وُجِّهَ إلى محمد ﷺ ولم يكن متعلقًا برسالته قد أجاب

---

(٤٨) القرآن الكريم، آل عمران: ٥٩.

(٤٩) الزمخشري (ت ٥٢٨ هجرية)، الكشاف، تفسير سورة آل عمران، الجزء الأول، صفحات: ١٩٢-١٩٣، الألوسي (ت ١٢٧٠ هجرية)، روح المعاني تفسير سورة آل عمران، الأجزاء ١- ٣، صفحات: ١٦٥-١٦٧.

عليه النبي ﷺ إجابة واضحة، وأما السؤال المحدد أيضًا والذي يتعلق فقط بالدليل على نبوته المزعومة فإن إجابة الباب لم يكن لها علاقة به، وكان النبي ﷺ مُحِقًّا في تفويض الأمر إلى حكم الله، أما الباب في إجابته عليًّا الكرماني فإنه قَلَّدَ النبي ﷺ ولم يكن له أدنى حق في ذلك.

ونعود الآن إلى الدلائل السبعة التي أوردها الباب في الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه:

الدليل الأول: يقول الباب: «لو لم تكن آيات القرآن أعلى من معجزات الأنبياء، لما نسخت رسالات الأنبياء، ولما بقي بعدها القرآن وحده، إن في ذلك لدليلا قاطعًا على أن هذا البرهان أعلى من الأعمال الخارقة التي أحدثتها عصا موسى أو المعجزات السابقة للأنبياء السابقين»[٥٠]، وإننا لنتساءل: أين يكمن الدليل على نبوة الباب في ذلك الكلام الذي يطلق عليه «الدليل الأول»؟ وما علاقة ذلك بالمقارنة التي يعقدها بين القرآن والمعجزات التي جاء بها الأنبياء من قبل محمد ﷺ ونبوته؟ ولظننا أن السيد نيكولا يمكن أن يقدم إجابات على تلك الأسئلة رجعنا إلى ملاحظاته التي كتبها بصدد هذا الدليل الأول للباب، ولكننا وجدنا أنه لم يذكر فيها –والحق معه– فيما يمكن اعتبار كلام الباب دليلا على نبوته المزعومة، ففي بداية الملاحظة يقول السيد نيكولا: «يعلم الجميع أن القرآن يقول إن عيسى أفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ»[٥١]، ونرى من الواجب علينا أن نفند قول السيد نيكولا الذي يحاول من خلاله تأييد الباب في محاولته وضع الأنبياء في ترتيب تفضيلي معين بغرض بيان أن كل نبي أفضل من سابقه حتى ينتهي به القول

(٥٠) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٩.

(٥١) مرجع سابق، صفحة: ٩، ملاحظة رقم ٢.

إلى أن الباب أعظم الأنبياء جميعًا، إن كلام السيد نيكولا غير صحيح؛ إذ لا يوجد في القرآن آية تصف نبيًّا من الأنبياء بأنه أعظم من غيره، فنقول إن عيسى هو أعظم الأنبياء بعد محمد، أما ما ورد في القرآن مما يتعلق بمكانة الأنبياء فنقول إن النسبة لبعضهم البعض هو ما جاء في هذه الآيات:

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[سورة الإسراء، آية: ٥٥].

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٥٣].

تقول هذه الآيات إن الله فَضَّلَ بعض الأنبياء على بعض، ولكن لا يعني ذلك أن كل نبي أفضل من السابق له دائمًا، وبالتالي فإن هذه الآيات لا تقول بأن عيسى هو أفضل الأنبياء وأن محمدًا وحده هو أفضل منه، إن مسألة ترتيب الأنبياء ترتيبًا تاريخيًّا يجعل بعضهم فوق بعض كما يريد الباب وكما يؤكد نيكولا على ذلك، أو ترتيبهم وفقًا لأي نظام آخر ليس إلا مجرد مسألة فرعية فكل ما يهم في هذا الشأن هو إثبات صدق نبوة الباب، ولو تحقق ذلك لما كان من الصعب وضع الباب في منزلة أعلى من منزلة جميع الأنبياء الصادقين.

الدليل الثاني: يقول الباب في هذا الدليل ما نذكره باختصار فيما يلي:

١- زعم محمد أنه رسول الله، واستدل على رسالته بالقرآن الذي يشتمل على آيات وسور فآمن الناس به.

٢- وَبَيَّن أن هذا الكتاب لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله.

٣- ولقد جئت -أنا الباب- بكتاب يشتمل على آيات وسور، ولذلك

يجب الإيمان بنبوتي، واعتبار البيان وحيًا من عند الله، ويستطرد قائلا في حديثه مع الرجل الشيعي: «كن صريحًا، ما هو الفرق بين اليوم الذي عرفت فيه نفسك، ودخلت فيه بفضل بيان القرآن في الإسلام وبين اليوم الذي رأيت فيه «البيان» ولم ترد الإيمان به»، «عندما يسألك الله لماذا اعتنقت الإسلام؟ هل يكون لك دليل آخر غير القرآن؟ هكذا يؤيد الله رسالته»[٥٢]، ويوجز الباب كلامه عن هذين الدليلين بقوله: «هذان هما الدليلان اللذان أستند إليهما واللذان يعضد أحدهما الآخر، فالدليل الأول: يعني أن الآيات أعلى تأثيرًا من جميع المعجزات التي جاء بها الأنبياء، والدليل الثاني: أن الله وحده هو القادر على إنزال الآيات من السماء»[٥٣].

إن الاستدلال الذي قدمه الباب يعني أن الكتاب الذي جاء به محمد وهو القرآن يشتمل على آيات -جمع آية-، ويشتمل البيان أيضًا على عبارات يطلق عليها الباب آيات؛ وحيث إن القرآن يعد لهذا السبب وحيًا من عند الله فإن البيان لنفس هذا السبب أيضًا يجب أن يُعتبر وحيًا من عند الله، وهذا هو منطق الباب، ونحن نأسف عندما نرى السيد نيكولا يشارك الباب في هذا الاستدلال؛ لأن هذا الاستدلال -أو بالأحرى هذا الاستنتاج المباشر- يمكن أن يؤدي إلى القول إن الرجل الذي يكتب كتابًا في الطب يشتمل على فصول وفقرات ثم يأتي رجل آخر فيكتب كتابًا يشتمل على فصول وفقرات لكنه يتعلق بفرع آخر من فروع العلم، فهل يمكن القول -بموجب التشابه للكتابين- إن الكتاب الثاني هو أيضًا في علم الطب؟ وإذا كان من الممكن تطبيق مثل هذا الاستنتاج، فإن جميع الكتب الموضوعة

(٥٢) كتاب دلائل السبعة، صفحة: ١١.

(٥٣) كتاب دلائل السبعة، صفحة: ١٢.

على هذا المنوال الأدبي لكتب الطب، والتي تشمل على فصول وفقرات، يمكن أن تكون كتبًا في علم الطب، ومن المؤكد أنه يمكننا القول إن كلمة آية -كما قال السيد نيكولا- لا تستخدم إلا في الدلالة على النص المقدس، وإن العبارات المستخدمة في النصوص العامة لا يمكن أن يطلق عليها لفظ آية، وإن ذلك هو الحال أيضًا بالنسبة للفصول التي تشتمل عليها النصوص العامة، فلا يمكن أن نطلق عليها لفظ سورة، ويقول السيد نيكولا في ملاحظته التي علق من خلالها على الدليل الثاني للباب مفسرًا قوله في هذا الصدد: «لا يمكن للمسلم أن يشك في أن القرآن قد خلقه الله، وأن الإنس والجن عاجزون عن الإتيان بآية من مثله، فما معنى الآية إذن؟ معناها شيء من صنع الله، فإذا قلت: أنا صاحب تلك الآيات، فإنك تكذب القرآن الذي أخبر بذلك، ولكن الباب لم يقل شيئًا من ذلك؛ لأن الله صاحب كل شيء في هذه الدنيا -إذا ما أيد رسله بالمعجزات- يستحيل أن يعجز عن كشف أي كاهن يَدَّعِي أنه رسول من عند الله ويهدد نجاح رسالة السلام إلى الأرض، فكيف يسمح الله إذن لنبي كاذب أن يأتي بآيات تكون -وفقًا لهذا التعريف- من عند الله؟ بل سيصيب مسبقًا بالشلل يد من أراد كتابتها ولسان من أراد قراءتها وعقل من أراد تأليفها، وبما أنك تؤمن بأن هذه الآيات كلمات ربانية، وبما أنها من عند الله، وبما أن الإنس والجن عاجزون عن الإتيان بمثلها، فكيف يمكنك القول إنها من عند الله إذا جئت أنا بها؟»[٥٤].

هكذا نجد أن كلمة «آية» تعني فقط النص المقدس، ونحن نقبل هذا التعريف ولكنه لا يكفي لحل المشكلة، ولا يدعم زعم الباب؛ وذلك لأن استدلاله يظل دائمًا هو هو لم يتغير، بمعنى أن محمدًا ﷺ قد جاء بكتاب أطلق على فقراته

(٥٤) مرجع سابق، صفحة: ١٠، الملاحظة.

اسم «آيات» أي «كلام الله»، وأنا -الباب- قد جئت بكتاب أطلقت على فقراته اسم «آيات» أي «كلام الله»، وبما أن الناس قد آمنوا بزعم محمد وآمنوا بأن الكتاب الذي جاء به من عند الله، فإنه يجب عليهم أيضًا أن يؤمنوا بدعوتي وبأن الكتاب الذي جئت به هو من عند الله.

إننا لا نجد في هذا الاستدلال الذي يقدمه الباب أي أثارة من دليل مقبول يبرر نبوته المزعومة؛ لأن زعمه أن اشتمال الكتاب على فقرات يطلق عليها آيات وذلك يعني أنها من عند الله، ما هو إلا مجرد زعم بأن هذا الكتاب من عند الله وأنه رسول من عند الله، كذلك لا يمكننا ولا يمكن لأحد أن يقول: أنا رسول من عند الله ودليلي على ذلك يكمن في أن الكتاب الذي جئت به هو من عند الله؛ لأن فقراته التي يتألف منها إنما هي كلام الله! إننا نقول: إن ما يجب على الرجل أن يثبته بالدليل القاطع، إذا ما جاء بكتاب يشتمل على أجزاء يطلق عليها آيات، هو أن تكون الآيات جديرة بأن يطلق عليها اسم «كلام الله».

يقول نيكولا في تفسيره لكلام الباب: «إذا كان الله قد أَيَّدَ أنبياءه المرسلين بالدلائل على صدق رسالتهم، فإنه يستحيل أن يعجز عن كشف أي كاهن...»[٥٥]، ونقول -وفقًا لجميع علماء المسلمين الذين يستندون إلى العقل والمنطق-: إن الذي يزعم أنه رسول الله يجب عليه أن يقيم الدليل على ذلك الزعم بالأدلة القاطعة، وإذا كان هذا الرجل صادقًا، فإن الله يؤيد زعمه بما لا يمكن لعقل الإنسان ولا لقدرته أن يصل إليه وأن يتجاوز هذا التأييد عقل الإنسان من خلال المعجزة التي تثبت صدق النبي في نبوته، وبالتالي عندما يدعو النبي إلى الإيمان ويقيم الدليل على

---

(٥٥) مرجع سابق، صفحة: ١٠.

نبوته بالمعجزات فإنه يجب التصديق برسالته[٥٦]، «لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله، فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدًا منه له في تلك الدعوى، ومن المحال على الله أن يؤيد الكاذب، فإن تأييد الكاذب تصديق له، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله، فمتى ظهرت المعجزة -وهي مما لا يقدر عليه البشر -وَقَارَنَ ظُهُورُهَا دعوى النبوة عُلِمَ بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة، وأما السحر وأمثاله فإن سلم أن مظاهره فائقة عن آثار الأجسام والجسمانيات فهي لا تعلو عن متناول القوى الممكنة فلا يقارب المعجزة في شيء»[٥٧].

وعليه فإن الدليل الذي يجب على من يدعي أنه رسول من عند الله والذي يجب أن يشتمل بصفة خاصة على عمل يتجاوز إمكانات البشر، لا يمكن أن يأتي به الكذاب، ويجب أن يكون هذا الدليل معجزًا باعتباره عملا أو باعتباره كتابًا كما هو الحال بالنسبة لمحمد ﷺ، فإذا كان الرجل الذي يدعي أنه رسول من عند الله لا يستطيع أن يأتي بمعجزة من هذا النوع، فإننا نضطر إلى اعتباره كذابًا؛ لأنها هي القاعدة التي تميز بين النبي الصادق والكاذب، وهي التي جعلت المؤمنين يعترفون برسالة الأنبياء الصادقين، وبتطبيق تلك القاعدة يستحيل الخطأ في بناء الرأي، ومن الممكن في واقع الأمر أن نرى كاذبًا يدعي أنه رسول من عند الله قد جاء بكتاب يقول إنه من عند الله، لكن المستحيل هو أن يؤيده الله بالمعجزات التي تجعله رسولا من عند الله، وذلك كما يقول الشيخ محمد عبده: «ومن المحال على

(٥٦) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، الترجمة الفرنسية، صفحة: ٥٨.

(٥٧) مرجع سابق، صفحة: ٥٩.

الله أن يؤيد الكاذب، فإن تأييد الكاذب تصديق له، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله».

ويستحيل أيضًا أن يكذب النبي الصادق بعدما يؤيده الله بالمعجزات التي تجعله رسولا من عند الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٥٨) [سورة الحاقة آيات: ٤٤، ٤٥، ٤٦].

ونعتقد أن السيد نيكولا قد أشار إلى هذه الآيات في تفسيره لفكر الباب حيث يقول: «... من المحال في حق الله أن لا يكشف أمر أي دجال يريد أن يجعل من نفسه رسولا من عند الله ...»، ويريد أن يقول بذلك إن الباب إذا كان دجالا لَكَشَفَ الله أمره، وبما أن الله لم يفعل ذلك فإنه نبي صادق، إن هذه الآيات لا تبرر هذا الاستدلال الذي قدمه السيد نيكولا؛ لأنها تتحدث عن محمد ﷺ باعتباره نبيًّا صادقًا قد ثبتت صحة نبوته بالفعل بموجب الدلائل التي أجراها الله على يديه والتي صدق الناس بها، فإذا كذب محمد وهو نبي فإن هذا أمر مستحيل؛ لأنه بذلك يعد كاذبًا في رسالته ومكذبًا لله ذاته، وبالتالي يستحق العقاب في الحال؛ لأن كذبه في هذا الافتراض يُعَدُّ مخالفًا للتعاليم والرسالة التي كلفه الله بها، وهذا يتعلق بكذب النبي الذي أتى بالدلائل على صدق رسالته، أما بالنسبة للرجل الذي لم يأت بعد بالدلائل على نبوته فلا يمكن أن يعده الناس إلا مجرد رجل يكذب، فالخطورة التي تنشأ عن الكذب على الله من جانب النبي الصادق لا توجد في حالة الكذب من جانب أي رجل عادي.

ويقول السيد نيكولا -رغبة منه في تأييد مزاعم الباب أنه نبي صادق

---

(٥٨) ترجمة كازيميرسكي.

ودعم الدلائل التي قدمها-: «إن ألواح موسى لم تكن مطلقًا دليلا على نبوته، إنما يكمن الدليل في معجزة العصا، وإن أناجيل عيسى تعد مجرد كتاب يجمع أقواله وأفعاله، وأما معجزاته المؤيدة لرسالته فإنها تكمن في إحيائه للموتى، ولقد بشر كل واحد منهم بصاحبه الذي يأتي من بعده، أما محمد ﷺ فإن الدليل على أنه رسول الله يكمن في بشارة عيسى به في الأناجيل أولا، وبالرغم من كفاية هذا الدليل، إلا أن الله تحسبًا للمستقبل قد أيده بالقرآن، وبالتالي لم يُؤْتَ من المعجزات ما هو أقل منزلة، فجاء بالقرآن الذي تكفي قراءته وحدها للدلالة على أنه كتاب سماوي، فهو إذن يرتقي بالعقل الإنساني إلى التأمل في مخلوقات الله، ويمهد أيضًا الطريق لمن يأتي من بعده؛ لأنه بمجرد التصديق بأن آيات القرآن من عند الله مباشرة لا يعد أمام الأنبياء الذين يأتون من بعد أن يقدموا بدورهم آيات للإيمان بدعوتهم، وبالتالي لا ينشغلون بإثبات نبوتهم، فلغتهم تكفي؛ لأنهم لا ينطقون إلا بالآيات»[٥٩]، إننا لا نعرف كيف يمكن أن يكون قبول القرآن على أنه كتاب منزل من عند الله كافيًا لإقامة الحجة على الناس بأن كل كتاب يأتي بعد القرآن يكون أيضًا وحيًا من عند الله؟ إذ إن ذلك الكتاب حتى ولو كان مؤلفًا من فقرات تسمى «آيات» فإنه لا يزال من الواجب إثبات أن هذه الآيات هي حقًّا كلام الله، كما أننا لا نعرف أيضًا أن بشارة أي نبي بمن يأتي من بعده يمكن أن تكون دليلا على صحة من يَدَّعِي أنه الرسول المبشر به، فمثل هذا الزعم لا يمكن قبوله إلا إذا بَيَّنَ النبي صاحب البشارة الأمارات الدالةَ على صدق من بَشَّرَ به، وهذا لا يُعْفِي من يَدَّعِي أنه النبي المبشر به من تقديم الدليل على أن لديه أمارات توجب الإيمان به وأن هذه الأمارات لا بد وأن تكون من عند الله يقينًا.

---

(٥٩) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ١٢، الملاحظة.

وبما أن الباب لم يكن لديه من الأدلة ما يثبت زعمه، ولم يكن مجيئه كما قال السيد نيكولا قد بشر به محمد ﷺ خاتم الأنبياء بأي وسيلة كانت، فإن الباب لا يمكنه زعم أنه رسول من عند الله.

الدليل الثالث: هذا هو النص الكامل للدليل الثالث الذي رد به الباب على سائله: «إن الدليل على قدرة الله يتجلى دائمًا في الآيات، فإياك أن تظن أن ذلك أمر يسير -يعني المجيء بتلك الآيات- فخلق تلك الآيات أعظم من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وارجع إلى حروف الهجاء، فالجميع يستخدمها في الكلام، ولقد أظهرها الله على يد رجل لم يتعلم في المدارس ولا يستطيع أحد على ظهر هذه الأرض أن يأتي بمثلها؛ لأنها ليست إلا إظهارًا للقدرة الإلهية ودلالة على عظمة الله، وإن الناس يعيشون في الدنيا الفانية، وبالتالي لا يستطيعون التوقف أمام عظمة وجلال الآيات، فهم لا يرون إلا ظاهرها ولا يستطيعون إدراك عظمتها الباقية حتى تقوم الساعة»[٦٠].

ماذا يريد الباب أن يقول مما سبق؟ وأي شخص أظهر الله على لسانه حروف الهجاء دون أن يتعلم في المدارس؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تجعلنا نتوجه بالكلام إلى السيد نيكولا الذي استطاع فهم مغزى هذا الكلام للباب، ففي ملاحظته التفسيرية يذكر الآية القرآنية التالية والتي لا تتفق ترجمتها مع النص الأصلي: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٨][٦١].

---

(٦٠) مرجع سابق، صفحات: ١٣- ١٤.

(٦١) مرجع سابق، صفحة: ١٤، الملاحظة.

إننا نلاحظ أن الخطاب في هذه الآية القرآنية لمحمد ﷺ نبي الإسلام، الذي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة والذي جاء بكتاب تَحدَّى به جميع المتعلمين الذين عجزوا عن الإتيان بمثله، ليس لأنه مكون من حروف الهجاء وإنما لاشتماله على خصائص لازمة لإثبات دعوة محمد ﷺ عندما أعلن نبوته، يقول الله في هذه الآية مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ إنه قد اختاره لحمل هذا الكتاب إلى الناس، وإن الله قد اختاره أميًّا حتى يكون ذلك دليلا على رسالته وحتى لا يكون ذلك الكتاب من عند محمد ﷺ؛ لأن محمدًا لو لم يكن أميًّا لارتاب المبطلون في سماوية الكتاب الذي جاء به ولزعموا أنه كتاب من عند البشر، أما غيرهم من الناس فإنهم لا يستطيعون الشك في أن القرآن وحي من عند الله حتى ولو كان محمد يعرف القراءة والكتابة، حيث إن معرفة الكتابة والقراءة والثقافة لا تسمح بالمجيء بمثله؛ لأن ما يشتمل عليه القرآن يعد خارج نطاق قدرات البشر، وبما أن هذه الآية التي ذكرها السيد نيكولا تخاطب محمدًا ﷺ وأن معناها هو ما ذكرناه أعلاه، فإننا لا نرى كيف استند الباب إليها في تأييد دليله الثالث على دعوته المزعومة؛ لأن الكتاب الذي تتحدث عنه هذه الآية هو القرآن، والذي جاء به هو نبي الإسلام محمد ﷺ.

وإضافة إلى ذلك نقول: لماذا تحدث الباب، وهو بصدد الدليل الثالث، عن حروف الهجاء؟ وما علاقة هذه الحروف بالأدلة التي يسوقها إلى سائله عن نبوته المزعومة؟ إن حروف الهجاء على حد علمنا ليست إلا من نتاج البشر ووسيلة لمساعدة الناس على التفاهم فيما بينهم، ويقدم لنا السيد نيكولا في هذا الصدد تفسيرًا خاصًّا، ومع ذلك فإنه لا يؤيد دعوة الباب المزعومة فيقول: «سبق وأن رأينا أن المعجزات التي جاء بها جميع الأنبياء السابقين كانت جميعها انتقالية، والمعجزات التي جاء بها محمد ﷺ وهي آيات القرآن تظهر في كل مرة تفتح فيها

القرآن، وهذا هو الحال بالنسبة لآيات الباب التي يشتمل عليها كتاب البيان، ويجب أن نعلم أن إبداع الأبجدية كان عملا إلهيًّا؛ لأن الله كان يمهد لظهور أعظم معجزة في المستقبل، ولاحظوا أن الناس قد استخدموا الأبجدية التي بين أيديهم ولكن لم يصوغوا منها آيات لا قبل محمد ولا بعده، وأما الباب فقد ظهر بدوره وأنزل من السماء آيات، فأي حجاب يُعْمِي أعين الناس التي لا تؤمن به!»[٦٢]، إن ذلك يعني أن الله قد أوجد الأبجدية تمهيدًا لظهور أعظم المعجزات التي تكمن في نزول تلك الآيات.

إننا نعلم أنه يوجد العديد من الأبجديات وأن كل لغة تقوم على الأبجدية الخاصة بها، وعليه فما هي حروف الهجاء -من بين حروف الهجاء المختلفة- التي أوجدها الله تمهيدًا لظهور أعظم المعجزات؟ إن الإجابة على هذا السؤال يسيرة؛ لأن السيد نيكولا لم يكن يقصد وفقًا لأفكار الباب سوى حروف أبجدية اللغة العربية؛ لأنها هي الحروف التي صدرت من لسان رجل لم يتعلم بالمدارس وهو محمد ﷺ وفقًا للآية التي ذكرناها.

ونتساءل عن الغاية من الأبجديات الأخرى واللغات التي قامت عليها، ألم تكن هي الأخرى من عند الله؟ فلماذا لا تظهر أعظم المعجزات إلا باللغة العربية؟ ولماذا لا تكون المعجزة في الكتب التي جاء بها الأنبياء السابقون لمحمد ﷺ على هذه المعجزة والتي تقوم لغتها على حروف الهجاء العبرية وغيرها ما دامت عظمة المعجزة -مقارنة بغيرها من المعجزات- تكمن فقط في استخدام حروف الهجاء؟

---

(٦٢) مرجع سابق، صفحة: ١٤، الملاحظة.

إننا نعلم أن حروف الهجاء لكل لغة من اللغات إنما هي من نتاج البشر، وأن الكتب المقدسة قد جاءت إلى الناس بلغات مكونة من حروف الهجاء، وأن كل نبي قد جاء كتابه بلغة القوم الذين أرسل إليهم، وهذا هو ما تنص عليه هذه الآية القرآنية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٤].

لو سلمنا جدلا أن حروف اللغة العربية وغيرها من اللغات هي من عند الله، فما هي علاقة مسألة الأبجدية بهذا الموضوع؟ ونقصد بذلك زعم الباب أنه نبي والدليل الذي يجب أن يقدمه على ذلك، فكون الكتاب الذي جاء به الرجل باللغة العربية أو بغيرها من اللغات لا يمثل معجزة لا كبيرة ولا صغيرة ولا يمكن أن يكون دليلا للرجل الذي جاء به لإثبات نبوته المزعومة.

الدليل الرابع: يقول الباب في هذا الدليل: «تعد الآيات والكتاب معجزة أعلى من أي معجزة أخرى بحيث لا يوجد بالنسبة للمسلم طريق آخر غير الإيمان بهذه الأفضلية التي أثبتها الله في سورة العنكبوت: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٥١].

إن معظم آيات القرآن تجيب على هذه الطلبات الهزلية التي طلبت من رسول الله ﷺ، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى عن بني إسرائيل:

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ

أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [سورة الإسراء، آيات: ٩٠-٩٣].

والآن أجبني بصراحة: ما هو الفرق بين أولئك العرب وبينك إذ إنك تسأل مثلهم عما يدور برأسك؟ اعلم أن الذي ثبت دليله إنما هو من عند الله، وهذا دليل كاف كما قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [سورة طه، آية: ٤٧].

فلو لم تكن الحجة التي أقامها موسى وهارون على فرعون تامة في معجزة واحدة، لما أكد الله عليها في هذه الآية، إذن أنت ترى حينئذ أن آية واحدة -فقرة- تكفي في إثبات النبوة»[٦٣].

مما لا ريب فيه أن دليل النبوة الذي يكمن في الكتاب السماوي الذي يأتي به صاحب الرسالة يمكن أن يكون أعلى من المعجزة؛ لأن الدليل أو الدلائل التي يشتمل عليها الكتاب تظل باقية فيه، بينما المعجزة وقتية يتم تناقلها بالرواية مما يكون محلا للخلاف، وهذا هو السبب الذي جعلنا نعتبر دليل رسالة محمد ﷺ أعلى من غيره من الدلائل ذات الطبيعة المختلفة والتي جاء بها غيره من الأنبياء، وهذا هو أيضًا ما تفسره الآية الخمسون من سورة العنكبوت التي ذكرها الباب وهو بصدد حديثه عن الدليل الرابع على نبوته المزعومة؛ وذلك لأن أعداء نبي الإسلام قد طلبوا منه كما هو مذكور في سورة العنكبوت وسورة النمل وغيرهما من السور أن يأتي بالمعجزات الدالة على رسالته وأن تكون هذه المعجزات مختلفة عن معجزة القرآن، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن يقول للناس إنه ليس مكلفًا بالإتيان

(٦٣) مرجع سابق، صفحات: ١٤-١٦.

بالمعجزات التي لا تتحقق إلا بقدرة الله، وإن رسالته تقتصر على تعليمهم ما يشتمل عليه القرآن الذي أوحاه الله إليه، وإن المعجزات غير ضرورية لإثبات نبوته بعد أن جاءهم القرآن الذي هو بين أيديهم دائمًا.

ولقد ذكر الباب هذه الآية عندما كان يريد عقد مقارنة بينه وبين نبي الله موسى: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾، وقال مخاطبًا سائله: «أنت ترى حينئذ أن آية واحدة تكفي لإثبات الرسالة»، يريد الباب بذلك أن يقول بها أن موسى قد اكتفى في إثبات رسالته لفرعون بآية واحدة من عند ربه، فإن الباب يكفيه في إثبات نبوته أن يأتي بآية واحدة.

إن الحجة التي جاء بها موسى كانت في حقيقة الأمر كافية وقاطعة، لكن يجب علينا أن نلاحظ أن هذه الحجة الواردة في الآية التاسعة والأربعين قد عبر القرآن عنها بلفظ آية بمعنى برهان أو دليل، وأن هذا اللفظ لم يستخدم في هذه الآية للدلالة على برهان واحد أو دليل واحد إنما يعني أيضًا براهين أو أدلة، وهذا يعني أن لفظ آية المفرد يمكن أيضًا أن يُحْمَل على معنى الجمع في استخدام اللغة العربية، فالمناسبة أو السياق الذي يستخدم فيه هذا اللفظ هو الذي يحدد وحده حمل معناه على الإفراد أو الجمع، فموسى لم يَأْتِ لفرعون بدليل واحد، وإنما جاء بعدة أدلة، فكان هناك العصا التي تحولت إلى حية، ويده التي خرجت بيضاء من غير سوء كما جاء في آيات القرآن: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [سورة طه، آيات: ١٩-٢٢].

إذن ليس هناك سبب لتفسير هذه الآية بالمعنى الذي قاله الباب والذي

يبين أن موسى لم يأت لفرعون إلا بآية واحدة من عند الله، وبالتالي فإن «آية واحدة تكفي لإثبات رسالته» يعني رسالة الباب.

إن ما ذكرناه حول استخدام كلمة آية هو من مبادئ قواعد اللغة العربية، غير أن الباب ربما كان يجهلها، ومع ذلك فلو تبعنا طريقته في الاستدلال وقبلنا بأن كلمة آية الواردة في هذه الآية القرآنية تعني آية واحدة أو دليلا واحدًا، فإننا نجد أن هذا الاستدلال لا يحقق غايته؛ لأنه لا علاقة بين إثبات رسالة موسى بآية واحدة وقول الباب إن آية واحدة تكفي لإثبات رسالته، فالآية التي جاء بها موسى كانت معجزة ولم تكن آية بمعنى العبارة، والدليل الذي قدمه الباب لا قيمة له؛ لأن الإتيان بعبارة إنما هو شيء في متناول أي رجل، بينما الإتيان بمعجزة لا يتحصل إلا بقدرة الله التي يظهرها على أيدي الأنبياء المرسلين.

ونعتقد أن الخطأ المتعمد أو غير المتعمد الذي وقع فيه الباب، إنما يأتي من عدم معرفته أو عدم رغبته في تمييز المعنيين بعضهما عن بعض لكلمة آية في اللغة العربية، تستخدم هذه الكلمة في اللغة العربية سواء بمعنى نص من نصوص الكتاب الكريم، أو بمعنى برهان أو دليل، ولقد حمل الباب كلمة آية على أنها تعني نصًا من نصوص الكتاب الكريم وهي الآية من الكتاب بدلا من حملها على معنى البرهان أو الدليل، أي المعجزة؛ وذلك لأن الآية التي قدمها موسى لفرعون كانت عملا خارقًا للعادة ولم يقل الباب بذلك لكي يزعم أن العبارة التي يطلق عليها آية تكفي دليلا على نبوته المزعومة.

الدليل الخامس: وهذا هو النص الكامل لهذا الدليل:

«حسب القرآن لم يأت الله بدليل لتأييد رسالة محمد ﷺ غير القرآن وما

تشتمل عليه آياته؛ لذلك يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، آية: ٨٨]. إذا كان لهذه المعجزات التي نتحدث عنها اليوم في كتب السير أي قيمة لأقام الله بها الحجة على صدق نبيه، وإذا ذكرت في القرآن فالصحيح أن الله لم يجعل منها شهادة على رسالة محمد ﷺ، يقول الله تعالى في سورة القمر على سبيل المثال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر، آية: ١]، والله وحده هو العالم بمعنى هذه الآية إذ يقول في موضع آخر:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧][(٦٤)].

في هذا الدليل لا يزيد الباب على القول إن الله لم يأذن لمحمد ﷺ بالإتيان بالمعجزات، وإنما اكتفى في إثبات رسالته بإعطائه الدلائل التي اشتمل عليها القرآن؛ وذلك لأن الله إذا أعطاه دلائل أخرى غير تلك الدلائل لذكرها الله في القرآن، ويشير الباب إلى معجزة انشقاق القمر الذي تحدثت عنه الآية التي ذكرناها، ويقول الباب إن المعنى الحقيقي لهذه الآية لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم الذين يزعم أنه منهم ثم يذكر الآية التسعين من سورة الإسراء.

إننا لا نرى شيئًا في هذه الآيات التي ذكرها الباب يمكن أن يكون دليلا على نبوته المزعومة، إن نفي المعجزة المنسوبة إلى النبي محمد ﷺ لا يُعْفِي الباب من وجوب تقديم الأدلة على مزاعمه، وطالما أنه يريد أن يجعل نفسه في مرتبة النبي محمد ﷺ فعليه أن يقدم دلائل من طبيعة ما اشتمل عليه القرآن، ولقد سبق أن فَصَّلْنا القول في موضع سابق حول المعنى الحقيقي للآية السابقة من سورة آل عمران وكذلك الآية التسعون من سورة الإسراء، ولا نرى ضرورة لإعادة الكلام حولها.

(٦٤) مرجع سابق، صفحات: ١٦-١٧.

الدليل السادس: هذا هو النص الكامل للدليل، يقول للسائل: إنني لا أجادلك إلا بالاستناد إلى شهادة العقل، إذا أراد رجل اليوم أن يعتنق دين الإسلام فهل حجة الله كاملة قائمة عليه أم لا؟ إذا قلت لا، فكيف يحاسبه الله بعد موته؟ وكيف نلوم عليه في حياته أنه ليس مسلمًا؟ وإذا قلت نعم، فَلِمَ؟ وإذا كان ذلك لمجرد تأكيدك أنه يؤمن بك فإن ذلك ليس دليلا، وإذا قلت نعم، إن حجة الله قائمة عليه لإيمانه بالقرآن فإنك حينئذ على حق وحجتك دامغة لا شبهة فيها.

وتفضل الآن بإلقاء نظرة على كتاب البيان، إذا جاء رجل ممن يؤمن بالقرآن وأراد أن يؤكد ذلك بالدليل كما يفعل المرء حيال من لا يؤمن بالقرآن، فلن يبقى على ظهر الأرض معارض وسيدخل الجميع الجنة يوم القيامة، وفي الحقيقة إذا قال رجل مسيحي: «أنا لا أفهم شيئًا من القرآن فكيف يكون حجة بالنسبة لي؟» فإن هذا النوع من الاستدلال لا يستحق أدنى اهتمام، وهذا هو الحال بالنسبة لمن يؤمنون بالقرآن ويقولون: «إننا لا نفهم بلاغة آيات كتاب البيان، وبالتالي فإنها ليست حجة بالنسبة لنا»، وعلى من يتكلم كذلك نجيب عليه بما يلي: «أيها الجاهل، كيف أصبحت مسلمًا؟ وأنت لم تَرَ النبي ﷺ ولم تشهد معجزاته، هل أصبحت مسلمًا دون أن تفهم؟ وإن كان كذلك فلماذا أسلمت؟ هل أصبحت مسلمًا بناءً على اعتراف أرباب العلم والمعرفة لك بعجزهم عن الإتيان بالآيات؟ أم أنك خاضع مستسلم بفعل الفطرة التي وضعت فيك وجعلتك تفهم كلام الله -وهي إحدى علامات حب العلم-، وبالتالي فإن الحجة قائمة عليك؟ وحيث إنك فيما مضى كنت تلجأ إلى الفطرة في الفهم فالجأ اليوم إليها في الإيمان بكتاب البيان»[٦٥].

(٦٥) مرجع سابق، صفحات ١٧-١٨

ونرى من اللازم تكرار ما ذكرناه آنفًا بشأن الأدلة التي جاء بها الأنبياء، ويتمثل الدليل على بعثة محمد ﷺ في القرآن الذي لا زال بين أيدينا والذي يتصف بها يجعل المسلمين -منذ مجيء الإسلام وإلى اليوم- يؤمنون به، فالرجل الذي يضرب به الباب المثال في استدلاله والذي لا يفهم شيئًا من القرآن ولكنه يريد أن يعتنق الإسلام يمكنه أن يصل إلى فهمه إما في نصه العربي إذا كان يفهم تلك اللغة جيدًا، وإما في الترجمة إذا كانت في أقرب درجة ممكنة من النص الأصلي، فإذا لم يكن الرجل قادرًا على فهم معاني النصوص والقيام بالبحث اللازم الذي يساعده على تحقيق ذلك ولكنه من جهة أخرى مقتنع بأن الإسلام دين سماوي؛ لأنه لا يزال قائمًا في صورته الأصلية منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولأنه انتشر بصورة كبيرة في أرجاء العالم، فكيف يمكننا أن نقول لمثل هذا الرجل ما قاله الباب ألا وهو: «حيث إنك فيما مضى كنت تلجأ إلى الفطرة في الإيمان بالقرآن، فالجأ اليوم إليها في الإيمان بكتاب البيان»، مما لا شك فيه أن الباب كان يجهل أن العاطفة والاقتناع هما نتاج الانفعال العفوي أو التخمر الداخلي وأنه ليس شيئًا يمكن أن يظهر ويطلب وقتما نريد، وأنه من المستحيل أن نطلب من النفس أن تتصرف اليوم حيال أمر معين كما كانت تتصرف قديمًا حيال شيء آخر، فلما زعم الباب أنه كان نبيًّا وأن كتابه البيان كان يشتمل على الدلائل التي تثبت ذلك لم يكن أمامه إلا أن يقول: «هذا كتابي من عند الله، انظروا ما فيه فإذا آمنتم به فاتبعوا أحكامه التي ستجعل منكم حينئذ أتباعًا لهذا الدين الجديد».

ولكن هل ما في كتاب البيان يمكن أن يكون دليلا على نبوة الباب وأنه كتاب من عند الله؟ وهل ما يحتوي عليه الكتاب يمكن أن يجذب الناس إلى هذا الدين الجديد المزعوم؟ إننا نقول إن قراءة كتاب البيان كافية للإجابة بالنفي على هذه الأسئلة.

الدليل السابع: يقول الباب في هذا الدليل الأخير: «تقول العقيدة الكلية إن الله كان يعلم ولا يزال عالمًا، وإنه كان يقدر ولا يزال قادرًا، فإذا ما ادعى رجل أنه جاء من عند الله وجاء بالحجة القاطعة ولم يظهر الله من يقضي على تلك الادعاءات، فإن هذا دليل على أنه مرسل حقًّا من عند الله وأنه من أوليائه، ودليل على رضا الله؛ لأن الله على قدرته البالغة لم يرسل له عدوًّا، وهذا يؤكد أن هذا النبي من عند الله وأن الله راضٍ عنه»[٦٦].

لقد تحدثنا عن الأدلة الواجب على مدعي النبوة أن يقدمها، وقلنا أيضًا إنه من الممكن أن يأتي رجل كذاب فيدّعي أنه نبي، ولكن من خلال المعيار الذي يبين الصدق من الكذب يمكن الحكم على زعم هذا الكذاب، وهذا المعيار الفاصل يكمن في وجود أو انعدام المعجزات التي تتجاوز طاقات البشر، وحقيقة أن أحدًا لم يأت بمثل كتاب البيان يعني بكتاب مليء بمثل هذه الأخطاء، فإن ذلك لا يبرر في حقيقة الأمر نبوة الباب، فإذا أخذ رجل على عاتقه تأليف كتاب شديد السوء كهذا لكان عبثًا، إننا نستطيع في واقع الأمر أن نقول إن هذا الكتاب يتجاوز طاقات البشر لكن ليس على مستوى الكمال وإنما على مستوى النقص والخلل.

هذه هي الدلائل السبعة التي قدمها الباب إلى سائله في محاولة إثبات نبوته، ولقد رأينا ما تعنيه هذه الدلائل ومدى قيمتها، ونضيف أيضًا أن هذه الدلائل السبعة الواردة في كتاب «دلائل السبعة» لا تمثل إلا جزءًا يسيرًا منه، أما الجزء الأعظم فإنه يشتمل على ترديد العبارات التي تدور دائمًا حول مزاعم الباب دون أن يأتي بأدنى دليل صحيح عليها.

---

(٦٦) مرجع سابق، صفحة: ١٩.

٤- البيان العربي: دليل نبوة الباب

هل تعد اللغة المستخدمة في هذا الكتاب دليلا على زعمه؟

إن القرآن بقيمته اللغوية وأسلوبه ومحتواه يمثل دليلا واضحًا على نبوة محمد ﷺ، ولقد ظن الباب نفسه قادرًا على أن يجعل هو أيضًا من خلال كتابه البيان دليلا واضحًا -إن لم يكن الأوحد- على نبوته، ويفتخر الباب ويمتدح نفسه وهو يقدم لهذا البيان العربي بأنه جاء بكتاب «يشتمل على كل شيء وفيه بيان لكل شيء»، ولقد زعم أن الناس كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله وأنه أفضل من جميع الكتب التي جاء بها الأنبياء وأنه لذلك يلزم الرجوع إلى كتاب البيان في كل شيء، فهو الكتاب الذي يجب تعميق الدراسة فيه.

وقال إن جميع أعمال العباد يجب أن تكون موافقة للأحكام التي يشتمل عليها هذا الكتاب، كما يلزم الناس الانصراف عن أي كتاب آخر غير هذا الكتاب في أخذ علومهم، وأنه يجب نسخ ما خالف ذلك الكتاب من الكتب؛ لأن البيان العربي فيه بيان لكل شيء ولجميع الناس[٦٧].

ونريد فيما يلي الاقتصار على دراسة اللغة التي كتب بها البيان العربي لتوضيح ما إذا كانت هذه اللغة تبين ما يزعمه الباب أنه وحي من الله، وإذا ما كان يمثل في الحقيقة دليلا على نبوته، ونريد أن نقوم بهذه الدراسة، مع العلم أنه يجب أن نقول بادئ ذي بدء إن اللغة التي وضع بها هذا الكتاب تتألف من حروف عربية، ومع ذلك فإنها ليست من العربية في شيء، وحيث إن البيان كتاب فإنه

(٦٧) البيان العربي، المخطوطة، صفحات: ٣،٥،٦،٧،٨،١٠،١١. ويؤكد بهاء الله أن الباب أمر بنسخ جميع الكتب، راجع الأقدس، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية رقم ٦٣٩٧، صفحة: ٢٦.

يجب أن يكون موضوعًا بإحدى اللغات، ولكننا نأسف لعدم قدرتنا على التعرف على القوم الذين يتخذون من ذلك الكلام لغة لهم.

ولمساعدة القارئ على تكوين رأيه في هذا الموضوع لم نشأ الاقتصار على تقديم تفسيراتنا الشخصية وإنما التزامنا بوضع كتاب البيان العربي في ملحق هذا الكتاب وفقًا للنسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس، ولقد ترجم السيد نيكولا هذا الكتاب مع إغفال الجزء السابق للفصل الأول وهو عبارة عن أربع صفحات وعدة سطور، والترجمة التي قام بها السيد نيكولا ليست في الحقيقة ترجمة إنما نستطيع أن نقول بالأحرى إنها ترجمة بتصرف وإنها إعادة صياغة لمساعدة القارئ الفرنسي على فهم أفكار الباب، ولكي ينجح في إعادة صياغة هذا الفكر اضطر - على ما نظن- إلى الرجوع إلى بعض البابيين الذين وضحوا له هذه الأفكار، ولأننا عندما نرجع إلى نصوص مخطوطة البيان لمقارنتها بالترجمة لا نجد في غالب الأمر أن الترجمة تعبر عن هذا الفكر الموجود في النص الأصلي.

ويأتي على رأس الانتقادات والعيوب التي نوجهها إلى كتاب البيان العربي ذلك الانتقاد الذي يتعلق بالخلل في اللغة العربية التي استخدمها الباب، فهذا البيان العربي مليء بالأخطاء حيث يستخدم كلمات غير موجودة في اللغة العربية مثل الأسماء والصفات والأفعال وغير ذلك، كما أن هناك أخطاء نحوية تختص بتكوين الكلمات وأخطاء في تكوين العبارات، وإذا تحدثنا عن الأسلوب في البيان العربي فإننا نجد أخطاء في الأسلوب في المسائل التي يسهل التعبير عنها فلا وجود للأسلوب في هذا الكتاب، وهذا المجموع من الأخطاء يمثل السمة السائدة في جميع كتب الباب باللغة العربية والتي يقول إنها وحي من الله، وبما أنه قارن كتابه البيان العربي بالقرآن في كل مناسبة وفي غير مناسبة وأنه أراد أن يجعل منه دليلا

على نبوته، كما أن القرآن دليل على نبوة محمد ﷺ، فإننا نطلع القارئ على بعض الأمثلة المأخوذة من كتاب البيان العربي، ومع ذلك فإن هذه الأمثلة للخلل ليست استثناءً وإنما قاعدة مطردة على طول الكتاب كما هو الحال بالنسبة لغيره من جميع كتب الباب باللغة العربية.

إن الخلل في اللغة العربية التي استخدمها الباب في كتابه قد امتدت إلى العبارات التي كتبها ليتحدى الناس بها في الإتيان بمثلها، فوقع في أخطاء جسيمة، وعلى الرغم من اقتباسه لبعض العبارات في هذا الكتاب من القرآن إلا أنه لم يستطع أن يأتي بتلك الآيات من غير أن يخلطها بالأخطاء، ومما زاد الطين بلة أنه عندما أورد تلك الآيات في كتب أخرى أضاف إليها أخطاء أخرى من نوع جديد، وهذا نص الآية القرآنية التي حاول أن يأتي بمثلها [٦٨] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

وهذا نص العبارة التي أتى بها الباب وأوردها في ثلاث صور مختلفة[٦٩] [٧٠] [٧١]: «ولو أن اجتمع من على الأرض كلهن على أن يأتوا مثل ذلك الكتاب من عند الله لن يستطيعوا ولن يقدروا والله يشهد على ذلك والذين هم أولو العلم أولئك هم في دين الله يشاهدون».

«ذلك الكتاب لا ريب فيه تنزيلا من عندنا إنا كنا مرسلون قل إن جمعوا

(٦٨) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٦٩) راجع مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحة: ٣٠٢.

(٧٠) الميرزا علي محمد الباب، الوحي، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية رقم ٤٦٦٨، صفحة: ١٥.

(٧١) الميرزا علي محمد الباب، أحسن القصص، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية رقم ٢٦٤٣٥، صفحة: ٣٢.

أهل السماوات والأرض وما بينهما إلا أن يؤتوا بمثل هذا الكتاب لن يستطيعوا ولن يقدروا ولو كل عالمون».

«لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذه الكتاب بالحق على أن يستطيعوا ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق ظهيرًا فوربك الحق لن يقدروا بمثل بعض من حرفه ولو على تأويلاته من بعض السر قطميرًا».

وهذه على سبيل المثال فقرات مختلفة من البيان العربي كما وردت في مخطوطة المكتبة الوطنية والتي تشتمل على الأخطاء التي سنبينها فيما يلي:

١- قال في الصفحة الأولى:

«قل الله أكرم فوق كل ذا إكرام لن يقدر أن يمتنع عن مليك سلطان إكرامه من أحد لا في السماوات ولا في الأرض ولا ما بينهما يخلق ما يشاء بأمره إنه كان كرامًا كارمًا كريمًا».

(أ) إن كلمة «ذا» هي اسم من الأسماء الخمسة فنقول عند الرفع «ذو» وعند النصب «ذا» وعند الجر والإضافة «ذي»، ولقد استخدم الباب كلمة «ذا» منصوبة بدلا من جعلها «ذي» مجرورة بالإضافة.

(ب) تعني كلمة مليك: ملكًا وسيدًا، وتعني كلمة سلطان حاكمًا أو صاحب السلطة على الغير، وتعني كلمة إكرام: الشهادة بالكرم.

ولقد أساء الباب استعمال الإضافة في هذه الكلمات الثلاثة، وتعني هذه الكلمات وفقًا لهذا الاستخدام: «لا يمكن لأحد أن يفلت من الملك صاحب كرم

الله»، ويريد بذلك أن يقول إن كرم الله يسع جميع الناس، ولكنه لم يستطع أن يقول ذلك؛ لأن عبارته لا معنى لها لاستخدامه السيئ لهذه الإضافة.

(جـ) لقد وصف الله بثلاث كلمات من بينها كارم وهي كلمة غير موجودة في اللغة العربية.

٢- قال في الصفحة الثانية:

«الله أعظم أن يا ذلك الاسم على ما فصل من قبل يمكن أن ينزل من عند ربك في كل يوم وليلة أربع ألف بيت الذي لو ينزل الله يكون في كل سنة عدد كل شيء أربع ألف بيت فاحسب ما عندك ثم اذكر حتى تكمل عدل سنة ونمنع عن فوقه فإن هذا رزق ربك في العالمين»

(أ) استخدم الباب في بداية هذه الفقرة كلمة «أن» التي لا معنى لها هنا بالرغم من كونها كلمة عربية، ولقد استخدمها في أكثر من موضع بالطريقة التي تدل على أنه لا يعلم معنى هذه الكلمة ولا الموضع الذي يجب أن تستخدم فيه.

(ب) ولقد استخدم العدد «أربعة آلاف» بطريقة خاطئة ولقد وقع في خطأين عند استخدامه لهذا العدد، ففي اللغة العربية يختلف العدد تبعًا لمعدوده تذكيرًا وتأنيثًا. يقول الباب مكررًا الخطأ في نفس العبارة: «أربع ألف بيت» فاستخدم كلمة «ألف» مفردة بدلا من جمعها، واستخدم كلمة «أربع» مُذكرةً بدلا من تأنيثها، فكان ينبغي عليه أن يقول «أربعة آلاف بيت».

(جـ) ولقد استخدم الاسم الموصول «الذي» من غير صلة تبرر استخدام هذه الكلمة.

د- وأما جملة الصلة فإن الباب قد استخدمها دون ضمير يربطها باسم الموصول.

(هـ) وأخطر ما في الأمر أن الفقرة التي ذكرها كاملة لا معنى لها؛ لأنها لا تمثل عبارة سليمة، وإنما مجرد مجموعة من الكلمات المرصوصة، لقد أراد الباب أن يعبر عن فكرة ولكنه لم يعرف كيفية تكوين الجملة التي يمكن أن تعبر عن تلك الفكرة.

٣- قال في الصفحة الأولى والثانية:

«على أن البيان ومن فيه هدية مني إليك على أن لا إله إلا أنت وأن الأمر والخلق لك وما لأحد من شيء إلا بك وإن من تظهرنه عبدك وحجتك لأخطبنه بإذنك وأقول لو تعزلن في القيامة الأخرى من في البيان حين الذي تشرب اللبن من ثدي أمك بإشارة من يديك لكنت محمودًا في إشارتك ولو أنه لا ريب فيه لتصبرن تسعة عشر سنة لتجزي من دان به فضلا من عندك إنك كنت ذا فضل عظيما»

(أ) تستخدم الكلمة العربية «من» للعاقل أما لغير العاقل فإننا لا نستخدمها إلا في حالات خاصة، ولقد استخدم الباب هذه الكلمة لغير العاقل وهو محتوى البيان وبدون الشروط الخاصة بها.

(ب) ولقد استخدم حرف الجر «على» مرتين في أول العبارة وهذا خطأ؛ لأن حرف الجر هذا لا يمكن استخدامه إلا مسبوقًا بفعل أو كلمة تحل محل الفعل.

وهذا هو السبب الذي جعل دو جوبينو يغير هذه الكلمة في ترجمته ويجعلها علمًا وهو «علي» ويقصد بذلك الباب نفسه باعتباره منادى من الله، وإذا كان هذا التفسير يجعل من الكلمة الأولى منادى فإنه لا يمكن أن يكون كذلك بالنسبة للثانية؛ لأن أداة النصب «أن» التي جاءت بعد هذه الكلمة والتي لا تستخدم في أول الجملة لا تبرر هذا التفسير.

(جـ) ولقد استخدم الباب الاسم الموصول «الذي» بدلا من ظرف الزمان «ما»، فقال: «حين الذي» بدلا من «حينما».

(د) ولقد أخطأ في استخدام العدد ولكن الخطأ هذه المرة من نوع آخر غير النوع الذي ذكرناه آنفًا بصدد قوله «أربع ألف» وذلك حيث إن كلمة «سنة» مؤنثة فوقع في خطأين في استخدام هذا العدد فقال: «تسعة عشر سنة» بدلا من قوله «تسع عشرة سنة»، هذا بالإضافة إلى أن الفقرة التي قمنا بدراستها النقدية لا تزال غير مفهومة مثل نظيرتها السابقة.

٤- قال في الصفحة الثانية والثالثة والرابعة:

تشتمل هذه الصفحات الثلاثة على عدة محامد لله بصيغة متكررة دائمًا حيث يقول: «يا الله إنك أنت ...»، ثم يضيف الباب إلى هذه العبارة صفة من الصفات إلا أنه يخطئ فيها، فأحيانًا تكون الكلمة التي يستخدمها كصفة لا تمت للمعنى الذي يقصده الباب للغة العربية بصلة، وأحيانًا أخرى تشتمل كلمة التي يستخدمها كصفة على أخطاء في الاشتقاق والتصريف، فيستخدم الباب على سبيل المثال بعض الكلمات في صورة صفات مثل: «أشوك الأشوكين»، و»أطرز الأطرزين»، و«أحول الأحولين» وغيرها من الكلمات التي لا تستخدم في اللغة العربية كصفات من صفات الله.

أما ما يتعلق بالأخطاء في الاشتقاق، وهذه مسألة تتعلق أيضًا باستخدام كلمة غير مستعملة كصفة من صفات الله، فإن الباب يقول: «أصمد الأصمدين»، و«أوتر الأوترين» وغيرها، إن هذا الاشتقاق مجرد اختراع؛ لأنه لا يمكن أن نأتي بصيغ تفضيل مثل أصمد أو أصمدين من كلمة صمد، وكذلك الحال بالنسبة لكلمة أوتر والكلمات السابقة مثل أشوك وأطرز وأحول.

أما ما يتعلق بالتصريف فإن الباب يقول: «أقوى الأقوين»، و«أغنئ الأغنئين»، و«أرضئ الأرضئين»، وهذه أخطاء جسيمة.

٥- قال في الصفحة الخامسة جاعلا الكلام لله:

«وأذنت لمن يدخل [في] بيتي بتوحيدي وأقرنته بذكرك»، يستخدم الباب الفعل الثلاثي «قرن» كما لو كان رباعيًّا، فيقول: «أقرن» بدلا من قرن.

٦- قال في الصفحة الخامسة:

«وما قد نزلت في البيان من ديني فإن هذا ما يدخل به الرضوان عبادي المخلصين»

كلمة «المخلصين» التي استخدمها الباب في هذا الموضع إنما هي جمع في محل رفع، ولا ترد على تلك الصورة إلا إذا كانت في موضع نصب أو جر، فقال «المخلصين» بدلا من «المخلصون».

٧- قال في الصفحة الخامسة:

«وإنما البيان حجتنا على كل شيء يعجز عن آياته كل العالمون»

في هذه الآية خالف الباب القاعدة؛ لأنه استخدم كلمة «العالمون» في صورة الجمع مرفوعة وهي في محل جر بالإضافة، وتجدر الإشارة إلى أن الباب بهذه العبارة قد أشار إلى عجز الناس جميعًا عن الإتيان بمثل كتاب البيان!

٨- قال في الصفحة الخامسة والسادسة:

«وإنا قد جعلنا أبواب ذلك الدين عدد كل شيء مثل عدد الحول لكل يوم بابًا ليدخلن كل شيء في جنته الأعلى».

يجب أن توافق الصفة الموصوف تذكيرًا وتأنيثًا، أما عند الباب فالقاعدة بخلاف ذلك، فيصف الاسم المؤنث بصفة للمذكر فيقول «في جنته الأعلى» بالرغم من وجوب القول: «في جنته العليا»، ونلاحظ فضلا عن ذلك أن وضع هذه الكلمات متراصة بتلك الصورة في هذه الفقرة يجعل معناها المقبول والمعقول معدومًا.

٩- قال في الصفحة السادسة:

«ذلك واحد الأول من الواحد المعدد يذكر في شهر البهاء قد بدأنا ذلك الخلق به ولنعيدن كل به».

يجب أن توافق الصفة الموصوف تعريفًا وتنكيرًا، ولا يلتزم الباب بهذه القاعدة، فنجد في الحقيقة أن كلمة «واحد» نكرة، وبالتالي يلزم أن تكون الصفة نكرة أيضًا، ومع ذلك فإن الباب يجعل الصفة معرفة فيقول: «الأول» باستخدام أداة التعريف «ال» بدلا من أن يقول «الواحد الأول» يقصد الوحدة الأولى، وبالتالي فإن الخطأ يكمن في الموصوف لا في الصفة، وفي نفس الفقرة نجد أن

الباب قد جعل المفعول مرفوعًا أو مجرورًا بدلا من جعله منصوبًا، فقال: «كلٌّ» أو «كلٍّ» بدلا من «كلا»، وكعادة الباب نجد الفقرة غامضة المعنى.

١٠- قال في الصفحة الثامنة:

نتجاوز الصفحة السابقة من كتاب البيان العربي إذ إنها مكتوبة باللغة الفارسية، وفي الصفحة الثامنة يقول الباب: «ثم في الثاني لم يحط بعلم البيان إلا إياك في أخراك ثم أولاك*».

لقد استخدم الباب في هذه الفقرة الضمير المنفصل المنصوب مرفوعًا، فقال: «إلا إياك» والأصل أن يقول «إلا أنت».

١١- قال الباب في الصفحة نفسها: «فلتقرؤن آية الأولى إن أنتم تقدرون»*.

لقد استخدم الباب صفة معرفة لموصوف نكرة، وفي الحقيقة إنه كان يريد استخدام الموصوف معرفة، إلا أنه استخدمه نكرة فقال: «آية الأولى» بدلا من «الآية الأولى».

١٢- قال الباب في الصفحة نفسها: «وإنما الأول اللذان أنتم بإذن الله تقرؤون كل الأحرف يرجع إليهما إن أنتم مبصرون»

يتعلق الأمر هنا أيضًا بالصفة والموصوف فيستخدم الباب الموصوف مفردًا والصفة مثنى، والسياق يقول إن الباب كان يريد استخدام الموصوف مثنى إلا أنه استخدمه مفردًا فقال: «الأول اللذان» بدلا من «الأولان اللذان».

---

* جاء في المخطوطة: «ثم في الثاني لم يحط بعلم البيان إلا إياك في أخريك ثم أوليك».

* جاء في المخطوطة: «فلتقرئن آية الأولى إن أنتم تقدرون».

١٣- قال الباب في الصفحة نفسها: «وإن بمثل ذلك نزلنا القرآن ولكنكم كنتم عن مرادي محتجبون».

لقد استخدم الباب الصفة المنصوبة في الجمع مرفوعة فقال: «محتجبون» بدلا من «محتجبين».

١٤- قال في الصفحة التاسعة:

«ذلك ما طاف الليل والنهار عليه ثمانية واحد وأنتم به في العبادة تتوحدون وكنتم عن سره بعد ما [قد] قضى لمحتجبون».

نجد في اللغة العربية أن معدود العدد من ثلاثة إلى تسعة يجب أن يكون جمعًا ومع ذلك نجد الباب يستخدم المعدود مفردًا، ولقد كرر الباب نفس الخطأ الذي ذكرناه في المثال السابق وهو بصدد هذه الفقرة.

١٥- وقال في الصفحة نفسها: «وأنتم في الرضوان خالدون وإلا أنتم فانيون».

يتعلق الأمر هنا بكلمة يجب حذف حرف العلة من آخرها عند جمعها جمعًا سالمًا، ولم يتبع الباب هذه القاعدة إذ يقول «فانيون» بدلا من «فانون».

١٦- قال في الصفحة العاشرة:

«ثم السابع من بعد العشر ذكر النار لن أحب ذكر من لم يؤمن بمن يظهره الله ذلك ما لا آمن من قبل من ينسب إليه ما ينسب إلى النار أن يا عبادي فاحذرون»*.

* جاء في المخطوطة: «ثم السابع من بعد العشر ذكر (نار) لن حب ذكر من لم يؤمن بمن يظهره الله ذلك من لا آمن من قبل من ينسب إليه ما ينسب إلى النار أن يا عبادي فاحذرون».

في هذه الفقرة التي تتحدث عن النار يريد الباب أن يجعل الله يقول: «لا أحب من لا يؤمن بمن يظهره الله، ومن يفعل ذلك لم يؤمن بمن أظهره الله».. «وكل ما ينسب إلى هذا الذي لم يؤمن ينسب إلى النار»، ثم ختم ذلك بقوله: «أن يا عبادي فاحذرون».

يوجد في النص العربي لهذه الفقرة العديد من الأخطاء:

(أ) استخدم الباب الماضي للتعبير عن المستقبل المنفي.

(ب) استخدم أداة نفي الفعل المضارع بدلا من أداة نفي الفعل الماضي للتعبير عن الماضي المنفي.

(جـ) استخدم الاسم الموصول غير العاقل «ما*» بدلا من «من» «ذلك ما لا آمن من قبل» بدلا من أن يقول: «ذلك من لا آمن من قبل».

ويقول في النص العربي لهذه الفقرة: «من ينسب إليه ما ينسب إلى النار» حيث استخدم الكلمتين «من» و«ما» بالصورة التي أفسدت المعنى الذي كان يقصده في هذه العبارة، ولعل هذا هو السبب الذي جعل دو جوبينو في ترجمته لهذه الفقرة يستخدم كلمة «ما» باعتبارها أداة نفي وهذا ما جعله يضطر إلى إضافة كلمة* بدونها تكون الترجمة غير منطقية (الجزء الثاني، الباب السابع عشر)، ولقد اضطر دو جوبينو إلى ترجمة عبارة: «من ينسب إليه ما ينسب إلى النار» بقوله: «من يقترب إليه (هذا الذي لم يؤمن) يقترب من النار (الحب)»، إن استخدام «ما»

* أشار الباحث إلى كلمة «ما» الموجودة في النص العربي الذي أورده في متن بحثه في قول لباب: «ذلك ما لا آمن من قبل» بينما ورد في المخطوطة كلمة «من» وليس «ما» وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الملاحظة السابقة.

* كلمة «الحب» باعتبارها تفسيرًا للنار وسيرد ذكرها فيما بعد.

النافية غير صحيح؛ لأن الأداة الواجب استخدامها في هذه الحالة هي «لا» وليس «ما».

(د) أما بالنسبة للعبارة التي يختم بها الباب كلامه في هذه الفقرة: «أن يا عبادي فاحذرون»، فإننا نجد أن الباب يستخدم هذه العبارة تقليدًا للقرآن، ولكنه يضيف في بداية هذه العبارة أداة النصب «أن» ويستخدمها في غير موضعها.

١٧- قال الباب في الصفحة نفسها وما بعدها: «ما يذكر به اسم شيء ملك لي وما تملكت ذلك ما أملك قل أن يا خلقي في الظهور الآخرة من ملكي إياي فاملكون».

يقول الباب: إن الله يقول: «كل ما يسمى شيئًا فهو ملكي فكل ما تملكه أملكه أنا قل يا عبادي عند ظهوري الأخير ردوا عَلَيَّ مالي» (بمعنى: أنفقوا من أموالكم في سبيلي)».

يوجد في هذه الفقرة العربية أخطاء مختلفة وقع فيها الباب:

(أ) فقوله «ما يذكر به اسم شيء» وهو ما ترجمناه بمعنى «ما يحمل اسم شيء» لا يمكن أن يؤدي نفس المعنى الذي كان يريده الباب إذ كان يلزم لذلك أن يقول على سبيل المثال «ما يطلق عليه اسم شيء».

(ب) استخدم الباب أداة النصب «أن» في أول الجملة وهذا الاستعمال كما سبق وأشرنا إليه في المثال السابق يعد استعمالا خاطئًا.

(جـ) كلمة ظهور مذكر ولكن الباب جعل الصفة الخاصة بها في المؤنث فقال: «الآخرة».

(د) في قوله: «أن يا خلقي في الظهور الآخرة من ملكي إياي فاملكون»، استخدم الفعل «املكون»، فبدلا من أن يقول: «أعطوني ما أملك» قال: «املكون».

إننا لا نريد أن نرهق القارئ بالأمثلة المتعددة للأخطاء المختلفة الواقعة في البيان العربي، ومع ذلك فإننا نؤكد القول إنه يوجد في الصفحات التي تناولناها -وهي الصفحات العشر من بين خمس وأربعين صفحة تشتمل عليها المخطوطة- أخطاء أخرى، وإنه لا توجد ثمة عبارة واحدة صحيحة تتفق مع قواعد اللغة العربية.

أما بالنسبة لمواطن الجمال وبلاغة أسلوب هذا الكتاب وهو الأسلوب الذي يفتخر به الباب، فإنه يتحتم علينا أن نقول مرة أخرى إنه أمر معدوم بكل ما تدل عليه الكلمة من معان.

ولقد أدرك السيد نيكولا صعوبة الوصول إلى فهم البيان في نصه العربي فقال: «بالرجوع إلى ما كنا نقوله في بداية هذا التمهيد فإنني أرى أن الاستشهادات التي سوف تتتابع سوف تبين بطريقة قاطعة كيف كنا على حق عندما افترضنا عند ظهور كتاب البيان أن تعليم الباب لم يكن مفهومًا لغالب الفارسيين»[٧٢]. ولقد أقر الباب بهذه الصعوبة حيث قال: « العبد (الباب) الفقير إلى الله، الذي اعتصم بحبل الله يبين أنه بعد العودة من الحج وقيام الحجة كاملة بظهور العلم على العالم أجمع بكتب واضحة ورسائل قوية، حينئذ نزلت عليه فيوضات الكتابة من كل حدب وصوب، وجاء العلماء والمفسرون فوجدوه في محيط الحزن والعزلة (تحديد إقامته في شيراز بأمر حسين خان، نظام الدولة) ونجد في معظم كتبه عجز غير العلماء

(٧٢) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحات: ٦٦- ٦٧.

عن فهم آيات كتبه باللغة العربية»[٧٣]، ويقول أيضًا: « ويبدو أننا لم نر أحدًا حتى الآن قد ترعرع في فارس -يعني: (الباب)- يتحدث في يسر بكلام يؤكد الفصحاء والبلغاء والفلاسفة والعلماء عجزهم عن فهمه وجهلهم حتى للمعنى الظاهر لهذه الكلمات[٧٤].

وهكذا يعترف الباب بصراحة أنه لا يمكن لأحد أن يدرك حتى المعنى الظاهر لما يكتبه وكذلك جميع المثقفين، فلقد عجز العلماء والبلغاء والفصحاء والفلاسفة عن فهم كتاباته، ويجب أن نعترف بحقيقة هذا القول ونقول إن هؤلاء المثقفين يجب أن يكونوا أول من عجزوا عن فهم ما أراد الباب قوله من خلال كتاباته؛ لأنهم لا يستطيعون بالطبع فهم إلا ما كتب باللغة العربية بمنطق سليم، وما تم التعبير عنه بصورة موافقة لقواعد اللغة العربية.

وفي حديثه عن الملا حسين البشروئي وجهوده في نشر هذا المذهب الجديد للباب، يقول السيد نيكولا ما من شأنه أن يؤيد رأينا القائل بجهل الباب باللغة العربية، يقول السيد نيكولا: «مر الملا حسين بمدينة كاشان وهو يحمل رسالة «زيارة نامة» التي كتبها الباب إلى عليٍّ[٧٥] و«تفسير سورة يوسف» وهناك التقى والميرزا جاني أحد التجار، الذي أصبح مؤرخ الوحي فيما بعد، ودعاه إلى المذهب الجديد فآمن به. لكنه أخفق في مدينة كاشان بين يدي المجتهد حاج ملا محمد ابن حاج ملا أحمد النراقي، فلقد أظهر له هذا المجتهد عددًا من الأخطاء في قواعد اللغة التي اشتمل عليها نص «زيارة نامة» و«تفسير سورة يوسف»[٧٦]، ويروي الميرزا

(٧٣) مرجع سابق، صفحات: ٦٧- ٦٨.

(٧٤) مرجع سابق، صفحات: ٨٧- ٨٨.

(٧٥) يتعلق الأمر هنا بعلي بن أبي طالب والدعاء الذي ألفه الباب لقراءته على قبر علي، راجع مهدي خان، مرجع سابق، صفحات: ٢٠٠- ٢٠٢.

(٧٦) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة: ٢٥٦. مهدي خان، مرجع سابق، صفحات: ٢٠٠- ٢٠٢.

مهدي خان أن الميرزا جاني -الذي ذكرناه آنفًا- قد رافق الملا حسين البشروئي إلى المجتهد حاج ملا محمد والذي أظهر له أيضًا الأخطاء في قواعد اللغة التي اشتملت عليها «زيارة نامة» و«تفسير سورة يوسف» التي كتبها الباب فأجابا عليه حينئذ بقول الباب التالي: «إن قواعد اللغة وفقهها كانا عبدين من عباد الله ولقد أخطآ؛ وبالتالي تم تقييدهما بالقواعد والأحكام، ولكن بظهوري وبفضل دعائي فك الله أسرهما، وحينئذ لا مجال اليوم لإلقاء اللوم على من يخالف تلك القواعد والأحكام»[77].

ولقد وضع موليير في مسرحية «طبيب رغم أنفه» على لسان سجانارل القول التالي: «نعم، كان ذلك قديمًا ولكننا غيرنا ذلك كله»، ويؤكد السيد نيكولا ما ذكره مهدي خان إذ يقول في حديثه عن المجلس الذي اجتمع في تبريز لمحاكمة الباب: «وصل (الباب) إلى توريس حيث أقام أربعين يومًا في جو معادٍ له من العلماء، وهنا -كما هو الحال في شيراز وأصفهان- تم دعوة كبار علماء الإسلام إلى مجلس برئاسة نصر الدين ميرزا والذي كان حينئذ أميرًا وحاكم الإقليم، وسأل نظام العلماء الملا باشي عن معنى هذه الكلمة العربية وتلك، كما سأل عن تصريف هذا الفعل، ويبدو أنه خيف الدخول معه في جدل ديني من شأنه تضليل المجلس[78]، وأصيب الباب بالذهول من جراء هذه الأسئلة فأجابهم: «لقد تجاوزت عالم

(٧٧) مهدي خان، مرجع سابق، صفحات: ٢٠١- ٢٠٢.

(٧٨) من الواضح لنا أن السيد نيكولا قد نسي أن الباب في كتابه البيان في الجزء الرابع في السورة العاشرة وأنه ذكر في مقدمته للبيان العربي الذي قام بترجمته في الصفحة ٣٩ ما يلي: «إن عدم جدوى هذه العلوم التي أثارت حفيظة الباب هي التي جعلته يقول في السورة العاشرة: «يحرم تأليف كتاب لا يجعل المرء مرفها أو لا يجعله في مأمن من الحاجة مثل الكتب المتعلقة بالأصول والمنطق وعلوم الكلام والفلسفة وعلم الكلمات غير المستخدمة وما شابهها والاشتقاق ونحو اللغة: فكل ذلك لا جدوى من ورائه»؛ لأنه من المؤكد أنني أجهل هذه العلوم، فمن شهد ظهور النقطة فقد رأى أنه مُعْفى من علم النحو وعلم المنطق والفقه والأصول وما يتعلق بها». كيف يتفق هذا الكلام مع قول السيد نيكولا: «خيف الدخول معه في جدل ديني من شأنه تضليل المجلس؟»

الكلمات من زمن طويل ولقد أعدت للكلام حريته»[٧٩]، ولقد أدرك نيكولا رأي روزن الذي يقول: «وفيما يتعلق بالأخطاء التي لا حصر لها التي نقع عليها في كل خطوة نخطوها في النص العربي وفي شرحه الفارسي، فإن مصدرها الأساسي هو المؤلف نفسه ومحاولة تصحيحها ضرب من العبث، وعلى القارئ أن يتحلل من تلك القواعد القديمة وأن ينسى المنطق قليلا والمعنى السليم؛ وبالتالي ينجح في فهم أسرار هذه الآثار الأدبية التي يطلق عليها أتباع هذه العقيدة بسخرية غير مقصودة: البيان»[٨٠].

ويقوم السيد نيكولا بالدفاع عن الباب بعد تأثره باللوم الذي وجهه روزن للباب فيقول: «إنني لا أعرف ما الذي يجب قوله بشأن هذا الرأي، وإنني أقدر كثيرًا جميع الآراء حتى يثبت العكس، ولكن يمكن للقارئ أن يقرأ ترجمة «البيان الواضح» الذي قمت بها في الجزء الثاني حتى يستطيع أن يكوِّن رأيه مباشرة، ويجب مع ذلك أن أقول إذا لم يستطع القارئ فهم بعض الفقرات فليوجه نقده لي وليس لصاحب الكتاب ذاته»[٨١].

مما لا شك فيه أن ما ذكره السيد نيكولا يُعَدّ كرمًا من جانبه، لكنه لا يجب أن يحيدنا عن السؤال الخاص بمعرفة ما إذا كانت نصوص كتاب البيان العربي متفقة في الحقيقة مع قواعد اللغة العربية، حيث إن روزن تحدث عن «البيان العربي» وعن التفسيرات التي وضعها له الباب باللغة الفارسية وكذلك عن الأخطاء العديدة في قواعد اللغة التي نجدها في النصوص العربية والفارسية على السواء عند هذا

(٧٩) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات: ٢٤٤- ٢٤٥.

(٨٠) مرجع سابق، صفحات: ٥٦- ٥٧.

(٨١) مرجع سابق، صفحة: ٥٧.

الذي ينبري السيد نيكولا للدفاع عنه، ومع ذلك فإن السيد نيكولا يوجه القارئ إلى ترجمة البيان العربي وهي الترجمة التي سبق وقلنا إنها لا تتفق مع النص الأصلي باللغة العربية، إنما هي عبارة عن ترجمة بتصرف وإعادة صياغة لمساعدة القارئ الفرنسي على فهم فكر الباب.

إننا نكون أكثر موضوعية عندما نوجه القارئ ليس فقط إلى النص الأصلي للبيان العربي الملحق بهذا البحث وإنما أيضًا إلى الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب الذي قام بها السيد نيكولا، حينئذ يستطيع القارئ أن يحكم بنفسه ما إذا كان العالم كله مخطئًا باستثناء السيد نيكولا!

ويقول السيد نيكولا، رغبة منه في الإتيان بأدلة أخرى لتأييد ما كتبه الباب: «بالنسبة للأخطاء اللغوية العربية والفارسية، فإنني لا أستطيع أن أمتنع عن تسجيل بعض الملاحظات على السيد روزن، هل يمكن أن نظن أن صاحب هذا العدد الذي لا نهاية له من المؤلفات باللغة العربية لا يعرف تلك اللغة؟ ألا يظن أن الباب لأي سبب من الأسباب قد أحدث هذه الأخطاء اللغوية عمدًا في كتاباته التي لا يوجد في معناها أدنى شك؟ ألا يريد قبول هذا السبب على سبيل المثال: من الواضح لكل منصف أن القرآن يشتمل على بعض الأخطاء وحاول الناس تبريرها منذ ذلك الوقت وأن هذه الأخطاء لم تسلم من نقد غلاة اللغويين الساخر في ذلك العصر؟ ألم توضع قواعد كاملة في اللغة من أجل تبرير بعض تعبيرات القرآن؟ وكل ذلك لماذا؟ كل ذلك من أجل بيان خلاف ما حاولوا الوصول إليه وهو إثبات أن القواعد يجب أن تكون مأخوذة من الكتب المنزلة في حين أن الآيات لم تنزل وفقًا لهذه القواعد، وذلك لأمرين: الأول هو اشتمال

القرآن على بعض الأخطاء من وجهة نظر الإنسان، والثاني بيان أن القرآن هو كلام الله تعالى»[٨٢].

يزعم السيد نيكولا في مساندته للباب أن القرآن يشتمل على أخطاء كانت هدفًا لنقد اللغويين الساخر في ذلك العصر، وبالرغم من هذا الزعم، لا يذكر اسما واحدا فقط من بين أرباب اللغة أولئك، ثم يتعدى على الحقيقة فيقول إن قواعد اللغة العربية قد وضعت من أجل تبرير بعض تعبيرات القرآن، ونقول حينئذ: إن قواعد اللغة العربية لم توضع إلا لتحديد قواعد اللغة العربية بطريقة واضحة؛ لأن دخول بعض اللهجات الأجنبية المختلفة في حقل الإسلام عن طريق معتنقيه من شأنها أن تؤثر على نقاء اللغة على الأمد الطويل، لذلك وضعت قواعد اللغة العربية وفقًا لما كان عليه استخدام اللغة، ولضبط القواعد التي تحافظ على طابعها النقي الذي يتحدث به أهلها، وكذلك حتى لا يطرأ أي تحريف على اللغة التي نزل بها القرآن.

ويجب أن نقول أيضًا إن قواعد اللغة العربية لم توضع مطلقًا -حسبما يقول السيد نيكولا- لتبرير بعض تعبيرات القرآن، إذ لا يوجد في القرآن كلمة واحدة ولا تعبير واحد ليس من اللغة العربية، وإن القرآن لا يزال مفهومًا من جانب العرب، وإذا كان في القرآن كلمة غير معروفة في زمان الوحي عند إحدى القبائل العربية، فإنها كانت معروفة تمامًا لدى القبائل الأخرى في نفس ذلك الزمان، ولقد تأكد ذلك بالدليل عندما كان يتحدث عمر في مسجد المدينة في خطبته التي ذكر فيها الآية السابعة والأربعين من سورة النحل والتي جاء فيها قوله «تخوف»، فلما لم يفهم عمر معنى هذه الكلمة طلب من الناس إذا ما كان أحد يعرف معناها،

(٨٢) مرجع سابق، صفحات: ٥٧- ٥٨.

فأجاب رجل من قبيلة هذيل بالإيجاب ثم ساق بيتًا من الشعر يشتمل على فعل مأخوذ من هذه الكلمة في سياق معناها الواضح[٨٣].

ويضيف السيد نيكولا قائلا: «إنني أعتذر إلى السيد روزن بإصراري كثيرًا على هذا الموضوع، لكنني أعتقد أنه سيسمح لي بالقول إن الباب كان حُرًّا في قول ما يرى أنه حق، وكذلك فإن المسلمين أحرار في إنكار ذلك، وأرى أنه لا يجب الانقياد وراء عداوة أعداء هذا المذهب الجديد بالصورة التي تجعلنا نقول مع أولئك الذين يتتبعون هفوات المؤلفين المسلمين غير المرتاب في علمهم في هذا المجال بأن أسلوب الباب ضعيف وغير صحيح وأنه غث وأقل كثيرًا من أسلوب القرآن، بينما كان هناك علماء آخرون لهم رأي آخر وربما كانوا من أهل الاختصاص»[٨٤].

ينصح السيد نيكولا بعدم الانقياد وراء الأفكار المسبقة المأخوذة على الباب فيما يتعلق بأسلوبه، ويجتهد السيد نيكولا في عدم الاقتصار على مسألة قواعد اللغة عند الباب، ويفضل الحديث عن أسلوبه الذي يقارنه بأسلوب القرآن، وكنا نفضل ألا ينتقل السيد نيكولا سريعًا من قواعد اللغة إلى الأسلوب، وأن يقدم الدليل على عداوة من يطلق عليهم «أعداء المذهب الجديد».

ولا يتعلق الأمر هنا بمعرفة ما إذا كان أسلوب الباب ضعيفًا أم قويًّا، ثقيلا أم خفيفًا، إنما يتعلق هنا بجهل الباب التام بقواعد اللغة وباستخدامه لتلك اللهجة القبيحة التي يزعم أنها هي اللغة العربية، ويقول السيد نيكولا إن هناك «أشخاصًا

(٨٣) الشاطبي، الموافقات، الجزء الثاني، صفحة: ٥٨.

(٨٤) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة: ٦٠.

ربما يكونون من أهل الاختصاص قد امتدحوا اللغة العربية التي استخدمها الباب، ولقد ذكر اثنين منهم في كتابه «السيد عليّ محمد الملقب بالباب»[٨٥].

ونحن من جانبنا لا نتفق مع هؤلاء الأشخاص المبجلين في رأيهم، وإنما ندعو القارئ الذي يجيد اللغة العربية إلى قراءة «البيان العربي» الملحق بهذا البحث وكذلك جميع مؤلفات الباب باللغة العربية الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس.

ولكن ألا يوجد في كلمات الباب نفسها إقرار بأن اللغة العربية التي يستعملها معيبة؟ يبدو لنا أن الأمر كذلك؛ لأنه قال أيضًا: «ليأت كذاب فيقول: يوجد في بعض المواضع من الآيات -آيات الباب- أشياء مخالفة لقواعد العرب» وهذا كذب وادعاء، فجميع الآيات، شأنها في ذلك شأن آيات القرآن، جاءت وفقًا للقواعد الربانية، والقول بخلاف ذلك كذب من الشيطان وقلة في العلم من جانب الناسخين».

ويضيف السيد نيكولا إلى ذلك مفسرًا فيقول: «هذا يعني أن الأخطاء التي تظهر لنا إما أنها ليست أخطاء وإما أنها من عند الناسخين»[٨٦].

ويقول الباب أيضًا: «هذا الأمر يعبر عنه في بعض الأوساط بتنوع الكلمات وعند غيرهم بمخالفة القواعد التي يتبعها أهل العلم -وهو يختلف عنهم-؛ وذلك حتى يقتنع الناس بأن إمام هذا الوسط لم يتلق هذه الآيات والعلوم عن طريق الاكتساب وإنما عن طريق نور الله الذي أضاء صدره بالعلوم الربانية»[٨٧].

---

(٨٥) مرجع سابق، صفحة: ٢٠٢.

(٨٦) البيان العربي، ترجمة نيكولا، المقدمة، صفحة: ٨٦.

(٨٧) مرجع سابق، صفحات: ٩٣- ٩٤.

هكذا يعترف الباب أنه لم يلتزم بقواعد اللغة العربية ولكنه لم يعرف كيف يفسر ذلك ويبرره، فتارة يقول إنه وقع في أخطاء؛ لأنه نسي قواعد اللغة التي تعلمها في طفولته وقد أقر بذلك أمام مجلس العلماء الذي اجتمع في تبريز والذي تحدثنا عنه آنفًا، وتارة أخرى ينكر أنه وقع في أخطاء، ويقول عنها إنها من افتراءات أعدائه عليه، أو إنها من فعل الناسخين، ويزعم تارة ثالثة أن قواعد اللغة وفقهها كانا عبدين مقيدين من جانب الله ولكن بعد فك أسرهما بناء على إصراره لم يعد هناك سبب لإلقاء اللوم على من لا يلتزم بها.

ويعد مفهوم الباب هذا مفهومًا غريبًا، فَلِكَيْ يستخدم الصورة التي يستند إليها يقيد اللغة بالقواعد وليس العكس، ويقول تارة رابعة إنه وقع في تلك الأخطاء ليثبت للناس أن علمه الذي يخفى علينا ميدانه ليس ثمرة الدراسة وإنما تلقاه بنور الله، وهذا يعني أن قواعد اللغة هي من عمل الإنسان الذي يمكن تحقيره، وأما كتبه فهي كلام الله الذي لا يمكن أن يكون محلا لنقد الناس، ومع ذلك فإن ما نعلمه هو أن الله عندما ينزل كتبًا إلى أقوام عن طريق رسلهم إنما يكون بلغتهم، وأنه ليس من المقبول عقلا أن يكون الله قد خالف قواعد اللغة التي يتحدثون بها، وعندما يشتمل كتاب منزل من السماء على أخطاء أو عندما يشتمل على كلمات أو عبارات غير مفهومة لجميع الناس الذين أنزل الكتاب إليهم، فإن هذا الكتاب ليس وحيًا، وإن الذي جاء به إنما هو كذاب؛ لأن الله يقول صراحة إن الكتاب الذي يأتي إلى قوم إنما يكون باللغة التي يتحدثونها ويفهمونها كما رأينا ذلك في الآية الرابعة من سورة إبراهيم.

ولقد ذهب الباب بعيدًا عندما أراد أن يبرر أخطاءه في اللغة العربية، فزعم أن هناك أخطاء في القرآن وقال: «فلنجعل من التنوع تجديدًا، ومن مخالفة القواعد

التزامًا بالقواعد الربانية، ولقد شاع هذا النوع من الكلمات في القرآن، فنذكر على سبيل المثال أن كلمة «كلمة» مؤنث وجاءت في القرآن في صورة المذكر في هذه الآية: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران، آية: ٤٥].

ويستخدم القرآن المذكر بدلا من المؤنث في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر، آيات: ٣٥ - ٣٦][٨٨].

ويقول الباب بعد أن ذكر هاتين الآيتين: «أما وقد تطور العالم فلربما يأتي علينا اليوم الذي نقرأ فيه آيات الله على خلاف القواعد وخلاف علامات الضبط التي يستخدمها أهل اللغة»[٨٩].

يريد الباب أن يقول إنه سوف يأتي اليوم الذي ينزل الله فيه كتابًا لا يلتزم فيه بقواعد اللغة على الإطلاق.

إننا ندهش عندما نرى الباب يجعل من نفسه عالمًا من علماء نحو اللغة ويزعم أن في القرآن كلمات تخالف قواعد اللغة العربية، ومع ذلك فلو كان الباب على علم يسير بأبسط مفاهيم اللغة العربية لأدرك أنه لا يوجد أدنى خطأ في الآيتين اللتين جاء بهما، ففي الآية الأربعين من سورة آل عمران، يذكر القرآن أن الملائكة تبشر مريم بكلمة من الله وهذه الكلمة هي المسيح ابن مريم، والأمر هنا لا يتعلق بالمعنى الحقيقي للكلمة التي هي كلام يتألف من حروف الهجاء، وإنما يقصد بها الطفل كما جاء في الآية التالية من سورة آل عمران: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ

(٨٨) مرجع سابق، صفحة: ٩٤.

(٨٩) مرجع سابق، صفحة: ٩٥.

﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، وتعلق الكلمة بهذا الطفل قد ذكر أيضًا في القرآن في الآيات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ من سورة مريم، فالكلمة التي ألقيت إلى مريم هي إذن ذلك الطفل وليس كلمة مكونة من بعض حروف اللغة، ولقد سُمِّيَ هذا الطفل بالكلمة؛ لأنه خلق بإرادة الله دون تدخل من جانب الإنسان، وبالتالي فإن هذه الكلمة تعني إذن الطفل، وهذا الطفل مذكر، فهو ليس إذن كلمة كما يزعم الباب حتى تكون الصفة مؤنثة، وبالتالي فإن التعبير الوارد في الآية «اسمه المسيح» تعبير صحيح، ولو قال «اسمها المسيح» لكان التعبير خطأ؛ لأن المقصود به هو هذا الولد، أما بالنسبة للآية الخامسة من سورة المدثر فقد ورد بها كلمة «كبر» جمع «كبرى»، ولقد اعتبر الباب لجهله باللغة العربية هذه الكلمة جمع مذكر وهي في الحقيقة جمع مؤنث، وبالتالي قال فإن الآية التي ورد فيها هذا اللفظ تشتمل على خطأ، على حين أن الصواب هو ما جاء بالآية.

إن هذا أمر لا يخفى على طفل عربي صغير، ولكن الباب يجهل الفرق بين «كبر» جمع المؤنث وبين «كبار» جمع المذكر، وهذا كله لا يمنعه من القول إن علومه ومعارفه إنما هي من عند الله وإنها غير موجودة لدى عامة الناس، وما هذا الزعم في حقيقته إلا إحدى الكبر، مصداقًا لما جاء في الآية القرآنية، يعني إحدى المصائب العظام.



الفصل الثالث

ادعاء الباب الألوهية

بعد أن أصبح «باب» المهدي، ثم المهدي نفسه، ثم في النهاية نبيًّا، لم يقتنع الباب بوجوب الوقوف عند هذا الحد، وإنما أراد الارتقاء إلى مقام «الربوبية».

ولبيان ذلك نذكر فيما يلي بعضًا من الأمثلة من بين ذلك العدد الكبير الذي يمكننا ذكره والذي يبين نية الباب المبيتة على ذلك.

ففي رسالته التي وجهها -وهو في سجن ماكو- إلى صبح الأزل يقول الباب: «بسم الله الأقدم الأقدم، إنني أنا الله لا إله إلا أنا الواحد، إنني أنا الله الذي يقضي حاجة الناس!... بسم الأقدم -صبح الأزل- أشهد أن لا إله إلا أنا المحبوب العزيز!»(١).

«كن أنت في حضرة الله إذا كنت تستطيع أبلغ أمر ربك إلى جميع الناس بالطريق المناسب للأوامر التي نزلت في البيان»(٢).

«وإذا أظهر الله في زمانك أحدًا مثلك فإنه سيكون وريث الله بعدك، وإن لم يظهر مثل هذا الشخص فكن مؤمنًا أن الله لم يرد التعريف بذاته، فاترك الأمر لله ربك ورب جميع الناس»(٣).

«إن من عند ربك قد علمناه جواهر العلم، فخذ عنه وفي الحق لا يعلمك سوانا(٤)، فأطعه بأمر من ربك بما تستطيع»(٥).

---

(١) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد صفحة: ٥٣.

(٢) مرجع سابق، صفحة: ٥٥.

(٣) مرجع سابق، صفحة: ٥٦.

(٤) يقصد الباب بقوله: «من عند ربك...» أمين سره سيد حسين، وبالتالي فإن الرب هو الباب نفسه.

(٥) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحة: ٥٧.

ويقول الباب في الفصل الخامس من كتابه «الروح»: إن الله يقول: «عندما أظهرنا آية منا لمن قد اصطفيناهم من قبل أخذنا عليهم ميثاقهم ليؤمنن بلقائنا يوم ظهورنا...» ، «إلا أن الكافرين قد استهزؤوا بآيات الله ولم يؤمنوا بها ...، وجعلوا لله أعداء من أنفسهم وألقوا به في سجن الحياة الفانية؛ لأنهم كانوا في شك عظيم...، لقد ألقوا بالرحمن في السجن الخاص بهم ومعه صاحبيه الشابين في صورة ثالث ثلاثة في حين أنه كان من قبل رابع أربعة، وهذان الشابان كانا قريبين من ربهما العليم الحكيم، فيا أيها السجينان، لتعرفا ربكما هذا اليوم في شخص ذلك النور ...»[٦].

وفي كتابه «دلائل السبعة» يجيب الباب على سائله قائلا: «﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء آية: ٤٣]، تنطبق هذه الآية على صاحبة السمو الذات الإلهية التي تعلو عن كل ما قد يقوله عنها أولئك الذين لا يؤمنون بها، فمن يلقي اليوم نظرة إلى بحر التوحيد العميق ومحيط القدم الأزلي سيرى أن الذات العلية تعلو كل هذه الآفاق؛ لأن مرآة الله قد بقيت منذ الأزل لا تنال فيها محامد البشر فكيف يمكن أن تتأثر بادعاءات الفاسقين؟! فهو منزه عن جميع أوصاف الواصفين، فكيف لا يكون منزهًا عن التلميحات المسيئة؟!

اعلم أن الجميع قد خلقوا ليتفكروا في الله، لكن ذلك لا يعني رؤية الذات الإلهية نفسها؛ لأن أبصار المخلوقين لا تستطيع إدراكها، إن رؤية الله تعني إذن رؤيته في شخص نبيه فلا تمكن رؤيته إلا من خلاله، وهذا هو ما تعنيه هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد، الآية رقم: ٢].

---

(٦) هوارت، دين الباب، صفحات: ٣٧ – ٣٩.

إنك ترى حينئذ أن السماء والأرض قد خلقتا لكي تتفكر في الله، فالكل خلق لهذه الغاية، والكل يسعى لتحقيقها ليلا ونهارًا، وترجع أعمال الناس الصالحة في أصلها ومصدرها إلى النبي، ويجب أن تهدف بالضرورة إلى التفكر في الله وإلا لن تعود بثمارها على أصحابها».

«وفكر قليلا فيّ أنعم النظر في الله فلهذا التدبر في الله خلقت البرية، ومقامه الآن في جبل ماكو، والكل يطلبه والكل عنه بعيد والكل يوليه اهتمامًا وما عرفه أحد»[7].

«وفي هذا سر سوف أطلعك عليه، فإنك لم تسمع به من قبل، انظر لأقوام جميع الأنبياء ستجد أن منشأ أعمالهم يكمن في أقوال أنبيائهم، وعليه فإن هذه الأعمال له؛ وحيث إن النبي مرآة الله فلا نرى فيه شيئًا إلا الله -هذا يعني أن الله قد تجسد في النبي-، وحينئذ تكون الأعمال جميعها لله وحده»[8].

وفي كتابه «الرسالة العدلية» يقول الباب: «اعلم أن الله خلق كل شيء ليوم القيامة وهو يوم ظهور ذاته كما تقول هذه الآية من القرآن -راجع الآية الثانية من سورة الرعد المذكورة أعلاه- من المؤكد أن ذلك لا يعني التدبر في ذات الله؛ لأن ذلك أمر مستحيل لا يمكن الوصول إليه، إنما يعني ذلك التدبر فيمن ظهر في الظهور وفيمن لا نرى فيه إلا الله، كما لو أنك وضعت مرآة أمام الشمس ففي هذه المرآة لا نرى غير الشمس...»[9].

«في الآية الثانية من سورة الرعد حيث جاء ذكر رؤية الله وأن هذه الرؤية

---

(٧) دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، ص: ٣١ - ٣٢.

(٨) نفس المرجع، ص: ٢٢.

(٩) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد ص: ٢٠ - ٢١.

هي سبب خلق السماوات والأرض، فمن المؤكد أن معنى قوله: ﴿بِلِقَآءِ﴾ لا يعني لقاء ذات الله، ولكن تعني الرؤية التي تعتريها العين على جبل ماكو»[١٠].

إننا لا نريد في هذا المقام توضيح ما اقترفه الباب من خطأ في تفسير الآيات التي استشهد بها، إنما نريد عرض النصوص التي وضع نفسه بمقتضاها في نفس درجة الإله، وخلع بموجبها صفات الإله على نفسه.

يقول كليمان هوارت في هذا الصدد: «تؤكد رسائل الباب الأخرى أن أتباع الباب يعدونه تجسيدًا للألوهية، وتنص هاتان الفقرتان على ذلك صراحة: «هو الله الملك الأعظم، قل: إنه لا إله إلا الله وكل ما خلقه الله هو له خادم وعبد»، كما توجد رسائل أخرى للباب تظهر بوضوح أن أتباع الباب يرونه تجسيدًا لله، نذكر منها هاتين الفقرتين: «هو الله، الملك الأعظم، قل: ألا لا يوجد إله غيره، وكل ما خلق هو له عبد، إن نقطة الظهور لقب الباب هو الله ذاته، وإن الذين تولوا عن الحقيقة ذلك اليوم لمن المشركين».

وتقول الرسالة الأخرى: «إن نقطة الظهور ليس كأحد من مخلوقاته إنما هو الله ذاته»[١١].

يقول الباب في كتابه «دلائل السبعة»: «يعترف الجميع بوحدانية من يجهلونه، فأتباع المسيح على سبيل المثال يقولون بوحدانية الله بالرغم من أن عبادتهم لله تتوجه في هذه الدنيا إلى من تجسد فيه وهو الله؛ لأنه لا إله إلا رسول الله»[١٢].

---

(١٠) نفس المرجع، ص: ٢٣.

(١١) هوارت، مرجع السابق، ص: ٥٠ – ٥١.

(١٢) دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، ص: ٦٦.

ونرى عند الرجوع إلى أي من كتب الباب أنه يعلن صراحة أنه تجسيد لله وأنه بذلك يتصف بجميع الصفات الإلهية، ونرى أن النصوص التي أوردناها تكفي لتوضيح الرؤية للقارئ.

إننا نجد أنفسنا مرة أخرى مضطرين إلى تفنيد رأي نيكولا؛ لأنه يجتهد - على الرغم من كل ما عرضناه في الدفاع عن الباب- منكرًا أن الباب يقول بنظرية تجسد الله في الإنسان، يقول نيكولا في تمهيده لترجمة كتاب «البيان العربي» تحت عنوان «الباب والتجسيد»: «وهناك خطأ ثانٍ قد بلغ في الغرابة حدًّا لا يمكن تصديقه، ويتمثل هذا الخطأ في القول: إن الباب يقول بالتجسيد، وإن جميع الأنبياء الذين جاؤوا بالتتابع إنما هم مظاهر الألوهية المختلفة التي تنزلت من درجة الخالق لترتدي ثوب المخلوق.

ولا يمكن لأحد مطلقًا أن يتصور أن مثل هذه الفكرة يمكن أن تتأتى إلى عقل رجل فارسي إلا أن يكون مختلا عقليًّا، إن ما يثير غضب الشيعة ويشعل الحنق في صدورهم ليس أننا ننكر رسالة محمد ﷺ، وليس لأننا نشرب الخمر أو نأكل لحم الخنزير، أو لأننا نترك نساءنا يخرجن سافرات الوجه، لكن ما هو أفظع من ذلك كله وهو اعتقادُنا في ألوهية المسيح، وإيماننا بالتجسيد، فهذا بالنسبة لهم يعد كفرًا بواحًا يجعلنا نستوجب العذاب الأليم والمقيم، ومجرد الاعتقاد بأننا يمكن أن نكون على قناعة بحقيقة هذه الأقوال الكافرة يعد أمرًا يثير اشمئزازهم»[١٣].

وبذلك يؤكد السيد نيكولا أن الباب لا يقول بنظرية التجسيد لكن ما هو الدليل الذي يقدمه لتأكيد كلامه؟ إنه يبحث عن هذا الدليل عند الشيعة؛

(١٣) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحات: ١٩- ٢٠.

إذ يرى أنهم يعدون تجسيد الله من أكبر الكبائر، ويريد أن يقول أيضًا: إن من آمن من الشيعة بالباب ما كان ليؤمن به لو علم أنه من القائلين بعقيدة التجسيد، إننا لا نعلم كيف تفتق ذهن السيد نيكولا عن هذه الفكرة، وقد كان على دراية بمصدر البدع التي ظهرت عند العديد من فرق الشيعة الفارسيين، ألم تكن فرق الإسماعيلية الباطنية والقرامطة والفاطميين والدروز والحشاشين وجميع الطوائف الإمامية المتشددة من الشيعة والفارسيين؟! ألم تظهر التعاليم المنكرة لأولئك الشيعة في بلاد فارس والعراق؟! تلك التعاليم القائمة على عقيدة تجسيد الله في جسم إنسان بل وعلى ما هو أكثر استهجانًا وهو المذهب القائل بالتناسخ وهو انتقال الروح الإلهية من جسد إنسان إلى جسد آخر، فتنتقل من نبي إلى نبي ومن إمام إلى إمام، ومن الواضح لنا أن السيد نيكولا قد استشعر ضعف حجته فأضاف إلى ما ذكره من قبل أدلة أخرى يمكن أن تساعد في تفنيد التهمة الموجهة إلى الباب بشأن قوله بعقيدة التجسيد، ولكن للأسف لم تزد إضافته إلا تأكيدًا لتهمة الباب، وهذا من شأنه أن يبين لنا الطريق الذي اتبعه الباب لكي يستطيع أن يثبت زعمه أنه تجسيد لله، كما سنرى فيما يلي.

ويضيف السيد نيكولا إلى ما سبق قائلا: «... لماذا ننسب حينئذ مثل هذه الفكرة إلى الباب؟ لماذا؟ وعلى أي أساس؟ ألم يقل دائمًا إن الله لا تدركه الأبصار، ولا تتصوره العقول، ولا تحدده الأسماء، ولا تصفه الصفات؟ ألم يجعل بين الخالق والمخلوق هوة سحيقة يستحيل تخطيها؟ ألم يضطر حينئذ إلى تفسير قول الله: ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾»[١٤].

لقد نقل السيد نيكولا عن الباب الآية الثانية من سورة الرعد وكذلك

(١٤) مرجع سابق، صفحة: ٢٠.

تفسير الباب لها، حيث يقول: «مما لا شك فيه أن قوله: ﴿بِلِقَآءِ﴾ لا يعني لقاء الذات الإلهية، إنما يعني الرؤية التي نتمتع بها على جبل ماكو»[١٥]، ومن الواضح لنا أن تفسير الباب لا يمكن أن يحمل معنى آخر سوى أن يقصد به الباب الذي تجسد الإله فيه على جبل ماكو، ويضيف السيد نيكولا في هذا الموضع من هذا الشاهد ملاحظة لا تدع مجالا للشك في هذا الصدد حيث يقول: «أي الباب المحبوس على جبل ماكو»[١٦].

وينقل أيضًا السيد نيكولا عن الباب تفسيره للآية الثانية من سورة الرعد حيث يقول الباب: «ما كان وما يكون من شك أن قوله: ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾ لا يعني رؤية الذات الإلهية، حيث لا تدركها الأبصار وهي تدرك الأبصار... إنما يمكن أن يراد بالمعنى رؤية صورة الحق...»[١٧]، وهذا أيضًا لا يدع مجالا للشك فيما يزعمه الباب، حيث يقول بوضوح: إنه «صورة الحق»، إننا نرى في ذلك طريقة الباب الغريبة التي اعتمد عليها الباب في تفسير العبارة الأخيرة من الآية التي استند إليها؛ لأن هذه الآية تتحدث عن وقوف الناس بين يدي ربهم يوم القيامة وليس عن رؤية الناس للباب على جبل ماكو.

ومن أجل أن ينفي عن الباب قوله بنظرية التجسيد استند السيد نيكولا إلى رسالة وجهها الباب إلى رجل يقال له سيد تقيّ، وهذا نصها: «يتعلق سؤالك الثالث بمعنى قول الفلاسفة: «الواحد لا يصدر عنه إلا واحد» إن مضمون هذه الكلمة في جوهرها محض كذب إذا كان يقصد بالعلة الذات الإلهية المطلقة، فالله لا يتحد مع الأشياء ولا يمكن أن يصدر عن ذاته شيء، وإذا كان يقصد بالعلة الذكر

(١٥) مرجع سابق، صفحة: ٢٣.

(١٦) مرجع سابق، صفحة: ٢٣، ملاحظة ٣.

(١٧) مرجع سابق، صفحة: ٢٣.

الأول يعني مَنْ خَلَقَهُ الله فإن هذه الكلمة تكون صحيحة... ليس من الممكن أن يخلق الله شيئًا من العدم إلا إذا كان ذلك الشيء واحدًا؛ لأن المرتبة الأولى من مراتب الذكر هي إثبات وحدانية الله، وأما قول الفلاسفة: «ذات الله هي العلة التي تمنح الوجود لسائر الموجودات» فهو كذب؛ لأنه لا يوجد توحد بين الله وبين الأشياء، وليس من الممكن أن تكون ذات الله محلا للتغيُّر، وعليه فإن الحق أن تقول: إن علة وجود الأشياء هي الذكر الأول الذي خلقه الله من عدم وجعل منه العلة التي تمنح الوجود إلى الموجودات ولا خالق في هذه الدنيا إلا الله وحده[١٨].

يزعم الباب فيما سبق أن الذكر الأول -ويقصد بذلك نفسه- خلقه الله الخالق الوحيد لهذا الكون، غير أنه يقول في الوقت نفسه: إن هذا الذكر الأول هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله، وإن هذا الذكر الأول هو العلة الخالقة لجميع المخلوقات، ثم يردف الباب قائلا: ما قلته لك بشأن قول الفلاسفة: «الواحد لا يصدر عنه إلا واحد» كنت أقوله لك بشأن المعنى الظاهر. أما تفسير هذا القول وفقًا لمعناه الباطن فهو ما يلي: ليس ثمة شك في أن الذات الإلهية لا تتحد مع المخلوقات حتى تصبح محلا تصدر عنه الأشياء، وعلة الإرادة -الباب- ليست هي الذات الإلهية؛ لأنها لو كانت كذلك للزم أن يكون الله مشابهًا للحوادث، والله منزه عن أن يُحد بمحل يصدر عن الواحد -أي الباب نفسه- والذين يقولون: إن علة وجود الواحد في مرتبة البشر -الباب باعتباره بشرًا- هي ذات الله يضطرون إلى القول: إن الله محل لتغيُّر الحوادث، فالله قبل أن يخلق الخلق كان في وضع ما، فلما خلق الخلق وجد نفسه في وضع جديد، ومما لا شك فيه أن هذا قول خاطئ، والحق أقول لكم فلا سبيل لأحد في الوصول إلى الذات الإلهية، فهي موجودة

---

(١٨) مرجع سابق، صفحة: ٢٦ – ٢٨.

بذاتها أزلا، ولا شيء يساويها، ولا شيء يصدر عنها، وليس لها من شبيه في ذاتها، ولا شيء ينفصل عنها، فهي التي خلقت الواحد -الإرادة الأولى- من نفسها وبنفسها وحددت علة وجود جميع الموجودات[19].

كما استند السيد نيكولا أيضًا إلى رسالة بعثها الباب إلى شخص يدعى أغا عبد الله قزويني يقول فيها : «صدقت فيما كتبت بأن باب الإمام لا بد أن يكون بالضرورة مرآته، وهذا حق لا ريب فيه، كما أن الإمام هو مرآة الله ولا نرى من خلاله إلا الله؛ إذ لم يجعل الله بينه وبين مرآته اختلافًا، اللهم إلا في درجة العبادة»[20].

هكذا استند السيد نيكولا في حجته إلى النصوص المذكورة أعلاه وكذلك إلى نص آخر سوف نتناوله بالدراسة فيما بعد، وقال: إن هذه النصوص لا تسمح بادعاء أن الباب كان من أنصار نظرية تجسيد الله، إن موقف السيد نيكولا يعد موقفًا غريبًا؛ لأنه يأتي بنصوص الباب لإثبات ما يريد أن يقوله عن الباب إلا أن هذه الأدلة في حقيقتها تعد دليلا على خلاف ذلك، وما نستطيع استخلاصه من جميع هذه النصوص أن الباب يقول ما يلي:

١ - إن الله واحد وإنه هو الخالق وحده.

٢ - إن الذات الإلهية لم تخلق هذا الكون؛ لأنها لو كانت كذلك للزم القول إن هذه الذات الإلهية قد طرأ عليها تغيير، وهذا التغيير يتأتى من أن الله قبل خلق الكون لم يكن خالقًا، ثم تغيرت صفته بعد الخلق إلى خالق، وعليه يرى الباب أن هذا محال على الله؛ لأن الله منزه عن أي تغيير.

(١٩) مرجع سابق، صفحة: ٢٩- ٣١.

(٢٠) مرجع سابق، ص: ٣١.

٣- إن خالق هذا الكون في الحقيقة هو الذكر الأول أو الإرادة الأولى، أي الباب نفسه.

فمن الذي خلق الذكر الأول؟ يجيب الباب على هذا السؤال بإجابتين متناقضتين، فيقول في الأولى: إن الله هو خالقه، ويقول في الثانية: إن الذكر الأول ليس ثمرة فعل إلهي، وإنما هو انبثاق عن الذات الإلهية، فهذه الذات الإلهية هي التي خلقت الإرادة الأولى وجعلتها علة وجود جميع الموجودات.

ومع ذلك، يقول الباب بوجوب الأخذ بالإجابة الثانية، وبهذا القول يسعى إلى تحقيق غايتين: أولاهما القدرة على ادعاء مشاركة الله في القدم، وثانيهما ادعاء أنه قد انبثق عن الذات الإلهية، وليس مخلوقًا بفعل الذات الإلهية، إنما خلق منها وبها؛ لأنه يرى أن الذات الإلهية ليس لها صفات ولا قدرة على الفعل، وبالتالي ليست قادرة على الخلق، فهي لا تقدر على الفعل والخلق إلا بعد تجسيدها، وهذا التجسيد هو القادر على الفعل والخلق وهو الذي تجب له جميع الصفات، هذه هي القاعدة التي استند إليها الباب في ادعائه الألوهية، وبناء على تلك الفكرة التي تجرد الله من جميع صفاته ومن قدرته على الخلق زعم بهاء الله كذلك أنه الله بعد أن قصر دور الباب على أنه مجرد مبشر بمجيئه إلى الدنيا كتجسيد حقيقي لله.

إن تجريد الله من جميع صفاته الإلهية ومن جميع قدراته على الخلق واستخدام ذلك في ادعاء القول إن جميع هذه الصفات والقدرة على الخلق يتصف بها من تجسدت فيه ذات الله وهو الباب أو بهاء الله، هو أمر ثابت بوضوح في جميع كتابات هذين الرجلين وأتباعهما، فنجد على سبيل المثال الجرفادقاني وهو أحد كبار القائمين على نشر العقائد البابية -خاصة عقائد بهاء الله- يقول: إن الله عقل خالص ليس له أسماء ولا صفات، وإن طبيعة هذا العقل الخالص ليست قادرة

على الفعل والخلق، وإنها لكي تكون قادرة على ذلك فإنه يلزمها واسطة تتمثل في أداة ملموسة تتصف بجميع الصفات الإلهية التي يطلق عليها جميعًا أسماء الله الحسنى ويتوجه إليها الناس بالعبادة، ويوضح قائلا: إن جميع الصفات والأسماء وهي: العليم والقدير والحكيم والعليّ... إلخ، مما يدعو الناس به الله، ليست في حقيقة الأمر إلا صفات وأسماء هذه الواسطة المحسوسة التي تجسدت في صورة إنسان[21].

هذه هي القاعدة التي تقوم عليها العقيدة البابية فيما يتعلق بالألوهية، ويمكن بذلك إخراج الباب من التناقض الذي وقع فيه؛ لأنه عندما يقول إن الله ليس خالقًا للكون، فإنه يقصد بذلك أن الذات الإلهية -أي العقل الخالص- في حد ذاتها غير خالقة، دون أن يأخذ الواسطة المحسوسة في الاعتبار، ولكن عندما يقول الباب: «إن الله خالق هذا الكون الذي ليس له خالق غيره»، فإنه يعني بذلك أن الذي خلقه هو من تجسد الله فيه، يعني الذكر الأول وهو الباب.

يقول كليمان هوارت في كتابه «دين الباب»: «لم تكن عملية الإعدام عادية كما هو المعتاد في مدينة تبريز، فلم يكن الرجل قاطع طريق ولا سفاحًا شهيرًا ولا واحدًا من مطاريد الجبال ممن يشهد عذابهم طائفة من المؤمنين، بل كان نبيًّا يقول إن الله قد تجسد فيه، مما دفع قضاة الحركة الإسلامية المتشددة إلى الحكم باستحلال دمه ثمنًا لزندقته؛ إذ جاء بقرآن جديد وتجرأ على وضعه مقارنًا به القرآن الذي -كما نعلم- يتميز بالقدم في الزمان والمكان باعتباره كلام الله.» (ص: ٢).

ثم يتبع هوارت قائلا فيما بعد: «تخلى علي محمد عن لقب «الباب» الذي

(٢١) الحجج البهية للجرفادقاني، ص: ٢٤ وما يليها، والدرر البهية ص: ٢٢ - ٢٣، وص: ٥٤ - ٥٥.

كان قد خلعه على نفسه في خضم تلك الثورة وفي ظل الشواهد الدالة على شعبيته المتزايدة من أجل أن يعلن أنه النقطة الكاملة، يعني بذلك المحور الذي يقوم عليه هذا العالم، ويمكن القول إنه يعد نفسه تجسيدًا لذات الله، وأحب أتباعه أن يطلقوا عليه منذ تلك اللحظة اسم «حضرة الأعلى» (ص: ١١).

هاتان مرحلتان فاصلتان في المذهب الجديد: في المرحلة الأولى يفصح علي محمد لتلاميذه عن نفسه بأنه نبي مكلف بنشر الحق بين الناس باسم الدين الجديد، ولم يكن في البداية يظهر نفسه إلا في صورة رجل يدعو الناس إلى الالتزام بقواعد الأخلاق، وفي المرحلة الثانية يخطو خطوة أخرى ويجعل من نفسه تجسيدًا لله، وفي هذه الخطوة يكتمل مذهب الباب باعتباره دينًا جديدًا. (صفحة: ١٢).

وانتهى الأمر بالباب إلى اعتباره من جانب تلاميذه تجسيدًا لله؛ ولذلك أطلقوا عليه اسم «حضرة الأعلى».

إن الله المجرد من الصفات الذي تحدثنا عنه فيما سبق والذي لا تدركه الأبصار ولا تتصوره العقول، ما كان بوسعه وضع أساس الشريعة إلا بصعوبة بالغة ولكنه ظهر في صورة كل ما صدر عنه محيطًا بالعالم أجمع في صورته المادية أو الغيبية فظهر للناس متجسدًا في عدة أشخاص اصطفاهم والباب بالطبع واحد من هؤلاء؛ لأن العديد من الرسائل التي ذكرناها فيما سبق لا تترك أدنى شك في إثبات ذلك، ومما لا شك فيه أن سلسلة النسب الإلهي للباب ترتبط ارتباطًا غير مباشر بالحركة الكبرى القائمة على احتكار معرفة الأسرار الربانية التي ظهرت في بدايات تطور الدين المسيحي، فالله واحد بلا شك، ولكنها وحدانية فاعلة تتصرف من خلال اتصالها الوثيق بالناس وهي صادرة عن ذاته. (صفحة: ٤٥ - ٥٥).

إن ما يذكره كليمان هوارت في هذا الصدد يؤكد تمامًا ما قد ذكرناه آنفًا، وهو العلم بأن نظرية تجسيد الله هي القاعدة الأساسية في المذهب البابي، ولقد رأينا أن جميع نصوص الباب بما فيها ما رواه عنه وتناوله بالشرح السيد نيكولا بهدف تبرئة الباب من تهمة القول بالتجسد لا تزيد التهمة إلا ثبوتًا عليه، وتجدر الإشارة إلى أن السيد نيكولا قد أهمل بعض نصوص الباب التي هي أكثر وضوحًا وأكثر إقناعًا من تلك التي ذكرها، ونحن لا نعرف في حقيقة الأمر كيف استطاع السيد نيكولا تفسير النص التالي لصالح الباب:

«هو الله الملك الأقدس، قل إنه لا إله إلا هو، وكل ما دونه خلق له خادمًا وعبدًا، إنه نقطة الظهور -يعني الباب- والذين ضلوا عن الحقيقة ذلك اليوم لهم المشركون»، «ونقطة الظهور ليس كأحد خلقه، وإنما هو الله ذاته»[٢٢].

ويقول الباب في كتابه «دلائل السبعة»: «يقر الجميع بوحدانية من يجهلونه، فعلى سبيل المثال يقول أتباع المسيح بوحدانية الله، إلا أن عبادتهم لله تنصرف في الدنيا إلى من ظهر الله فيه ويكون هو الله؛ لأنه لا إله إلا رسول الله» (ترجمة نيكولا، صفحة: ٦٦)، فكيف يمكن بعد هذه النصوص إنكار أن الباب كان يقول بنظرية تجسد الله؟ هذا بالإضافة إلى أن هذه النصوص لا تؤكد فقط تجسيد الله وإنما توحده أيضًا مع الباب، وربما استطاع السيد نيكولا أن يجيب على السؤال الذي طرحناه من خلال القول إن العلاقة بين الله و«الذكر الأول» -يعني الباب- لا يجب اعتبارها تجسيدًا لله، وإنما هي علاقة نور الألوهية وقد شع سناه على «الذكر الأول» تمامًا كأشعة الشمس على الأشياء، وبهذا الانعكاس وصف الباب نفسه وبهاء الله من بعده بأنه «وجه الله» و«نور الله» ووصف جميع البابيين البهائيين

(٢٢) راجع الملاحظة رقم ٢.

الأنبياء بأنهم انعكاس لنور الله، وهم يشبهون العلاقة بين الله والأنبياء بالمرآة التي تعكس الشمس، ويمكن القول إن البهائيين إذا ما قبلوا هذا التأويل للعلاقة بين الله والأنبياء فإنهم لا يقبلونه بالنسبة لبهاء الله؛ لأنهم يقولون: إن الأنبياء انعكاس للألوهية، أما بهاء الله فهو ظهور الله ذاته، ولم يكن الباب قبل بهاء الله يقبل أن يكون بينه وبين الله علاقة ضعيفة تجعل منه مجرد انعكاس لله، فهو يزعم أنه الأول والآخر والظاهر والباطن وهي الصفات التي وصف الله بها نفسه (الآية: ١٧ من سورة الحديد)، ولقد رأينا من قبل أنه جعل من نفسه الله ذاته.

إن من أشد ما يثير دهشتنا من جانب السيد نيكولا -الذي يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى دحض التهمة الموجهة إلى الباب- هو سعيه إلى إثبات توحد الله مع «الذكر الأول» وهو الباب، فيقول في إحدى ملاحظاته التفسيرية الخاصة بإحدى فقرات كتاب «دلائل السبعة» التي يصف فيها الباب نفسه بأنه الذكر الأول: «يتصل الذكر الأول اتصالا وثيقًا بالخالق؛ إذ يشاركه في الواقع في صفاته وقدرته، ولإدراك ذلك يكفي تشبيه الخلق بالظاهرة التي تنشأ عندما نشعل مصباحًا، حيث نجد الشعاع الأكثر قربًا من مصدر الإضاءة هو الأكثر سطوعًا والأكثر إضاءة والأكثر نقاء والأكثر حملا للصفات الخاصة للضوء، ثم ينتشر الضوء في صورة موجات متتابعة وينخفض شيئًا فشيئًا حتى يتلاشى تمامًا، فالموجات الأولى الشديدة القرب من مصدر الضوء لدرجة الاختلاط به تمثل العلاقة بين الألوهية والنبوة، هذا ومن السهل أن نتخيل عمليًا أن تكون الدرجة الخاصة بالوسطاء بين الله والناس أعلى من الدرجة الخاصة بالناس، وبمتابعة هذه الطريقة في المقارنة سوف نندهش مما يتكون منه المصباح، حيث يشتمل على زيت ونار، فالزيت الموجود غير معلوم لنا حتى يتبدى لنا في صورة تلفت انتباهنا

وهي صورة النار، وهذه النار ما هي إلا ظهور يدل على وجود الزيت ويثير دهشتنا بموجاته الضوئية الأولى التي تصدر عنه، وبدون هذه الموجة الأولى لا يوجد النور، ومن الصواب أيضًا أن نقول: وبدون النار فإن الموجة الأولى ينعدم وجودها، وهذا يدل بوضوح على أن وجود هاتين الظاهرتين يعتمد على ارتباط إحداهما بالأخرى ارتباطًا وثيقًا، ولقد رأينا أن الموجة الأولى بالنسبة للنار مثل النبوة بالنسبة لله، ويمكننا أن نقترب أكثر من هذا المثال ونشبه النار بالذكر الأول والزيت بالله، وسوف نجد -كما قلنا- أنه بدون النار يبقى الزيت مجهولا بالنسبة لنا، ولكن هل النار إلا الزيت نفسه؟ فهما مع اختلافهما في الشكل والصفات يمثلان شيئًا واحدًا» (ملاحظة صفحة: ٤).

إننا لا نريد أن نبين في هذا المقام الخطأ الذي اشتمل عليه هذا التشبيه، ولكننا نتساءل كيف أمكن لصاحب هذا التعليق الذي يثبت توحد الذكر الأول مع الله أن ينكر أن الباب قد اعتبر نفسه تجسيدًا لله؟ ولقد قلنا فيما سبق إننا سوف نتناول بالدراسة نصًّا يستند إليه السيد نيكولا في مسألة تجسد الله في شخص الباب، وهذا نص ما أخذه الباب من السورة التي يزعم الباب أنها نزلت عليه في محبسه بجبل ماكو: «فوجود الولاية يتوقف على كلام النبي، والنبوة مستمدة من كلام الله الذي ينطق به النبي، والذات الإلهية لا تتجسد في حقيقة الأمر في أي شخص»[٢٣]، فإذا أخذنا هذا النص على حدة لوجدناه دليلا على نفي تجسد الله في نظر السيد نيكولا الذي ينبري للدفاع عن الباب في هذه القضية، وهذا هو النص الوحيد الذي يمكن للسيد نيكولا أن يستند إليه في واقع الأمر في دفاعه عن الباب، ولكن المسألة التي ينبغي أن نضعها في الاعتبار هي مسألة الملابسات التي كتب الباب فيها هذا النص

---

(٢٣) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحة: ٢٤.

والهدف الذي كان ينشده من خلال ذلك، فمعرفة هذه الملابسات يمكن أن تساعد على فهم نية الباب، ولكن نيكولا لا يقدم لنا أي تفسير في هذا الشأن، ومع ذلك فإنه يمكن أن نستغني عن هذه الملابسات بالقول: إن كل من اهتم بدراسة البابية البهائية ولديه علم بمذاهب الطوائف المختلفة التي خرجت من رحمها، فإنه يدرك تمامًا أن جميع هذه الطوائف بما فيها طائفة البابية البهائية تسلك هذا المسلك والذي يتمثل في أن يدسوا في جملة أفكارهم الكافرة كلامًا إذا ما نُزِعَ من سياقه فإنه يحظى برضا أهل السنة من المسلمين، ولقد اتبعت تلك الطوائف هذه الطريقة دائمًا بنية وهدف إضلال البسطاء من الناس وإيهامهم بأن هذه الهرطقات لا تبتعد عن منهج أهل السنة، ولقد سعوا أيضًا وراء تحقيق هدف آخر وهو القدرة على اللجوء إلى هذه الطريقة في كل مناسبة يضطرون فيها للدفاع عن أنفسهم إذا ما اتهموا بالكفر، ولكن عندما يزول مثل هذا الخطر أو المخاطرة ويتواجد الزنادقة وحدهم فإنهم يستطيعون حينئذ تفسير أقوالهم التي تُرْضِي أهل السنة بطريقة تجعلها مقبولة في مذاهبهم الباطلة، ولا تتطلب هذه الطريقة من الباب ولا من بهاء الله ولا من كبار تابعيهم أدنى مجهود؛ لأنهم يستطيعون كعادتهم أن يقولوا إن المعنى الباطن والحقيقي لهذا الكلام يختلف تمامًا عن معناه الظاهر، ولقد أوردنا في هذا البحث العديد من الأمثلة على تلك الطريقة، ومع ذلك فإننا نريد أن نأتي بمثال آخر يوضح مدى السهولة التي كان الباب يؤكد بها شيئًا ثم ينفيه فيما بعد، وهذا هو المثال:

أولا: يقول الباب: «إن كل كلمة من الكلمات التي أجرى الله معناها على لساني لا تُعَدّ شيئًا على الإطلاق بجوار كلمات كتاب الله -القرآن- وأمام كلمات أهل الحياء -الأئمة-»[٤٣٦].

---

(٢٤) مرجع سابق، التمهيد، صفحة: ٨٣.

ثانيًا: يقول الباب أيضًا: «إن وجودي وصفاتي وكلماتي التي تجري على لساني أو يخطها قلمي والتي ستستمر بإذن الله لا تعدل كلمة واحدة من كلمات أهل الحياء -الأئمة-»[٢٥].

ثالثًا: يقول الباب: إن الله يقول لي : «اعلم حقًّا أن آية من الآيات التي أنزلناها عليك في الكتاب بإذن الله تعدل في حكم ربك الآيات التي نزلت على جميع الأنبياء وتعدل جميع الدلائل التي يطلبها الناس منك»[٢٦].

إننا لا نجد تعليقًا يمكن أن نضيفه إلى هذا المثال الوارد في هذه النصوص الثلاثة!

لنرجع إلى نص الآية نفسها والتي يزعم الباب أنها أوحيت إليه، لقد رأينا أن الباب بيَّن أنه الذكر الأول وأنه لم يخلق مثل بقية الخلق وإنما صدر عن الذات الإلهية من نفسه وبنفسه، ولم يرد مع ذلك أن يكون صادرًا عن الذات الإلهية؛ إذ إنه قال -ونحن نكرر ما قال-: «إن علة الإرادة -الذكر الأول والذات الواحدة- ليست هي الذات الإلهية؛ لأنها لو كانت الذات الإلهية للزم ذلك القول إن الله من الحوادث، وتعالى الله أن يكون صادرًا عن الذات الواحدة»، وعليه إذا كان كل ما في الكون من خلق الذات الإلهية أو بالأحرى من خلق الذكر الأول فإن الذكر الأول موجود من غير أن يكون من صنع الذات الإلهية أو من خلقها، ولما وضع الباب نفسه خارج دائرة المخلوقات يمكن أن يزعم -كما جاء في آيته المذكورة- أن الذات الإلهية لا تتجسد في أحد من الخلق، وهذا لا يؤكد مطلقًا إنكار الباب أنه

(٢٥) مرجع سابق، صفحة: ٩١.

(٢٦) مرجع سابق، صفحات: ٨٥ – ٨٦.

تجسيد لله؛ وذلك لأنه الذكر الأول الذي ليس من خلق الله، فإن تجسد الله فيه أو توحده معه لا يمثل تجسيدًا لله في أحد من خلقه أو توحدًا معه.

وبناء على ذلك فإنه يمكننا القول: إن مذهب تجسيد الله إذا كان مرفوضًا في جميع الأديان السماوية فهذا لأنه يشتمل على مفهوم إشراك الإنسان بالله، فإذا ما زعم أحد أن بينه وبين ذات الله علاقة خاصة يستطيع من خلالها أن يزعم نفسه أنه الخالق لهذا الكون ويصف نفسه بأسماء الله وصفاته، فإن هذا زعم للألوهية نفسها، سواء أكانت تلك العلاقة علاقة توحد أو تجسيد أو انعكاس للذات الإلهية، ولقد رأينا الباب يزعم أن بينه وبين ذات الله علاقة وثيقة وحميمة تسمح له أن يصف نفسه بـأسماء الله وصفاته، ويزعم أنه الذكر الأول الذي خلق الكون، أما الذات الإلهية فإنها لم تخلق شيئًا حتى الذكر الأول نفسه؛ لأنه وجد بنفسه ومن نفسه.

إن زعم الباب للألوهية أمر لا يستطيع أحد أن ينكره، والسيد نيكولا نفسه لم يستطع إنكاره، وكل ما بذل فيه وسعه من أجل إقامة الحجة لصالح الباب في مسألة التجسيد لا قيمة له؛ لأن الباب يثبت التهمة على نفسه بقوله إنه هو الله.



الباب الثالث

عقائد البابية وشريعتها

الفصل الأول

أولا: عقائد البابية

لقد تناولنا في الفصل الخاص «بمذهب الباب» بعض عقائد البابية التي تتعلق بمسألة الألوهية وحياة الإنسان الآخرة والأنبياء، أما عقيدة البداء التي توليها البابية اهتمامًا خاصًا، فسوف نتناولها في فصل خاص.

ولقد رأينا فيما يتعلق بالألوهية أن مفهومها عند الباب يختلف عن مفهومها لدى سائر الديانات السماوية، وعلى الرغم من أن الباب يؤمن بوحدانية الله، إلا أنه ينكر إثبات أي صفة أو أي قدرة على الخلق لله مع إثبات جميع الصفات والقدرة على الخلق لما صدر عن الذات الإلهية.

وعلى الرغم من توحيده لله إلا أن هذا التوحيد لا يعني ما نقصده عمومًا بهذه الكلمة، حيث إنه يقصد بها توحد الذاتين: الذات الإلهية وما صدر عنها.

أما ما يتعلق بآخرة الإنسان فإن الباب لا يؤمن بالبعث ولا بالثواب أو العقاب الروحي أو المادي كما هو مقرر في الديانات السماوية، فهو يرى أن بعث الناس قد وقع يوم ظهوره، أما الحساب فإنه يتم على مرحلتين:

تتمثل المرحلة الأولى وهي ما يسميها «بالحساب الأصغر» في محاسبة كل نبي قومه على ما فعلوا فيما يختص بالتعاليم التي جاء بها النبي السابق.

أما المرحلة الثانية وهي ما يطلق عليها مرحلة «الحساب الأكبر»، فإنها لن تتأتى إلا عندما يعود الباب إلى الدنيا في صورة شخص آخر يدعى «من يظهره الله» والذي يعد ظهوره ظهورًا لله نفسه، ويرى الباب أن الثواب -أي الجنة-

للناس تتمثل في الحاضر في حب الله عندما يظهر في شخص الباب، ويتمثل في المستقبل في حب من يظهره الله، وهو الباب أيضًا.

وهذا يعني أن ثواب الناس يكون في الشعور بالرضا الذي يبديه والذي سيبديه الباب لكونه محبوبًا من الناس، فجنة الإنسان عنده توجد على الأرض؛ لأن من يحب الله يعني من يحب الباب يَعِشْ فيها، وسوف يقيم الإنسان في هذه الجنة طالما يحب من يظهره الله، أي طالما يحب الباب.

أما العقاب، فإن الباب يطلق عليه «النار» وهو يتمثل في حالة الإنسان الذي لم يتوجه بالعبادة إلى الله، والذي لم يتوجه بها إلى من يظهره الله، فعقاب الإنسان يتمثل في عدم اكتراث الباب به أو تحقيره أو كرهه لمن لم يرض عنه[1].

أما ما يتعلق بالأنبياء، فإن الباب يجعل منهم، بخلاف الإسلام، ليس مجرد بشر وإنما تجسيدًا لله، أو على الأقل انعكاسًا للذات الإلهية، وهذا الانعكاس لا يتم إلا عن طريقه؛ لأنه بعدما صدر عن الذات الإلهية تجسد في جميع الأنبياء وأصبح آدم، ونوحًا، وإبراهيم... إلخ.

ولقد رأينا في الفصل السابق أن الباب قد أوجد في البابية عقيدة تجسيد الله، وهذه العقيدة ترفضها جميع الأديان السماوية؛ لأنها من الشرك الخالص.

ومن بين عقائد الأديان السماوية تتجلى العقيدة التي تقول إن الله هو خالق الكون وحده وإن ما دونه حادث، ولقد زعم الباب -كما سبق ورأينا- أنه هو

---

(١) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحات: ١١٨- ١٢٤. مرجع سابق، المخطوطة، الجزء الثاني، الأبواب: ٧- ١٨. الميرزا علي محمد الباب، رسائل وخطب، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، رقم ٦٥١٨، صفحة ١٣٣.

خالق هذا الكون، وفي الوقت نفسه زعم أن الله هو خالق هذا الكون وأن خلقه ليس له بداية.

إننا لا نريد الوقوف في هذا الصدد على التعارض الواقع بين هذين القولين للباب، والذي يقول في أحدهما: إنه هو خالق هذا الكون، ويقول في الثاني: إن الله هو الخالق، إن ما نريد أن نتحدث عنه في هذا المقام هو قوله المخالف لجميع الأديان السماوية والذي يرى أن خلقه ليس له بداية.

يقول الباب: «إن خلقه ليس له بداية، ولن يكون له نهاية؛ لأنه لو كان له نهاية للزم ذلك أن يكون لنعمه نهاية»[٢].

ويعلق السيد نيكولا على هذا الكلام في عبارته قائلا: «وخالق هنا صفة من الصفات الأزلية شأنها شأن الصفات التي يمكن أن ندركها بقدراتنا العقلية الضعيفة، ويسند الدين المسيحي والإسلامي هذه الصفة إلى الله في لحظة معينة ويجردانه منها فيما سبق هذه اللحظة أو جاء بعدها، وهذه معلومة خاطئة؛ لأن الله خلق الخلق منذ الأزل وهو خالق ولا يزال خالقًا، وإذا توقفت قدرته على الخلق لتوقف عمل رحمته مثل سائر صفاته، ولكنه خلق الخلق في حقيقة الأمر ليعرفوه، ومعرفة الله هي الغاية وعلة الخلق الأولى والأخيرة وهنا تكون النعمة، فإذا كان هناك غياب نهائي للخلق في فترة من الفترات فإنه لن يكون هناك مجال لعمل نعمة الخالق وهي رحمته، وبالتالي فلن يكون هناك معنى لوجود الله، وبالتالي لن يعود له وجود، وهذا محال»[٣].

---

(٢) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢.

(٣) مرجع سابق، صفحة: ٢، ملحوظة: ٢.

ولكي يقول إن الخلق ليس له بداية ولا نهاية؛ استند الباب إلى البرهان المنطقي الذي يقول: إذا كان الخلق له بداية، وحتمًا ستكون له نهاية، فإن ذلك يقتضي أن يكون لأنعم الله نهاية، ويريد الباب والسيد نيكولا من خلال هذه الفكرة أن يقولا: إن أنعم الله -أو بالأحرى ظهور النعمة، وهي خلق الكون- قديمة، ويريدان بذلك وضع خلق الكون الذي هو عمل إرادي لله في نفس مرتبة صفات الله المقطوع بقدمها مثل العلم والقدرة... إلخ. هذا بالإضافة إلى أنهما أقاما الدليل على ذلك بما يزعمونه حديثًا قدسيًّا: يقول الله فيه: «كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ»[4]، وبذلك ارتكب الباب ونيكولا خطأين:

أما الأول: فلأنهما أرادا وضع أفعال الله في نفس مرتبة صفاته الأزلية.

والثاني: هو استنادهم إلى الحديث القدسي للاستدلال على أن العالم ليس له بداية.

وفيما يتعلق بالخطأ الأول فلا بد من القول إنه ليس من العدل في شيء أن نضع أفعال الله وصفاته في درجة واحدة، فصفات الله لا تنفك عن الله فهي لازمة للذات الإلهية لا تنفصل عنها، وهي قديمة قدم الذات، وهذه الصفات -على سبيل المثال- هي: العلم والقدرة والإرادة المطلقة؛ فالله يقضي بعلمه وإرادته، فلا مُكرِه له، ولا شيء يصدر عنه بغير إرادته، وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد عبده: «ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار؛ إذ لا معنى له إلا إصدار الأثر بالقدرة على مقتضى العلم وعلى حكم الإرادة، فهو الفاعل المختار ليس من أفعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام

(٤) مرجع سابق، التمهيد، صفحة: ٧.

الوجودي بدون شعور ولا إرادة، وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف بحيث لو لم يراعه لتوجه عليه النقد فيأتيه تنزهًا عن اللائمة -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، ولكن نظام الكون ومصالحه العظمى إنما تقررت له بحكم أنه أثر الوجود الواجب الذي هو أكمل الوجودات وأرفعها، فالكمال في الكون إنما هو تابع لكمال المكوِّن، وإتقان الإبداع إنما هو مظهر لسمو مرتبة المبدع، وبهذا الوجود البالغ أعلى غايات النظام تعلق العلم الشامل والإرادة المطلقة فصدر ويصدر على هذا النمط الرفيع»(٥).

إذن كل ما في هذا الكون لا بد له من بداية؛ إذ إنه وجد بعلم الله وقدرته ومطلق إرادته، ويلزم لوجود هذا الكون وجود الله بصفاته قبل خلق الكون؛ لأن هذا الكون لم يخلق إلا بإرادته، ونريد أن نذكر هنا ما قاله الشيخ محمد عبده: «من أحكام الممكن لذاته أنْ لا يوجد إلا بسبب وأنْ لا ينعدم إلا بسبب؛ وذلك لأنه لا واحد من الأمرين له لذاته؛ فنسبتهما إلى ذاته على السواء، فإن ثبت له أحدهما بلا سبب لزم رجحان أحد المتساويين على الآخر بلا مرجح، وهو محال بالبداهة، ومن أحكامه أنه إن وجد يكون حادثًا؛ لأنه قد ثبت أنه لا يوجد إلا بسبب، فإما أن يتقدم وجوده على وجود سببه أو يقارنه أو يكون بعده، والأول باطل، وإلا لزم تقدم المحتاج على ما إليه الحاجة وهو إبطال لمعنى الحاجة، وقد سبق الاستدلال على ثبوتها فيؤدي إلى خلاف المفروض، والثاني كذلك وإلا لزم تساويهما في رتبة الوجود فيكون الحكم على أحدهما بأنه أثر والثاني مؤثر ترجيحًا بلا مرجح، وهو مما لا يسوغه العقل على أن عِلِّية أحدهما ومعلولية الآخر رجحان بلا مرجح وهو محال بالبداهة فتعين الثالث وهو أن يكون وجوده بعد وجود سببه، فيكون مسبوقًا

(٥) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، عن الترجمة الفرنسية، ص: ٣٠.

بالعدم في مرتبة وجود السبب فيكون حادثًا؛ إذ الحادث ما سبق وجوده بالعدم فكل ممكن حادث»[٦].

من الواضح إذن أن الله بجميع صفاته اللازمة له موجود منذ القدم، ووجود هذه الصفات غير مرتبط بظهور آثارها؛ لأن الله لا يزال عليمًا قديرًا مختارًا حتى ولو لم يخلق الخلق، لكنه لم يتصف بصفة الخالق إلا يوم أن خلق الكون.

ولا نظن أنه بمقدورنا إنكار ذلك؛ لأن هذا الإنكار يستلزم إنكار وجود الصفات اللازمة للإنسان مثل الذكاء والرحمة والشجاعة... إلخ قبل اللحظة التي تظهر فيها، على حين أنها تكمن بداخله قبل تلك اللحظة، وهل نستطيع ادعاء أن علم العالم لم يكن له وجود قبل أن يظهره في كتابٍ؟

وهكذا نرى أن هناك فرقًا واضحًا بين صفات الله الأزلية الملازمة له وبين أفعاله، فصفات الله لازمة له ولا تنفك عن ألوهيته، وأما الأفعال فإن صدورها لا يرتبط إلا بإرادته، ونذكر في هذا الصدد قول الشيخ محمد عبده: «أفعال الله صادرة عن علمه وإرادته كما سبق تقريره، وكل ما صدر عن علم وإرادة فهو عن الاختيار، ولا شيء مما يصدر عن الاختيار بواجب على المختار لذاته، فلا شيء من أفعاله بواجب الصدور عنه لذاته، فجميع صفات الأفعال من خلق ورزق وإعطاء ومنع وتعذيب وتنعيم مما يثبت له تعالى بالإمكان الخاص، فلا يطوفن بعقل عاقل بعد تسليم أنه فاعل عن علم وإرادة أن يتوهم أن شيئًا من أفعاله واجب عنه لذاته كما هو الشأن في لوازم الماهيات أو في اتصاف الواجب بصفاته مثلا فإن ذلك هو التناقض»[٧].

---

(٦) مرجع سابق، صفحة: ٢١.

(٧) مرجع سابق، صفحة: ٣٧.

فخطأ الباب والسيد نيكولا يعد في غاية الوضوح، حيث إنهما قد خلطا بين صفات الله القديمة وهي الصفات الملازمة له، وبين فعل الخلق الذي هو صادر عن إرادته التي لا يتوقف عليها وجود صفاته الأخرى الأزلية.

أما ما يتعلق بذلك الحديث القدسي المزعوم الذي استند إليه الباب، فلا نريد أن نقف طويلا على ما يدور حوله من شك في صحته، إنما نكتفي بالقول إن هذا الحديث القدسي لا يتعارض مع ما قمنا ببيانه هنا، بل يؤكده، فنجد في الواقع أن هذا الحديث يقول خلاف ما يدعيه الباب والسيد نيكولا اللذان يقولان إن العالم ليس له بداية؛ لأن قول الحديث: «كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»، يمثل الدليل الظاهر على أن هذا الكنز كان موجودًا قبل أن يكون معروفًا وقبل خلق الكون؛ لأنه ما خلق الخلق إلا ليُعرف به.

إننا لا نعرف كيفية التوفيق بين هذا الحديث الذي جاء به الباب والسيد نيكولا لتأييد رأيهما وبين ما استنتجه الباب منه، حيث يقول السيد نيكولا في هذا الاستدلال: «إن معرفة الله هي الهدف والعلة الأولى والأخيرة من الخلق، وهذه هي رحمة الله، فإذا كان هناك انعدام للخلق في فترة من الزمن لاستلزم ذلك أن لا تجد رحمته ما تظهر فيه، وبالتالي تنعدم العلة التي تبرر وجود الله ولا يعود له وجود بعد».

في الواقع يبين السيد نيكولا أن الغاية الأولى والأخيرة للخلق هي معرفة الله، فكيف يسمح لنفسه إذن أن يقول إن الخلق إذا كان منعدمًا فترة من الزمن فإن وجود الله تنعدم علته ولن يكون له وجود؟! ليس من المنطق مطلقًا أن نجعل من وجود الكون شرطًا لوجود الله، فهذا اعتقاد خاطئ تمامًا، فإذا لم يخلق الكون أو انعدم فإن ذلك لم يكن ولن يكون له تأثير على وجود الله.

أما رحمة الله بالخلق التي يتحدث عنها السيد نيكولا، فإن هذه الرحمة ما هي إلا صفة من صفات الله القديمة اللازمة له، وإذا لم يخلق الكون، فإن فعل الرحمة بالخلق لن يكون له وجود، وهذا لا ينفي وجود الرحمة نفسها كصفة من صفات الله، وكذلك الشأن إذا ما انعدم وجود الدنيا يومًا بإرادة الله.

وفي النهاية كيف يمكن التوفيق بين كلام الباب الذي يقول فيه إن العالم لم يكن له بداية مطلقًا، وبين قوله في موضع آخر: «... كان الله عالمًا حيًّا قبل وجود كل شيء، والله في وجوده ليس بحاجة إلى وجود غيره، والله في علمه ليس بحاجة لوجود موضوع العلم، فذات الله لا تحتاج لشيء»[8].

إن التضارب في غاية الوضوح بما يغنينا عن التعليق، وهذا التضارب يظهر كذلك عند مقارنة هذا التصريح مع ما ذكره الباب في إجابته على ذلك الذي يقال له الميرزا حسن المؤرخ الذي سأله عن معنى آية قرآنية، فأجابه الباب قائلا: «سألتني عن معنى قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ لا شك أن الله كان موجودًا ولم يكن شيء سواه وهو الآن كذلك كما كان من قبل»[9].

ألا نجد في هاتين الفقرتين من كتابات الباب إقرارًا قاطعًا بِقِدَم وجود الله وصفاته قبل أن يخلق الكون؟ ألا يتعارض هذا الإقرار تعارضًا مطلقًا مع قوله الأول إن خلق الكون لم يكن له بداية؟

يتضح مما ذكرناه أن الباب كعادته قد خلط بين جميع التصورات دون أن

---

(٨) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، ص: ٢.

(٩) مرجع سابق، صفحة: ٢٥.

يضع في اعتباره ما كان يقوله، وأنه لم يعرف ولم يستطع التعبير عن فكرة واضحة ومحددة تبين ما تشتمل عليه عقائد البابية في حقيقتها.

ثانيًا: عقيدة البداء

يوجد في البابية عقيدة تتمتع بأهمية خاصة وهي العقيدة التي يطلق عليها الباب اسم عقيدة البداء.

وكلمة «بداء» في اللغة العربية، هي اسم مشتق من الفعل بدا بمعنى ظهر وطلع وطرأ[10]، ويستخدم هذا الفعل للدلالة على الظهور والمجيء لشيء محسوس لم يكن ظاهرًا فيما قبل، فنقول على سبيل المثال: بدا القمر من خلال السحاب، يعني ظهر من خلال السحب التي كانت تحجبه.

كما يستخدم أيضًا للتعبير عن ظهور أو مجيء شيء غير محسوس مثل قول القائل: بدا لي أن أسافر، مما يعني أن فكرة السفر قد طرأت على باله فجأةً.

هذا إذن هو معنى الفعل بدا، وكل ما هو مشتق منه في اللغة العربية، وهو أيضًا المعنى الذي نجده في جميع الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الفعل، ونذكر على سبيل المثال الآية ٣٥ من سورة يوسف: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾.

ونذكر أيضًا جزءًا من الآية السابعة والأربعين وكذلك الآية الثامنة والأربعين من سورة الزمر: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

---

(١٠) يختلف الفعل بدا في اللغة العربية تماما عن الفعل بدأ، حيث يختلف عنه في الكتابة وفي المعنى وكذلك في التصريف وهو يعني البدء والخلق. ولقد خلط السيد نيكولا بين هذين الفعلين، حيث أخذ الفعل بدا والذي يعني ظهر وطرأ بمعنى بدأ وخلق. راجع البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، الجزء الثاني، صفحة: ٩١، ملاحظة.

لا يستخدم الفعل «بدا» لتعيين شيء مرئي، ولا لفكرة كانت معروفة من قبل لدى من خطرت عليه، وكذلك الشأن بالنسبة لكلمة بداء، فاستخدام الفعل بدا أو الاسم بداء يقتضي دائمًا -عندما يتعلق الأمر بالفكر- ألا يفكر العقل في موضوع هذا الفكر حتى اللحظة التي يَرِدُ فيها هذا الفكر عليه.

وعليه فإن استخدام هذا الفعل وهذا الاسم يتضمن جهل صاحب الفكرة بها قبل أن تطرأ عليه، ونوضح بناء على ذلك أن مفهوم كلمة بداء لا محل له عندما يتعلق الأمر بالله العليم. فلا محل للحديث عن البداء -يعني عن شيء كان مجهولا فيما مضى- عندما يتعلق الأمر بعلم الله وإرادته وقضائه.

ويفسر الشهرستاني حصول البداء في العلم بصفة عامة عندما يظهر للعقل شيءٌ كان غائبًا عنه فيما مضى، وفي الإرادة عندما يتخذ العقل قرارًا مفاجئًا وأكثر مناسبة من ذلك الذي أخذه فيما مضى، وفي القضاء عندما يمكن تغيير حكم بآخر لم يسبق اتخاذه من قبل[11]، وهذا كله محال على الله؛ لأن البداء في العلم يتعارض مع علمه المحيط، والبداء في الإرادة يستوي مع البداء في العلم؛ لأن تغيير قرار بقرار آخر أفضل منه هو من باب البداء في العلم ويقتضي كون القرار الثاني -الذي هو الأفضل- كان مجهولا؛ وذلك لأنه لو كان معلومًا من البداية لما تم اتخاذ الأول، حيث إن حكمة الله تمنعه من اتخاذ قرار يعلم أن هناك أفضل منه، وكذلك الحال بالنسبة للبداء في القضاء؛ لأن من يستبدل حكمًا مكان حكم ما كان ليصدر الحكم الأول لو علم في تلك اللحظة أن الحكم الثاني سيكون أفضل من الأول، والتصرف بخلاف ذلك ليس من الحكمة في شيء.

---

(١١) الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، ص: ١٥٣.

فإذا كان الذي قد أصدر أمرًا قد أصدره آخذًا في اعتباره ملابسات الوقت الذي أصدره فيه لكنه كان يعلم أن تفسير هذه الملابسات سوف تتضمن اتخاذ حكم آخر، فإن تغيير الحكم لا يدخل في مفهوم البداء؛ لأنه كان يعلم منذ البداية لزوم اتخاذ حكم آخر، وذلك ما نسميه بالنسخ وهو ما يعني تغيير حكم متخذ حسب المناسبات، وهذا النسخ كان موجودًا في جميع الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء بالتتابع؛ حيث جاءت هذه الأديان للناس بشرائع متناسبة مع أوضاعهم الجديدة في كل عصر دون المساس بالأصول المشتركة بين جميع الأديان؛ ولذلك لا مجال للنسخ في العقائد ومبادئ الأخلاق ورواية الأحداث التاريخية.

فلا يجب الخلط إذن بين مفهوم البداء وبين مفهوم النسخ، حيث إن الفرق بينهما في غاية الوضوح؛ وذلك لاشتمال مفهوم البداء على الجهل، في حين أن النسخ يتضمن بُعْدَ النظر، ومن ثَمَّ فالبداء محال في حق الله، أما النسخ فإنه موجود في جميع الأديان السماوية، ولقد خلط اليهود بين هذين المفهومين فأنكروا وجود مفهوم النسخ في الأديان، عادِّين إياه جزءًا من مفهوم البداء.

وهناك خطأ مشابه لذلك الخطأ الذي يخلط بين هذين المفهومين فيما كتبه جولدتسيهر في الموسوعة الإسلامية تحت عنوان البداء، حيث ذكر في كلامه أن الشيعة إذا كانت متأثرة في غالب عقائدها بأفكار المعتزلة؛ فإننا نجد عند المعتزلة مبدأ هامًّا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم البداء ألا وهو مفهوم الأصلح، وهذا المفهوم يعني أن الله قصد في أفعاله ما هو الأصلح للإنسان، وأضاف جولدتسيهر قائلا: إن مفهوم «الأصلح» يتضمن معنى «البداء»؛ لأن أحكام الله يطرأ عليها لزامًا التغيير تبعًا لما هو أصلح للإنسان، ونرى أن هذا التفسير لمفهوم الأصلح غير سديد، فمفهوم الأصلح ليس له أي علاقة وثيقة أو واهية مع مفهوم البداء،

فالأحكام الشرعية التي أنزلها الله جاءت وفقًا لحكمته بهدف تحقيق الأصلح للإنسان، فهي تلبي بالطبع حاجات البشر وتتناسب مع مستجدات العصر وذلك من خلال تطبيقها في حياة الناس العملية، وذلك لا يعني أن الله عندما يستبدل أحكامًا بأخرى -تبعًا لما استجد من حاجات الناس وتحقيقًا لما هو في صالحهم- كان يجهل ضرورة وقوع تغير في بعض الأحكام؛ لأن الله كان يعلم ذلك من قبل، وبالتالي فإن مفهوم البداء لا علاقة له على الإطلاق بمفهوم «الأصلح»، وبالتالي لا علاقة له بمفاهيم المعتزلة.

ومفهوم البداء ليس له وجود مطلقًا في الأديان السماوية وهو بالتالي غريب على دين الإسلام، ولقد دخل هذا المفهوم في الإسلام عن طريق بعض الشيعة.

يقول الشهرستاني في هذا الصدد: «إن بعض زعماء الشيعة وضعوا لأتباعهم مبدأين لا يسمح التمسك بهما لأحد أن يقيم الحجة على الشيعة، وأولهما هو مبدأ البداء الذي يستطيعون الاستفادة منه في مختلف الظروف؛ فعلى سبيل المثال إذا ما وعد أحد زعمائهم بشيء لا يمكن تحققه، فإنه يستطيع من خلال مفهوم البداء أن يزعم أن الله قد غير رأيه، أما بالنسبة للثاني فهو مبدأ التقية والذي يستطيعون من خلاله قول أو فعل كل ما يريدونه، فإذا ما كان ثمة اعتراض أو تناقض فإنهم يستطيعون القول إنهم تحدثوا كذلك أو تصرفوا كذلك بموجب مبدأ التقية يعني عن غير إيمان أو قناعة وإنما مجاراة للظروف»[١٢].

(١٢) مرجع سابق، صفحة: ١٦٥.

وأول شيعي أدخل مفهوم البداء في الإسلام -على حد علمنا- هو المختار الثقفي زعيم فرقة أطلق عليها اسم المختارية[(١٣)].

«إن السبب الذي جعل المختار يتبنى مفهوم البداء هو زعمه معرفة المستقبل إما وحيًا مباشرة من الله وإما إخبارًا عن الإمام -يعني المهدي محمد بن علي بن أبي طالب-، وعندما كان ينبئ أتباعه بتحقق شيء في المستقبل وكان هذا الشيء يتحقق، كان يجعل من هذا التحقق دليلا على علمه بالغيب، وإذا لم يتحقق هذا الشيء الذي أنبأ به فإنه كان يبرره بتدخل «البداء» يعني بدا لله من الضروري أن يغير حكمه، ولم يكن يفرق بين النسخ والبداء، وكان يقول: «إذا كان النسخ مقبولا في الأحكام الشرعية فإن النسخ يجب أن يكون كذلك في الأمور المستقبلية»[(١٤)].

وهذا المفهوم للبداء كان يرضي جموع الشيعة الروافض الذين كانوا يجدون في هذا المفهوم سلوى لآلامهم الحاضرة وآمالهم المستقبلية، ولقد كان يجتهد زعماء هذه الطائفة من الشيعة في البحث في القرآن أو في الأحاديث عساهم أن يجدوا من النصوص ما يستدلون به على وجود هذا المفهوم الذي اتخذوه عقيدة إيمانية في غاية الأهمية بلغت إلى حد قول بعضهم: «لا يستطيع أحد أن يصل إلى رضا الله بشيء أعظم من الاعتقاد في «البداء»؛ لأن توبة الإنسان وعبادته لله بقصد الحصول على مغفرته وعلى حسن القضاء، لا قيمة لها إذا لم يكن هناك بداء»[(١٥)].

---

(١٣) تعد المختارية طائفة من الفرقة الكيسانية تبعًا لزعيمها كيسان، والسمة المميزة لهذه الفرقة تتمثل في زعم أتباعها أن الإمامة قد أوصِيَ بها لمحمد بن على بن أبى طالب المسمى بابن الحنفية، وأن محمد ابن الحنفية هذا قد ورث الإمامة عن أخيه أو ورثها مباشرة عن أبيه علي، وبسبب مسألة نقل الإمامة من خلال الأب أو الأخ انقسمت الفرقة الكيسانية إلى فرقتين إلا أن بينهما قاسمًا مشتركًا، وذلك كما يقول البغدادي في الصفحة السابعة والعشرين من كتابه الفَرْق بين الفِرَق: «وهذا القاسم المشترك يتمثل في أمرين: أولا: إمامة محمد ابن الحنفية، ثانيًا: اتباع مفهوم البداء».

(١٤) الشهرستاني، مرجع سابق، الجزء الأول، صفحة: ١٥٣.

(١٥) راجع الموسوعة الإسلامية، مقال: البداء لجولدتسيهر.

ولقد تبنى الباب أيضًا مفهوم البداء، وكان يقول -تمامًا كما تقول الشيعة- إن إرادة الله يمكن أن يطرأ عليها بعض التعديلات، وكان يتجاوز الحدود بقوله ما تجلت عبادة الله في شيء أعظم من الإيمان بالبداء، وهذا على سبيل المثال ما يقوله في كتابه دلائل السبعة: «... أنت تعلم جيدًا أن هناك مشيئات لله لم تتحقق، وهذا كان يحدث في الغالب، وكل واحدة من هذه الحالات لها أسبابها التي تجعلك تطمئن، ولكن اعلم في الحقيقة أن مشيئات الله قد تحققت مثل وجوب طلوع الشمس من المغرب -عند ظهور المهدي-، لا يقصد بذلك شمس الكون، ولو كان المقصود شمس الكون لتحققت تلك الظاهرة عند ظهوره السابق، وإنما يتعلق الأمر هنا بشمس الحقيقة التي يجب أن تظهر في الغرب، أنت تعلم أن شمس الحقيقة قد ظهرت في مكة وترى أن هذه الشمس تشرق في بلاد فارس»[16]، فكيف يمكن فهم كلام الباب؟ إنه يقول في البداية إن إرادة الله لم تتحقق، وكثيرًا ما يحدث ذلك؛ ثم يقول: إن جميع المشيئات الإلهية قد تحققت، إذن فليس هناك إرادة لم تتحقق، وهذا كلام متناقض، لأنه أيًا كانت الأسباب التي من أجلها لم تتحقق تلك المشيئات الإلهية، فكثيرًا ما يحدث ألا تتحقق هذه المشيئات، وهذا يتعارض مع التأكيد الثاني للباب، حيث يقول: «إن جميع المشيئات الإلهية قد تحققت».

ولقد حرص السيد نيكولا على تفسير كلام الباب مستخدمًا كلمة بداء للتعبير عن عدم تحقق إرادات الله؛ إلا أن هذا التفسير لا يزيد رأينا إلا تأكيدًا فيما يتعلق بالتعارض الظاهر في كلام الباب؛ حيث يقول السيد نيكولا: «البداء هو إرادة الله شيئًا، ثم لا يتحقق هذا الشيء، ليس لأن الله لا يعلم في الأصل أنه لن يتحقق، فهو يعلم ذلك حقًا، ولكن أمام بعض الأحداث يجب أن يعطي أمرًا

(١٦) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحة: ٥١.

يعلم تمامًا أنه لن يتحقق؛ لأن الأحداث المستقبلية الأخرى سوف تمنع تحققه، فلقد وعد مثلا بظهور المهدي في سنة ثلاثين من الهجرة، ولكن عندما ساء سلوك الناس حيال عليٍّ أجَّلَ وعده إلى سنة إحدى وستين من الهجرة، وفي تلك السنة أيضًا حال فساد الناس دون إتمام هذه النعمة، ولم يتحدد منذ ذلك الوقت تاريخ ظهوره»[17].

مما لا شك في أن السيد نيكولا يريد بهذا التفسير أن يجنب الباب تهمة التناقض، فيبين من وجهة نظره بعض الحالات التي لم يتحقق فيها وعد الله موضحًا أسباب ذلك. وهذا أمر من شأنه تكذيب الباب في كلامه الذي يقول فيه: «ولقد تحققت إرادات الله جميعها».

إن الباب لا يبين في واقع الأمر كيف يمكن أن يعد عدم تحقق إرادات الله والإخلال بالوعد تحقيقًا لإرادته، ولكنه يضرب مثال طلوع الشمس من المغرب، مقتبسًا ذلك من حديث[18] يتناول أحداث آخر الزمان، يقرر هذا الحديث أن الشمس سوف تطلع في ذلك الزمان من المغرب، وهذا يعني أن هذه الظاهرة إرهاص بنهاية العالم، ويفسر الباب هذه الشمس التي سوف تطلع في آخر الزمان من المغرب كعلامة من علامات الساعة بمجيء المهدي المنتظر من الغرب جاعلا من نفسه شمس المهدي التي تطلع من بلاد فارس.

وبما أن الموقع الجغرافي لبلاد فارس مقارنة بمكة لا يسمح مطلقًا بالقول إن بلاد فارس تقع في الغرب، فإن السيد نيكولا يقدم لنا تفسيرًا لهذا اللغز فيقول:

---

(١٧) مرجع سابق، صفحة: ٥١، ملحوظة ٤.

(١٨) حديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة. راجع عبد الرحمن الشيباني، تيسير الوصول (القاهرة ١٣٤٦ هجرية)، الجزء الرابع، صفحة: ١٠٢.

«إن شمس الإسلام قد أشرقت في مكة وحيث إن الفتح الإسلامي المتقدم من الغرب إلى الشرق قد امتد ليشمل بلاد فارس، وهنا وفي هذا المكان قد غرب هذا الكوكب، ومن ثم أصبحت بلاد فارس مغرب الإسلام، وبالتالي فإنه سوف يخرج من هذا الغرب شمس الحقيقة، ألا وهو الباب»[19].

ماذا يعني السيد نيكولا «بغروب الإسلام في بلاد فارس؟» هل يقصد أن الإسلام في مسيرته إلى الشرق لم يتجاوز بلاد فارس؟ إن ذلك من شأنه أن يتعارض مع الحقيقة التاريخية التي قد أثبتت أن الإسلام قد امتد شرقًا متجاوزًا حدود هذه البلاد، كما نعلم أن الإسلام قد امتد في جميع الاتجاهات، وإذا ما افترضنا أن بلاد فارس كانت آخر نقطة وصل إليها الإسلام شرقًا، فعلى أي دليل أقاموا زعمهم بأن بلاد فارس وحدها هي غرب الإسلام ومغرب شمسه؟ وكيف يمكن أن نجد في هذا الحديث الذي نحن بصدده أدنى إشارة تؤكد أن بلاد فارس هي وحدها التي سوف يظهر فيها دينٌ جديد ينسخ دين الإسلام؟ هذا بالإضافة إلى أن نسخ الدين لا يمكن أن يتم بذاته؛ إذ من الضروري أن يكون هناك دين ناسخ يضع نهاية لهذا الدين السابق، وإذا كان مصير الإسلام النسخ، وإذا كان ذلك هو المعنى الذي يجب أن يفسر به الحديث لبيان أن الإسلام قد نُسِخَ بالبابية، فإن قول النبي ﷺ لن يكون له أي معنى منطقي، حيث سيكون معناه كما يلي: إن الدين الذي ينسخ دين الإسلام ويحل محله سوف يظهر في المكان الذي يعلن فيه نسخ الإسلام بالدين الجديد، فهل من الممكن أن يكون ظهور الدين الناسخ في مكان غير المكان الذي أعلن فيه هذا النسخ؟ وهل يمكن للرجل الذي يعلن نسخ دين أن يكون مرسلا بدين جديد؟ وهل يمكن أن يكون مكان ظهوره بالدين الجديد

(١٩) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، ص: ٥١ - ٥٢، ملاحظة ٦.

هو نفس المكان الذي يعلن فيه النسخ؟ من العقيم أن نقول عند بيان مكان ظهور البابية إنه هو المكان الذي نسخ فيه الإسلام؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى القول إن البابية التي سوف تنسخ الإسلام سوف تظهر هنا حيث تنسخ الإسلام، ليس من المقبول تفسير كلام أي رجل بتلك الطريقة، بل إن ذلك يكون من السفه لو كان الكلام والفكر لأحد كبار الأنبياء.

لقد ذكرنا في حديثنا عن ادعاء الباب أنه المهدي وأنه لا يوجد أي حديث صحيح* للنبي ﷺ يتحدث عن المهدي، وإذا ما افترضنا صحة هذه الأحاديث التي استند إليها الباب، فإنه يجب ملاحظة أن ظهور المهدي، وفقًا لهذه الأحاديث، سوف يكون قبل طلوع الشمس من المغرب، وبالتالي فإن طلوع الشمس من المغرب يعد علامة أخرى غير علامة ظهور المهدي، على خلاف ما يزعمه الباب عندما يجعل من طلوع الشمس من المغرب ظهورًا للمهدي الذي يزعم أنه هو.

فيما يتعلق بتناقض كلام الباب الذي يقول فيه إن الإرادات الإلهية لم تتحقق بالرغم من تحقق جميعها بالفعل، وفيما يتعلق بتفسير السيد نيكولا لهذا الكلام، فإننا نريد أن نقول إن التأكيد على عدم تحقق الإرادة الإلهية من شأنه نعت الله بالجهل والكذب. وعلى الرغم من محاولة السيد نيكولا من خلال تفسيره الذي جاء به أن يتجنب وصف الله بهذه الصفات، فإن ذلك لا تأثير له على النتيجة التي يؤدي إليها كلام الباب؛ لأن الله عندما وعد بظهور المهدي في سنة ثلاثين من الهجرة، إما أنه كان يعلم من قبل بالظروف التي سوف تمنع تحقيق وعده، ووعد بشيء يعلم عدم قدرته على الوفاء به وبهذا يكون كاذبًا، وإما أنه كان لا يعلم بتلك الظروف، وبالتالي فإنه يكون جاهلا.

---

* سبق مناقشة هذا الرأي في الفصل الأول من الباب الثاني

أما بالنسبة للأسباب التي ذكرها السيد نيكولا لعدم تحقق وعود الله بظهور المهدي، فنحن لا نرى في مقتل علي ولا مقتل الحسين من بعده سببًا يمنع الله من الوفاء بعهده بظهور المهدي، بل إننا نرى على العكس أن عداء الناس لهذين الرجلين كان يمكن أن يكون حافزًا لأن يظهر الله المهدي لمجاهدة أهل السوء وهدايتهم إلى الخير، كما أننا لا نرى في مقتل هذين الرجلين اللذين لم يكونا من الرسل ولا الأنبياء سببًا يُثني الله عن الوفاء بما وعد به ويجعله يخلف وعده الأول.

ويروي لنا التاريخ أن عددًا من أنبياء بني إسرائيل قد قُتِلُوا على يد بعض اليهود المغالين، وذلك لم يمنع الله من الاستمرار في شرائعه للناس عن طريق أنبياء آخرين. وأيًا كانت مكانة عليٍّ وولده الحسين، إلا أنهما لا يبلغان منزلة الأنبياء، ويجب علينا أن نقول إن الزعم بأن الله قد وعد بظهور المهدي في سنة ثلاثين أو إحدى وستين أو غيرهما من الهجرة ما هو إلا مجرد اختراع للدفاع عنه.

يقول الباب في كتابه «البيان العربي»: «إن الله يقول: ما عُبِدْتُ بشيء مثل ما عبدتني أنت -الباب- به وهو البداء، فلولا بداؤك في حياتك الأخرى وفي بدايتك عندما كنت تتحرك في أحشاء أمك ما آمنت ببدائي»[٢٠].

ويقول الباب في «البيان الفارسي»: «إن الله لم يُعْبَدْ بشيء مثل «الإيمان» بالبداء، فالبداء هو تأكيد لقدرة الله على كل ما يشاء، فإن عَبَدَهُ أحد بطريقة يعتقد أن ليس في الدنيا شيء أعظم منها وهي الاعتقاد في البداء، فإن هذه العبادة تعد أعظم ما صنع، (وإيمانه بالبداء يقتضي منه أن يقول إذا أدخله الله النار أنه كان

(٢٠) البيان العربي، ترجمة نيكولا، ص: ١٣٦.

محقًّا، وأن له الحق في ذلك دون أن يسأل أحدًا -الله- لماذا وكيف)؛ لأن الله عادل في حكمه، والحال كذلك في خلاف ذلك، فإذا كان هناك أحد مكبل بجميع ذنوب الدنيا ولا يوقن بعقيدة البداء، فإن خطأه هذا المتمثل في عدم إيمانه بالبداء أعظم عند الله من جميع الذنوب التي اقترفها ...»[21]، «ففي كل مرة تظهر فيها إرادته، يظهر معها البداء -بنسخ الكتاب والدين السابق-. «ولقد حكم (الله) بالإيمان و(دخول) الجنة للمؤمن (بما نزل من السماء)، إلا أنه فرض (في هذه اللحظة) «البداء» على رقاب الجميع وأمر بخلاف (ما أمر به من قبل في الإيمان ودخول الجنة، وهذا يعني أنه أمر بأن من يؤمن بالقرآن يدخل الجنة، أما اليوم فإن من يؤمن به يدخل النار)»[22]، «ويتعلق الأمر هنا بالبداء في الإرادة؛ لأن الذات الإلهية كانت ولا تزال وستظل كما هي (لا يطرأ عليها أي تغيير)»[23]، «وأنت تعلم الآن أنه (عندما نقول) بداء الذات (فإننا نقصد به) بداء الإرادة، وأن قبول (الذات) للأمر فيما سبق هو قبول الإرادة...»[24].

يوجد فيما ذكرناه قولان متناقضان للباب: فمرة يسند البداء لله ومرة أخرى يسنده لإرادة الله، غير أنه يميل إلى الأخذ بالقول الثاني ويبرر ذلك بقوله: «ويتعلق الأمر هنا بالبداء في الإرادة؛ لأن الذات الإلهية كانت ولا تزال وستظل كما هي»، ويضيف السيد نيكولا في ملاحظته: «لا يطرأ عليها أي تغيير»، ويأتي ذلك -كما سبق وقلنا- مطابقًا لعقيدة الباب حيث جَرَّدَ الله من أسمائه وصفاته

(٢١) البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، الجزء الثاني، ص: ٩١- ٩٢.

(٢٢) مرجع سابق، ص: ٩٢، ملاحظة.

(٢٣) نفس المرجع، ص: ٩٣.

(٢٤) نفس المرجع، ص: ٩٤.

ومن أي قدرة على الفعل، حيث إن هذه الأسماء والصفات والقدرة على الفعل منسوبة للإرادة الأولى لله وهو الباب.

ويذهب الباب إلى ما هو أبعد من ذلك في كتابه «البيان الفارسي» فيقول: «هذا هو معنى كلمة بداء الله الأعلى، فالعبد أيًّا كانت درجته لا ينبغي أن يركن إلى الأمل في دخول الجنة، حتى ولو بلغ أعلى درجات العبادة في الدنيا؛ لأن الإيمان ببداء الله أعظم من هذه الأعمال. وكذلك إذا ما انحطت أعماله، فإنه لا ينبغي أن ييأس ويخاف على نفسه شيئًا ما دام مؤمنًا ببداء الله؛ لأن عدم الإيمان ببداء الله يعد أعظم جرمًا من جميع الذنوب التي وقع فيها، لكن ظهور هذا البداء يتأتى من عرش الإرادة لا من غيره ولقد ظهر في البيان» (يضيف السيد نيكولا في ملاحظته: الذي هو عرش الإرادة)»[(٢٥)].

إن ما ذكرناه عن الباب يؤكد أنه كان يتبنى مفهوم البداء، وجعل منه أهم عقائد دينه المزعوم، ولا يهم إن أسندها مباشرة إلى الله أو إلى إرادته الأولى؛ لأنه في كل الأحوال يربطها بالألوهية يسندها دائمًا إلى الله.

لم يكن الباب يعرف أو لم يرد أن يعرف الفرق بين مفهوم البداء ومفهوم النسخ، فهو يعدهما شيئًا واحدًا حيث يقول: «... لقد كان كذلك في القرآن حيث استبدلت (كلمة بداء) بكلمة نسخ»[(٢٦)].

وصحيح أن كلمة نسخ موجودة في القرآن، ولكنْ مِنَ الخطأ حملها على معنى البداء أو تعلقها به بأدنى صورة، ولقد بذل السيد نيكولا قصارى جهده

(٢٥) مرجع سابق، صفحة ٩٧.

(٢٦) مرجع سابق، صفحة: ٩٤.

ليبرر تبني الباب لمفهوم البداء، فيوضح أن القرآن قد أكد على وجود هذا المفهوم عند الله قائلا: «يمكن أن نذكر قصة موسى في القرآن على سبيل المثال للبداء في القرآن، فلقد واعده الله ثلاثين يومًا يعطيه بعدها الألواح إلى أمته، فلما مضت المدة أمره الله أن ينتظر عشرة أيام أُخَر، ثم أنزل الله عليه الألواح بعد أربعين يومًا» (القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية: ١٣٨)(٢٧).

وتمثل الآية القرآنية التي يستند إليها السيد نيكولا جزءًا من الأدلة العديدة التي يستند إليها خطأ الشيعة الروافض في مسألة البداء(٢٨)، ونذكر هنا أهم دلائل الشيعة في هذه المسألة كما سندرس أيضا قيمتها، وتأتي الآيات القرآنية التالية من بين هذه الأدلة:

أولا: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد: الآية ٣٩].

إننا لا نرى في هذه الآية ما يشبه مفهوم البداء يعني رجوع الله عن حكمه، فما السبب الذي أنزل الله فيه هذه الآية؟ لقد أنزلها الله ردًّا على بعض اليهود الذين رفضوا اعتناق الإسلام متعللين بما يلي:

١- محمد رجل متزوج ورب أسرة، وبالتالي فهو رجل عادي وليس نبيًّا.

٢- لم يأت محمد بمعجزات من نفس المعجزات التي جاء بها موسى.

٣- غَيَّر الإسلام بعض أحكام شريعة موسى.

---

(٢٧) مرجع سابق، صفحة: ٩١، الملاحظة.

(٢٨) أورد جولدتسيهر هذه الأدلة بإيجاز في مقاله: البداء، الموسوعة الإسلامية.

وردًا على تلك الأسباب أنزل الله الآيات التالية: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد: ٣٨-٣٩].

وبذلك يرد الله على اللوم الموجه إلى محمد ﷺ بأنه متزوج وله ذرية، فيقول إن الأنبياء من قبله كانوا كذلك، ثم يرد الله التهمة الموجهة إلى محمد ﷺ بأنه لم يأت بمعجزات من نفس المعجزات التي جاء بها موسى فيقول إنه ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، وفي النهاية يرد الله التهمة الموجهة إلى الإسلام بأنه غيَّر بعض أحكام شريعة موسى، فيقول إن الشرائع يجب أن تتناسب مع مستجدات العصر ومراعاة لهذه المناسبات يمحو الله ما يشاء ويثبت، وفي هذا كله لا نجد شيئًا مطلقًا يدعو للحديث عن البداء عند الله؛ لأن الله لا يرجع عن أي حكم.

ثانيًا: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٩].

ويرى الشيعة الروافض في الأدعية المرفوعة لله وتحقيقه كل يوم شيئًا جديدًا تغييرًا في أحكام الله، وهذا التفسير لهذه الآية يعد تفسيرًا خاطئًا؛ لأن الأدعية التي يتوجه بها الناس إلى الله معلومة في علمه القديم والأعمال التي تقع كل يوم هي حاصل قدرته، ولا مجال هنا للبداء.

ويستند هؤلاء الشيعة أيضًا إلى تضحية إبراهيم وفداء الله لابنه إسماعيل، فيستندون إلى هذه الآيات:

ثالثًا: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾. [سورة الصافات: ١٠٢ – ١٠٧].

إننا لا نرى هنا أيضًا محلا للبداء، فلا يوجد في هذا الحدث الذي ترويه هذه الآيات إلا النسخ الذي يتدخل؛ لأنه إذا كان الله قد أمر إبراهيم في البداية بذبح ابنه، فهو لم يرد سوى اختبار إبراهيم ليجعل منه أسوة في الطاعة الكاملة لله، ولم يكن الله يريد إتمام الذبح؛ لأن التضحية بالبشر تخالف الإرادة الإلهية، وهذا التحريم ثابت في جميع الديانات السماوية، سواء أكان ذلك في الشرائع التي سبقت إبراهيم أم تلك التي جاءت بعده، ومن المستحيل أن يكون الله الذي حرم التضحية بالبشر، قد أراد التضحية بابن إبراهيم، لا سيما أنه نبي الله الذي ينهى الناس عن ارتكاب أفعال تخالف أوامر الله وهي الأوامر التي تشتمل فيما بينها على النهي عن هذا النوع من القربان البشري، وما أراده الله بأمره هذا من إبراهيم هو أداء ما أمر به إلى اللحظة التي نهاه فيها عن إتمام أضحيته، أما إبراهيم فإنه كان يجهل أن الله لم يكن يريد إتمام أضحيته وذهب لإتمامها، والتدخل الإلهي الذي حال دون ذبح إبراهيم ولده، هو ما يطلق عليه النسخ؛ لأن جميع ملابسات هذا الحادث كانت في علم الله، وبالتالي لم يغير الله شيئًا في قضائه؛ فقضاء الله بعدم ترك إبراهيم يذبح ولده لم يتخذ في آخر لحظة، ولكنه كان في علمه القديم.

ونذكر الآن آية تمثل أيضًا أحد أدلة الشيعة الروافض والتي استغلها نيكولا في زعمه أن القرآن يؤكد على وجود البداء عند الله:

رابعًا: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢].

ويزعم السيد نيكولا، كما هو الحال بالنسبة للشيعة الروافض، أن هذه الآية تعد دليلا على البداء، وفي بيانه للبداء يعني رجوع الله عن قضائه، يفسر السيد نيكولا هذه الآية بأن الله قد وعد موسى أن يعطيه الألواح بعد ثلاثين يومًا، لكن الله بعد انقضاء المدة أمره أن ينتظر عشرة أيام أُخَر، وبذلك يكون قد أعطاه الألواح بعد أربعين يومًا.

لقد حمَّل السيد نيكولا الآية ما لا تحتمل، فمما لا شك فيه في هذه الآية أن الموضوع كان موعدًا وعده الله موسى بعد ثلاثين ليلة ثم أتمه الله بعشر أُخَر، ويتعلق هذا الموعد بنزول الألواح، لكنَّ الله لم يَعِد موسى أن يعطيه الألواح بعد ثلاثين يومًا كما زعم ذلك السيد نيكولا حتى يستطيع القول إن التغيير وقع في قضاء الله وذلك من باب البداء.

ويقول بعض مفسري القرآن في هذه الآية: إن موسى قبل خروج بني إسرائيل من مصر قد وعدهم -بعد عبور البحر الأحمر- أن يأتيهم بكتابٍ من عند الله، فلما عبروا البحر طلب بنو إسرائيل من موسى الكتاب الذي وعدهم إياه، فدعا موسى ربه أن ينزل عليه هذا الكتاب، فأمر الله موسى أن يذهب إلى جبل سيناء وأن يعتكف فيه ثلاثين ليلة، وفي نهاية الثلاثين ليلة أنزل الله الكتاب على موسى، واستمر ذلك عشر ليال.

ويقول بعض المفسرين أيضًا: إن نزول الكتاب لم يبدأ إلا بعد مُضِّي أربعين ليلة؛ لأن موسى بعدما صام ثلاثين يومًا، خاف أن يمنعه خلوف فمه من الوقوف بين يدي الله، فتمضمض ليطهره؛ فبعث الله إليه الملك جبريل يأمره بإتمام صيامه بعشرة أيام أُخَر، نزل بعدها الكتاب فتم ميقات ربه أربعين ليلة.

وهذان التفسيران لا يدعان مجالا للبداء؛ وذلك إما لأن الوحي نزل خلال الليالي العشر الأخيرة، وما أمر الله موسى أن يعتكف ثلاثين ليلة في جبل سيناء إلا ليهيئه لاستقبال الوحي، وإما لأن الليالي العشر الأخيرة قد زادها الله للسبب الذي بينه الفريق الثاني من المفسرين، ولكي يعلم موسى أن الذي ينال الله هو الصوم، وأن ما ترتب عليه من خلوف لم يكن له أدنى أهمية.

وإذا ما تركنا هذا التفسير الثاني جانبًا، وعدنا إلى الآية المذكورة وما يليها، فإننا نستطيع الأخذ بالقول الأول الذي يرى أن إقامة موسى ثلاثين ليلة في سيناء كان بهدف إعداده لتلقي التنزيل الذي بدأ في الليلة الحادية والثلاثين وانتهى في الليلة الأربعين؛ ولكن الله لم يَعِدْ موسى قط بنزول الألواح كلها بانقضاء الليلة الثلاثين، مما يعني أنه باستطاعتنا قبول قول السيد نيكولا الذي يرى أن الله قد وعد موسى بتنزيل الكتاب بانقضاء الليلة الثلاثين، وبهذا القول المقبول يكون الله قد أوفى بوعده، حيث بدأ نزول الكتاب على موسى في نهاية الليلة الثلاثين؛ إذن ليس هناك تغيير في حكم الله، وبالتالي ليس هنالك بداء.

ونأتي الآن إلى دليل آخر تستند إليه الشيعة الروافض لإثبات البداء عند الله، حيث يقولون إنه من المعلوم في الإسلام أن العمل الطيب يطيل الأجل ويحسن الخاتمة، ويسوقون في هذا الصدد الآيات التالية: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٣].

﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [سورة يونس: ٩٨].

ويرى الشيعة الروافض في هذه الآيات أن البداء يتمثل في صورة التغيير

المواتي لأوضاع الإنسان في هذه الدنيا، وحسن ختامه في الآخرة، وهذا التحسين مرتبط بحسن عمله في الدنيا.

إننا لا نجد في هذه الآيات ولا في شبيهتها ما يدل على البداء، فلقد شرع الإسلام -شأنه في ذلك شأن جميع الأديان السماوية الأخرى- عقائد وأحكامًا لهداية الناس إلى الخير، وحرم كل عمل يحض الناس على فعل المنكر، وبين أن ثواب الناس وعقابهم في الآخرة إنما يكون على أعمالهم، وبين أن سعادة الناس وشقاءهم في الدنيا إنما هو ثمرة حسناتهم وسيئاتهم.

وهكذا بيَّن القرآن ثمرة أفعال العباد، خيرها وشرها، وبين القرآن أن الله سوف يقبل توبة من أقلع عن الذنب وتاب منه، والتحول نحو الخير بموجب توبة الإنسان لا يؤدي مطلقًا إلى تغيير أحكام الله تجاهه؛ لأن الله بعلمه القديم يعلم سلوك الإنسان، كما أنه حدد بعلمه القديم مصير كل إنسان بحسب أفعاله.

وبالنسبة للرجل الذي تحول من الشر إلى الخير، فإن الله لم يحدد له مصيرًا بعقاب أبدي في الدنيا والآخرة وبالطريقة التي تجعلنا نقول إن تغيير سلوك الإنسان يقتضي تغيير قدر الله المحدد له، لما آمن قوم يونس ولم يصروا على موقفهم تجاه نبيهم أثابهم الله بأن أبعد عنهم ما عوقبت به الأمم السابقة التي أصرت على ضلالها؛ إذن لا يوجد في هذه الآية التي يستند إليها الشيعة الروافض أي دلالة على البداء؛ لأن الله بعلمه القديم يعلم سلوك كل إنسان كما حدد بعلمه القديم مصيره الذي قدره له على قدر عمله.

إن ادعاء وجود البداء عند الله أمر غير مقبول؛ لأنه لا يصح القول إن عند الله قضائين: قضاءً مبرمًا، والآخر متغيّرًا مشروطًا في نفاذه بعمل المرء وهو ما يسمى بالمعلق.

ويزعم الشيعة الروافض أن الإسلام يقر بأن العمل الصالح للإنسان يزيد في الأجل الذي حدده الله، فيقولون على سبيل المثال: لو أن إنسانًا أحسن إلى أبيه وأمه، لأطال الله بهذا الإحسان عمره، ولو أساء لعجل الله أجله، ومثل هذا القول يعد غريبًا على الإسلام، فأحكام الله لا تتردد بين أمرين، إنما جميع أحكامه محددة وقاطعة، يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة يونس: ٦٢ – ٦٥].

وَرُوِيَ في الحديث أن الله قد علم منذ الأزل الناجين والضالين، كما علم أفعال جميع البشر من قبل أن تفعل[(٢٩)]، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:* إن الله كتب أجل الإنسان ورزقه وعمله ومصيره قبل خلقه، فإذا أطال الله أجل عبد لحسن عمله فلأن الله يعلم بعلمه القديم عمل هذا الإنسان وبالتالي كتب أجله، وكذلك الحال بالنسبة للأمور التي تختلف عاقبتها، وهذه العاقبة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بِعِلَّتِها، فإن وجدت العلة وُجِد أثرها، وبالتالي فإن وجود الأثر مترتب على وجود العلة، فعلى سبيل المثال إذا سافر رجل ووقع له حادث أثناء سفره هذا، فإنه يجب القول إن هذا الحادث الناجم عن السفر كان معلومًا ومحددًا من قبل في علم الله، وهذا الحادث واجب الوقوع، ولكي يحدث أثناء السفر، كان لا بد من السفر، والحادث الذي قدره الله كان نتيجة لا يمكن تجنبها للسفر الذي قدره الله أيضًا، ولا يمكن تجنب أي منهما حيث إن الله قد قدر ذلك.

---

(٢٩) راجع ابن تيمية، الإيمان، القاهرة، ١٣٢٥هجريًا، ص: ١٥٦.

* الحديث ورد بالمعنى.

لما خرج النبي ﷺ لغزوة أحد وَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ ممن خرجوا معه، قال بعض القاعدين: لو قعدوا ما قتلوا، فأنكر الله ذلك على المنافقين وحذر المؤمنين من التأثر بهم، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وفي هذا الصدد يقول الله تعالى ردًّا على ما أشاعه المنافقون الذين شهدوا غزوة أحد لما رأوا إخوانهم يتساقطون في المعركة: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

توضح هذه الآيات أن الله قد قدر أجل الإنسان، وأن أجله لا يزيد ولا ينقص، لا بالعمل الصالح ولا بالعمل السيىء.

ولقد استند أيضًا أصحاب نظرية البداء إلى الآيات التالية: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ... ﴾ [نوح: الآيات: ٢، ٣، ٤].

يقول أصحاب نظرية البداء إن هذه الآيات تدل على أن أجل الإنسان قد يتغير بفعل البداء عند الله، وقد يزيد بالإيمان بالله وبفعل الخيرات؛ حيث إنه بعبادة الله وخشيته وطاعة رسوله، يغفر الله ذنوب العبد ويؤخره إلى أجل مسمى

أي: ينسأ له في أجله، وهذا الدليل خاطئ، حيث يقول الله تعالى في الآية الرابعة: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وذلك لا يترك أدنى مجال للشك في أن أجل الإنسان قد قَدَّرَهُ الله، وأنه لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وهذا الاستدلال يتعارض مع ما جاء في آخر الآية الرابعة حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ويفسر أصحاب نظرية البداء قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ تفسيرًا خاطئًا؛ وذلك من أجل تبرير نظرية البداء فيقولون: «يترككم تحيون أكثر من آجالكم المسماة»، والمعنى الحقيقي لقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ على خلاف ما يزعمون، وهو: إن الله يؤخركم إلى يوم قد قَدَّرَهُ، يعني يترك الإنسان يهنأ بعيش حياة ترضيه حتى يحين أجله، وهذا ما تؤكده هذه الآية الأخرى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [سورة هود: الآية ٣].

إن قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ لا يعني: يترككم تحيون أكثر من آجالكم المسماة، إنما يعني: يترككم تهنئون بحياة ترضيكم حتى تحين آجالكم، وإذا ما قيل إن الأعمال الصالحة تُطِيل العمر فإن ذلك لا يعني أنها تطيله أكثر من أجله المسمى، وإنما يعني أن الأيام التي يحياها الإنسان تكون مليئة بالرضا، ويقصد العرب أحيانًا كما يقول البطليوسي بقولهم: «مد العمر» بالحياة في سعادة ورضا، وفي المقابل يفسرون «الحياة القصيرة» بالعيش في المعاناة والشقاء[٣٠].

ويستند أيضًا القائلون بالبداء في تبرير نظريتهم إلى أن الإسلام يحث على

(٣٠) البطليوسي، الإنصاف، صفحة: ٧٤.

ذكر الله ودعائه، ويقولون: إذا لم تكن فائدة هذين العملين هو تغيير الواقع مما قضاه الله، فما عساه أن تكون الفائدة من هذه الأعمال؟ ولماذا حث الإسلام عليها؟ كما ذكروا أيضًا على وجه الاستدلال هذا الحديث الذي ينسبونه إلى عمر: «اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا أو مُقَتَّرًا عليَّ في الرزق، فَامْحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي، وإقتار رزقي وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات كلها»[٣١].

ونقول: إن الإسلام قد نصح بذكر الله ودعائه، ويوجد في القرآن العديد من الآيات القرآنية التي يحث الله فيها العبادَ على الذكر والدعاء ويقول: إن الله سيقبل دعاءهم ورجاءهم، وهذه بعض الأمثلة على ذلك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: الآية ٦٢]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: الآية ٦٠].

وكثيرًا ما كان النبي ﷺ في حياته يذكر الله ويدعوه، وكان يقول: إن مخ العبادة الدعاء[٣٢]، لكنَّ ذكر الله ودعاءه لا يغيران من قضائه شيئًا، والإسلام لا يأمر بهما إلا لأنهما مظهر من مظاهر عبادة الإنسان لله، وهذه العبادة لله المتمثلة في الذكر والدعاء يمكن أن يكون لها أحد الآثار الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ: إما استجابة الدعاء، وإما إثابة الذاكر، وإما رفع البلاء[٣٣].

---

(٣١) راجع الموسوعة الإسلامية، مقال جولدتسيهر عن البداء.

(٣٢) راجع تفسير المنار، للشيخ رشيد رضا، الجزء الثاني، صفحة: ١٧٢.

(٣٣) مرجع سابق، صفحة: ١٦٩.

وإذا ما استجاب الله الدعاء من العبد، فإنه لا يجوز القول إن ذلك قد جعل الله يقضي قضاءً جديدًا؛ لأن الله قد قضى بإجابة الدعاء، كما أن الدعاء كان في علم الله القديم، وقد جعل الله من الدعاء من الأزل شرطًا للاستجابة.

ويتضح من ذلك جليًا أن الحديث الذي نسبه القائلون بالبداء إلى عمر ما هو إلا مجرد اختراع من جانبهم لتبرير ما لا يمكن تبريره؛ لأن عمر لم يكن بوسعه أن يرفع مثل هذا الدعاء إلى الله؛ لأنه يتعارض بصراحة مع أحكام الإسلام.

ولقد كان هناك عادة قديمة في بعض الأقطار الإسلامية، حيث كان يجتمع المسلمون في المسجد في ليلة النصف من شعبان، يذكرون الله في هذه المناسبة بذلك الدعاء الذي نسبه أصحاب البداء إلى عمر، وكان المسلمون يقرؤون أثناء الدعاء الآية التي سبق وأن ذكرناها: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وكان هذا الاعتقاد القديم يعني أن أولئك الذين يدعون الله بهذا الدعاء في تلك الليلة لا يموتون في تلك السنة، لأن ليلة النصف من شعبان -في هذا الاعتقاد القديم- هي «الليلة المباركة» التي يكتب الله فيها مقادير كل شيء للسنة المقبلة، ونؤكد على أن هذه العادة القديمة تخالف تعاليم الإسلام، ولم تستمر هذه العادة إلا بسبب العادات الشعبية، ومع ذلك فإنها في طريقها إلى الاندثار شيئًا فشيئًا مع القضاء على الشعوذة التي لا تزال مغروسة في الأمة الإسلامية.

ولقد رأينا فيما سبق قيمة الأدلة التي استند إليها الباب والشيعة الروافض جاهدين من أجل تبرير البداء عند الله، ولقد استطعنا التحقق من الفارق الشاسع بين نظرياتهم والمعنى الحقيقي الذي يجب أن تفسر به الآيات القرآنية التي استندوا إليها، كما أننا رأينا أيضًا أن الدليل القائم على المشابهة بين معنى البداء والنسخ غير صحيح مطلقًا، حيث إن الفرق بينهما هو نفس الفرق بين الحق والباطل وبين العلم والجهل.

الفصل الثاني

الشريعة البابية

يقصد بالشريعة في الإسلام جميع الأحكام المتعلقة بالمسائل غير العقائدية مما يعني أن الشريعة تقوم على الأحكام التي تنظم علاقات الإنسان مع الله والتي تتمثل في الصلاة والصيام والحج والزكاة، وتختص هذه الأحكام أيضًا بعلاقات الناس فيما بينهم، وفي هذه الحالة تنقسم هذه الأحكام إلى ثلاثة أقسام:

١- الأحوال الشخصية التي تنظم المسائل المتعلقة بالزواج والمهر والطلاق والإرث... إلخ.

٢- الأحكام المدنية.

٣- الحدود والجنايات.

هل يمكن أن نجد في البابية شريعة محددة وواضحة؟ إذا ما قمنا بدراسة «البيان العربي» الذي يعده الباب بيانًا لكل شيء، والذي يجب أن يكون كافيًا لكل شيء ولكل الناس، وإذا ما عدنا أيضًا إلى كتابه «البيان الفارسي» الذي هو أكبر حجمًا من سالفه، فإنه لا يشتمل على شيء سوى تفسيرات تجعله أحيانًا أكثر غموضًا، ليس في البيان العربي سوى قليل من الأحكام غير المفهومة والمتناقضة التي تسبح في جو من اللفظية تجعل عرضها صعبًا للغاية، وأحيانًا ما يستعمل الباب بعض المصطلحات الغامضة لبيان أشياء أكثر سهولة والتي تحتاج أن يعبر عنها بطريقة سهلة وواضحة ومحددة، ولقد اضطر أحيانًا السيد نيكولا -الذي

جعل من نفسه أكبر مفسر لفكر الباب- إلى الاعتراف بأن أفكار «السيد» تتجاوز قدرته على فهمها[1].

ولقد كان دليل الباب في وضع هذه الأحكام فكرتين: أراد في بادئ الأمر أن يجعل من كتابه البيان كتابًا ناسخًا للقرآن ومبطلا له، وكل ما استطاع أخذه من القرآن يريد استبداله، أخذه بغير دقة لا مثيل لها سوى عجزه عن الوصول إلى ذلك، ثم أراد بعد ذلك إجراء بعض التغيرات على الأحكام الموجودة، إلا أنه لم ينجح في ذلك، لأن كتابه «البيان العربي» الذي كان من الواجب أن يحدث ثورة في العالم، لم يأت بشيء مفيد أو دائم إلا تلك الظاهرة النادرة من الانعدام الكامل لترتيب الأفكار ووضوحها وتحديدها.

ولندرس أحكام الباب المتعلقة بالصلاة والصيام والحج:

فيما يتعلق بالصلاة نجد أن الباب قد بين أنه نسخ الصلوات الخمس اليومية التي فرضها الإسلام، وأقام الباب مقامها صلاة واحدة تقام عند الظهر، وتشتمل على تسع عشرة ركعة -مجموع الحركات التي يؤديها المسلم في صلاته حيث يعتدل قائمًا، ثم يركع، ثم يسجد، ثم يعتدل قائمًا كما كان-، ولقد أمر الإسلام بإقامة الصلاة لله، أما الباب فإنه يقول: «يجب أن تكون التسع عشرة ركعة رمزًا في قلوبكم لأحرف الواحد ليرضى عنكم الله»[2]، وهذا يعني أن عقل المصلي يجب أن يكون متشبعًا بأحرف الواحد وعددها تسعة عشر والتي تمثل الباب وأتباعه الثمانية عشر المقربين، ويمثل هؤلاء الحواريون «أحرف الحي»، وذلك حتى ينال المصلي رضا الله، ومع ذلك فإن هذا كله لم يكن يكفي الباب؛ لأنه كان يسعى إلى

(١) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحة: ٦١، ملاحظة رقم ٢، صفحة ١٤٥ ملاحظة رقم ٢

(٢) مرجع سابق، صفحة: ١٧٧

إلزام المصلي بالتوجه في صلاته -ليس إلى الكعبة بمكة- وإنما إليه هو باعتباره كعبة متحركة، لأنه يقول إن الله يقول: «قل للناس إن قبلتكم حيث نظهر وإذا غيرنا مكاننا فإن القبلة تتغير معنا...»[٣].

ويستحب في الإسلام إقامة الصلاة في جماعة إذا كان ذلك ممكنًا؛ تعظيمًا لصلاة الجماعة ولبعض اعتبارات التضامن الاجتماعي، أما بالنسبة للباب فإنه أسقط صلاة الجماعة باستثناء صلاة الجنازة إرضاء لرغبة مجنونة في التغيير[٤].

ما السبب الذي جعل الباب يحرم صلاة الجماعة؟

مما لا شك فيه أنه لم يفعل ذلك إلا لإرضاء رغبته في تغيير الواقع دون أن يعير أي اهتمام لتبرير هذا التغيير المزعوم بطريقة صحيحة.

ونقول أيضًا إن الصلاة في الإسلام لها شروط صحة قبل الشروع فيها، وبدون هذه الشروط لا تكون الصلاة صحيحة، ومن هذه الشروط -على سبيل المثال- الوضوء والطهارة الشرعية يعني طهارة الإنسان من بعض النجاسات التي ذكرها القرآن والسنة، ويشتمل الوضوء في الإسلام على غسل اليدين والرجلين والوجه والمسح بالرأس، أما عند الباب فإن الوضوء -على خلاف الإسلام- يشتمل على غسل اليدين فقط إلى الرسغين، وأما بالنسبة للطهارة الشرعية التي فرضها الإسلام، فإن الباب يتحدث عنها ولكن بطريقة متناقضة مع أحكام الإسلام فيقول: «إن كل من دخل في دين الباب فهو طاهر، وكل ما يملكه ويأخذه من غير المؤمن بدينه طاهر أيضًا»، ويقول أيضًا: «إن جميع الأشياء التي

(٣) مرجع سابق، صفحة: ١٨١

(٤) مرجع سابق، صفحة: ٢٠٠

تسمى أشياء تعد طاهرة ما عدا ما يمتلكه من لا يؤمن بالباب[٥]، وبالتالي فليست هناك نجاسة شرعية عند الباب، ولكنه يقول مع ذلك إن المطهرات هي: «ذكر اسم الله، وذكر اسم النقطة (الباب) وآيات البيان، وكلمات الباب، والدخول في دين الله وتغير صفة الشيء (الشيء النجس)، والنار، والهواء، والماء، والتراب، والشمس إذا جففت الشيء النجس»[٦].

وعندما يبين الباب المطهرات ويذكر من بينها الماء والهواء والنار والتراب والشمس التي تجفف الشيء وتغير طبيعة الشيء النجس، فإنه يريد بذلك أن يقلد الإسلام إلا أن التطهر بالشمس والتراب في مفهوم الإسلام يقتصر على بعض الأشياء، ومع ذلك فإن الباب بسبب الرغبة المسيطرة عليه في التغيير لم يكن يدرك أنه وقع في تناقض، حيث إنه بَيَّنَ من قبل أن جميع الأشياء التي يمتلكها المؤمنون بالباب طاهرة.

أما ما يتعلق بالصيام فإن الباب مع قبوله به قد أدخل عليه أيضًا بعض التغييرات، فالإسلام فرض الصيام خلال شهر رمضان حتى يتذكر المسلمون بدء نزول القرآن على محمد ﷺ خلال هذا الشهر، أما الباب فإنه فرض الصيام أيضًا خلال شهر واحد ولكنه شهر بابي عدته تسعة عشر يومًا، وأطلق على هذا الشهر اسم شهر الأولى.

ويرى الباب أن الصيام يجب أن يبدأ من طلوع الشمس إلى غروبها، أما الصيام في الإسلام فإنه يبدأ بطلوع الفجر، ويرى المسلمون أن الصيام لا يجب إلا على البالغ ويظل واجبًا عليه ما دام يطيقه، أما عند الباب فإن الصيام واجب على

---

(٥) مرجع سابق، صفحات: ١٤٩- ١٥٠، ٢٠٥

(٦) مرجع سابق، صفحات: ١٥٣- ١٥٤

كل من بلغ إحدى عشرة سنة وحتى اثنتين وأربعين، ولكن إذا أراد الصبي البالغ من العمر أقل من إحدى عشرة سنة الصيام، فإنه يمكنه الصيام حتى الظهر، ومع ذلك فإن الباب يقوم بحساب الإحدى عشرة سنة بطريقة غريبة؛ لأنه يدخل فترة الحمل في عمر الطفل فيصبح الصيام واجبًا على البابيين إذا بلغ الصبي عشر سنوات وثلاثة أشهر[(٧)].

ونتساءل: على أي شيء استند الباب في هذه العملية الحسابية الغريبة؟ وحيث إنه ليس من الممكن بيان سبب واضح لذلك، فإننا نضطر إلى القول إن ذلك كان مجرد رغبة منه في تعديل ما استقر عليه العرف دون أدنى اهتمام بأن يكون لذلك التعديل معنى، لذلك فإننا نُعِدُّ هذا التعديل أمرًا لا معنى له.

أما ما يتعلق بالحج، فإن الإسلام جعله إلى مكة حيث الكعبة بالمسجد الحرام، إن فريضة الحج إلى الكعبة مردها إلى الذكريات التاريخية التي تمثلها، إذ يقول الله في القرآن إن إبراهيم وولده إسماعيل هما اللذان رفعا قواعد هذا البيت، وعندما فرض الإسلام حج هذا البيت مرة في العام أراد أن يهيئ للمسلمين فرصة الاجتماع لتبادل الأخبار والأفكار والتعاون المتبادل إذا ما كان هناك مجال لذلك، أما الباب فلم يرد بالطبع أن يستمر الحج إلى مكة، ففرض الحج إلى البيت الذي ولد فيه بشيراز وسماه المسجد الحرام، وقال إن الله يقول عنه: «يا عبادي اذهبوا إلى بيتي، إن بيت من يظهره الله هو بيتي»[(٨)]، ويقول أيضًا: «المسجد الحرام هو ذلك البيت الذي ولد فيه من يظهره الله، وهو البيت الذي وُلِدْتُ فيه»[(٩)].

---

(٧) مرجع سابق، المخطوطة، الجزء الثامن، السور: ١٨، جوبينو الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحة: ٤٥٥

(٨) البيان العربي، المخطوطة، الجزء الرابع، الباب: ١٦

(٩) مرجع سابق، الجزء الرابع، الباب: ١٧

وحتى يعطي الباب هذا البيت مسحة من الحرمة والقداسة، حرم التجارة في حرم هذا البيت مما يعد انتحالا يضاف إلى ما اقترفه من قبل، ولقد جعل من حج بيته الذي ولد فيه فريضة عظيمة لا يمكن التخلف عنها إلى درجة أنه جعلها مفروضة حتى ولو لم يستطع الناس إليها سبيلا إلا بالسير على الأقدام، ومن الواضح لنا أن هذه الفريضة لم تكتب لغاية روحية محضة، لأن الباب قد فرض على كل حاج أن يأتي إليه بأربع قطع من الذهب له ولأصحابه، وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

أما بالنسبة للنساء فإن الباب يقول إنه يجوز لهن أداء الحج حتى لا يحزنهن، ولكن يمكن أن يُسْقِطَ الفريضةَ عنهن إذا كان في ذلك مشقة عليهن، وما يوصي به الباب النساء أيضًا هو الحج إلى بيته الذي ولد فيه ليلا[10].

ويتضح من ذلك أن الحج ليس فريضة على النساء ففي هذا الصدد يقول الباب في كتابه «الوحي»: «إن الله يقول: إن الله فرض الحج على الرجال لا على النساء»[11]، ويرى الباب أن الحج -كما ذكر في كتابه السابق ذكره- يشتمل على زيارة بيته وزيارته هو وزيارة «أحرف الحي»، ويقول أيضًا: «إن الله يغفر الذنوب لمن أتم هذه الزيارات، ويغفر لأبيه وأمه وسبعين من أقاربه»[12].

أما بالنسبة للزكاة والتي لها مكانة هامة في الإسلام، فإننا سنتحدث عنها مع استعراض الأحكام المدنية التي وضعها الباب.

ونتحدث هنا عن الأحكام المدنية التي كان يريد الباب وضعها: أما ما

(١٠) مرجع سابق، ترجمة نيكولا، صفحة: ١٤٤

(١١) الميرزا علي محمد الباب، الوحي، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، رقم: ٤٦٦٨، صفحة: ٣١

(١٢) مرجع سابق، صفحة: ٣٢

يتعلق بالأحوال الشخصية التي تختص بالزواج والمهر والطلاق والإرث، فإن الباب لم يضع لها إلا قليلا من الأحكام التي يشوبها الغموض.

الزواج: يوصي الباب به على وجه الخصوص ويقول: «إذا بلغ الطفل إحدى عشرة سنة فزوجوه»، ويضيف قائلا: «إن من استطاع ذلك ولم يتزوج حبط عمله»[13].

إننا لا نجد عند الباب نصًّا قاطعًا يحرم تعدد الزوجات، بل إننا نجد على العكس في كتاب «البيان العربي» ثلاثة نصوص تبين أن تعدد الزوجات مباح، وسوف نذكر هذه النصوص فيما بعد عند حديثنا عن الإرث والحدود.

المهر: حدد الباب قيمة المهر بخمسة وتسعين مثقالا من الذهب لأهل المدن وخمسة وتسعين مثقالا من الفضة لأهل القرى، وهذه القيمة يمكن أن تنخفض بمقدار وحدة أو أكثر، وتبلغ قيمة الوحدة تسعة عشر مثقالا وفقًا لحال صاحب الشأن[14].

الطلاق: يعارض الباب الطلاق في الأصل، ويقول: إنه لا يجب الاقتراب من الطلاق، لكنه يبيحه إذا لم يكن هناك خيار غيره، ويقع الطلاق بين الزوجين تسعة عشرة مرة متتابعة بشرط أن يكون ما بين الطلاق ورد الزوجة مدة تسعة عشر يومًا فإن طلقها تسع عشرة مرة فإنه يحرم عليهما أن يتراجعا[15]، ومع ذلك فإن هناك في شريعة الباب تعليقًا للحياة الزوجية سوف نتناوله في حديثنا عن الحدود.

---

(١٣) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحة: ١٨٧

(١٤) مرجع سابق، صفحة: ١٦٠

(١٥) مرجع سابق، صفحة: ١٦٤

الإرث: يحدد الباب ورثة المتوفى بالطريقة التالية: الأب والأم والأولاد والزوجة أو الزوج والإخوة والأخوات والمعلم[16]، أما ما يختص بطريقة تقسيم التركة، فإننا نضطر إلى ذكر نص ما جاء في البيان العربي وقام السيد نيكولا بترجمته وأضاف إليه بعض التفسيرات بين الأقواس من جانب المترجم، وهذا نص ما جاء في البيان العربي: «قل للناس: يرث أولادكم منكم من كتاب الطاء* (طاء = ٩ ويقصد بذلك هنا ٩/ ٦٠ من الإرث)، وتجب القسمة فيما بينهم بالعدل، قل إن ما كتبه الله للأولاد هو رقم مقت (= ٥٤٠ بما يساوي ٩/ ٦٠).

قل إن ما كتبه الله لزوجاتكم -أكثر من زوجة- من كتاب الهاء (= ٨ بما يساوي ٨/ ٦٠ = ٤٨٠)، فإن كن أكثر من واحدة فليقتسمنه بالعدل، وما كتبه الله لأبيكم من كتاب الذال (=٧ بما يساوي ٧/ ٦٠ = ٤٢٠) يقتسمه الأب مع الجد -وإن علا- بالعدل، وترث أمهاتكم من كتاب الواو (=٦ بما يساوي ٦/ ٦٠ =٣٦٠)، ويجب أن تكون القسمة كذلك كما أمر ربكم، وكتب الله لإخوانكم من كتاب الحاء (=٥ بما يساوي ٥/ ٦٠=٣٠٠)، أبلغهم ذلك كما أمر الله، وكتب الله لإخوانكم الإرث من كتاب الراء (=٤ بما يساوي ٤/ ٦٠ = ٢٤٠) اقتسموه بالعدل كما أمر الله، وكتب الله لمعلميكم علم «البيان» من كتاب الجيم (=٣ بما يساوي ٣/ ٦٠=١٨٠)، فإن كانوا أكثر من واحد فليقسموه فيما بينهم بالعدل»[17].

إننا لا نعلم لماذا يجعل الباب تقسيم التركة تقسيمًا ستينيًّا، لكن ما نلاحظه

---

(١٦) مرجع سابق، صفحة: ١٧٩

* هذه الطريقة تسمى حساب الجُمَّل وهي -كما جاء في المعجم الوسيط-: «ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف على ترتيب خاص».

(١٧) مرجع سابق، صفحات: ١٨٩- ١٩٠. هذا التفصيل في مسائل الميراث جاء في المخطوطة العربية كما جاء في ترجمة جوبينو في الجزء العاشر، الباب الثالث، بينما ورد في ترجمة نيكولا في الجزء الثامن، الباب: ١٦، أما كتاب «البيان الفارسي» فإنه لم يذكر شيئًا من مسائل الميراث في الجزء الثامن، الباب: ١٦

أن الأنصبة التي يذكرها لا تمثل إلا اثنين وأربعين جزءًا من الستين، ولقد حاولنا معرفة أين ذهب الثمانية عشر جزءًا المتبقية، إلا أن المحاولة باءت بغير فائدة، ولقد تحدث السيد دو جوبينو في كتابه السالف ذكره عن قضية الميراث عند الباب، ولكنه لم يقدم أي تفسير، ولا يقدم لنا البيان الفارسي أي تفسير في هذا الشأن؛ لأنه ينتهي عند الباب العاشر من الجزء التاسع، أما مسألة الميراث فإنها جاءت في البيان العربي في المخطوطة في الباب الثالث من الجزء العاشر، ولقد وضع السيد نيكولا في ترجمته لهذا الكتاب هذا الموضوع في الباب ١٦ من الجزء ٨، ولكنه لم يذكر شيئًا من ذلك في ترجمته لكتاب البيان الفارسي، ولقد غاب هذا الخطأ في قسمة التركة عن السيد نيكولا؛ لأنه لم يتحدث عنه في أي موضع من المواضع.

إننا نريد أن نضيف في حديثنا عن الإرث هاتين الملاحظتين:

١- يقول الباب إن الله يقول -كما سبق ورأينا ذلك-: «قل إن ما كتبه الله لزوجاتكم... فإن كن أكثر من واحدة فليقتسمنه بالعدل...»، إننا نلاحظ في هذا النص أن الباب يجيز تعدد الزوجات، وهذا هو أحد النصوص الثلاثة التي وعدنا بذكرها أثناء حديثنا عن الزواج.

٢- بَيَّنَ القرآن بصراحة ووضوح أصحاب الحقوق في التركة وأنصبتهم، فلم يذكر شيئًا منها بطريقة غامضة كما فعل الباب في كتابه "البيان".

إن القانون المدني الذي يتمتع عند الباب بأهمية خاصة -بل خاصة جدًّا- هو ذلك القانون الذي ينظم المسائل المالية، وتتعلق هذه المسائل بنشر كتاب "البيان" خاصة وبتشييد وتجميل المنازل والمساجد له ولأتباعه المصطفين، وبحيازة الأملاك المختلفة والأموال لصالح نفس الأشخاص، ففي الجزء الثالث- الباب التاسع

عشر من البيان العربي يقول الباب إن الله يقول: "يا عبادي، أنفقوا مما أعطيتكم بقدر استطاعتكم في سبيل ما أنزل (البيان) عليَّ"[١٨].

وهذا يعني أنه على المرء أن ينفق من ماله بقدر ما يستطيع طالما أنه لصالح كتاب البيان، إنه يقصد بذلك نشر أفكاره لصالح المذهب الجديد، ويقول في الجزء الخامس- في الباب الأول إن الله يقول: "... يجب عليكم بناء مسجد شاهق الارتفاع في المكان الذي ولدت فيه، وأن يكون بناؤه ضخمًا بقدر ما تستطيعون"، وفي الباب الثاني من نفس الجزء يقول: "... ابنوا بإذني مساجد "أحرف الحي" (أتباعه الثمانية عشر) (في المكان الذي ولدوا فيه) وأضيئوها بقدر ما تشاؤون" (ترجمة نيكولا، صفحة ١٤٦).

ويقول في الجزء السابع، الباب التاسع: "إذا اختير أحد ما سلطانًا على دين البيان فعليه أن يبني لله وابتغاء مرضات الله مسجدًا له خمسة وتسعون بابًا، وعليه أن يبني أمام هذا المسجد مسجدًا آخر له تسعون بابًا لمن يظهره الله" (صفحة: ١٧٣)، ويقول في الجزء الثامن، في الباب الرابع: "كل ما في الدنيا من شيء جميل ينتمي أعلى ما فيه لمن يظهره الله، وأبسط ما فيه للمؤمنين، وأوسط ما فيه لـ«أحرف الحي» الذين يهدون الناس إلى نقطة الحقيقة".

ويقول في الباب الخامس من الجزء الثامن أيضًا: "لو كان لكم أن تختاروا فاختاروا ثلاث قطع من الماس وأربعًا من الياقوت الأحمر وستًّا من الزمرد وستًّا من الياقوت الأزرق (أي تسعة عشر من الأحجار الكريمة)، وتعطونها يوم ظهور

---

(١٨) البيان العربي، المخطوطة، صفحة: ٧ وظهر الصفحة: ٧، عندما نسب الباب القول لله بوجوب الإنفاق مما أعطى بقدر المستطاع لصالح البيان، لم يستطع الباب صياغة العبارات باللغة العربية؛ لأن الله (الباب) في حديثه عما أعطى لا يقول: «... لصالح ما نزل علي... » وإنما «لصالح ما أنزلت»

شمس الحقيقة لـ«أحرف الواحد»، ويجب أن تكون قيمة أحد هذه الأحجار محددة القيمة الثمانية عشر حجرًا الباقية". (صفحات: ١٧٩ - ١٨٠).

ويقول في الجزء الرابع، في الباب الثامن عشر: "إذا سافرتم لحج منزلي فيجب عليكم أن تقدموا للحراس التسعة عشر القاعدين على كراسيهم أربعة مثاقيل من الذهب إذا تصرفوا معكم بكل أدب ولياقة، ونحن نغفر لمن لم يستطع إعطاء أربعة مثاقيل، وكذلك للعبد الأسير والخادم ولمن جاء على نفقة آخر ولمن سلب منه متاعه في طريقه، فنسقط عنهم الأربعة مثاقيل؛ لأنهم ربما يشكرون الله". (صفحة: ١٤٣).

ويقول في الجزء التاسع، في الباب الأول: "قل إن أفضل الأشياء على وجه الأرض هو ملك لمن نظهره، فعند ظهوره عليكم أن تأتوا بها إليه، حتى ولو كانت بيوتكم، فإن ترددتم يوم ظهوره في إعطائها إياه، فسوف تدخلون النار". (صفحات: ١٩٥ - ١٩٦).

ويقول في الجزء الخامس، في الباب الخامس: "يجب عليكم أيها المؤمنون أن تأخذوا أموال من لم يدخلوا في دين البيان، فإن آمنوا، فردوا إليهم أموالهم، إلا إن كنتم في بلد لا تستطيعون فيه ذلك". (صفحة: ١٤٧).

ويقول في الجزء الخامس، في الباب السادس: "إذا ما فتحت مدينة لدين البيان فإنه يجب أن تنتزع الأشياء الفريدة من نوعها ويحتفظ بها لمن يظهره الله، ويجب الاحتفاظ بها إن لم تكن عرضة للتلف أو إعطاؤها إلى من يستطيع التجارة فيها بقيمتها، ولقد حدد الله حقه في هذه التجارة بالعشر، (ويضيف السيد نيكولا في ملاحظته: وهكذا يستفيد التاجر من التجارة التي يقوم بها، والربح المقدر

بالعشر حلال له إذا ما آمن بمن يظهره الله يوم ظهوره وَرَدَّ الأصل إليه، ولكنه إن تأخر في أداء ذلك فإنه يعد لِصًّا سارقًا لِحَقِّ الله، أما ما زاد على الأصل من أرباح فإنه يتصرف فيه كما أمر الباب)، وهذه رحمة منا بهذا التاجر، ويجب أن يحفظ ثمرة ذلك لمن نظهره، وعلينا حسابهم جميعًا، ومن المبلغ المتبقي يجب أن تؤخذ خمسة أجزاء تُعْطَى لـ«أحرف الحي» أتباع من يظهره الله، وحراس المؤمنين الذين نعتمد على إخلاصهم، ويجب أن نقتطع ستة أجزاء لشهود البيان وأما ما يتبقى، فإنه يجب إنفاقه في سبيل نشر الإيمان بالبيان، ويجب إعطاء الفقراء، ومن حق سلطان البيان أن يتملك ما يتبقى كما يشاء، ويعطي كل واحد من الجنود حقه، فإن تبقى من المال شيء يجب أن ينفقه في صيانة وتزيين القباب التسعة عشر". (صفحات: ١٤٧ - ١٤٩).

ويقول في الجزء الرابع، في الباب الثاني عشر: «تجب أن تُمْحَى جميع القباب العالية على وجه البسيطة، ويستفاد بما فيها من ذهب في تزيين قبور (أحرف الواحد)». (صفحة: ١٣٩).

ونريد الإشارة هنا في الباب الثاني إلى أن النص الأصلي أكثر وضوحًا من ترجمة السيد نيكولا، حيث يقول في النص الأصلي: «اذهبوا في كل مكان في العالم وخذوا كل شيء من أجل (أحرف الواحد)».

ويقول في الجزء الخامس، في الباب السادس عشر: "جميع الأشياء الفريدة من حق من يظهره الله، أيًا كان هذا الشيء حتى لو كان عدد الواحد. يا عبادي أعطوا ذلك إلى من يظهره الله، فإذا ما غربت شمس الحقيقة (عند موت الباب)، فلكم مني أنا شمس الحقيقة هذه الأشياء من بعدي، ثم ردوها عليَّ يوم ظهوري فيما بعد". (صفحة: ١٥٤).

هكذا رأينا أن الفقرات المقتبسة السابقة، والتي تختص بالمسائل المالية، تتعلق فقط بالمصالح الشخصية للباب ولـ«أحرف الحي»، ويجب علينا القول إنه لا يوجد في القرآن ولا في السنة ما يتشابه بأي صورة من الصور مع هذه الأحكام البابية.

ونأتي الآن إلى نصوص البيان العربي التي تتشابه تشابهًا غامضًا مع ما جاء في الإسلام عن الزكاة المفروضة ومع الخراج، إننا لا نستطيع أن نتحدث بالتفصيل هنا عن أحكام فريضة الزكاة في الإسلام وأحكام الخراج، ومع ذلك فإننا نستطيع القول بصفة عامة إن الزكاة يتم تحصيلها على المعادن الثمينة والأموال التجارية سنويًّا بربع العشر من قيمتها، أما بالنسبة لخراج الأرض الزراعية فإنها تحدد بالعشر أو نصف العشر تبعًا لطريقة الري والعائد السنوي، وتصرف هذه الزكاة إلى أعمال الخير الاجتماعية وتمثل جزءًا من موارد الدولة التي تستخدمها في صالح المجتمع.

أما بالنسبة للتشريعات المدنية التي يزعم الباب وضعها فإن الموارد التي تأتي من الزكاة المفروضة وخراج الأراضي الزراعية لا تكون إلا لخدمة المصالح الشخصية للباب ومصالح «أحرف الحي».

في الحقيقة، يقول الباب في الجزء الثامن من الباب السادس عشر: "أمر الله أن نخرج بالعدل عن كل مائة مثقال إذا حال عليها الحول ولم ينقص منها شيء عشرين مثقالا لله، ويجب عليكم إعطاء العشرين مثقالا إلى من يظهره الله حتى يعطي لكل واحد من أحرف الواحد التسعة عشر مثقالا (أصحاب الباب الثمانية عشر والباب نفسه)، ونصيب الواحد المطلق (الباب) مثقالان (من العشرين مثقالا)، ويقوم من يظهره الله بإنفاق العشرين مثقالا على حروف الواحد وذلك

قبل ظهور من يظهره الله". (صفحات: ١٨٨– ١٨٩)، وهكذا يفرض الباب ضريبة باهظة ممثلة في خمس بعض الممتلكات، وهذه الضريبة لا تخدم مصالح المجتمع في شيء، إنما تخصص لإرضاء المصالح الشخصية للباب ولأتباعه الثمانية عشر المقربين.

ويقول في الجزء الخامس، في الباب التاسع عشر: "من كان عنده مال من ذهب أو فضة ولم يبلغ أربعمائة وخمسين مثقالا ولم يحل عليه الحول، فليس عليه شيء يدفعه إلى السلطان، تلك رحمة منا لعلكم تشكرون، فإذا ما حال الحول ووجدتم في دين البيان سلطانًا لا يتجاوز حدود البيان فأعطوه عن كل مثقال من ذهب خمسمائة دينار، وعن كل مثقال من فضة خمسين دينارًا، فلربما يأتي هذا السلطان يوم ظهوري الآخر لمساعدة دين الله ولا يجبر على الأخذ من الناس بغير حق ولو فتيلا، فإذا ما أجبر على ذلك، فإنه يجب إعطاؤه ضعف تلك الضريبة إذا كان مقتنعًا، ولا يجب عليه أن يطلب هذا الحق المحدد له، ولا أن يكون سببًا في حزن أحد إلا إذا نما إلى علم ذلك الملك أن الناس لا تريد أداء ما عليها من واجبات؛ لأنهم يحبون أموالهم وراحتهم، فلربما أمر بأن يدفع كل واحد حقوقه منذ ميلاده وحتى وفاته، فيجب عليه أن يعطي من جميع ماله حقوق السلطان، وأن يكون من الشاكرين، هذا النصيب المفروض هنا ما هو إلا حق من يظهره الله، ولقد أذنت بإعطائه إلى عباده، ولربما استحيا العباد منه فلا يتهمونه، فبدون ذلك يكون هذا الحق حقي وحق أسمائي وهم أولئك الذين لا نرى فيهم أحدًا سواي، يا خلقي، أعطوا هذا الحق إلى حروفي الأولى". (صفحات: ١٥٦ – ١٥٧).

يتبين لنا مما سبق أن الباب قد جعل الزكاة المفروضة نصف العشر؛ لأن مثقال الذهب –وفقًا لنظامه المالي– يساوي عشرة آلاف دينار، ومثقال الفضة

يساوي ألف دينار، ويجب إعطاء نصف العشر إلى السلطان البابي، ويتبين من ذلك أن عائد هذه الضريبة هو في حقيقة الأمر حق الباب، ومع ذلك فإنه يأذن بإعطائه إلى عباده من البابيين.

ويجب أن نذكر أيضًا الباب السابع عشر من الجزء الثامن، ولكن بما أن ترجمة السيد نيكولا لا تتفق مع نص مخطوطة البيان العربي، فإننا نذكر ترجمة جوبينو التي أدرجها في كتابه "الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى"، وهذه الترجمة تقترب كثيرًا من النص الأصلي: "إذا ما أخرج كل واحد زكاته (مقدرة) بمثقال الذهب والفضة وأعطاها للأحرف (التسعة عشر) ولاثنين من حرف الهاء، فإنه قد نزل أن السبع (السدس في الحقيقة) (من إجمالي القيمة) يذهب إلى الله، وهذا ينتج لنا أن من كل شيء نملكه -فيما عدا الجزء الخاص بالله (السدس المخصص لله)- نصيبًا للفقراء والمساكين ومن عليهم الفدية وذوي العسرة في تجارتهم وأبناء السبيل، وأن يحسن بعضنا إلى بعض، قل إنما الأكثر قربًا هم الأطفال وما يحتاجون إليه ثم الأقربون" (صفحات: ٤٥٣ - ٤٥٤).

هكذا نرى أن نصيب الله -ويقصد بذلك نصيب الباب- لا يتصدق به كزكاة، ولكي يخرج الرجل الزكاة يجب عليه أن يخرجها من المال الذي يتبقى معه بعد استيفاء الباب نصيبه أولا.

ولنفس السبب السابق ذكره، نسوق ترجمة دو جوبينو للجزء العاشر، الباب السادس عشر: "فرض (الله) على كل ملك من ملوك الأرض أن يخرج مائة وأربعين مثقال ذهب كل سنة، ثم يخرج كل واحد من كبار الوزراء مائتين وتسعين مثقالا، ثم يخرج كل واحد من كبار الولاة مائة وستين مثقالا، ثم يخرج كل شخصية دينية كبيرة مائتين وثمانين مثقالا، فلقد أحزنوا حقًّا مَنْ سوف يظهره

الله (تقول المخطوطة: يجب على كل واحد من هؤلاء دفع هذه الضريبة إذا أحزن من سوف يظهره الله، وسوف يجب عليهم حينئذ أن يؤدوا إليه (تلك الغرامات المفروضة) بأيديهم لصالحه يوم ظهوره ..." (صفحة: ٤٧٠)، ويتعلق الأمر هنا بالضريبة التي يدفعها كبار رجال الدولة والدين ويجب دفع هذه الضريبة إلى من يظهره الله وهو الباب.

ويوجد أيضًا في البيان أحكام مختلفة يمكن تصنيفها من بين الأحكام المدنية، وهذه بعض الأمثلة عليها:

يتحدث الباب في الباب الثامن عشر من الجزء الخامس عن التجارة فيقول: "يجوز لعبادي أن يشتروا ويبيعوا إذا ما اقتنعوا أن الطرفين راضيين عن البيعة، ويجوز أيضًا لجميع التجار أن يبيعوا لأَجَلٍ محدد يحدد فيه الدفع أو التسليم، ويرتفع الثمن ويقل بزيادة المدة وانخفاضها، فإذا كان البيع عاجلا وجب دفع الثمن". (ترجمة نيكولا، صفحات: ١٥٣ - ١٥٤).

ويتحدث في الباب الثامن من الجزء التاسع عن المشروبات الروحية فيقول: "لا تمتلكوا أدوية ولا مشروبات مخمرة ولا غيرها مما يسكر، إياكم وشراءَها وبيعَها ومعاقرتَهَا، اللهم إلا في الصناعة" (صفحة: ٢٠٠).

ويضع الباب قانونًا إداريًّا في الباب السابع عشر من الجزء العاشر، فيقول: "مروا أن تكون كل صناعة منفصلة عن الأخرى حتى لا يختلطا، وحتى يكون لكل واحدة مكانها الخاص بها، وتلك هي الطريقة المثلى والنظام الأمثل، مروا أن تكون كل صناعة في خان قوافل التجارة؛ لأن ذلك أقرب لله ولصالح التجارة وحتى لا تحيدوا عن كلام الله، إن كنتم تعقلون" (صفحة: ٢١٦).

ويوجد في البيان عدد من الأحكام لا ترقى للوصف بالأحكام المدنية، ومع ذلك فإن هذه الأحكام تختص بموضوعات تافهة تثير الضحك، ونحن لا نريد أن نذكر إلا بعضًا منها ليدرك القارئ قيمتها ودرجة عقل من قام بوضعها.

يقول الباب في الباب التاسع من الجزء السادس: "يجوز لكم في ليلة العرس أن ترتدوا ثيابًا من حرير، وإذا استطعتم فلا تلبسوا إلا حريرًا، ولقد أذن لكم ربكم أن تصنعوا أي آلة تريدون من ذهب ومن فضة بشرط ألا يكون ذلك مدعاة لحزنكم (إذا لم تقدروا عليه)" (صفحة: ١٦٢).

ويقول في الباب الحادي عشر من الجزء العاشر: "ادفنوا موتاكم في زجاج أو في توابيت حجرية منقوشة، لعل قلوبكم تكون في سلام، ضعوا خاتمًا في يد موتاكم اليمنى وانقشوا على الخاتم الآية المذكورة أدناه: لعل الموتى لا يتوجسون خيفة في قبورهم" (صفحة: ١٥٢).

ويقول في الباب الثاني عشر من نفس الجزء: "ضعوا في كفن موتاكم قليلا من تراب المؤمن الأول والآخر" (صفحة: ١٥٣).

ولا يتضح في مخطوطة البيان العربي من هو الأول والآخر، والسيد نيكولا يجعل منه "المؤمن" الأول والآخر، ولكننا نعتقد أن الباب هو المقصود بذلك؛ لأنه -كما سبق وقلت- كان يصف نفسه "بالأول والآخر والظاهر والباطن" وهي من الصفات الواجبة لله.

ويقول في الباب الرابع عشر من الجزء السادس: "يمكنك -إن شئت- أن تعد ليلة عيد الربيع تسعة عشر طبقًا من الطعام، ومن يستطع فليصنع من الأطباق عددًا يصل إلى ٢٠٠١، ولا تحزنوا إذا لم تقدروا على إعداد هذه الأرقام

من الأطباق (٢٠٠١ أو ١٩)؛ لأنه مَنْ ليس لديه القدرة على فعل ذلك يؤته الله في الآخرة أجرًا". (صفحة: ١٦٥).

ويقول في الباب الحادي عشر من الجزء السابع: "إذا أردتم أن تعلموا الناس فاجلسوا على كرسي ..." (صفحة: ١٧٤).

وفي ختام هذه الأقوال المقتبسة للباب والمتعلقة بالأحكام المدنية البابية، نبين ما جاء في الجزء العاشر، الباب الخامس عشر: "لا تركبوا البقر ولا تحملوا على ظهورها شيئًا إن كنتم بالله وآياته تؤمنون، ولا تشربوا من لبن الأتان، ولا تثقلوا الأحمال على الدواب، فهذا أمر فرضه الله عليكم لعلكم تطيعون، ولا تركبوا فرسًا بغير عنان ولا ركاب، ولا تركبوا الدواب التي لا تستطيعون السيطرة عليها، ولقد حرم الله عليكم ركوب هذا النوع من الدواب تحريمًا كبيرًا، لا تكسروا البيض قبل سلقه حتى لا يفسد ما بداخله، فالبيض هو ما فرضه الله غذاء للنقطة الأولى ولمن كانوا في خدمته، لعلكم تشكرون الله، وهذا الدم الموجود داخل البيضة قد عفا الله عنكم فيه (ليس بنجس)، وهذا الدم طاهر فإن لم تريدوا فلا تأكلوا هذه البيضة حتى لا تفعلوا ما تكرهون، لا تركبوا السفن إلا إذا كان لكم فيه مكان كاف، ولا تتنازعوا على ظهرها وليعامل بعضكم بعضًا بالخلق الكريم، ولقد فرض الله على الربان أن يقدموا جميع المسافرين على أنفسهم (في اختيار الغرف وخلافه)، ولا تقفوا بأي حال على ظهرها بل اقعدوا واستريحوا، ويجب أن تكون غرفكم بعيدة عن ظهر السفينة حتى لا تخافوا، فاجعلوها في مكان لا يخاف فيه أحد: اجعلوها في مؤخر السفينة إن كان ذلك ممكنًا". (صفحات: ٢١١ - ٢١٢).

بالنسبة لتحريم ركوب الأنعام، فإننا نجد كليمان هوارت يقول في كتابه "دين الباب" في الصفحة رقم ٦٣: "بالنسبة للأحكام المتعلقة بالبقر فإن هذا يجعلنا

نفكر في الطوائف الموجودة حاليًا (سنة ١٨٨٩) في خراسان والتي تعظم البقر، فمن الطريف أن نجد آثارًا مثل هذه العادات القديمة عند الشعب الآري.

وندرس في النهاية قوانين العقوبات التي أراد الباب تشريعها:

تقتصر قوانين العقوبات في الديانة البابية على نوعين من العقوبات: الغرامة والتفريق بين الرجل وزوجته.

أما بالنسبة للغرامة فإنها تمثل مصدر الدخل للباب، حيث إن الغرامة تدفع إليه، وهذه بعض الأمثلة على تلك العقوبات:

جاء في الباب العاشر من الجزء العاشر: "لا يجوز للرجل أن يتذرع بالصبر بعد موت الزوجة أكثر من تسعين يومًا، ولا يجوز للمرأة أن تحتد بعد موت زوجها أكثر من خمسة وتسعين يومًا" "فإن زاد الزوج عن تسعين يومًا أو الزوجة عن خمسة وتسعين يومًا وجب على الرجل أن يخرج تسعين مثقالا من الذهب، والمرأة خمسة وتسعين مثقالا من الذهب، إن استطاعوا" (صفحة: ٢٠٧- ٢٠٨).

وجاء في الباب السادس عشر من الجزء السادس: "إذا أجبر أحد رجلا على السفر ولو لخطوة أو أن أحدًا دخل بيتًا بغير إذن ساكنه، أو أخرج أحدًا من بيته بغير رضا المالك، أو أرسل أحدًا للبحث عنه في بيته بغير حق، حرمت عليه زوجته تسعة عشر شهرًا. فإن تعدى حدود الله -يعني أتى زوجته وهي محرمة عليه- وجب على أتباع البيان أن يأخذوا منه خمسة وتسعين مثقالا من الذهب، فإن أراد أحد الاعتداء على أحد، فعلى من لديه علم بهذا ولديه القدرة على منع هذا العدوان أن يَهُبَّ ويمنع العدوان حتى ولو مضى عليه سنة -ما بين الإعداد للعدوان وتنفيذه-، فإن استطاع أحد أن يرد العدوان ولم يرده، حرمت عليه

زوجته تسعة عشر يومًا، ولا تحل له إلا إذا دفع غرامة قدرها تسعة عشر مثقالا من الذهب إن استطاع، فإن لم يستطع فليدفع تسعة عشر مثقالا من الفضة" (صفحات: ١٦٧ - ١٦٨).

ويقول في الباب الثامن عشر من الجزء السابع: "فإن حبس أحد أحدًا، حرمت عليه زوجته (في نص المخطوطة: حرمت عليه زوجاته)، فإن اقترب منها وجب عليه أن يدفع تسعة عشر مثقالا من الذهب لكل شهر، وماؤه لا يُعْتَرَفُ به في البيان (وإذا حملت الزوجة بفعل أنه أتاها وهي محرمة عليه وجب على أتباع البيان إنكار هذا الطفل)، ولا يقبل إيمان هذا الرجل (الذي ارتكب تلك الفعلة)" (صفحة: ١٧٦)، ويعد هذا هو النص الثاني الذي وعدنا بذكره ونحن بصدد الحديث عن الزواج باعتباره دليلا على عدم إنكار الباب لتعدد الزوجات.

ويقول في الباب الثامن عشر من الجزء العاشر: "إذا قطع أحد من أحد شيئًا من لحم جسده أو تسبب في تغيير لون جلده أو مزق لأحد ثيابه أو انتقص من قدره، حرم الله عليهم جميعًا نساءهم (تقول المخطوطة: "إذا قطع أحد... حرمت عليه جميع زوجاته تسعة عشر شهرًا"، وهذا أمر منزل جاء في كتاب الله، وبما أنه من الضروري أن توقع عليه عقوبة، فيجب عليه أن يدفع خمسة وتسعين مثقالا من الذهب" (صفحة: ١٢٧). وهذا هو النص الثالث والأخير الذي وعدنا بذكره باعتباره دليلا على عدم إنكار الباب لتعدد الزوجات.

ويقول في الباب الحادي عشر من الجزء السادس: "لا تضرب (يا محمد، يا معلمي) بالعصا على جسدي: ضع شيئًا بينه وبين العصا، فإن اعتديت حرمت عليك زوجتك تسعة عشر يومًا، حتى لو نسيت هذا الأمر فتصرفت كما فعلت من

قبل، فإن لم يكن لك زوجة تعاقب بها، وجب عليك دفع تسعة عشر مثقالا من الذهب إلى من ضربته إن كنت من المؤمنين" (صفحة: ١٦٣).

بدلا من أن يفرض الباب عقوبة تمثل عقابًا لمن ارتكب الجريمة فحسب، نجد أن الباب يأمر بالتفريق بينه وبين زوجته أو زوجاته، وهذا ظلم بيِّن؛ لأن هذه العقوبة لا تمثل ضررًا حقيقيًّا إلا للمرأة، لا سيما إذا كانت الجريمة لا تستحق فرض هذه العقوبة على من ارتكبها، وفي هذه الحالة تعد التفرقة بين الزوجين ظلمًا في حق المرأة، أما المثير في ذلك، فهو تحميل الطفل الذي لم يولد بعدُ تبعات جناية أبيه، فلقد جاء في الباب الثامن عشر من الجزء السابع الذي أوردناه آنفًا أن من عوقب بالتفرقة بينه وبين زوجته؛ لأنه حبس إنسانًا، فجعل من زوجته بعد ذلك أُمًّا، فإن هذا الطفل ينكره أتباع البيان -يعني البابيين- ولا يعدونه طفلا شرعيًّا، في هذه الحالة لا تقع العقوبة فقط على الأم، وإنما تمتد لتلحق بالولد الذي سيواجه في حياته العديد من الأضرار المعنوية، والعديد من الصعوبات المادية، وهذا ظلم فادح، فتحميل الولد وزر ما كسبت يد أبيه ما هو إلا حمق مبين.



الباب الرابع

الآثار الاجتماعية والأخلاقية المترتبة على مذهب البابية

الفصل الأول

التعليم عند الباب

إن التعليم الذي تلقاه الباب وهو في سن الطفولة كان مقتصرًا على التعليم الأساسي، فلم يتردد -كما سبق وقلنا في بداية هذا البحث- إلا على كُتَّاب اقتصر التعليم فيه على القراءة والكتابة وتلاوة القرآن وبعض المفاهيم الأولية في العلوم الشرعية وعلوم اللغة الفارسية واللغة العربية، ولما ذهب إلى العراق في العشرين من عمره كان يتابع بغير انتظام دروس كاظم الرشتي، الزعيم الثاني للطائفة الشيخية، وكان فهمه لهذه الدروس محدودًا نوعًا ما، نظرًا لضعف مستواه التعليمي.

وقلنا أيضًا: إنه كان موهوبًا بصفة خاصة في فنون الخط، وكانت عنده المقدرة على كتابة عدد كبير من الكلمات بسرعة فائقة، والحق يقال إن هذه المقدرة الفائقة في الكتابة كانت أساس معارف الباب، إلا أنه أساء استخدامها، وكتب في كل اتجاه وفي كل مجال؛ ليس تعبيرًا عن أفكاره بقدر ما هو إشباع لرغبته في الكتابة التي كان يفتخر بها.

ولقد اعترف الباب في أكثر من موضع بالقصور في مستوى تعليمه وبجهله للعلوم برغم انتشارها الواسع في الأوساط الثقافية الفارسية مثل العلوم اللغوية والقرآنية وعلوم العقيدة والفقه والمنطق والفلسفة.

ولقد أعلن أنه لم يتلق تعليمًا عن أحد، وأنه أُمِّيٌّ، حتى يتسنى له أن يزعم أن كل ما علمه كان من عند الله؛ وليبرر الوحي المزعوم لكتاب البيان، وكان هدفه من وراء هذه الافتراءات الكاذبة أن يضع نفسه في مرتبة نبي الإسلام ﷺ الذي كان أُمِّيًّا بحق وجاء بالوحي من عند الله متمثلاً في القرآن.

يقول السيد نيكولا في هذا الصدد في الصفحة السابعة والعشرين من كتابه «دلائل السبعة»: «وهكذا أنزل (الله) آياته على يد شاب في الخامسة والعشرين من عمره، وليس على دراية بشيء من العلوم، وإذا كان علماء الإسلام يسعون إلى كسب الأمجاد عن طريق تفسير نص القرآن، فإن هذا الشاب يتجلى علمه في الإتيان بنص الآيات نفسها».

وجاء في البيان العربي -ترجمة السيد نيكولا، ص ٨٧-: «اعلم أن رب العالمين قد اصطفى واحدًا لحفظ الدين بظهوره ووضع في يده كل شواهد الحق والحجج الدامغة في يده، ولقد رباه في الأعجمين، ولكي يؤكد حقيقة ما جاء به لم يتعلم درسًا من أحد، فهو أُمِّيٌّ لا يعلم شيئًا مثل الطفل الوليد مقارنة بالأعمال التي جاء بها».

ليست هناك حاجة مطلقًا لأن يعترف الباب بجهله ليقنع الناس بقلة علمه وانعدام معرفته الحقيقية بمختلف العلوم؛ لأن كتابه البيان -وكذلك بقية أعماله- تمثل دليلا واضحًا على ذلك، ومع ذلك فإن ما نقوم به الآن هو دحض قول الباب إنه لم يتلق شيئًا من العلم؛ لأن هناك أدلة معارضة لهذا القول، فلقد ثبت وأكد الباب على ذلك في كتاب «البيان» أنه كان أحد تلاميذ الشيخ محمد الملقب بالعابد، والذي تلقى على يديه في كتاب شيراز تعليمه الأول[1]، ولا يمكن لأحد أن ينكر متابعته لدروس كاظم الرشتي[2].

وبالتالي فإن الباب قد تعمد التضليل في القول، ولكن هذا لم يمنع السيد نيكولا كعادته أن يحمل على عاتقه عبء الدفاع عنه فيقول: «... يزعم (الباب)

(١) البيان العربي، ترجمة نيكولا، راجع الجزء السادس، الباب الثاني، صفحات: ١٦٢- ١٦٣

(٢) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ١٩٥

أنه «أُمِّيٌّ» يعني: جاهل تمامًا كالطفل الوليد لا يعرف شيئًا، فما معنى هذا الكلام، هل يعني ذلك أن الباب لم يكن يتابع دروس أحد من العلماء ولا يعرف شيئًا عن شيء، ولا يعرف القراءة ولا الكتابة؟ إن ما نعلمه خلاف ذلك؛ لأنه يقول لنا ذلك بنفسه ونحن نعرف أفكاره جيدًا، إنه يجهل كل ما اتفق على تسميته علمًا، ومع ذلك فإنه على جهله هذا كان يشع منه -مثل الأنبياء- جلال العلم الرباني»[3].

يتبين لنا أن ما يقوله السيد نيكولا، مطابق للواقع بالنسبة لجهل الباب وللعلوم التي يجهلها، ولكنه لا يتفق مع قول الباب الذي ذكرناه آنفًا، بل يخالف أيضًا ما كتبه الباب إلى «محمد شاه» ملك فارس في رسالته التي كتبها إليه من سجنه في قلعة جبل ماكو، وقال فيها: «أقسم بالله أني لم أتعلم درسًا فتعليمي لم يكن يتجاوز علم التاجر، وفي سنة ستين (من الهجرة)* امتلأ قلبي بالآيات البينات وبالعلوم اليقينية والبراهين الإلهية»[4].

يتضح من ذلك أن الباب يريد بيان أنه لم يتعلم شيئًا وأنه يجهل كل شيء عن العلوم، وأنه لم يحيا إلا حياة التاجر الذي لا علاقة له بمجالس العلماء، وأنه بذلك يضعف قول السيد نيكولا في دفاعه عنه محاولا دحض تهمة التناقض عنه؛ لأن السيد نيكولا في تفسيره لما تعنيه كلمة «أُمِّيّ»، يقول: إن ذلك لا يعني أنه كان أُمِّيًّا بما تعنيه الكلمة، وإنما كان يجهل ما اتفق على تسميته علمًا، ولكن الباب ينقض

---

(٣) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحة: ٣٦

* يستخدم الباب سنة ستين ويقصد بها سنة ١٢٦٠ من الهجرة حتى يوفق بين السنة التي وردت في الحديث الباطل الذي يستند إليه لإثبات ظهور المهدي وبين السنة التي ظهر الباب فيها، وذلك من خلال طريقته العجيبة في الحساب إذ يقول: إن آخر إمام قد اختفى سنة ٢٦٠ من الهجرة، وبالتالي أُغْلِقَ باب النبوة، وحينئذ يحين وقت ظهور المهدي، ثم يقول: إن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، وبإضافة الألف سنة إلى ٢٦٠ يكون الناتج ١٢٦٠ وهو العام الذي ظهر فيه، وذلك وفقًا لما ذكره السيد نيكولا في نفس المرجع باللغة الفرنسية.

(٤) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات: ٣٦٩- ٣٧٠

دفاع السيد نيكولا بقوله: «أقسم بالله أني لم أتعلم درسًا، فتعليمي لم يكن يتجاوز علم التاجر».

مما لا شك فيه أن الباب كان يجهل ما اتفق على تسميته علمًا، وأنه أقر بذلك الجهل؛ ليثبت أن كل ما يظهر على يديه هو من عند الله.

إن ما نتناوله بالدراسة هو قوله: إنه لم يذهب إلى مدرسة ولم يتعلم شيئًا بأي صورة من الصور، كما يجب أيضًا دراسة زعمه أنه «أُمِّيّ» وهي صفة من صفات نبي الإسلام محمد ﷺ ودليل من دلائل نبوته.

إن جهل الباب بالعلوم وعدم الاستفادة من التعليم في كُتَّاب شيراز ودروس كاظم الرشتي ليس مسوغًا للزعم بأنه لم يذهب إلى مدرسة ولم يتابع درسًا، كما لا يجيز له مطلقًا أن يصف نفسه بأنه أُمِّيٌّ بُغْيَةَ أن يضع نفسه في نفس مرتبة نبي الإسلام ﷺ.

وإذا نَحَّيْنَا جانبًا التعليم الذي تلقاه في شيراز ودروس كاظم الرشتي التي كان يتابعها، وافترضنا أنه لم يستفد بشيء منها فإنه يتبقى لنا دراسة قوله المزعوم إنه «أُمِّيّ».

إن كلمة «أُمِّيّ» لا تعني الجهل بالعلوم -كما يقول السيد نيكولا-، وإنما تعني عدم معرفة القراءة والكتابة، فالإنسان الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة يوصف بأنه «أُمِّيّ» حتى ولو كان عنده شيء من العلم ببعض العلوم مكتسب عن طريق التلقي، ونجد على النقيض من ذلك أن الذي يعرف القراءة والكتابة لا يمكن اعتباره أُمِّيًّا، وإنما يُعَدُّ عَامِّيًّا أي جاهلا؛ إذ ليس عنده من العلم ما يجعله في مرتبة العلماء. فهل كان الباب أُمِّيًّا بالمعنى الحقيقي للكلمة وهو الذي لا يعرف القراءة والكتابة؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أنه كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه كان يجيد الخط الفارسي والعربي، فكيف قدر إذن أن يزعم أنه «أُمِّيّ» ويضع نفسه بموجب تلك الصفة في درجة النبي (محمد) ﷺ نفسها؟ إذا كان الباب يسعى -كما يقول السيد نيكولا في تفسيره- إلى إعطاء كلمة «أُمِّيّ» معنًى خاصًّا يخرجها عن معناها الحقيقي وهو الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة؛ لِتُصْبِحَ بمعنى الذي يجهل العلوم، فإن ذلك نوع من أنواع الخداع؛ لأنه عندما أراد أن يضع نفسه في مرتبة النبي ﷺ خلع على نفسه صفة أُمِّيّ أيضًا، ولكنه نسب إلى الكلمة معنًى آخر غير المعنى الذي وصف به رسول الله ﷺ.

ومن الواضح أن الباب لم يرد قصر الجهل على شخصه، وإنما أراد أن يجعله عامًّا يشمل جميع الناس، ولكي يصل الباب إلى ذلك الهدف حَرَّمَ طلب العلم في مختلف العلوم، وفرض على الناس الاقتصار على دراسة كتابه «البيان»؛ لأنه يرى أن هذا الكتاب فيه بيان لكل شيء، وأنه لا يعزب عنه شيء، وأن فيه كفاية لجميع الناس.

ولقد جاء في مخطوطة البيان العربي في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني بالباب الرابع: «ما فرطنا في الكتاب «البيان» من شيء»[٥]، ويقول في الباب الرابع عشر من الجزء الثالث: «تعلموا كل ما نزل في البيان» (المخطوطة: صفحة ٧)، ويقول في الباب العاشر من الجزء الرابع: «لا تعلموا (وفي المخطوطة: لا تتعلموا) إلا ما نزل في هذا البيان أو ما جاء بشأنه تبعًا لعلم «العدد والحرف» الحروف

(٥) إن ترجمة هذا الباب التي قام بها السيد نيكولا تقول: «... إننا لم نبالغ لا في معنى ولا في آخر...»، وهذه الترجمة لا تتفق مع نص المخطوطة والتي جاء فيها: «لم نفرط في شيء...» فلقد خلط السيد نيكولا بين معنى الفعل «فرط» الذي يعني أهمل وبين الفعل «أفرط» الذي يعني بالغ وتجاوز. هذا بالإضافة إلى أن الباب في هذا النص قد اقتبس حرفيًّا جزءًا من الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ... ﴾ صدق الله العظيم

وما نتج عن معرفة هذا البيان»[٦]، ويقول في الباب الحادي عشر من الجزء نفسه: «من تجاوز حدود البيان فلن يكون على الطريق المستقيم» (المخطوطة: صفحة ٨). ويقول في الباب السادس من الجزء السادس: «امحوا جميع الكتب التي كتبتموها من قبل» (المخطوطة: صفحة ١١).

وتنتهي المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية وكذلك ترجمتها التي قام بها دو جوبينو عند نهاية الجزء العاشر، وأما الترجمة التي قام بها السيد نيكولا فإنها تشتمل على الجزء الحادي عشر والذي جاء في الباب السابع منه: «يحرم عليكم في دين البيان أن تمتلكوا أكثر من تسعة عشر سفرًا وإلا وجب عليكم أن تدفعوا تسعة عشر مثقالا من الذهب، وهذا عقاب نزل في كتاب الله، عسى أن تعرضوا عن معصية الله، قل: إن الكتاب الأول يجب أن يكون البيان نفسه والثمانية عشر كتابًا الأخرى يجب أن تكون من الكتب التي كتبت في علم البيان وهو علم نافع لكم وضروري في دينكم مثل علم النحو وتراكيب الكلام والطلاسم وغيرها مما يكتب في علم الله»[٧].

تمثل هذه الاستشهادات بعض أقوال الباب المتعلقة بتعليم الناس وتبين بوضوح تام اهتمامه الذي يوليه للتعليم، فقد بلغ به زعمه المجنون أن يحرم كل معرفة جاءت من مصدر غير كتابه البيان، كما كان يأمر بتدمير كل مصادر المعرفة الموجودة قبل كتابه.

---

(٦) دو جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، صفحة: ٤٠٨

(٧) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحة: ٢٢٣. إننا لم نستطع للأسف الحصول على المخطوطة العربية التي اعتمد عليها نيكولا في ترجمته، ولكننا نلاحظ أن هناك تناقضًا في الباب السابع بين ما قيل وبين قول الباب: «... لم يعد هناك اليوم مجال لإلقاء اللوم على من لا يلتزم بهذه القواعد والأحكام» (يقصد قواعد اللغة وفقه أحكامها)

ما هو موقف السيد نيكولا من أقوال الباب في هذه الظروف؟ نقول في الإجابة على هذا السؤال: إن السيد نيكولا في ترجمته لكتاب البيان العربي قد بذل كل ما في وسعه ليلطف من تعبيرات الباب ليجعلها مقبولة شيئًا ما، وإنه أخذ على عاتقه توضيح أقواله وتفسير أفكاره أو ما يزعم أنها أفكار.

ففي دفاعه عن الباب وحول مفهومه للتعليم نجد أن السيد نيكولا يذهب بعيدًا إلى حد إنكار فائدة العلوم التي كان يحظرها الباب، ويذكر من بين هذه العلوم التي لا تستحق اهتمامًا على سبيل المثال علم المنطق؛ إذ يقول في مقدمة ترجمته لكتاب «البيان»: فلنأخذ على سبيل المثال علم المنطق فنجد أن النبي -أيًّا كان اسمه- يضع في كتابه: الإنجيل أو القرآن أو البيان، الشريعة التي أعطاه الله إياها وعندما يتم هذا العمل يصعد إلى الرفيق الأعلى وينتهي كل شيء، فيستحوذ الإنسان حينئذ على كتابه فيلوي عنقه ويديره على جميع المعاني المخالفة ويطبق عليه قواعد الاستنباط التي لا يجري عليها الخطأ كما يظن ويصل في النهاية إلى نتائج مختلفة تجعل العالم ينقسم شِيعًا لا حصر لها. واحدة من هذه الفرق تكون على الصواب ولكن ما شأن الباقي؟ وحينئذ ما فائدة المنطق إن لم يكن إضلال صاحبه؟ فهو الذي جعل الناس تنتهي إلى نتائج خاطئة»[٨].

ومع ذلك فإن ما نعلمه هو أن علم المنطق صفة لازمة للإنسان يستخدمها مباشرة، وأنه إذا كان من الضروري للإنسان عند طلبه لعلم من العلوم أن يرجع إلى دراسة أو معلم متخصص فإن هذه الضرورة غير موجودة بالنسبة لتعلم أصول المنطق؛ لأن الإنسان يمتلكها بالطبع ويقوم بتطبيقها منذ نعومة أظفاره،

(٨) مرجع سابق، التمهيد للسيد نيكولا، صفحات: ٣٧- ٣٨

فليس هناك إنسان -باستثناء المجنون- لا يأبه بالمنطق ويهرب من ضروراته بغير ضرر.

ونعلم أيضًا أن قواعد علم المنطق ومبادئه إنما هي ثمرة المنطق الفطري في الإنسان والملاحظة والتجربة لكل ما تدركه الحواس الخمس، ونعلم في النهاية أن العلماء بدراستهم لعلم المنطق وبوضع قواعده ومبادئه لا يريدون سوى تحديد مجال هذا العلم حتى لا يتجاوز الناس حدوده ويصلوا في النهاية إلى استنتاجات خاطئة؛ لأنه إذا كان المنطق فطريًّا في الإنسان فإن العقل الإنساني ليس متساويًا عند الجميع، كما أن تطبيق هذا العلم يمكن أن يكون سيئًا.

ثم إنه لا يمكننا قبول رأي السيد نيكولا الذي يقرر أن علم المنطق يؤدي بالناس إلى الضلال وإيقاع الخلاف بينهم؛ لأن المنطق على النقيض من كلامه أمر لا غنى عنه في انسجام الحياة الإنسانية وبدونه تعم الفوضى، فبعلم المنطق يمكن تحديد وجهات النظر ورفع الاختلاف في الرأي الناتج في غالب الأحيان عن انعدام تطبيق علم المنطق.

إذا كانت الاختلافات في الرأي بين الناس علة لرفض استخدام علم المنطق وحظر تعليمه فإنه يلزم على ذلك حظر كل علم؛ لأنه لا يوجد علم من العلوم لا تثير قواعده وأصوله خلافات في الرأي بين الناس.

ولكن الباب -الذي يؤيد السيد نيكولا أفكاره- يصر على عدم أهمية علم المنطق، ويصر على حظر تعليمه دون أي اعتبار، ومع ذلك لم يجعل الحظر مقتصرًا على علم المنطق، بل جعله عامًّا؛ ليشمل العلوم اللغوية والفلسفية والكلامية، ويشمل علوم الفقه وقواعده المسماة بعلم الأصول مما يعني بإيجاز جميع العلوم

التي تتعارض بصراحة ووضوح مع نتاج عقله المضطرب والمتوج بكتابه البيان وكتاباته الأخرى، إلا أن عداءه وكرهه يتجه على وجه الخصوص إلى علمين من العلوم المذكورة كفيلين بإبراز جهله وإقامة الأدلة على اضطراب عقله، ويتطلب إدراكهما معرفة يقينية وعقلا سليمًا أكثر من غيرهما من العلوم التي أشرنا إليها.

وهذان النوعان من العلوم اللذان ليس لهما مكان في قلب الباب هما علم المنطق وعلم الأصول، يقول الباب: «يحرم كتابة كتاب لا يفيد الإنسان ولا يجعله في مأمن من الحاجة مثل: الكتب المتعلقة بعلم الأصول، والمنطق، وعلوم الكلام والفلسفة، وعلم الكلمات غير المستخدمة وما شابهها، وعلم أصول الكلمة وبنائها وتطورها، وعلم التراكيب، فكل ذلك غير مفيد؛ لأنه من المؤكد أنني أجهل تلك العلوم فمن عاصر ظهور النقطة (الباب) رأى أنه متجرد من قيود علم النحو والمنطق والفقه والأصول وكل ما قام عليها... لأن هذه العلوم في النهاية ليست إلا لفهم مقصد الله من كلماته، وحيث إن مقصده -مقصد الباب- هو مقصد الله، وكلمات الله هي كلماته، فما الحاجة إلى كل ذلك؟ وما حاجة الآخرين إليها، حيث إن الخلق في هذا الزمان بفضل الكلمات الفارسية في مأمن من الحاجة لتعلم اللغة العربية»[٩].

فجميع هذه العلوم التي يذكرها الباب غير مفيدة ولا حاجة للناس بها، فما موجب ذلك؟ بالنسبة للباب: لأن هذه العلوم تسعى إلى تعليم المقصد الحقيقي من كلام الله، وبما أن مقصد الله هو نفس مقصد الباب الذي كلامه هو كلام الله فإن هذه العلوم لا فائدة منها للميرزا علي محمد! أما بالنسبة لغيره من الناس فلأنه

---

(٩) مرجع سابق، صفحات: ٣٩- ٤٠، انظر أيضًا البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، الجزء الرابع، الباب العاشر، صفحة: ١٣٠

لم يعد لديهم حاجة للرجوع إلى تلك العلوم؛ إذ إن لديهم ما يلزمهم «فبفضل الكلمات الفارسية هم في مأمن من الحاجة» لكن كيف؟ في الحقيقة نحن نجهل ذلك على المستوى الشخصي، لكن السيد نيكولا لحسن الحظ يفسر لنا ذلك قائلا: «إن الخلق بفضل الكلمات الفارسية في مأمن من الحاجة لتعلم اللغة العربية».

إذا كانت معرفة اللغة الفارسية تُغْنِي عن معرفة اللغة العربية، ففي أي شيء يمكن أن يُغْنِي ذلك الناس عن تَعَلُّم العلوم المختلفة؟ وإذا كان الباب قادرًا على الاستغناء عن تعلم العلوم للسبب السابق ذكره، فكيف يمكن لغيره من الناس الاستغناء عن تلك العلوم؟ مع العلم أن مقصد الناس ليس مقصد الله، وأن كلامهم ليس كلام الله، إذن هي رغبة الباب غير المنصفة وغير الحكيمة -بل والمثيرة للضحك- كانت وراء تحريمه تحصيل المعارف في مختلف المجالات.

ويتضح من كل ذلك أن الباب ينكر فائدة جميع العلوم السالف ذكرها وكذلك العلوم الأخرى القائمة عليها، وأن الباب يجهلها لعدم فائدتها ولا يريد أن يتعلمها أحد من الناس، ومع ذلك فإن السيد نيكولا يزعم أن الباب لم يحرم إلا تعلم علم المنطق والأصول، ويستشهد على ذلك بقول الباب في الجزء الرابع، الباب العاشر من كتابه «البيان الفارسي»: «لا يجوز تحصيل العلم من أي كتاب آخر سوى كتاب «البيان» اللهم إلا كتابًا وُضِعَ في علم «البيان» أو كتابًا يتعلق بعلوم الكلام، فيحرم على المؤمن تعلم العلوم المنبثقة من المنطق والأصول (أصول الفقه)»[10]، ثم يقول نيكولا بعد ذلك: «هنا (في هذا الباب من كتاب «البيان الفارسي») يجب القول إن التحريم هنا قد اقتصر على علم المنطق وعلم الأصول من العلوم، ومن المبالغة أن يعمم النهي؛ ليشمل جميع العلوم الإنسانية»[11].

---

(١٠) البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، صفحة: ١٣٠

(١١) البيان العربي، ترجمة نيكولا، التمهيد، صفحة: ٣٨

نلاحظ بادئ ذي بدء أن نص الباب المذكور عن «البيان الفارسي» لا يتفق تمامًا مع نص الباب نفسه في «البيان العربي» الذي يجعل فيه الباب إباحة التعلم مقتصرة على ما جاء في كتاب البيان أو على الكتب التي فيها قبس من البيان؛ وفقًا لنص البيان العربي، يمتد تحريم التعلم إلى جميع العلوم ما عدا العلوم التي ذكرت صراحة في البيان، وهي علوم الحروف، وهذا يعني العلم الخاص بالقيمة العددية المنسوبة لحروف الهجاء.

ومن الواضح لنا أن السيد نيكولا في دفاعه عن الباب لم يرجع إلى نص البيان الفارسي إلا لأنه يشتمل على كلمتي منطق وأصول، وأن تحريم الباب في هذا النص يختص بهذين النوعين من العلم، وإذا كان ذلك هو مقصد السيد نيكولا فإننا نستطيع أن نقتصر على دراسة هذا النص الفارسي الذي قام بترجمته؛ لنبين ما إذا كان الباب قد حَرَّمَ فقط دراسة المنطق والأصول، أم أن التحريم قد امتد إلى غيره من العلوم.

في البداية نجد أن الباب في هذا النص قد حرم دراسة أي علم سوى دراسة كتاب البيان والكتب المتعلقة به؛ بشرط أن تكون هذه الكتب في مجال علم الكلام، ثم حرم الباب على وجه الخصوص دراسة علوم المنطق والأصول.

هذا التحريم الثاني والخاص لا يعني مطلقًا أن الباب لم يحرم هذين النوعين من العلوم؛ لأنه إذا نص قانون في فقرته الأولى على أن كل عمل يجلب ضررًا فهو حرام، ثم نص في الفقرة الثانية على أن السرقة والقتل حرام فلا يمكن القول إن هذا القانون لا يحرم إلا هذين النوعين من الجرائم المنصوص عليها بصفة خاصة، بل يجب حينئذ أن نفهم أن هذا القانون لم يذكر هذين النوعين من الجرائم إلا من

باب تخصيصها بالخطورة، وهذا لا يُفْهِم أن التحريم العام لارتكاب أي ضرر قد تم نسخه بالتخصيص المذكور في الفقرة الثانية لنوعين ضارين من الجرائم.

ولقد سبق وأشرنا إلى ما يمكن اعتباره السبب الذي جعل الباب يحرم على وجه الخصوص دراسة المنطق والأصول بعد أن حرم بصورة عامة دراسة العلوم، ومع ذلك تجب الإشارة إلى أن الباب قد وقع في تناقض عند حديثه عن تعلم علم الكلام، حيث وضع هذا العلم مرة بين العلوم التي حرمها، حيث قال: «يحرم تأليف كتاب لا يغني الإنسان ولا يقضي حاجته مثل كتب الأصول والمنطق وعلوم الكلام والفلسفة...»، في حين أنه أباحه في موضع آخر، حيث قال: «لا يجوز دراسة أي كتاب آخر غير كتاب البيان أو الكتب التي وضعت لخدمة علم «البيان» كعلم الكلام».

ومن الواضح لنا أن بهاء الله خليفة الباب، قد أدرك في النهاية عبث الباب في تحريمه لتعلم العلوم، فنسخ ذلك وأباح التعليم في كتابه «الأقدس» حيث يقول: «إن الله رفع عنكم ما نزل في البيان فيما يختص بوجوب محو جميع الكتب الأخرى، ونحن نحل لكم أن تقرؤوا من بين الكتب ما يكون لكم نافعًا وما لا يؤدي إلى الجدل»[١٢].

لقد قدم الباب الدليل على أمره بمحو جميع الكتب الأخرى سوى كتاب البيان والكتب المستوحاة منه، ويؤكد بهاء الله على هذا الدليل، وهذا يدحض دفاع السيد نيكولا عن الباب في هذا الموضوع.

ونقول في ختام هذا الفصل: إن الباب كان عدوًّا لأي تعليم ضروري

(١٢) بهاء الله، الأقدس، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، صفحات: ٢٦- ٢٧

للناس أو نافع لهم، وإنه لم يهتم إلا بنشر كتابه «البيان» وبالعلم الذي يسميه «علم الحروف»، وهو نظام عبثي كان متبعًا عند الفرس قديمًا، وقام الباب بتطبيقه في جميع كتاباته تقريبًا، وأوصى به تلاميذه في حين أن البشرية حتى مجيئه لم تكن تعلم أن هذا النظام يمكن أن يكون علمًا، هذا بالإضافة إلى اقتناعنا بأن الإنسانية لا تعلم شيئًا عن هذا النظام في أيامنا، وأن الزمان الذي يمكن أن يعد فيه هذا الاختراع العبثي علمًا له فائدة ما لن يأتي أبدًا.

وعلى الرغم من أن علم الحروف ليس إلا مجرد علم عبثي وبالتالي لا يخدم الإنسان في شيء، والباب في اهتمامه بهذا العلم لم يكن يسعى إلى ما فيه مصلحة البشرية، وإنما على العكس كان يسعى إلى انحطاطها والسقوط بها إلى الهاوية، فلقد كان يريد قصر عقل الإنسان وعلمه على مسألة واحدة وهي اعتبار البيان كتابًا من عند الله وفيه كل ما يحتاجه الإنسان، وقد أعلن صراحة في الجزء الحادي عشر، الباب السابع من كتابه «البيان العربي»: «أنه كان يريد عند رجوعه إلى هذا العالم في صورة (من يظهره الله) ألا يرى مع الناس كتابًا سوى كتاب البيان والكتب الثمانية عشر المستلهمة منه»[١٣].



(١٣) البيان العربي، ترجمة نيكولا، صفحات: ٢٢٣- ٢٢٤

الفصل الثاني
الأخلاق عند البابيين

إن من أهم مبادئ الشيعة ذلك المبدأ الذي وضعه بعض الشيعة الروافض، والذي يتمثل في وجوب إخفاء عقيدتهم وآرائهم الحقيقية، فيجب عليهم أن يظهروا عقيدة سليمة في حين أن عقيدتهم في الحقيقة باطلة.

ولقد قاموا بتطبيق هذا المبدأ ومارسوا التقية خوفًا من الملتزمين بتعاليم الدين الحقة، وخوفًا من عدم بلوغهم مقصدهم المحدد بدونها، ويسمى مبدأ إخفائهم لعقيدتهم وآرائهم الحقيقية بمبدأ «التقية».

ولقد جعل عدد من أئمة الشيعة الروافض القدامى من «التقية» وسيلة جاهزة لتبرير أقوالهم وأفعالهم غير المطابقة لعقيدة الفرقة وآرائها أمام تابعيهم، فكانوا يستطيعون بموجب التقية أن يقولوا: إنهم فعلوا ذلك لا عن عقيدة واقتناع؛ بل لأن ذلك كان هو المناسب للموقف.

والشيعي الأول الذي أسس هذا المبدأ كما سبق وأشرنا إليه من قبل عند حديثنا عن عقيدة «البداء» – هو المختار الثقفي إمام الفرقة الشيعية المختارية، والتزم أتباعه في بادئ الأمر بهذا المبدأ، ثم تبعهم بعد ذلك غيرهم من الشيعة، ولكن هذا المبدأ لم يبلغ أَوْجَهُ من الشيوع إلا مع الإسماعيلية الباطنية والفرق التي خرجت من رحمها.

وتتجلى التقية في أحسن صورها عند فرقة الدروز، وإنه لمن الصعوبة بمكان أن نتبين عند التعامل مع الدروز أنهم ليسوا من أهل السنة؛ لأنهم يلتزمون

في الظاهر بأحكام الإسلام، فيرتادون المساجد، ويقرؤون القرآن، ويتصرفون في الظاهر بتصرفات المسلمين حقًّا، ولكنهم يهملون فيما بينهم القواعد الإسلامية ويطبقون أحكامًا خاصة بهم لا علاقة لها بأحكام الإسلام.

يقول شانتبي دولاسوساي في كتابه «تاريخ الأديان» عن هؤلاء الشيعة الهراطقة: «إن التقوى ليست في غالب الأمر إلا نفاقًا بينما يسرون الكفر في قلوبهم، ومفهوم الحقيقة يبدو أنه قد أصبح غريبًا على هؤلاء الشيعة دون أن يشعروا، فكلام التصوف الغامض لا يغادر أفواههم والعبارات المجازية والكتمان المفروض كنظام متبع قد أفسد عقولهم وذهب بأخلاقهم» (صفحة ٣٠٨).

ويقول أيضًا: «ولهم أيضًا كتبهم المعتمدة لديهم وهي أقل في الحقيقة من ناحية الدقة التاريخية من كتب أهل السنة، وهناك جانب كبير منها محض كذب وافتراء...»، «وبعض الأحكام الخاصة بالشيعة مثل الكتمان وزواج المتعة لا ترقى إلى الفخر بها» (صفحة ٣٠٧).

ولقد اتبع البابيون هذا الكتمان الذي نسميه «التقية» أيضًا، فكانوا يأخذون به ويطبقونه في كل مكان يستطيعون فيه ذلك؛ فإذا كانوا في صحبة المسلمين فإنهم يتصرفون كمسلمين ملتزمين بأحكام الإسلام، وإذا كانت عندهم النية لاختراق الأوساط المسيحية أو اليهودية فإنهم يبالغون في ثنائهم حينئذ ويعبرون عن مشاعر الود حيال الأحكام الدينية لتلك الأوساط.

وكان هناك من بين هؤلاء البابيين على سبيل المثال رجل قد ذهب لعدة سنوات إلى الأزهر -وهو أكبر جامعة دينية في مصر بالقاهرة- دون أن يدرك أحد خلال تلك الفترة الطويلة أنه بابيٌّ عدو للإسلام.

إن إتقانهم لفن الكتمان وإخفاء مشاعرهم الحقيقية قد بلغ ذروته، والدليل على ذلك أن رجلين من المسلمين السنة ومن خاصة المثقفين وكانا قاضيين في مصر، كانا على اقتناع بأن البابية ليست مطلقًا من المذاهب الباطلة وأن البابيين من المسلمين الملتزمين المخلصين.

وإذا كان فن الكتمان قد وصل عند البابيين إلى حد القدرة على تضليل مثل هؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بخاصية الملاحظة والحكم وتمييز الصدق من الكذب بموجب مهنتهم، فماذا يصنع هذا الفن عند أناس لا يتمتعون بهذه القدرات العقلية أو هذا الوضع الاجتماعي؟ وكيف يكون الشأن مع القاعدة العريضة من الجهال والسذج؟

ولحسن الحظ تم اكتشاف نظام الكتمان هذا يومًا من جانب علماء الإسلام أولا، ثم تمكنت عامة المسلمين من كشفه عن طريق هؤلاء العلماء.

ولم تعد البابية وأهدافها خافية في أيامنا هذه على أحد من المسلمين إلى حد القول: إن الذين ينخدعون بالبابيين لا سيما ممن ينتمون إلى بعض الأوساط الثقافية إنما يفعلون ذلك من أجل تحقيق مصلحة ما تعوض اللوم الذي يوجه إليهم لارتكابهم مثل هذه الحماقات ووقوعهم في شباك الخديعة.

وبموجب تطبيق مبادئ علم النفس، نجد أن أي حقيقة يتلقاها عقل الإنسان تترك فيه أثرها، وأن أي تحريف إرادي في هذه الحقيقة يجعل العقل يواجه بعض الصعوبات في تقبلها، لا سيما إذا ما كان الإنسان الذي يتلقاها غير معتاد للكذب.

وإذا كان على الرجل أن يروي هذه الحقيقة وكان مضطرًّا لتحريفها، فإن روايته لها تتأثر برد فعل حقيقتها ويلاحظ المتلقي ذلك.

وإذا كان من السهل تصور أن الإنسان الذي لم يعهد عليه الكذب يمكن أن يكذب مرة بصفة استثنائية فإن الأمر مختلف إزاء رجل قد اعتاد الكتمان، وإذا تعلق الأمر بأحد البابيين، فإنه يكون من الصعب على وجه الخصوص إدراك زيف ما يقول، فلقد اعتاد البابيون بصورة كبيرة إخفاء حقيقة الأشياء حتى أصبحت تلك العادة عندهم طبيعة ثانية منهم.

وهنا يجد الإنسان الصريح والأمين صعوبة عندما يضطر إلى تحريف حقيقة الأشياء، أما البابي فإنه لا يجد في نفسه حرجًا من ذلك، فالكذب يجري على لسانه كما تنساب الحقيقة من أفواه الصادقين.

وإذا أردنا أن ندرك أن هذه العادة قد تأصلت عند البابية إلى درجة قد أنستهم ماذا يمكن أن يقول عنهم أو يحكم به عليهم مَنْ تَوَصَّلَ إلى كشف كذبهم، فيكفي في ذلك أن نفتح أي كتاب من كتبهم، وسواء أكانت تلك الكتب قد كتبها زعماء البابية أم تابعوهم، فإنها مكدسة بكل ما هو مخالف للحقيقة والفطرة السليمة بصورة حادة تجعل من يقرؤها يراوده شعور بالتوقف عن القراءة اللهم إلا إذا كانت هناك ضرورة ملحة لإتمام قراءتها.

ولقد قرر الفقهاء قاعدة لا نظن أن أحدًا يمكن أن يختلف عليها، حيث يقررون أن الأحداث الكبرى والوقائع الهامة لا يمكن أن نسلم بصحتها إلا إذا كانت متواترة بإقرار العديد من الناس بها؛ لأن شيئًا كهذا لا يخفى بالضرورة على الكثيرين، وبموجب هذه القاعدة يشترط بعض الفقهاء الذين يقبلون في

الغالب بصحة خبر الرجلين عند رؤية هلال شوال إذا انعدم الغمام لبيان نهاية شهر رمضان أن تكون الرؤية ثابتة بشهادة متطابقة من جانب العديد من الناس، وبالتالي فإن شهادة الرجلين في هذه المسألة لا تكفي، ووجهة نظر الفقهاء صائبة؛ لأن الأمر الذي يخص جميع المسلمين لا تكفي روايته من جانب شخص واحد أو شخصين، وإلا كانت هذه الرواية موضع شك، فعلى سبيل المثال: لو أن فيضانًا ضرب أهل قرية كبيرة وأخرج السكان منها، فإن رواية هذا الحدث عن طريق شخص أو شخصين فقط لا تُثْبِتُ الحدث، وإنما لا بد من رواية هذا الحدث من جانب آلاف السكان الذين أخرجهم الفيضان من هذه القرية.

وبموجب هذه الحقيقة الثابتة لا يمكن أن نصدق بقول البابيين: إن الباب في حجته إلى مكة عام ١٢٦٠ من الهجرة قد أعلن جهارًا في مجمع من الحجيج أنه هو المهدي، يقول الجرفادقاني في هذا الصدد: «إن الباب قد جهر في مكة بدعوته أنه المهدي في مجمع الحجيج»[1].

وتعد مسألة مجيء المهدي المنتظر من الأمور التي تهم جميع المسلمين سواء ممن أدوا فريضة الحج في عام ١٢٦٠ هجرية أو ممن كانوا في انتظار عودتهم من رحلة الحج لمعرفة أخبار المسلمين، وكان من المفترض أن يكون هذا الإعلان الشهير من جانب الباب معروفًا لدى جميع الحجاج في تلك السنة، وأن يكون مرويًا من جانبهم بعد عودتهم إلى بلادهم التي خرجوا منها إلى مكة وَلَمَّا اقتصرت معرفتها على البابيين فقط إذا كان الباب قد جاهر بها حقًا.

إن اجتماع الحجاج في مكة يضم آلافًا من حجاج السنة والشيعة بجميع

(١) الجرفادقاني، الحجج البهية، صفحة ١٢٧

طوائفهم، وهؤلاء الشيعة وهم أصحاب مفهوم المهدي المنتظر ويعدون مجيئه أمرًا ممكن التحقق، أو بالأحرى واجب التحقق لا يفوتهم بالتأكيد أن يحيطوا الناس علمًا بتحقق آمالهم ورجائهم إذا كان الباب قد جهر حقًّا في مكة في عام ١٢٦٠ من الهجرة بأنه هو المهدي الشهير.

وأما بالنسبة لأهل السنة فإن صدى هذا الحدث عندهم لم يكن أقل مما هو عند الشيعة؛ لأن فكرة ظهور المهدي لها أثرها على الإسلام لا سيما إذا ما وضع في الاعتبار أن المهدي عند الشيعة المتشددين وعند البابيين يجب أن يأتي بدين جديد؛ وبالتالي يبطل دين الإسلام.

إن حدثًا كهذا الحدث في أهميته وثقل نتائجه ما كان ليحدث خفية عن العالم الإسلامي أجمع في المرتبة الأولى، وبقية العالم في المرتبة الثانية.

وإذا بقي هذا الأمر مجهولا لا يعلمه إلا بعض البابيين الذين يثبتون تلك الحقيقة فإن هذا الأمر ليس في الواقع إلا محض افتراء وكذب.

إن هذا البناء المتهالك لمثل هذه الأكاذيب من جانب البابيين يبين مدى مقدرتهم، ولقد رأينا في الفصل السابق أن الباب قد زعم أنه أُمِّيٌّ لم يتلق شيئًا من التعليم بأي صورة من الصور، وهذا قول يخالف الحقيقة.

وهناك مثال آخر على الطريقة التي يفهم بها البابيون الأخلاق وهو قصة الباب الذي بدأ دعوته بالزعم بأنه «باب المهدي» يعني الباب الموصل إلى معرفة المهدي، ثم زعم أنه المهدي نفسه، ويظهر نفسه أمام البسطاء من الناس أنه لم يأت إلا لإقامة أحكام الإسلام، بينما أكد فيما بعد أن التعاليم التي جاء بها هي تعاليم الدين الحق الذي يجب اتباعه والذي ينسخ دين الإسلام.

ولقد حاول في كتابه «دلائل السبعة» أن يزيل هذا التعارض حيث قال: «انظر كيف ظهر صاحب السمو المنتظر (الإمام المهدي الذي هو الباب) حقيقة أمام أعين المسلمين ليفتح طريق النجاة أمامهم، فهو أول إضاءة للحق وهو مرآة الله التي تواضعت لتظهر في صورة الباب الموصل إلى معرفة الإمام الغائب من نسل «محمد الغائب». لقد تحدث في كتابه الأول* باسم شريعة القرآن حتى لا يضطرب الناس بالنص الجديد للشريعة الجديدة وحتى يستطيعوا الإيمان بأن هذه الشريعة متعلقة بالكتاب الذي بين أيديهم (القرآن) حتى يخرجوا من الظلمة ويفهموا أنهم خلقوا من أجل هذه الشريعة نفسها»[٢].

إننا نرى من خلال ذلك أن الباب حتى يُخْفِيَ تناقضه لا يلجأ إلى الكذب مرة واحدة، ولكن أكثر من مرة يقول في حقيقة الأمر أولا إنه تواضع -بالرغم من أنه صاحب السمو المنتظر- ليظهر في صورة الباب الموصل إلى معرفة صاحب هذا السمو، ويجب أن نقول في هذا الشأن إن ادعاءه أنه «باب المهدي» في حين أنه يعد نفسه المهدي نفسه هو في نظرنا ادعاء كاذب على الرغم من أن الباب يرى هذا العمل بابًا من أبواب الكرم.

ثم تحدث الباب باسم أحكام القرآن كما جاء في كتابه الأول وهذه كذبة ثانية أو بالأحرى خدعة ثانية، حيث إنه كان يهدف إلى إبطال القرآن، فلماذا كان يتصرف بهذه الطريقة؟

إن الإجابة على هذا السؤال تبين كذبته الثالثة، وتقدم الدليل على رغبته في

---

* يقصد بكتابه الأول «أحسن القصص».

(٢) دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحات: ٢٩- ٣٠

التضليل، إذ يقول: إنه تصرف بتلك الطريقة ليجعل الناس تقبل ما جاء به على أنه الإسلام، في حين أن ما جاء به يخالف الإسلام تمامًا ويحاربه.

إننا لم نَرَ في تاريخ الأنبياء والصالحين أحدًا قد اعتمد على الكذب في نشر مذهبه وأفكاره.

ولقد سعى السيد نيكولا إلى مساندة الباب بصدد النص الذي أوردناه، واعتمد في ذلك على دليلين: الدليل الأول يقوم على ما ذكره في مقدمته لكتاب البيان الفارسي: «إذا كان الباب قد أمر في كتابه الأول بالزكاة والصيام وأركان الإسلام ثم فسر تلك الأعمال فيما بعد فإنه بذلك يوضح أفكاره؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يحيط بعلم ما نزل في كتاب البيان، وليس لأحد الحق في تفسير الكتاب»[٣].

إننا نرى في كلام السيد نيكولا محاولة عبثية لصرف الأذهان عن كذب الباب، حيث إن الباب في كتابه الأول «الرسالة الفقهية» قد أظهر قبوله لبعض أحكام الإسلام، ولكنه عندما غير وجهته وزعم أنه المهدي وأنه نبي وكتب بعض فقرات كتاب البيان، وزعم أن هذا البيان وحي من عند الله جاء لإبطال جميع أحكام الإسلام.

إننا لا نعرف كيفية التوفيق بين هذه الوجهة الجديدة والوجهة الأولى، كما أننا لا نعرف أيضًا على أي أساس أمكن اعتبار تغيير القواعد ونسخ أحكام الإسلام تفسيرًا لموقفه الأول حيال أحكام الإسلام.

إننا لا نرى في ذلك أدنى دلالة على أي تفسير، ولكن ما نراه على النقيض

(٣) البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، المقدمة، صفحة: ٢٨

هو التغير الكامل لموقف الباب وأن الذي دفعه إلى ذلك هو طموحه إلى إعلان نفسه مهديًّا ونبيًّا دون اهتمام بما يمكن أن يتهم به من الكذب.

أما بالنسبة للدليل الثاني الذي اعتمد عليه السيد نيكولا في تبرئة الباب فقد عبر عنه بما يلي: «... إذا كان المسيح –على الرغم من المرونة النسبية للوسط الذي كان يدعو فيه– قد اعتقد وجوب استخدام لغة الرمز، فإن السيد علي محمد قد اتبع نفس المنهج من باب أولى وأخفى حقيقة فكره بقناع من الرموز العديدة ولم يفض بجميع الحقائق الربانية جملة واحدة... ولقد أخبرنا بذلك في كتابه دلائل السبعة»: «لقد تواضع صاحب المقام المنتظر حتى ظهر في صورة الباب الموصل إلى معرفة نسل محمد الغائب..»[٤].

ومن المدهش للغاية أن نرى السيد نيكولا يقارن الباب وطريقته التنكرية في التفكير بطريقة المسيح وأقواله المجازية، لقد أدهشتنا تلك المقارنة التي لا يمكن أن تَتَأَتَّى إلا من شخص يجهل تاريخ المسيح أو لا يعرف الأناجيل، فلم يكن المسيح يناقض نفسه، بل كان يقول الحقيقة، وكانت عنده الشجاعة للتعبير عن أفكاره صراحةً وجهرًا.

ولم يكن يستخدم المجاز والاستعارة خوفًا من اليهود كما يُفهم من قول السيد نيكولا، بل كان يضعهم أمام الحقيقة المرة، وكان ينكر على بني إسرائيل طريقتهم وخاصة الفريسيين وصب عليهم اللعنات واتهمهم بالنفاق والكذب.

فهذا هو المسيح الذي يقول: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات» (متى: ٦ – ١)،

---

(٤) مرجع سابق، صفحات: ٤– ٥

«فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم» (مرجع سابق، ٢)، «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم» (مرجع سابق، ٥)، «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم» (مرجع سابق، ١٦)، «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (مرجع سابق، ٢٤).

وهو أيضًا الذي يقول: «ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها، أم كيف تقول لأخيك دعني أُخْرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك، يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى من عين أخيك» (مرجع سابق ١٢، ٣-٥).

فمن الذي يتهمه المسيح بالنفاق؟ وممن كان يحذِّر المسيح حواريه؟ أليس اليهود هم الذين كانوا يعادون دعوته ويخالفون تعاليمه؟ لقد كان من بين كلمات المسيح ما هو أشد قسوة: «اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدًا، أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديًا؛ لأن من الثمر تعرف الشجرة، يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم» (مرجع سابق، ٧: ٣٣ - ٣٤)، «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي» (مرجع سابق، ٣٨ - ٣٩)، «فقال له الرب: أنتم الآن

أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة، وأما باطنكم فمملوء اختطافًا وخبثًا، يا أغبياء، أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضًا؟» (لوقا، ١١: ٣٩ - ٤٠)، «وفي أثناء ذلك، إذ اجتمع ربوات الشعب، حتى كان بعضهم يدوس بعضًا، ابتدأ يقول لتلاميذه: أولا تَحَرَّزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء» (مرجع سابق، ١٢-١).

وهكذا كان يعبر المسيح عن أفكاره، وهذا يؤكد أنه لم يكن يعرف الخوف وأنه ليس هناك ما يمنعه من قوله ما دام مؤمنًا أنه على الحق، فكان يذهب إلى المعابد، حيث يجتمع الأحبار وكان ينكر عليهم وضاعة عقولهم.

وطريقة المسيح هذه لا تجعلنا نعتقد أنه كان يستخدم المجاز التمثيلي والاستعارة في كلامه خوفًا من أحد، ولكن للتأثير في عقول الناس الذين كان يوجه إليهم كلامه، فكان هدفه توضيح أفكاره لا إخفاءها، وبهذا أجاب على بعض الحواريين عندما سألوه عن سبب حديثه إلى الناس بالأمثال: «من أجل هذا أكلمهم بأمثال؛ لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون» (متى، ١٣: ١٣).

إذن كان المسيح يستخدم المثل في حديثه؛ ليجعل أفكاره أكثر وضوحًا عن طريق التشبيهات التي تقرب المعنى من أذهان سامعيه.

ويصل الأمر بالسيد نيكولا الذي لا يتوقف عن مساندة الباب إلى حد القول إن الباب عندما أخفى أفكاره ولم يفصح عن نواياه الحقيقية ومقصده الحقيقي لم يفعل إلا كما فعل جميع الأنبياء، حيث يقصد السيد نيكولا أن هؤلاء الأنبياء قد أخفوا أحيانًا مقاصدهم الحقيقية وكذلك دعوتهم الحقيقية.

يقول السيد نيكولا: «لقد كان الأمر كذلك دائمًا ولقد اتبع هذه الطريقة جميع الأنبياء الذين أرسلوا بالتتابع إلى هذه الدنيا، ولقد شددوا على هذا الاتجاه تبعًا لضرورات الموقف فإذا لم يفهم الناس رسالتهم فعلى من تقع المسؤولية؟»[5].

إذا كان إخفاء الحقيقة يمكن أن يكون مقبولا أحيانًا عند بعض الناس لأسباب قهرية ونبيلة، وإذا كان القرآن قد أجازه على سبيل المثال في حالة ما إذا كان المؤمن مكرهًا على أن يرتد عن دينه تحت التهديد بالقتل فله أن ينطق بكلمة الكفر ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان[6]، فإن إخفاء الحقيقة بالنسبة للأنبياء لا يمكن أن يكون مقبولا أيًا كانت الأسباب القهرية والوجيهة في حق الأنبياء، ولا ينبغي لألوان العذاب ولا التهديد بالقتل أن تصرفهم عن أداء رسالتهم التي هي محض الحق؛ لأنها من عند الله.

إن إخفاء الباب للحقيقة والتقلب المتعدد في مواقفه والتناقض الناجم عن ذلك يبرهن على غياب الضمير عنده وعلى احتقاره للمبادئ الأخلاقية، إنه يغير أدواره كما يغير الرجل ملابسه، ولا ينظر إلى ادعاءاته المختلفة التي يدعو إليها إلا باعتبارها سُبُلا لتحقيق طموحاته الغريبة، يقول السيد نيكولا: «فلننظر إلى طريقته، نجد أن كتابه الأول «رسالة فقهية» يعد عملا إسلاميًا خالصًا... لقد وضع هذا الكتاب مضطرًا ليكون على الأقل في فترة من الزمن في مأمن من تعصب بعض الملتزمين... ثم قدم نفسه على أنه الباب الموصل إلى معرفة نسل محمد حسب قوله، ثم يدعي أنه هو ذلك المنتظر، ثم يعد نفسه مظهر الألوهية والإله نفسه

(٥) مرجع سابق، صفحة: ٥.

(٦) هذه هي الحالة الوحيدة التي يبيح فيها القرآن للمؤمن (وليس للنبي) أن يخفي إيمانه الحقيقي وهي الحالة الوحيدة التي يمكن أن يلجأ فيها إلى مبدأ التقية. يقول الله تعالى في الآية ١٠٨ من سورة النحل: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ...﴾.

وذات الإرادة الأولى والكلمة وممثل شمس الحقيقة وآخر الخلق باعتباره إنسانًا والإله الظاهر باعتباره نبيًّا...»[٧].

وهكذا بعد أن كان مجرد وسيط بشري بين الناس والمهدي تحور إلى إله خالق للكون كما سبق وقلنا: «يصدر عنه كل شيء وإليه يرجع الأمر كله».. وعندما كان محبوسًا في سجن جبل ماكو استغاث بالخلق وبالبابيين على وجه الخصوص وحثهم على الثورة المسلحة لإخراجه من سجنه، وكلنا يعرف ماذا كان مصيره في النهاية.

وهناك مثال آخر أكثر دلالة على ضمور أخلاقه، ويتمثل في إنكاره العلني لدعوته المزعومة، ذلك الإنكار الذي تم بعد أن انهالت عليه ضربات العصي أمام مجلس العلماء المجتمع بشيراز عام ١٢٦١ من الهجرة برئاسة الوالي والذي عقد مرة أخرى بمسجد هذه المدينة، ولقد سبق وأشرنا إلى إنكاره هذا لدعوته في الباب الأول من هذا البحث.

وينفي البابيون أن يكون الباب قد وقع منه هذا الإنكار، لكن لا دليل لهم على ذلك، ولكن أمام ثبوت هذه الواقعة بروايات المؤرخين ثبوتًا قطعيًّا، وهذا أمر يؤرقهم لم يجد البابيون بدًّا من تكذيب هذا الخبر، فقالوا: إن الباب عندما اقتيد إلى مسجد شيراز وأُمر بارتقاء المنبر ليجهر بتخليه عن دعوته ولم يكن معتادًا على مخاطبة الناس في محفل عام، قام بإلقاء خطبة موجزة لكنها فصيحة وحكيمة وقوية أرضت تمامًا تلاميذه الذين حضروا هذا المشهد.

ويقول البابيون أيضًا: إن خطبة الباب جعلت الصمت يخيم على جموع

---

(٧) البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، المقدمة، صفحات: ١٤- ١٥

أعدائه الذين لم يعرفوا في النهاية ما إذا كان الباب قد تخلى بالفعل عن دعوته أم على العكس قام بتأكيدها[٨].

والحق أن الباب قد أقر -كما سنرى فيما بعد- بهذه الردة عن دعوته في مسجد شيراز، وبالرغم من ذلك فإن البابيين يكذبون هذا الأمر، وهذا التكذيب من جانبهم مجانب للصواب؛ لأنه ليس من المقبول أن يكون أهل شيراز لا سيما العلماء وعلية القوم ووالي المدينة المجتمعون في المسجد والمعارضون لأفكار الباب الكافرة، قد اكتفوا بعموم كلام الباب الذي لم يعلن فيه صراحة رجوعه عن أفكاره الكافرة، ولا يمكن أن نتصور أن صيغة التراجع عن الهرطقة التي كتبها لا أساس لها من الصحة، وأن الباب لم يكن مجبرًا على تلاوة نصها.

وعندما ينكر البابيون رجوع الباب عن دعوته ويعترفون في نفس الوقت بأنه قد امتثل أمام مجلس العلماء وعلية القوم بمسجد شيراز، فإنهم بذلك يرتكبون كذبة حاكها كبراء البابية ورددها ويرددها أتباعهم.

وإليكم على سبيل المثال ما قاله بهذا الصدد عباس بن بهاء الله والخليفة الثاني للباب على رأس الحركة البابية: «ذات يوم، جيء بالباب إلى المسجد بشيراز لينكر دعوته، وكان من الواجب إكراهه على ذلك إذا كانت هناك ضرورة لذلك، ولكنه من فوق المنبر استطاع أن يأسر عقول الحاضرين ويفرض عليهم الصمت وشعر أتباعه من خلال كلماته بأنهم قد ازدادوا ثباتًا في إيمانهم»[٩].

لكن الدليل القاطع على كذب هذا الادعاء البابي يكمن في إقرار الباب

(٨) أواره، الكواكب الدرية، صفحة: ٨٨

(٩) البيان الفارسي، ترجمة نيكولا، المقدمة، صفحة: ١٦

نفسه الذي أعلن فيه أنه اضطر إلى الرجوع عن دعوته بعد إكراهه على ذلك بالقوة، ولقد كذَّبَ السيدُ نيكولا عباسًا عندما ذكر أن الباب قد أنكر ذلك صراحة وأثبته في كتبه، ففي مقدمته لكتاب «البيان الفارسي» يقول السيد نيكولا الذي لا يتهم بخصومة الباب: «يؤسفني أن أقول إن الباب في ذلك اليوم أنكر مذهبه ليس بالكلام فحسب وإنما بالكتابة أيضًا، والحقيقة أنه ليس من شاهد على ذلك إلا رجل واحد لا ترد شهادته؛ لأن هذا الشاهد هو الباب نفسه الذي يقول في الصحيفة الجعفرية: «لقد أدخلتني في أشد حالات الامتهان في اجتماع الأشرار، ولقد أوحيت إليّ بكلمات الإنكار بعد الإثبات حتى أكون في مأمن من الموت، أليس هذا كله منك؟ يا صاحب العظمة والكرم إنك أنت الله الذي جعلتني في أعظم منزلة؟ فلماذا تدبر الأمر كذلك؟ فبعد أن أخرجت مني كلمة الإنكار جعلتها تدخل قلوب الشياطين فأخذوا وكتبوا كل ما قلته» (صفحات: ١٧ - ١٩).

هكذا يتضح لنا من هذا النص الذي أشار فيه السيد نيكولا إلى الفقرات التي تؤكد كلامه، فالباب يقر إنكاره ليس بمجرد الكلام فحسب وإنما كتابة أيضًا، لكن ما ذكره السيد نيكولا من كلام الباب لا يمثل إلا ما نسميه بالمرحلة الأولى من إنكاره.

أما في المرحلة الثانية فيقول الباب: «لم يكن لديّ مقصد آخر فيها كنت أكتبه غير أن أكون باب المهدي... وأقسم بعزتك يا الله! فلم يستطيعوا أن يجدوا في كلامي ما من شأنه القضاء على دينك، فلقد كنت أكثر حرصًا منهم» (صفحات: ١٩ - ٢٠)، فبعد إنكاره الصريح والعلني لدعوته المزعومة، أراد الباب أن يعطي البديل لأتباعه، وذلك بزعم أن إنكاره لم يكن يتعلق بدعوته أنه المهدي أو النبي أو باب الله وإنما كان إنكاره ببساطة منصبًّا على بابية خاطئة، ويقصد بذلك صفته

القديمة بأنه باب المهدي المنتظر، ولذلك كان يفتخر بأنه أكثر فطنة من علية القوم والعلماء الذين لم يدركوا أن ما أنكره هو ذلك الشيء الذي لم يعد له وجود في اللحظة التي أعلن فيها رجوعه.

يقول الباب: «إن أشد ما قاسيت من ألوان العذاب تتمثل في أعمال العنف التي مارسها الحمقى ضدي، فعندما كنت أكتب رسالة الإنكار كان يُخَيَّلُ إليّ أني أسمع في داخلي صوتًا يقول لي: ضَحِّ بأعظم الأشياء في سبيل الله مثلما فعل الحسين في سبيلي!» (صفحات: ٢٢ - ٢٣).

إننا لا نفهم كيف يمكن أن تكون التضحية بأغلى الأشياء لتحصيل رضا الله وخدمة دينه يمكن أن تتم عن طريق إنكار تعاليم الله وإنكار الدين الذي يمثلها.

إن الأمر المؤكد في هذه القضية هو أن إنكار الباب لدعوته المزعومة لم يكن إلا خوفًا من النتائج التي يمكن أن يجلبها عليه الرفض في الحال، وإن الأسباب التي يبرر بها موقفه ويسوقها بعد ذلك إلى أتباعه ليست إلا مجرد أسباب واهية.

إن ما ضحى به الباب من خلال إنكاره لمذهبه هو ذلك الشعور بالشرف، تلك الصفة الملازمة للناس الأسوياء والتي تجعلهم يضحون من أجل القضية التي يدعون إليها ويدافعون عنها، ولقد زعم الباب أنه نبي ويا له من نبي غريب ينكر الرسالة التي زعم أنه مكلف بها! فهل حدث من نبي حقيقي أن أنكر رسالته؟!

وبذلك يكون الباب قد كذب جميع البابيين الذين زعموا أنه لم ينكر دعوته، ولقد اعترف بإنكارها ولكي يحافظ على ماء وجهه أمام أتباعه بَيَّنَ أنه لم ينكر ذلك إلا استجابة للنداء الداخلي، يقصد بذلك أمر الله له أن يصنع ذلك، وأحيانًا أخرى

يقول إنه لم ينكر دعوته الحقيقية، وإنما أنكر تلك الصفة القديمة التي لم يعد يتصف بها وهي صفة «باب المهدي».

وهذا الادعاء من جانب الباب محض كذب وافتراء؛ لأن العلماء وكبار القوم كانوا يعلمون جيدًا قبل مثوله أمامهم في المسجد أنه يزعم أنه المهدي وأنه نبي، وهي تلك الأفكار الكافرة التي أجبره العلماء على إنكارها، وكان قد أعلن أمام مجلس العلماء وكبار القوم برئاسة الوالي قبل تراجعه علنًا في المسجد أنه هو المهدي المنتظر وأنه رسول من عند الله بكتاب ناسخ للقرآن، ولقد حكم عليه بالضرب بسبب ذلك القول، فأنكر دعوته وكرر ذلك مرة ثانية في مجمع من الناس، فلا يمكن أن نقبل على الإطلاق أن الباب أنكر صفته القديمة بأنه «باب المهدي»؛ لأن التهمة الموجهة إليه كانت تتعلق صراحة بصفته المزعومة التي تقول إنه المهدي وإنه رسول جاء بكتاب ناسخ للقرآن.

وكان السواد الأعظم من الشعب الفارسي يجهل تمامًا الأهداف الحقيقية للحركة التي قام بها الباب وكل من كان له مصلحة في حركة من هذا النوع، وذلك حتى مجيء اللحظة التي اجتمع فيها البابيون في بدشت عام ١٢٦٤ من الهجرة حيث كان الباب سجينًا في قلعة جبل ماكو وبعد مرور أربع سنوات من إعلان دعوته المزعومة، وكان هذا السواد الأعظم يظن أنه أمام رجل يمثل المفاهيم التي كانوا يتصورونها عن «المهدي المنتظر» مما يعني أنهم كانوا يظنونه مسلمًا كاملا يسعى إلى تطبيق أحكام الإسلام وإقامة العدل والقضاء على البؤس الذي كان يعيش الناس فيه ومحاربة ظلم الظالمين له، وبموجب هذا التصور الذي كان عند جمهور الشعب الفارسي عن المهدي المنتظر كان من السهل نسبيًّا لأي مغامر أن يدعي أنه هو المهدي بشرط أن لا يزعم نسخ الإسلام؛ لأن «مخالفة الأحكام التي يبشر بسيادتها

قريبًا يُعَدُّ انحرافًا عجيبًا»[١٠]، وذلك بموجب صفات المهدي المنتظر الذي يجب أن يكون «المسلم الكامل».

إن بساطة عقول العامة وسذاجتهم والحياة الصعبة التي كانوا يعيشونها كانت بمثابة التربة الخصبة لمشروعات البابيين الذين عرفوا كيف يستغلونها بتقديم الباب لهم على أنه المهدي المنتظر.

وإذا كان من الممكن لزعماء البابية تضليل عامة الناس بشأن مقاصد وأهداف الباب الحقيقية، فإن بعضًا منهم قد أدرك تمامًا أنه ليس من المستحيل أن يستمر ذلك وقتًا طويلا؛ لأنه مع الوقت يمكن أن يؤدي الإبهام إلى القضاء على الحركة البابية ويجعل من المزايا والفوائد التي ينتظرونها من ورائها مجرد أوهام، ولقد دفع الشعور الغامر بالخوف قادة البابية إلى استجابة نداءات الباب التي وجهها إليهم عن طريق مبعوثيه من سجنه بأعالي جبل ماكو، حيث كان يدعوهم من خلاله إلى التحرك المسلح والثوري لإخراجه من السجن، حيث قرروا الاجتماع ببدشت لاتخاذ قرارات حاسمة من شأنها إخراج الباب من سجنه وإنقاذ الحركة البابية من المأزق الذي وقعت فيه.

ويتحدث السيد نيكولا عن انتشار الحركة البابية في المراحل الأولى لظهور الباب فيقول: «أرى أنه من الواجب أن أشير هنا إلى أن دعاة البابية في بداية الدعوة لم يقولوا للناس إلا جزءًا يسيرًا جدًّا عن المذهب الجديد، فالنصوص المقدسة كانت واضحة وكانت تَعِدُ بظهور المخلص في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بالاضطرابات والجور، ولقد كانت المشاهد التي كانوا يتعرضون لها كل يوم من

(١٠) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات: ٢٧٤- ٢٧٥

تجاوزات صارخة وظلم وعنف واضطهاد والتي كانوا عليها شهداء وفي الوقت نفسه ضحايا، قد جعلتهم يظنون أنه قد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وأن النهاية الحتمية قد اقتربت، وعلى المهدي أن يأتي والسيف في يده؛ ليعيد للقرآن نقاءه الذي أُنْزِلَ به وليفتح الكون ويحول كل الناس إلى دين محمد، وحينئذ يفسر للناس بموجب عصمته ما غمض واشتبه عليهم، وبذلك يملأ الأرض بالعدل والمساواة، وهذا هو الدور الذي كان ينسبه الدعاة البابيون إلى الباب، وكانوا يقدمونه على أنه المهدي والإمام القائم وصاحب الزمان، ومن هنا بادر الناس بالترحيب والتهليل بمجيء المسيح الجديد.

وإذا كان من غير الممكن أن تزيل ضلالة الناس جملة واحدة في الدور المنسوب من مئات السنين إلى المهدي فمن المُسَلَّم به من جانب آخر أن الأمر سيعرض على حقيقته للعقول المثقفة»[١١].

هكذا نجد أن مسألة المهدي المنتظر كانت في كل زمان حجر الزاوية الذي يستند إليه كل من يريد مخادعة الناس من الكذابين والمخادعين، ويبين السيد نيكولا فيما سبق وكما هو واضح من كلام الباب نفسه في كتابه «دلائل السبعة»[١٢] أن البابيين قد أخفوا مقاصدهم الحقيقية والدور الحقيقي الذي كان يريد الباب أن يلعبه عندما قدموه منذ بداية الحركة البابية وحتى مؤتمر بدشت، يعني خلال أربع سنوات على أنه المهدي الذي ينتظره الناس والذي بشرت به الأحاديث التي يقولون بصحتها.

---

(١١) مرجع سابق، صفحة: ٢٥٥- ٢٥٦

(١٢) كتاب دلائل السبعة، ترجمة نيكولا، صفحات: ٢٩- ٣٠

وفي هذه الطريقة خداع متعمد وواضح من جانب الباب وقادة البابية تجاه الناس.

ومع ذلك فإن السيد نيكولا يسعى إلى إخفاء هذا الخداع قائلا: «إن الدور الحقيقي للمهدي المنتظر ليس ما نسبه الناس إليه عرفًا»، فيرى السيد نيكولا أن هذا المهدي لا يجب أن يكون مسلمًا يلتزم بأحكام الإسلام، ولكن يجب أن يكون رجلا له دور غير ذلك الدور الذي تناقل الناس نسبته إليه منذ عدة قرون، ويريد بذلك السيد نيكولا أن يقول إن تصور الناس ذلك التصور خاطئ وإن المهدي يجب أن يكون ناسخًا للإسلام وآتيًا بدين جديد، ومع ذلك لم يكن من السهل أن يكشف للناس -بعد اللحظة التي أعلن فيها الباب أنه المهدي- الدعوة الحقيقية لهذا المهدي وإلا وقع تصادم عنيف مع التصورات السالفة للمهدي المنتظر؛ لأن نسبة المخاطرة كانت مرتفعة جدًّا؛ لذلك اتبع البابيون ولمدة أربع سنوات تلك الطريقة الغامضة أملا وتخطيطًا للتأثير على عقول الناس حتى تأتي اللحظة المناسبة يومًا لقبول المهدي المكلف بدعوة أخرى غير تلك الدعوة المنسوبة إليه.

وهذه الطريقة البابية كانت متبعة مع عامة الناس؛ لأنها لو اتبعت مع أصحاب العقول المثقفة لكشفوا عن خططهم الحقيقية، وكذلك عن الدعوة الحقيقية التي يزعم المهدي المنتظر القيام بها.

لا يوجد في هذا التفسير الذي يقدمه السيد نيكولا سوى محاولة لإيجاد دور آخر للمهدي المنتظر غير الدور الذي كان الناس ينسبونه إليه منذ عدة قرون وفقًا للأحاديث التي يقولون بصحتها.

إن مفهوم المهدي المنتظر ليس له مصدر غير تلك الأحاديث المنسوبة زورًا

إلى نبي الإسلام ﷺ، ولكنها أحاديث تبين وتحدد الدور الذي يقوم به هذا المهدي في هذه الدنيا، وهذا الدور -وهو تحقيق النصر- مأخوذ من خير مصادر الإسلام، وبالتالي فإن كل ما ينسب إلى المهدي لكنه غير مطابق لما ترويه الأحاديث عن دوره فإنه موضوع ممقوت. وعلى ذلك فإن الناس لا ترتكب أدنى خطأ عندما تنسب إلى المهدي بعض الصفات والأعمال التي نصت عليها الأحاديث، وبما أن الناس لا ترتكب أدنى خطأ بذلك، فليس هناك أدنى داعٍ للقول بلزوم خداع الناس في ذلك، بحجة أنه من الصعب على الناس أن تتقبل ذلك جملة واحدة، وهذا يعني أنه ليس هناك حاجة للاستعدادات المسبقة لتهيئة العقل لاستقبال ما يأمله ويرجوه، فالناس كانت صادقة في إيمانها، ولكن البابيين هم الذين قاموا بمخادعتهم عندما قدموا الباب لهم في بادئ الأمر على أنه المهدي الذي ينتظرونه والذي يقيم أحكام الإسلام، ثم بعد ذلك كما يقول السيد نيكولا في تفسيره: إنهم كانوا يريدون إقناع الناس بدين الباب بعد إقناعهم بأن دور المهدي المنتظر هو المجيء بدين جديد، وليس إقامة دين الإسلام على صورته الأولى الطاهرة، وهذا تفسير آخر للباب يريد من خلاله أن يبرر موقف الباب من الناس وهو موقف المخادع الكذاب.

يقول السيد نيكولا: «... إن الفكرة المقبولة عند جميع الناس -الفرس- تقول إن الإمام المهدي يأتي لإقامة الإسلام وإظهار القرآن على هذه الدنيا، والإسلام والقرآن يعنيان عند أهل فارس الدين والكتاب اللذين بين أيديهم، وحينئذ فإن السيد علي محمد الذي يأتي بدين جديد وكتاب جديد لا يمكن أن يكون إلا كذابًا، ولكننا إذا أخذنا كلمتي الإسلام والقرآن بمعناهما الحقيقي فإن الصورة تتغير: فكلمة «إسلام» تعني التسليم لله ولدينه؛ ولذلك فإن أهل فارس على حق عندما يقولون إن إبراهيم وموسى وعيسى من المسلمين، وكلمة «قرآن»

تعني: «القراءة» و«الكتاب»، فهل يمكن الزعم أن علم الله الواسع يمكن أن ينحصر جميعه بين دفتي الكتاب الذي أطلق عليه ذلك الاسم؟ لا؛ لأنه حينئذ سيكون الاجتهاد أمرًا لا طائل من ورائه»[١٣].

عندما يتعلق الأمر بالمهدي المنتظر الذي يلتزم بالقرآن ويتبع دين الإسلام فإن ذلك يعني أن الشيعة يخطئون عندما يعدون القرآن هو ذلك الكتاب الذي جاء به محمد، والإسلام هو ذلك الدين الذي يدين المسلمون به، وحينئذ يستطيع الشيعة اتهام الباب بأنه كذاب عندما يزعم أنه مهدي يؤمن بالإسلام والقرآن، في حين أنه جاء بدين جديد وكتاب جديد، ولكن السيد نيكولا يفسر ذلك فيقول: إن هذا ليس هو المعنى الصحيح الذي تنسبه الشيعة إلى هاتين الكلمتين: «الإسلام» و«القرآن».

فالإسلام لا يقصد به دين المسلمين، إنما يقصد به التسليم لله، والقرآن لا يقصد به كتاب المسلم، وإنما يقصد به القراءة التي أنزلها الله، وبالتالي فإن اعتبار الباب مهديًا جاء بكتاب غير الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ وبدين غير دين المسلمين لا يخالف المبدأ القائل إن المهدي يجب أن يلتزم بأحكام القرآن وأن يتبع دين الإسلام.

في هذه الحالة يجب علينا أن نقول إننا أمام صورة أخرى من صور الاختراع المتعلقة بمعنى كلمتي «القرآن» و«الإسلام».

إن كلمة القرآن تستخدم في اللغة العربية مصدرًا يأتي منه جميع الصور الفعلية وهي تعني «القراءة»، ولكن كلمة القرآن تعني أيضًا «الكتاب» الذي أُنْزِلَ

(١٣) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات ٢١٩-٢٢٠

على محمد ﷺ، وفي هذه الحالة يصبح اسم علم لا يأتي منه أي تصريف ولا يعني شيئًا غير الكتاب الكريم.

والأمر كذلك بالنسبة لكلمة «إسلام» فهي مصدر واسم عام، وتعني هذه الكلمة «التسليم لله»، وهذا هو المعنى الوارد في الآية القرآنية التي أشار السيد نيكولا إليها: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٦٧]، وعندما تستخدم هذه الكلمة باعتبارها اسم علم، فإنها تعني دين المسلمين.

لقد أخطأ السيد نيكولا أو أراد أن يخطئ عندما خلط بين المعنيين اللذين تحملهما كل كلمة من هاتين الكلمتين؛ لأنه في مسألة المهدي الذي يلتزم بأحكام القرآن ويتبع دين الإسلام لا يمكن لأحد أن يفكر لحظة واحدة وفقًا للأحاديث التي تناولت المهدي والمنسوبة للنبي ﷺ أن كلمتي القرآن والإسلام يمكن أن يكون لهما معنى آخر غير الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والدين الإسلامي، ولكن يجب القول إن السيد نيكولا قد حرف هاتين الكلمتين عن معنيهما الحقيقيين، وجعل لهما معنيين آخرين هما القراءة والتسليم لله؛ وذلك من خلال اللعب على الكلمات.

......

ولقد اجتمع في مؤتمر بدشت جميع قادة البابية ممن لهم أهمية وعلى كل منهم أن يؤدي دوره، ولقد أسندت المهام الكبرى إلى قرة العين لما لجمالها المعروف وفصاحتها من تأثير على الناس، وكذلك إلى محمد علي البارفروشي الملقب بالقدوس.

وكان الملا حسين البشروئي -أول من آمن بالباب- وبهاء الله -أول خليفة للباب- من بين الحاضرين في هذا المؤتمر، لكن تأثيرهما لم يكن ملموسًا إلا من وراء الستار، وأما قرة العين والبارفروشي فكانا من أشد المناصرين لاجتماع هذا المجلس وقاما في البداية بتحديد موقفهم.

وبما أنهم أرادوا إخراج الحركة البابية من هذا الغموض الذي به وفيه تعيش، فقد قرر زعماء البابية استخدام كل الوسائل من خديعة وكذب وخيانة؛ لتحقيق أهدافهم.

وكان الناس المقرر لهم حضور هذا المؤتمر من ذوي النوايا الطيبة، ولقد حضروا آملين في الحصول على بعض التوضيحات حول الباب، ذلك المهدي الذي طال انتظاره ثم جاء في النهاية ليرفع عن الناس إصرهم ويخفف عنهم جميع الآلام والأحزان التي كانوا يعانون منها وكانوا ضحية لها؛ وذلك من خلال التطبيق السليم والصحيح لمبادئ الإسلام العظيمة.

ونظرًا لسذاجة هؤلاء الناس فإن الطرق التي استخدمها زعماء البابية تجاههم كانت حقيرة، سوف نذكر ما أورده السيد نيكولا في كتابه: «السيد علي محمد الملقب بالباب» عن عملية الإخراج التي قامت بها قرة العين والبارفروشي والذي يحدد نجاحها أو فشلها -على الأقل في تلك اللحظة- مصير الحركة البابية، وهذا الإخراج لم يكن له هدف سوى كفر الناس بالإسلام ودخولهم في مذهب الباب على أنه دين جديد، وهذا نص ما ذكره السيد نيكولا:

«وكان من الممكن أن تسوء الأمور عندما انتهت قرة العين إلى الحيلة، ولفهم ذلك يجب أن نعرف أن الدين الشيعي يأمر بقتل المرتد دون إرجاء، فلا

يقبل منه عذر ولا يمكن لعودته إلى الإسلام أن توقف أو تعلق الأحكام الصادرة ضده بموجب أحكام الدين نفسها، ولكن الأمر بخلاف ذلك بالنسبة للنساء، حيث إنهن مصدر التكاثر فلا يتحملن إلا مسؤولية أعمالهن، فإذا ما ارتدت واحدة منهن عن دينها فإنها لا تصنع ذلك إلا عند غياب وعيها، فيجب حينئذ إعادتها إلى رشدها وتعليمها أحكام دينها وأن نبين لها جريمتها وأن نردها إلى الإسلام، ورجوعها إلى الإسلام يضمن لها نسيان الخطأ ومغفرته، فإذا ما عاندت في خطئها فإنه حينئذ -وحينئذ فقط- يجب قتلها، واستنادًا إلى هذا النص من الشريعة الشيعية استطاعت قرة العين أن تقنع إخوانها في الدين بتجربة هذا المذهب الجديد، تقول قرة العين: «سوف ندعو جميع من حضر إلى هنا معنا، وأما قدوس فلن يحضر الاجتماع، فإذا ما اجتمع الأتباع سوف أكشف لهم عن الحقيقة بأكملها وسوف أعلمهم بظهور الله ونسخ القرآن، فإذا ما قَبِلَ الناس ذلك فقد حققنا هدفنا بسهولة، وإذا ما شعر الناس بالإهانة وثاروا فإنهم سوف يعودون يقينًا لإخبار زعيمهم الذي لم يشارك في هذه الجلسة، وبالتالي سوف يكفر قدوس بي ويعلن أني كافرة ويحاول أن يدعوني من جديد إلى الإسلام.

سوف يستمر ذلك عدة أيام نحاول خلالها تهدئة الثورة وإقناع الناس، فإذا لم ننجح في ذلك فسوف أتظاهر بالاقتناع بمنطق قدوس وأتظاهر بالعودة إلى القرآن».

وبعد أن فكر زعماء البابية جيدًا في ذلك العرض فهموا أن ذلك هو أفضل السبل لترتيب أمورهم، وبما أنه لا بد لهم من التبرير يومًا فإنه من الأفضل الشروع في ذلك على الفور وبالطريقة التي لا تعرضهم للخطر أبدًا.

وبعد اتخاذ جميع الإجراءات والترتيبات اللازمة، تم دعوة البابيين إلى

استماع خطبة كما هو الحال كل يوم في المعسكر، وحيث إن الجميع يعلمون أن الطاهرة سوف تتحدث ذهب الجميع إلى المجلس ما عدا قدوسًا الذي عرف كيف يجعلهم يلاحظون غيابه، وفسر ذلك بتعرضه لوعكة ألمت به مما اضطره إلى الخلود إلى النوم، وقامت قرة العين بشد قطعة خفيفة من القماش بحبلين على صورة ستارة، وكانت دائمًا تتحدث من وراء ذلك الحجاب، وفي ذلك اليوم ارتدت قرة العين أجمل ملابسها وتحلت بأثمن الحلي، وأمرت خادمتيها أن تقفا وراءها مسلحتين بمقص، وبإشارة منها يجب عليهما معًا قطع الحبلين المشدود عليهما الستار، فيقع الستار في لحظة واحدة، وبدأت على الفور إلقاء محاضرتها.

والمغامرة التي كانت تسعى إليها والانفعال الطبيعي الذي كانت تشعر به وأملها في النجاح وخوفها من الفشل جعلها تبلغ في الفصاحة والإقناع حدًّا لم تصل إليه من قبل، فلما سُحِرَ الحاضرون بصوتها وموهبتها جلسوا يستمعون إليها بانتباه شديد لا يتحرك منهم أحد، وفي اللحظة التي صرحت فيها بهذه الكلمات: «يجب أن تعلموا جميعًا اليوم أن الله قد ظهر وأن القرآن قد نسخ ونزل علينا كتاب جديد من السماء وأوتينا شريعة جديدة»، أرسلت الإشارة المتفق عليها فاستجابت لها الخادمتان، فسقط الحجاب، فأشرقت بوجهها في عيون سامعيها، فالتفتت لحظة نحو خادمتيها وكأنها تحاسبهما على ما كان منهما، ثم عادت بوجهها على الفور إلى جمهور سامعيها وقالت: «أيًّا كان ذلك الحدث، فإن ذلك ليس له أدنى أهمية، ألست بأختكم؟ ألستم بإخوتي؟ فأي أخت إذن تخفي وجهها عن أخيها؟» لكن الحدث الواقع كان بمثابة صدمة فأخفى البعض وجهه بيده، وانحنى بعضهم، وغطى البعض الآخر رأسه بثيابه حتى لا يرى وجه صاحبة السمو الطاهرة، وإذا كان النظر إلى وجه امرأة أجنبية عابرة يعد معصية، فأي جرم يرتكبه من يرفع عينيه على صاحبة الكرامة؟

ولقد سعت إلى إقناعهم فنزلت تسير بينهم وتدعوهم بإخوانها، وتقول لهم: بما أن القرآن قد نُسِخَ فإن الحكم الشرعي الذي يفرض على النساء ارتداء الحجاب لم يعد له وجود إلا أنها لم تنجح في ذلك، فقد كان هناك البعض -وهم قليلون- ينظرون إليها، ولما أدرك الميرزا حسين علي بهاء أن المشهد قد طال، وربما ينتهي نهاية مأساوية خلع ثوبه الذي يسمونه «أبا» وألقاه على رأس قرة العين وأخذها معه إلى خيمته.

وانتهى المشهد وسط فوضى لا توصف، وانهال وابل من السباب على المرأة عديمة الحياء والتي سفرت عن وجهها، فأكد بعضهم أنه قد أصابها الجنون المفاجئ، وأكد البعض الآخر أنها عاهرة، وأما القليل فقد قام بالدفاع عنها، واحتدمت المناقشة، ولوضع نهاية لذلك تقرر إبلاغ قدوس بالفضيحة التي وقعت.

وأما الذين قاموا بالدفاع عنها فقد ذهبوا للالتفاف حول خيمة الطاهرة، واستقبل قدوس الغاضبين، واستوضح القضية بأدق التفاصيل واقتنع بالخوف الذي أوقعته قرة العين -بما قامت به- في قلوب هؤلاء المسلمين المتعصبين، وحيث إنه كان لا يريد كبت مشاعر الناس المتفجرة لكنه يريد أن يحافظ على المستقبل، قال: إن الحدث في حد ذاته غير مفهوم بل ويختلط عليَّ، فإذا كانت الطاهرة قد عبرت حقيقة عن قناعتها بتصرفها وحديثها فإنها تعد كافرة ويجب عليكم أن تعدوها كذلك، ولكن ربما يكون في الأمر معنىً غائب.

وهكذا كما أراد المتحدث، شغلت هذه الكلمات الأخيرة بشدة ذهن من سمعها وشرعوا في البحث بِنَهَمٍ عن الهدف الداخلي والمغزى الخفي، وحينئذ كان هناك مجال للمناقشة.

وفي كل يوم كان قدوس يزرع الشك بعمق في عقول أصحابه بعد أن غرس بذوره بمهارة، فكان يقول: «إن الحجاب عادة أكثر منه عبادة، ونساء النبي ﷺ لم يرتدين الحجاب إلا بعد أن جاء أعرابي وأراد شراء عائشة من محمد ﷺ، ويمكن أن نقول إن أوامر ارتداء الحجاب في القرآن لا تخص إلا زوجات النبي ﷺ العفيفات، وهو عادة محمودة منذ قديم الأزل، ثم إنه إضافة إلى ذلك يحمي شرف نسائنا وشرف الأسرة، وإذا كانت هناك عادة مخالفة لذلك فسرعان ما يعتاد الناس عليها، وحينئذ يحترمون من لا يجوز لهم الزواج منهن، وهذا من شأنه أن يغير العادات السيئة إلى الأفضل في المدن الكبرى.

ولكن كيف يمكن أن نقول إن القرآن قد نُسِخَ؟ وكيف يمكن استبدال شريعته بشريعة جديدة؟ يجب على المهدي أن يفسر لنا ما غَمُضَ في القرآن، فيجب عليه أن يبين المعنى لا أن يهدمه، وقرة العين امرأة فاسقة.

فلما جعلهم يعتادون هذا العمل غير المرتقب من قرة العين أكد بمهارة على غموض معاني القرآن وقلة الترابط في أفكاره، مع تأكيده كل يوم على خروجها عن الجماعة، وكان يعتقد بذلك أنه قد هيأهم بصورة كافية وحذر شريكته من إجراء تجربة أخرى.

ولم تقف هذه المرأة مكتوفة الأيدي، فلما علمت بخبر التبرؤ منها جمعت كل من بَقِيَ مخلصًا لها -وكان يتزايد عددهم منذ الأيام الأولى-، وقامت ببيان المذهب الجديد لهم وأثبتت لهم ألوهية الباب، وتبرأت هي أيضًا من قدوس وأتباعه، وكانت موهبتها التي لا شك فيها تفرض الإيمان بكلامها على أولئك الذين ما زادهم حسن طلعتها إلا يقينًا بها، فلما أعلمها قدوس بأن الوقت قد حان لإجراء آخر تجربة طلبت رجلين لا يهابان الموت، فجاءها اثنان من الشباب فأصدرت إليهما تعليماتها.

فذهبا إلى معسكر العدو ووصلا في اللحظة التي كان يلقي فيها قدوس خطبته اليومية، فقاطعاه وقالا له بصوت مرتفع: «تنكر الطاهرة عليك حديثك عنها بسوء دون أن تكون لك الشجاعة في مواجهتها بذلك، وهي تدعوك إلى معسكرنا لمناظرتها بالعقل والدليل الصحيح مناظرة علنية، فإن أقمت الحجة عليها صدقتك واتبعتك، وإن أقامت هي الحجة عليك فما عليك إلا الانقياد والتسليم، فأجابهما قدوس: لا، هذه امرأة مرتدة ولا أرغب في رؤيتها ولا في الحديث معها، فأجابا عليه: إننا لن نذهب إليها بإجابة جارحة كهذه، ثم إنه ليس أمامنا إلا هذه الاختيارات التي تركتها لنا الطاهرة، إما أن نذهب بك إليها طوعًا، فإن رفضت ذهبنا إليها برأسك، أو أن نموت دون ذلك، هذه هي الأوامر التي تلقيناها، ونحن هنا من أجل تنفيذها، فاختر لنفسك إما أن تأتي، وإما أن تُقْتَل، وإما أن نُقْتَل.

فالتفت قدوس إلى أصحابه، وقال: الأمر إليكم فإن قلتم لي: اقْتُل! فسوف أَقْتُل، وإن قلتم: مُتْ، فسوف أموت، وإن قلتم: اذهب، فسوف أذهب.

فاحتدم النقاش بينهم، ولم يتأخر التوصل إلى الحكم، فكان الرأي كذلك، اذهب للقاء قرة العين وتحدث معها، هذا أولى من أن تَقْتُل أو تُقْتَل.

فقام قدوس يتبعه قومه جميعًا وذهب إلى معسكر الطاهرة، فلما تبوأ كل واحد مقعده، أتت الطاهرة فجلست أمام خصمها وبدأت المحادثة بينهما، ومن خلال بعض الاستشهادات الصائبة من القرآن والحديث استطاعت أن تقيم الحجة الدامغة على حقيقة دور الإمام الغائب بأنه المسؤول عن قول الحقيقة الربانية جميعها وأن يأمر بأمر الله، وأنه أمام عظمة هذا الدور تتلاشى تمامًا أدوار الأنبياء السابقين بما فيهم محمد ﷺ.

فلما هُزِمَ قدوس قام وقال بصوت عالٍ: إن ما تقوله هو الحقيقة، وإن ما فعلته هو الصواب، ثم التفت إليها وطلب منها أن تغفر له أخطاءه وكفره، وقلده جميع قومه، وقام هذا الدين الجديد في وسط تملؤه الدهشة والإثارة» (صفحات: ٢٨١ - ٢٨٧).

من خلال هذا الاستشهاد الخاص بأهم الأحداث والنتائج التي أسفر عنها مؤتمر بدشت والذي لم نستطع اختصاره لأهميته، يقدم لنا السيد نيكولا مثالا حيًّا للحيلة الماهرة والخدعة الماكرة التي كان يستخدمها زعماء البابية ليجعلوا من الباب المهدي المنتظر، ولكنه مهديٌّ آخر ينسخ الإسلام ويأتي بدين جديد.

لقد تم إعداد كل شيء مسبقًا قبل عقد اجتماع بدشت لخداع الناس - البسطاء بدون شك-، لكنهم المخلصون والمتمسكون بعقائدهم والذين ثاروا ضد هذا الكذب في بادئ الأمر.

والقول إن «هذا الدين الجديد قام في وسط مليء بالدهشة والفرحة العامة» كما يقول السيد نيكولا ربما يكون مبالغًا فيه؛ لأنه مما لا شك فيه أن عددًا لا بأس به من الحاضرين لم يقبل هذا التحول التام من جانب قدوس، ولكن من خلال الحيلة الماكرة التي استخدمها قدوس وقرة العين مع موافقة غيرهما من زعماء البابية، أصبح الناس على علم بحقيقة البابية، ومن خلال تعبئة جميع العناصر غير المستاءة، كان من الممكن أن يمتد الصراع في جميع البلاد لنصرتها.

....

وهناك مثال آخر يوضح الوسائل الخبيثة والدنيئة التي كان يعتمد عليها الباب في التأثير على الناس وحملهم على تبني فكرته، يقدمه لنا السيد نيكولا من خلال قصة اعتناق الملا صادق الخراساني البابية.

هذا الخراساني الذي أعطاه الباب فيما بعد لقب المقدس كان تلميذًا في المدرسة الشيخية في زمان كاظم الرشتي، وهو الذي أقنع خال الباب بأهمية متابعة ابن أخته لدروس الرشتي في الوقت الذي حضر فيه الميرزا علي محمد إلى كربلاء.

وبالنسبة لتحول الخراساني إلى هذا المذهب فقد قيل إن ذلك قد حدث عن طريق الملا البشروئي الذي أرسله الباب عند عودته من الجزيرة العربية إلى الخراساني في مدينة بوشهر، وكان البشروئي يحمل إلى الخراساني بعض فقرات من كتب الباب.

يقول السيد نيكولا في هذا الصدد: «الملا حسين البشروئي هو من اختاره الباب لإرساله إلى أصفهان بحثًا عن المقدس الخراساني، وأعطى رسوله بداية تفسيره لسورة يوسف وبعض أوراد المناجاة قائلا له: «... بعد أن يقرأها المقدس الخراساني فإنه سوف يؤمن بصاحبها، ولكني لا أريد منك أن تقول له عن اسمي، فليحاول أن يستنتجه هو بنفسه، وتقول له أن يذهب إلى شيراز حيث سيتلقى أوامري»، وفعل الرسول ما طلب منه الباب أن يفعل، وفي اليوم التالي لإيمانه به خرج المقدس على قدميه إلى أصفهان مع صديقه حبيب وتوجها إلى شيراز»[١٤].

إذا كان من الواجب أن نصدق بما يقوله لنا السيد نيكولا من أنه كان يكفي انتقال البشروئي؛ حاملا بداية تفسير سورة يوسف وبعض أوراد المناجاة، إلى الخراساني حتى يعلم الخراساني عند قراءة هذه الكتابات أنها من قلم الباب ويؤمن بها على الفور، فإننا نتساءل عما كان يشتمل عليه هذا التفسير وتلك المناجاة حتى تجعل الخراساني يعتنق البابية على الفور، والذي يقرأ هذه الكتابات نجده يتساءل مثلنا تمامًا.

---

(١٤) مرجع سابق، صفحة ٢٢٤

إننا لا نجد على المستوى الشخصي في هذه الكتابات إلا انعكاسًا لعقل صاحبها المريض، وليس فيها ما يمكن أن يحمل رجلا صاحب فطرة سليمة على ترك دينه ليعتنق دينًا مزعومًا لرجل يكتب مثل هذه الأشياء.

إننا نرى أن قراءة كتابات الباب التي سلمها البشروئي للخراساني ليست هي التي أحدثت ذلك التحول السريع إلى العقيدة الجديدة، فمما لا شك فيه أنه كان هناك اتفاق مسبق بينه وبين الباب حتى يستطيع خداع الناس من خلال ذلك التحول، فإشاعة الخبر في كل مكان بأن عالمًا من المدرسة الشيخية مثل الخراساني قد اعتنق على الفور الدين الجديد بمجرد قراءة تفسير سورة يوسف من شأنه أن يكون له أثره على البسطاء السذج من الناس.

ويبدو لنا بالإضافة إلى ذلك أنه من غير المحتمل أن يكون الخراساني قد غادر مدينته على الفور من أجل أن يذهب إلى شيراز إن لم يكن هناك اتفاق مسبق بينه وبين الباب بطريقة مباشرة أو عن طريق البشروئي، فما الأسباب إذن التي تجعل الخراساني بعد تحوله المعجز ينتقل إلى شيراز؟ هل من أجل أن يرى الباب بعد عودته من بوشهر وليطفئ بهذه الرؤية حرارة الشوق بعد اعتناقه الدين الجديد؟ وهل يمكن أن يكون هذا الأمر مقبولا أيضًا؟

في الحقيقة أنه لا شيء من ذلك! فهذا الانتقال السريع كان الهدف من ورائه تلقي أوامر الباب وتنفيذها، وهذه الأوامر كانت خطيرة الشأن، وأسفر تنفيذها من جانب الخراساني عن إلقاء القبض عليه في شيراز، ثم القبض على الباب في بوشهر، ومنها تم اقتياده إلى شيراز.

وهذا مضمون هذه الأوامر وفقًا لما يرويه السيد نيكولا: «بعد وصولها

-المقدس الخراساني، وحبيب- بثلاثة أيام تلقى المقدس رسالة من الرسول -الباب- اشتملت على الأمر التالي: «صَلِّ في المسجد الذي أنزلت فيه آيات ربك، وَعَلِّمِ الناس آياتنا في المسجد نفسه -مسجد الحدادين- ... واصدع باسمي في الأذان بعد الشهادات الثلاثة كما يلي: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن عليًّا ولي الله، وأن عليًّا بعد نبيل مرآة روح الله!»، وكان يأمره بالتوجه أثناء صلاته إلى بيته الذي ينبغي أن يكون القبلة الجديدة.

وبدأ الخراساني في صلاته حسبما اعتاد ذلك من قبل أمام الناس المجتمعة حوله، ثم تحول إلى منزل الباب، وقام ثلاثة مؤذنين بناءً على أوامره برفع الأذان من فوق المنارات يرددون: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن عليًّا ولي الله، وأن عليًّا بعد نبيل مرآة روح الله»[١٥].

فهل يمكن الزعم حقًّا بأن الخراساني بمجرد وصوله إلى شيراز قد تلقى أوامر الباب بما لها من أهمية يمكن أن تسفر عن نتائج مباشرة دون أن يفكر في المخاطر التي يمكن أن تنجم عن ذلك ودون اتفاق مسبق فيما بينهم؟

وهل يمكن القول إن البشروئي -وهو أول من تبع الباب- لم يكن على علم تام بالمهمة التي كان الباب يرغب في تكليف الخراساني بها وأنه لم يكن هناك اتفاق بين ثلاثتهم؟

إننا لا نرى في هذه القصة بكاملها تحولا معجزًا من جانب الخراساني بفضل تفسير سورة يوسف، وإنما خديعة كغيرها من خدع الباب والبابيين للتأثير على الناس لصالح البابية، هذا بالإضافة إلى أن البابيين أنفسهم يؤكدون

---

(١٥) مرجع سابق، صفحات: ٢٢٤- ٢٢٥

لنا بالدليل على أن هذه القصة مرتبة ومختلقة لخداع الناس، ونجد في الحقيقة من واقع الاستشهادات السالف ذكرها أن اعتناق الخراساني لمذهب البابية حدث بعد عودة الباب من الجزيرة العربية، وبفضل الكتابات التي حملها إليه البشروئي، ومع ذلك يقول أواره في كتابه «الكواكب الدرية»: «كان هناك من بين أولئك الأبطال الذين تبعوا الباب الملا محمد صادق الخراساني والملا محمد علي أكبر، وكان هذان الرجلان من بين أهم أفراد الفرقة الشيخية، ولقد نالا شرف رؤية الباب قبل رحيله إلى مكة واهتديا عن طريقه إلى الصراط المستقيم، ولم يرغبا في بقاء دعوة الباب سرية، فقاما على الفور بالدعوة إلى الرسالة الجديدة، فلما وصل الباب إلى مكة كانا يجوبان العديد من البلدان، وقبل أن يعود الباب إلى شيراز كانا قد دخلاها وفيها ألقى الوالي القبض عليهما تحت ضغط العلماء عليه» (صفحات: ٨٥ – ٨٦).

وهكذا يتضح من رواية أواره أن تحول الخراساني إلى البابية قد حدث قبل رحلة حج الباب إلى مكة، وهذا يعني بالطبع قبل أن يلقي إليه البشروئي بكتابات الباب المعروفة، وبالتالي يؤكد البابيون أنفسهم أن قصة التحول التي أوردها السيد نيكولا وجعلها بعد عودة الباب من مكة إلى بوشهر ليست إلا مجرد تطبيق لخطة تم الاتفاق عليها من قبل بوقت طويل بهدف تضليل الناس للاستفادة من ذلك.

ومن الملاحظ أن السيد نيكولا يروي كما سنرى فيما بعد أن الملا الخراساني والذي كان صديقًا حميمًا للبشروئي قد صحبه بعد موت كاظم الرشتي في رحلة البحث عن المهدي المنتظر: وهذا يؤكد رأينا بأن الخراساني قد شارك في تنظيم الحركة البابية وأنه كان متفقًا مع البشروئي والباب في اختلاق قصة اعتناقه للمذهب الجديد.

ونذكر مثالا أخيرًا يوضح موقف الباب والبابيين من فضيلة الصدق والأمانة، ويتعلق هذا المثال بإقرار الملا حسين البشروئي بأن الباب هو المهدي المنتظر، والبشروئي هو أول تابع للباب الذي خلع عليه لقب «باب الباب»، ولقد تحدث السيد نيكولا في كتابه «السيد علي محمد الملقب بالباب» عن هذا الحدث، لكنه لم يستطع أو لم يُرد أن يدخل في التفاصيل الخاصة بذلك، وإنما اكتفى بقول ما يلي: «إن قصة اعتناق البشروئي للمذهب الجديد غامضة للغاية، ولكن لا يزال القول إنه آمن بفضل أحسن القصص، وإن هذا فتح مبين من فتوحات الباب» (صفحة: ٢٥٤).

ويقول أيضًا في موضع آخر من نفس الكتاب: «بعد موت السيد كاظم الرشتي في سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ - ١٨٤٤) قام تلاميذه بعد أن قضوا أربعين يومًا في الكوفة بالبحث عن خليفته في العالم الإسلامي كله، وبالتالي كانوا يبحثون عن رجل أعلى درجة أو على الأقل مساوٍ في الدرجة لمعلمهم الراحل.

وقبل أن يتفرقوا في المدائن أقسم الكثير منهم بعضهم لبعض أن يخبر بعضهم بعضًا ببشرى النجاح في البحث إذا ما عثروا على من بَيَّنَهُ القرآن والسيد كاظم الرشتي لهم، واتحد ثلاثة منهم برابطة صداقة لا تنفك وهم: الملا حسين البشروئي، والمقدس الخراساني، والملا علي جوهر» (صفحات: ١٩٧ - ١٩٨).

"وفي تلك اللحظة وصل الملا حسين البشروئي إلى شيراز قادمًا كما سبق وقلنا من كربلاء بحثًا عمن بشر به السيد كاظم الرشتي، وسرعان ما تأكد أن تلك الصفات قد وجدها في شخص الشاب سيد وقدم له فروض الولاء والطاعة، ولاءً أفضى به إلى الموت، وبذلك أصبح أول من آمن، وكان يطلق عليه لقب «أول

من آمن» تمامًا كلقب «باب الباب» الذي خلعه عليه معلمه فيما بعد» (صفحة: ٢٠٥).

وبذلك يبقى اعتناق البشروئي للمذهب الجديد أمرًا غامضًا بالنسبة للسيد نيكولا، فلم يستطع، أو لم يرد أن يكشف عن سر هذا التحول، وعن سر إيمانه بالباب.

إننا لا نرى هذا التحول إلا مجرد حيلة لخداع الشعب تمامًا كما هو الحال بالنسبة لتحول الخراساني، فلم يكن له هدف غير ذلك الهدف، ونرى أنه مما لا شك فيه أن الباب والبشروئي كانا على اتفاق في أداء تلك المسرحية تمامًا، كما كانا على اتفاق فيما بعد على تمثيل المسرحية التي قام فيها الخراساني بأداء دوره بجدارة.

ويقدم لنا أصحاب الكتب البابية تقاريرَ نستطيع من خلالها أن نصل إلى الحقيقة في مسألة اعتناق البشروئي للمذهب الجديد، فيقولون: إنهم كثيرًا ما كانوا يسمعون معلمهم كاظم الرشتي يقول: إن المهدي المنتظر قد أوشك ظهوره، وبالتالي يجب البحث عنه، وقام البشروئي وبعض الشيخية عقب موت كاظم الرشتي بهذا البحث: «...ثم انطلقوا في جميع الاتجاهات، لكن القدر قاد خُطى الملا حسين البشروئي وفي صحبته بعض الأشخاص إلى مدينة شيراز، حيث التقى والباب والتقى به بمفرده...، وفي مساء الخامس من جمادى الأولى لسنة ١٢٦٠ من الهجرة –٢٣ مايو ١٨٤٤–، وعندما كان الملا حسين البشروئي واقفًا بين يدي الباب، أخبره الباب بزعمه جملة واحدة أنه المهدي ودعاه إلى الإيمان به[١٦].

وفوجئ البشروئي بدعوة الباب، ولم يستطع أن يؤمن به قبل أن يرى

(١٦) أواره، مرجع سابق، صفحات: ٧١- ٧٢

الدلائل على صدق دعوته، وتساءل كيف استطاع هذا السيد أن يتحدث بتلك الصورة؟ وقال في نفسه: يجب أن أطرح عليه بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوعات الصعبة لضبط جماح هذه الطريقة المتغطرسة.

وقال للباب: إنها دعوة غاية في الأهمية، ولا بد من إقامة الدلائل عليها، فأجابه الباب: إن الدلائل عليها لا تعد ولا تحصى، وطلب من البشروئي أن يخبره بالدلائل التي يريدها منه، فأخبر بأنه لا يمكن الاكتفاء بالدلائل التي لا تتجاوز حدود معرفة الناس، وبدأ يسأل الباب في القضايا العلمية والدينية، وفي كل مرة كان البشروئي -حسبما يقول- يتلقى إجابة مرضية ومقنعة.

فعلام اشتملت تلك الأسئلة المختلفة التي وجهها البشروئي إلى الباب؟ وما هي الإجابات المرضية والمقنعة التي أجاب بها الباب ولم يبينها لنا أصحاب البابية الذين اكتفوا بالتأكيدات الغامضة؟

وأما ما قام البابيون بنقله لنا عن البشروئي باعتباره وحيًا حول اللقاء الذي تم بين الباب والبشروئي، فإنه يتعلق بظهور المهدي المنتظر والأحداث المبشرة بظهوره والمثبتة لشخصيته، ولقد طلب الباب من البشروئي أن يبين له على حد علمه الأحداث المبشرة بالمهدي والأمارات التي تدل عليه عندما يظهر، فبين له البشروئي الكثير منها!!، ولم يذكر منها في الحقيقة إلا دلالة واحدة وهي تفسير سورة يوسف، وهو التفسير الواجب على المهدي أن يكتبه لكي يكون آية على أنه المهدي المنتظر، وحينئذ أظهر الباب فجأة تفسير سورة يوسف إلى البشروئي وسماه «أحسن القصص»، فأخذ البشروئي التفسير من بين يدي الباب، وبعد قراءته أعجب بأسلوبه وبلاغته، ولم يجد بُدًّا من الإيمان بالباب»[١٧].

(١٧) مرجع سابق، صفحات: ٧٠- ٧٥

تلك هي طريقة البابيين في رواية قصة اعتناق البشروئي للمذهب الجديد، فلقد اجتهدوا في إظهار هذا التحول على أنه حدث وليد الصدفة، ولولا هذا الحظ لما وصل البشروئي إليه، ونرى بهذه «المناسبة الطيبة» فرصة للقول إن الحدث لم يكن وليد الحظ ولا المصادفة، وإنما كان هناك اتفاق مسبق بين الباب والبشروئي على ما يجب أن يقدم للناس بعد ذلك على أنه دغدغة للحواس من شأنه أن يؤثر على السذج من الناس وبسطائهم، ونريد بمناسبة هذا الحدث المعجز أن نعترض عليه ببعض الحقائق:

١- كان بين الباب والبشروئي معرفة قديمة منذ الوقت الذي كانا يذهبان فيه إلى المدرسة الشيخية.

٢- كان الباب والبشروئي على علم بأن كاظم الرشتي قد بشر بقرب مجيء المهدي المنتظر، وأنه قد أوصى بالبحث عنه.

٣- عندما غادر البشروئي كربلاء بحثًا عن المهدي كان على رأس العديد من الشيخيين الذين أرسلهم بعد ذلك في اتجاهات مختلفة، وأما هو فاحتفظ لنفسه ولبعض الشيخيين في صحبته بالاتجاه إلى شيراز حيث يقيم الباب.

٤- عندما وصل البشروئي إلى شيراز لم يصطحبهم أو حتى واحدًا منهم عند الباب، وإنما التقى به وحده.

٥- البشروئي الذي زعم أنه بَيَّنَ للباب العديد من الأمارات المختلفة التي تبين هوية المهدي المنتظر لم يذكر لنا إلا واحدة فقط منها وهي التفسير الشهير لسورة يوسف، تلك الأمارة التي يعدها البشروئي دليلا على شخصية المهدي المنتظر هي الدليل الذي يوضح جليًّا تواطؤ الباب مع البشروئي.

إننا لسنا في حاجة إلى التأكيد على ما توصلنا إليه؛ إذ إن الملاحظات الخمس التي ذكرناها تبين دون أدنى حاجة إلى التعليق عليها أن تحول البشروئي إلى البابية لم يكن سوى مسرحية هزلية شارك فيها الباب ومن آمن به لخداع الناس، ومع ذلك فإنه تجدر بنا الإشارة إلى أنه لا يوجد مطلقًا حديث واحد ولو كان ضعيفًا يبين لنا أن حقيقة المهدي المنتظر تثبت مجيئه وتقديمه لتفسير سورة يوسف.

ونقول أيضًا: إنه لا يوجد مطلقًا من بين أصحاب مفهوم المهدي المنتظر من يتحدث عن هذا التفسير باعتباره إحدى الآيات الدالة على شخصية المهدي المنتظر، وبالتالي فإن تفسير سورة يوسف لمساندة المهدي المنتظر يعد محض كذب من الباب والبشروئي اللذين لم يدركا أن هذا التفسير سيكون لنا يومًا أقوى دليل على إثبات كذبهم.

وإذا كان أي تفسير لهذه السورة يمكن أن يكون دليلا صادقًا على حقيقة المهدي المنتظر لفصاحته وأسلوبه وقيمة ما يعبر عنه، فلن يكون بالتأكيد ذلك التفسير لسورة يوسف الذي كتبه الباب، فما كتبه الباب يمكن أن يكون أي شيء إلا أن يكون تفسيرًا لسورة «يوسف».



الفصل الثالث

قرة العين ونظرياتها المزدكية

تجدر الإشارة إلى أن زرين تاج التي يلقبها البابيون «قرة العين» كانت إحدى الشخصيات التي كان لها تأثير بَيِّن على هذه الفرقة، وكان والدها الملا صالح وعمها الملا محمد تقي من علماء الشيعة الكبار، وتزوجت من ابن عمها الملا محمد ابن الملا محمد تقي، وكان هو أيضًا من العلماء، وهكذا نشأت قرة العين في جو أسرة دينية محترمة ومعروفة بالتزامها بتعاليم الدين وتمسكها بأحكامه.

وقد اشتهرت قرة العين بغزارة علمها في فروع العلوم الشرعية مثل: القرآن، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام، وعلوم اللغة... إلخ، واكتسبت معارفها عن أبيها وعن عمها، ثم دفعها استعدادها الفكري نحو الشيخيين الذين تختلف مذاهبهم في بعض المسائل عن مذاهب الشيعة الإمامية والمذاهب السنية، فكانت تميل نحو المذاهب الشيخية على الرغم من أن أباها وزوجها وعمها على وجه الخصوص كانوا من أشد الناس عداوة لهذا المذهب.

ويفسر البابيون سلوك قرة العين تجاه مذاهب الشيخيين بقولهم: إنه كان لها عم آخر يدعى الحاج محمد علي، وكان متعاطفًا جدًّا مع الفرقة الشيخية، وهو الذي كان له بالغ الأثر على ابنة أخيه عندما جعلها تقرأ كتب الشيخ أحمد الأحسائي مؤسس هذه الفرقة، وكذلك كتب خليفته كاظم الرشتي، وربما نصحها عمها هذا بالانضمام إلى مذهب هذين الرجلين، وأن تنتمي إلى هذه الفرقة.

وكان تأثير هذا العم على قرة العين بالغًا فاتجهت إلى الشيخين، وبدأت في مراسلة كاظم الرشتي، ثم انتقلت إلى كربلاء بالعراق؛ لتكون على اتصال مباشر

بالرشتي، لكنها لم تستطع رؤيته؛ لأنها عندما وصلت إلى هذه المدينة كان الرشتي قد مات، فأقامت زمنًا بكربلاء ترددت فيها على مجالس أتباع الرشتي الراحل.

وعندما انطلق بعض أتباع الرشتي بحثًا عن المهدي المنتظر الذي بشر الرشتي بقرب مجيئه، أرسلت قرة العين رسالة إلى الملا حسين البشروئي بشيراز، تلك المدينة التي قاده حظه السعيد إليها، وطلبت منه في هذه الرسالة أن يخبرها بنتائج بحثه، وأضافت تقول: «إذا توفرت لكم الفرصة للقاء المهدي المنتظر فلا تحرموني من معرفته، ولا تبخلوا عليَّ بنصيبي في الخلاص»، فلما وقعت الرسالة بين يدي البشروئي الذي كان قد أعلن للتو إيمانه بالباب، قرأ الرسالة على الباب الذي تولى بنفسه الرد على قرة العين، وجعل منها أحد «أحرف الحي» الثمانية عشر، وبذلت قرة العين من ذلك اليوم أقصى ما في وسعها لتنشر بكل حمية ذلك الدين الجديد[1].

وعندما تلقت قرة العين رسالة الباب غادرت كربلاء في صحبة بعض الشيخيين بنية الذهاب إلى شيراز، ومرت خلال تلك الرحلة بقرية كروند التي ينتمي أهلها إلى فرقة «العلي إلهية» وهي فرقة شيعية متشددة، ولقد رحب أهل هذه القرية بقرة العين وأحسنوا استقبالها، فاغتنمت تلك الفرصة في إخبارهم بالدين الجديد ودعوتهم إلى اعتناقه، وتم لها ما أرادت[2]، وبعد هذه الموجة الأولى من التحول إلى المذهب الجديد انطلقت هي وأصحابها لمواصلة الرحلة نحو قزوين حيث كانت تقيم.

(١) أواره، الكواكب الدرية، صفحات: ١٠٩ - ١١١

(٢) مرجع سابق، صفحات: ١٩٢ - ١٩٣

وأقامت قرة العين في قزوين بعض الوقت تعمل على نشر الدين الجديد بها، ولقد أحدث هذا التصرف نفورًا شديدًا بين قرة العين وأسرتها بما فيها زوجها.

ولقد احتدم هذا النفور إلى درجة القطيعة بينها وبين زوجها، ولم تغير جميع جهود المصالحة المبذولة من جانب الأسرة لعودة الفتاة إلى زوجها شيئًا في قرارها، بل أجابت على جميع تلك المساعي بقولها: «لن يستوي أبدًا الخبيث والطيب»، ولم ينته الأمر عند حد الانفصال عن زوجها فقط، وإنما عن أطفالها أيضًا[٣].

وبعد مرور وقت يسير على انفصالها عن أهلها، قُتِلَ عمها -والد زوجها- الملا محمد تقي في مسجد قزوين أثناء القراءة في صلاة الصبح، فتساءل الناس عن قاتله وعما إذا كانت قرة العين محرضة على هذا القتل، وأجيب على هذا التساؤل بإجابتين:

الأولى: تقول الشيعة: إن قرة العين نظمت عدة اجتماعات في قزوين بعد انفصالها عن أهلها وألقت بعض الخطب في هذه اللقاءات دعت فيها لمذهب الباب، كما صرحت فيها بآراء جديدة وجريئة تدعو على سبيل المثال لأن يكون للمرأة تسعة أزواج، وتقول الشيعة أيضًا: إن قرة العين كانت تعلم أن عمها - والد زوجها- يمثل العقبة الأولى التي تعترض رغبتها في التحرر الكامل لتعيش على هواها، وأنه يحارب بضراوة أفكار الردة التي تقوم بنشرها، وكانوا يقولون أيضًا: إن قرة العين قد صرحت بوجوب قتله وقتل أبيها وزوجها وجميع العلماء المعارضين للمذاهب الجديدة، وإن أنصارها المتعصبين قد هجموا على المسجد وقتلوا الملا محمد تقي وهو يستعد للقراءة في صلاة الصبح، ولقد أشعل هذا

---

(٣) مرجع سابق، صفحات: ٢٠٣- ٢٠٤

الاعتداء على كل حال ثورة كبيرة في قزوين، فغادرت قرة العين وأتباعها هذه المدينة قاصدين خراسان للحاق بالبشروئي الذي كان يقيم فيها[٤].

ويطرح البابيون إجابة ثانية على هذا التساؤل فيقولون: إن قرة العين لا شبهة في براءتها من مقتل عمها -والد زوجها-، ويؤكدون أن القاتل كان واحدًا من الشيخيين الغاضبين على الملا محمد تقي، وأنه كان يعلم أن محمد تقي يهاجم دائمًا زعماء تلك الفرقة بدءًا بالأحسائي والرشتي، وذلك من خلال خطبه التي كان يلقيها بالمسجد، ومن خلال الدروس التي كان يعقدها، وهذا الشعور الغاضب هو الذي جعله يحمل السلاح في يده، وهو أيضًا السبب الذي جعله يسلم نفسه إلى السلطات ويعترف بجريمته، وذلك عندما قامت السلطات بالبحث عن قرة العين[٥].

ويروي لنا السيد نيكولا المعروف لدينا بموقفه تجاه الباب والبابية هذا الحدث بطريقة تؤكد أقوال الشيعة التي تتهم قرة العين بأن لها يدًا في تلك القضية الدامية فيقول: «... ألم يأن بعد أن نميط اللثام عن هذا الدين -دين الباب- أمام أصحابه الذين آمنوا به دون أن يعرفوا حقيقته أو الغاية التي يوجههم إليها ذلك الدين؟ ألم يَأْنِ بعد أن نفكر في وسائل تخليص الباب من الوضع الخطير والصعب الذي هو فيه؟ إن جميع هذه الأسئلة كانت موضع المراسلات النشطة بين مختلف زعماء البابية، ومن أجل إيجاد حل لكل تلك التساؤلات تقرر عقد اجتماع عام أطلقنا عليه اسم (مجمع بدشت).

---

(٤) مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، صفحات: ١٧٦- ١٧٨

(٥) أواره، مرجع سابق، صفحات: ٢٠٧- ٢١٠، يبين أواره اسم القاتل الذي كان يدعى الميرزا صالح الخباز والذي تم إعدامه مع أربعة من المتواطئين معه في تلك الجريمة

وكان من الواجب حينئذ على قرة العين أن تفكر في مغادرة قزوين لكن كان عليها قبل الرحيل أن تؤدب من تجرأ في حضرتها على لعن الباب، وكان الملا محمد تقي معتادًا على الخروج قبل طلوع الشمس؛ ليردد أذكار الصباح في المسجد، فلم يجد فيه إلا الخادم المكلف بالنظافة واثنين من المحتاجين.

وفي ذلك الصباح ما إن دخل المسجد حتى هم شخص وصوب إليه رمحًا في فمه فحقق بذلك نبوءة ابنة أخيه[٦]، ثم جاء خمسة أو ستة آخرون وأجهزوا عليه بضربات السيوف وطعنات الخناجر فقضوا عليه، فلما انتهت مهمتهم انسحب كل واحد منهم تاركًا القتيل في الموضع الذي سقط فيه»[٧].

يتضح من كلام السيد نيكولا أن قرة العين قد دفعت بعض الرجال لارتكاب جريمة القتل، وبالتالي يتفق رأيه مع رأي الشيعة.

ولما هربت قرة العين إلى خراسان من أجل اللحاق بالبشروئي ووصلت إلى بدشت التقت هناك والبارفروشي، حيث أخبرها بقرب وصول البشروئي، وظلت في بدشت بقصد انتظاره لعقد مؤتمر بدشت مع كبار زعماء البابية، وكان هذا الاجتماع -كما يقول البابيون- يهدف إلى مناقشة قضيتين من القضايا ذات الأهمية الكبرى واتخاذ قرارات بشأنها.

وتتعلق أولى هذه القضايا بإعلان نسخ دين الإسلام أمام المجلس واستبداله بالدين الجديد الذي جاء به الباب.

---

(٦) يشير السيد نيكولا هنا لكلمة قرة العين إلى عمها الملا محمد تقي خلال نزاع نشب بينهما: «فنظرت قرة العين في وجهه وقالت: اللعنة عليك إذ إنني أرى فمك وقد ملئ بالدماء»، راجع السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحة ٢٧٦

(٧) نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، صفحات: ٢٧٧- ٢٧٨

وتتعلق ثاني هاتين القضيتين بتكوين جماعات مسلحة لتخليص الباب من سجنه بماكو، ولقد قام البشروئي بزيارة الباب في ماكو وأخبر زعماء البابية بفراغ صبر السجين وبالمخاطر التي تحيط به.

أما ما يتعلق بالإفراج عن الباب فلقد تقرر إرسال رسل في مختلف المناطق لحث البابيين ودعوتهم إلى الذهاب إلى ماكو، وأن يظلوا فيها على أهبة الاستعداد لأي احتمال، فإذا ما توافرت القوات اللازمة، فإننا نرسل التماسًا إلى شاه فارس نطلب منه الإفراج عن الباب، فإن أبى لجأ البابيون إلى استخدام القوة لتخليص زعيمهم السجين.

أما بالنسبة للإسلام فلقد تقرر الإعلان بصراحة أمام المجلس أنه قد نُسِخَ، وتم إحلال الدين الجديد الذي جاء به الباب محله، وتقرر أن تقوم قرة العين بمهمة إعلان ذلك، وقد ذكرنا من قبل أنها قامت بذلك، وكيف سعت جاهدة إلى تحقيقه[8].

إن ما يتحدث عنه البابيون بشيء من الغموض إنما هو محتوى خطبة قرة العين التي قامت بإلقائها لتعلن لسامعيها أن الإسلام قد نُسِخَ، لكن الميرزا مهدي خان وهو مؤلف شيعي يروي عن الميرزا تقي كاشاني في كتابه «ناسخ التواريخ» أن قرة العين قالت في خطبتها: «أيها الأحباب والأغيار اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نُسِخَت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا، وأن انشغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل، إن

(٨) أواره، مرجع سابق، صفحة: ٢١٦ وما بعدها

مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نزر يسير، فبناء على ذلك أقول لكم: لا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف، وإننا نحن الآن في زمن الفترة[٩]!

ثم اعلموا أن الحواجز التي تفصل الرجال عن النساء لم يعد لها وجود، وتستطيع النساء من الآن، بل يجب عليهن المشاركة في جميع الأنشطة البشرية.

أيها الرجال، مزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال، وواصلوهن بعد السلوة، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها؛ لأنها خلقت للضم والشم، ولا ينبغي أن يُعَدَّ ولا يُحَدَّ شَامُّوهَا بالكيف والكم، فالزهرة تُجْنَى وَتُقْطَف، وللأحباب تُهْدَى وَتُتْحَف.

إن كنز الأموال وحرمان الغير من الاستمتاع بها أساس جميع الأحزان وكل الجرائم؛ لأن الأموال لم تخلق لبعض الناس فقط الذين يستطيعون بفضلها إشباع جميع رغباتهم، بينما يعيش غيرهم في الحرمان، إنما الأموال ملك للجميع، فالمال يجب أن يكون ملكًا للجميع، وليس لأن يستحوذ عليه البعض فقط، ويجب أن تكونوا في المال سواسية حتى يرتفع الفقر من بينكم، فليستوِ الفقير بالغنيِّ، ولا تخفوا نساءكم عن أصدقائكم، فلا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف، فتمتعوا بهذه الحياة، فلا شيء بعد الموت!».

---

(٩) يقصد بالفترة ذلك الزمان الواقع بين نسخ شريعة جاء بها نبي حتى مجيء شريعة نبي جديد.

يقول مؤرخو الشيعة إن الرجال والنساء بعد أن انتهت قرة العين من خطبتها قام بعضهم إلى بعض يتعانقون ويعربون عن فرحتهم[10].

يقول صاحب كتاب «المتنبئين» بصدد حديثه عن مؤتمر بدشت والدور الذي لعبته قرة العين فيه: «التقى البشروئي والحاج ملا علي وقرة العين اللذين خرجا من خراسان قبله وعقدوا فيها بعض الاجتماعات الخاصة، حيث انشغلوا بتفاصيل الدين الجديد، ثم أزاحوا النقاب عن ذلك، وصعدت قرة العين المنبر، ونزعت حجابها تقول بأعلى صوتها: «إخواني! إن هذه الأيام هي أيام الفترة، فليس هناك بعد من واجبات، فالصيام والصلاة لم يعد لهما معنى.

عندما يغزو الباب القارات السبع ويوحد جميع الأديان فإنه سوف يأتي بمذهب جديد، وسوف ينشر قرآنه بين الناس، وسوف يجب القيام بكل ما يأمر به، فلا داعي الآن للتعب فيما لا فائدة منه، إن النساء بينكم مشاع، كما أن الأموال بينكم مشاع»، فلما سمعها الناس تتحدث هكذا، ترك مذهب البابية من كان مسلمًا، وأما الآخرون ممن لم يكن لديهم مال ولا زوجة فتركوا الإسلام»[11].

إن السيد نيكولا لا يتحدث عن تفاصيل خطبة قرة العين، إنما يبين الدور الذي لعبته هذه المرأة في مؤتمر بدشت، ولقد ذكرنا في الفصل السابق جزءًا كبيرًا من كتابه «السيد علي محمد الملقب بالباب»، إلا أن ما ذكره السيد نيكولا لا يتعلق بمضمون خطبة قرة العين، وإنما يتعلق على وجه الخصوص بالجانب الروائي والمسرحي ولم يدخل في أية تفاصيل؛ لأن النظريات التي وضعتها قرة العين أثناء

---

(١٠) مهدي خان، مرجع سابق، صفحات: ١٨٠- ١٨٢

(١١) نيكولا، مرجع سابق، ملاحظة، صفحات: ٢٨٠- ٢٨١

اجتماع بدشت لم تكن تهدف إلى شيء غير الرغبة في نشر الانحلال الأخلاقي وهدم مفاهيم الأسرة وقواعد المجتمع من خلال نشر الفوضى.

وفي عام ألف وتسعمائة وخمسة، وهو العام الذي ألف فيه السيد نيكولا كتابه، كانت الأسرة وامتلاك الأموال المكتسبة بطريق شرعي تمثل حقائق لا مراء فيها، ومن المؤكد أنه واجه بعض الحرج في القول ببراعة النظريات التي تقول بها قرة العين، والتي هي نتاج المذاهب المزدكية التي تتعارض مع ما يفرضه الجانب الأخلاقي كما تتعارض مع أي مفهوم يقوم على شرعية ممتلكات الغير.

ولقد انتشرت هذه النظريات في أيامنا بكثرة في كل مكان كانت فيه محاولات لتطبيقها، ولم يَتَأَتَّ من ورائها غير وقوع أسوأ الكوارث وانهيار الكيان الإنساني، وبالتالي المجتمع الذي تُطَبَّق فيه، ومع ذلك فإننا نأسف لعدم قيام السيد نيكولا بذكر خطبة قرة العين بكاملها، ولعدم التعليق عليها بالكامل، فإنه من المثير أن تراه يعطي مثل هذه النظريات الصفة الشرعية، بل ربما يدعو إليها ويبررها عند البابيين.

تريد قرة العين -من خلال إشاعة الفوضى بدءًا من إلغاء جميع أحكام الإسلام وحتى تستقر الأحكام البابية الجديدة- أن تستغل تلك المرحلة الفاصلة التي تطلق عليها مرحلة «الفترة» في تعميق حالة الاضطراب، وتفكيك النظام القائم إذا كان ذلك ممكنًا على أمل أن يستحيل بعد ذلك عودة الناس إلى المفاهيم الصحيحة.

ومن المؤكد وجود الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إصلاح في بلاد فارس في عصر قرة العين، ومن المؤكد أيضًا أن الإصلاحات التي أُجْرِيَت بحكمة قد

أحدثت تأثيرًا إيجابيًّا، ولكن من الواضح لنا أن قرة العين لم تتأثر بنظريات مزدك فحسب، وإنما كانت تدفعها غريزتها الجنسية أيضًا إلى انحراف جنسي ظهر من خلال رغبتها في نشر التحلل الأخلاقي، ولقد تحول الجانب الروحي فيها إلى المادية الدنيئة والحقيرة التي برهنت عليها عندما أشارت إلى وجوب الاستمتاع بلا تحفظ بكل شيء في هذه الدنيا، حيث إنه لا حياة بعد الموت.

ولقد حاول البابيون تفسير وبيان تحول قرة العين إلى تلك النظريات المتطرفة بقولهم: إنها تأثرت بالتعاليم الشيخية، ونحن لا نتفق معهم في هذا الرأي؛ لأننا نرى أن تحول هذه المرأة الشابة إلى تلك النظريات المتطرفة يعد نتيجة طبيعية لظروف حياتها في بيئة أسرية متدينة ومتمسكة بالتقاليد القديمة المتشددة، ويرجع هذا الانقلاب المفاجئ في نظرتها للماضي والذي دفعها بلا هوادة إلى التطرف في أفكارها لا سيما فيما يتعلق بالنساء، وذلك بعد انفصالها عن زوجها وأطفالها وأسرتها.

ويرجع هذا كله إلى ظروف حياتها الأسرية والزوجية الضيقة والظلامية بالنسبة لعقلها المتحرر جدًّا وغريزتها الحادة جدًّا، فقد كانت تختنق بالعيش في أسرتها، ثم بعد ذلك في حياتها مع زوجها، فلما وجدت الفرصة مواتية أمامها لكسر هذا الحاجز ووجدتها خارج حدود الإسلام الذي جعله أهلها قيدًا عليها، اغتنمت هذه الفرصة كما اغتنمها غيرها من النساء اللائي عندما أردن الانفصال عن أزواجهن لم يجدن طريقًا لذلك غير اعتناق دين آخر غير دين أزواجهن، فتستحيل مواصلة الحياة بينهم، فهي لم تتحول إلى الباب إيمانًا بدينه؛ ولكن لأن دينه الجديد المزعوم يصطدم بشدة مع أفكار زوجها وأسرتها ومشاعرهم.

فالبابية لم تكن بالنسبة لها غاية روحية، ولكن وسيلة مادية لكسر الحلقة التي تربطها بأهلها، والديانة البابية لا تعدها مؤمنة عن يقين، وإنما تعدها ثائرة تريد الانتقام من الماضي الذي أفسد عليها حياة المراهقة وقضى على أحلام الفتاة.

ولا يمكن اعتبار الوسط الديني المتشدد والمحافظ على التقاليد هو المسؤول الأكبر عن تمرد قرة العين، بل يجب أن نرى هذا المسؤول الأكبر على وجه الخصوص في الأعراف السائدة في مسائل الزواج في تلك الفترة، وهي الأعراف التي يتبعها الأغنياء والنبلاء والمحافظون؛ ففي تلك الفترة في الشرق وفي أوروبا أيضًا كانت أسر الأغنياء والنبلاء والمحافظين يتبعون مبدأ زواج بناتهم في نطاق الأسرة الضيقة وطبقتها الاجتماعية، فكان الأغنياء يزوجون بناتهم من أبناء أعمامهن وأبناء أخوالهن حتى لا تخرج أموالهم عن نطاق أسرتهم، وكان النبلاء يزوجون بناتهم من نفس الطبقة حفاظًا على اسم العائلة، والمحافظون يزوجون بناتهم من أبناء المحافظين حتى تبقى المحافظة على المبادئ والعادات القديمة.

وكانوا يظهرون للفتيات المقبلات على الزواج مميزات هذا الارتباط المنشود بين العائلات، كما كانوا يبذلون أقصى ما في وسعهم لإقناعهم بالقبول، وكانت الفتيات هروبًا من ملل الحياة الرتيبة داخل الأسرة أو تأثرًا بالمميزات التي عُرِضَت عليهن تقبلن عرض الزواج، وأحيانًا ما كن يعترضن بشدة، وفي الغالب كان ينتهي الأمر بإكراههن؛ وحينذاك كانت الفتاة تعد نفسها ضحية لأسرتها، ثم تثور من داخلها.

لقد حارب الإسلام هذه العادات من خلال إقرار مبدأ المساواة بين الناس وبيان أن تفضيل الناس بعضهم على بعض ليس بالغنى ولا بالمكانة ولا بالعلم، وإنما بأخلاقهم واستقامتهم في الحياة، ولقد حرّم الإسلام أيضًا هذه العادات

عندما بَيَّنَ أن المرأة لها الحق في اختيار الزوج، وأن هذه الرغبة النابعة عن مشاعرها يجب أن تكون محل اعتبار؛ إذ إن الانسجام بين الزوجين هو أساس الحياة السعيدة، ويحرّم الإسلام زواج المرأة بغير رضاها الصريح، وبالتالي يحرّم الإسلام ممارسة أي نوع من الضغوط عليها للإعراب عن موافقتها.

وأما في الأوساط التي نتحدث عنها وفي زمان قرة العين فإن هذه الأحكام العظيمة للإسلام لم تكن -للأسف- متبعة دائمًا، وكانت عند تزويجها لبناتها تتناسى هذه الأحكام العظيمة، فلا تسمع إلا صوت مصلحتها وزهوها بنفسها وصوت التقاليد الحاد، وكانت الأسر عند تبريرها لذلك تجد ألف مخرج لإقناع فتياتهن، فيجعلون منهن ضحايا بدلا من أن يجعلوا منهن فتيات يعشن حياة سعيدة.

وأعتقد أن هذا هو عين ما حدث مع قرة العين عند زواجها، وهو ما رمى بها بين براثن البابية لتجد في ذلك مخرجًا للتخلص من زوجها الذي أصبح بالنسبة لها غير محبب إلى قلبها، فلقد كانت في الواقع امرأة ذكية ومثقفة إلى درجة تجعلها تدرك يقينًا أن الباب لا قيمة له وأن دينه المزعوم ما هو إلا فكاهة.

فنحن نرى أنها كانت تعلم حقيقته جيدًا، ولكن ذلك لا يهمها في شيء، إن جُلَّ ما كانت تريده أن تجد مخرجًا ووسيلة لقطع العلاقة مع زوجها وأسرتها وجميع التقاليد التي حالت بينها وبين التمتع بحياتها، وما كان الباب والبابية إلا فرصة لتحقيق ذلك والانتقام من الماضي.

إننا نجد في تقارير البابيين أنفسهم ما يؤكد رأينا، فهم يقولون: إن جميع جهود المصالحة المبذولة من جانب أسرة قرة العين لعودتها إلى حياتها الزوجية مع

زوجها قد باءت بالفشل، وإنها لم تُرِدْ أي رابطة تجعل منها «أَمَةً لسلطة زوج سيئ الخلق، غليظ السلوك مثل ابن عمها -زوجها-»[١٢].

يقول البابيون: إنه لم يكن من الممكن في ظل تلك الظروف أن تقبل بأي عرض من عروض المصالحة حتى تستأنف حياتها الزوجية مع زوجها أو ترجع لأطفالها، فالظروف التي عاشتها مع زوجها لم تعد محتملة، وينقصها كل ما يلزم لجعل الحياة سعيدة، ومن المحتمل أيضًا أنها لم تكن ترغب في الزواج من ابن عمها الذي لا تَخْفَى عيوبه، والتي تبدو لها في صورة القبح عندما تصطدم الأحلام الغريزية في كل فتاة مع الواقع.

ويأتي البحث عن الاستقلال من جانب قرة العين في خضم هذه الظروف، فاتخذت من البابية وسيلة للتخلص من جميع القيود التي تمنع حريتها الكاملة، والقول إنها أساءت استخدام مفاهيم الحرية بعد ذلك سديد، ولكن هذه الإساءة جاءت من النظام القائم في بلاد فارس تجاه المرأة، وللأسف لم نجد مؤرخًا قد اهتم بالبحث في الوسط الذي ولدت فيه قرة العين وعاشت فيه والذي كان سبب تمردها، ولقد سجل المؤرخون هذا التمرد، إلا أنهم لم يتعمقوا في دراسة أسبابه.

لقد دعا مزدك من قبل إلى شيوع جميع الممتلكات وجميع النساء، وأخذت قرة العين بهذه النظرية، ولكن من الواضح أن مسألة شيوع النساء كانت مقدمة على شيوع الأموال، ففي الخطبة التي ألقتها بمؤتمر بدشت كان ما دعت إليه على وجه الخصوص هو الحرية المطلقة للنساء في التصرف في أنفسهن والدعوة إلى الانحلال الأخلاقي التام.

---

(١٢) أواره، مرجع سابق، صفحة: ٢٠٤

ولم تكن مميزات التمتع بشيوع الأشياء الأخرى بالنسبة لها على المستوى الشخصي إلا مجرد مسألة ثانوية تم وضعها في الاعتبار بصفة خاصة من أجل أن تجذب إلى أفكارها أكبر عدد ممكن من المستمعين؛ لأن جمهور الناس -لا سيما في الشرق- كان فقيرًا جدًّا في تلك الفترة، وهذه القاعدة العريضة من الفقراء كانت على أتم استعداد لقبول نظرية قسمة الأموال؛ لأنه لم يكن لديها ما تخسره، بل ستربح كل شيء؛ إذ إنها لم تكن تملك شيئًا.

فإذا ما قيل لهذه الشريحة الفقيرة إن الباب هو المهدي المنتظر الذي جاء من أجل أن يقسم الأموال بين الناس بالعدل، فإن هذا الخبر سوف يلقى صدى محمودًا من جانب هؤلاء الفقراء الذين يتميزون بالسذاجة والجهل، هذا بالإضافة إلى أن ذلك الخبر كان بمثابة الطُّعْم الذي رُمِيَ للجمهور قبل مؤتمر بدشت لجذب الانتباه إلى الباب، ولكن عندما أفصحت قرة العين في ذلك الاجتماع عن رغبتها في فرض نظريتها في الانحلال الأخلاقي وشيوع الملكية، أعرض المسلمون -مع فقرهم- عن مذهب البابية؛ لأن هذه النظريات قد أحدثت جرحًا عميقًا فيما هو مقدس لديهم، فضلا عن تناقضها مع عقائدهم وتقاليدهم، فهذه العقائد والتقاليد تتعارض مع النظريات التي تدعو إليها قرة العين، ولم يبق في الحقيقة أمام البابيين إلا أولئك الذين يرضون بالدون؛ إذ لا عقيدة عندهم.

وبعد انعقاد مؤتمر بدشت وجدنا -كما هو الحال في زماننا- أن أتباع البابية ينقسمون إلى فريقين: فريق من الجهلاء الذين لا يستطيعون إدراك حقيقة البابية ولا يتمسكون بها إلا لأنها تعدهم بشيء، وفريق آخر يفهم حقيقتها جيدًا لكنه لا يرى فيها إلا أداة لتحقيق مصالحه الشخصية، وهي مصالح مادية محضة ومنافع سياسية دون أدنى اعتبار لمصالح الأمة والشعب.

وهذا الفريق لا يُولِي أدنى أهمية أو قيمة روحية لهذا المذهب، فهذا المذهب بالنسبة له لا يتجاوز مجرد فرقة دينية تعيش في الظل يمكن من خلالها إرضاء رغباتهم الخاصة ومصالحهم الشخصية، وبجانب هذين الفريقين من الناس نجد في بلاد فارس فريقًا آخر لا يرى في البابية إلا مجرد أداة لتحقيق أهداف سياسية؛ لأن نشر البابية في تلك البلاد من شأنه أن يخدم مصالح بعض دول الجوار، وذلك بدون شك على حساب بلاد فارس.



الخاتمة

لا يمكن أن نجد في قصص الأنبياء أو الكتب التي أنزلت عليهم ثمة اختلاف بين التعاليم التي جاء بها الأنبياء فيما يتعلق بالأخلاق ومبادئ العقيدة الخاصة بالألوهية والحياة الآخرة.

فالتعاليم الخاصة بهذه الجوانب لا تختلف في شيء وهي التعاليم التي أكد عليها الإسلام، ولقد جاء جميع الأنبياء بعبادة الله وحده، لا شريك له، ولا ند له، ولا شبيه له من خلقه في هذا الكون، والله وحده هو خالق جميع الكائنات وهو رب كل شيء، يصطفي من الناس في كل زمان من يريد تكليفه بنقل شرائعه إلى الناس لهدايتهم إلى الخير في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وتوحيد الله الخالص من كل شائبة والمنزه عن كل عيب هو أصل جميع الأديان السماوية، وأول عقيدة دعا إليها كل نبي، ولقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة هي الهدف الأسمى لكل رسالة نبوية، وهذا أمر منطقي ولا يمكن الاستغناء عنه. أما كونه منطقيًّا؛ فلأن العقائد تمثل جذور الشجرة التي يتفرع منها جميع فروع التعاليم الإلهية الخاصة بالأخلاق والأحكام الفقهية، وبما أن الجذر الحيوي في هذه الشجرة يتمثل في عقيدة الإقرار بوحدانية الله، فإن اهتمام الأنبياء ينصب على هذه العقائد؛ لأهميتها القصوى لا سيما عقيدة الإيمان بوحدانية الله. وأما كونه أمرًا لا يمكن الاستغناء عنه؛ فذلك لأنه بدون الإقرار بوحدانية الله لا يمكن تشريع أو قبول أي عقيدة أخرى أو أي حكم من الأحكام، فالشرائع والتعاليم التي تشتمل عليها أي رسالة نبوية لا يمكن أن يكون لها غاية أو قيمة ما لم يقر المتلقون لهذه الرسالة النبوية قبل كل شيء بأن الله هو المشرع لهذه الشرائع والتعاليم، وما لم يتخلوا عن جميع مفاهيم الشرك بالله.

فإذا ما أقر الناس بوحدانية الله فإنه يصبح حينئذ من الممكن للأنبياء أن يعرضوا عليهم جميع العقائد الأخرى، وجميع الأحكام التي تهديهم إلى الخير، وفي هذه اللحظة فقط يستطيع الناس قبول الأحكام التي يأتي بها أي نبي من الأنبياء باعتبارها شريعة من عند الله.

والألوهية التي أقر بها الإسلام لله ودعا إليها هي العقيدة التي أقرت بها جميع الأديان السماوية السابقة ودعت إليها كما جاء في هذه الآية القرآنية:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: آية ١٣].

إن الأمر في هذه الآية لا يتعلق بالأحكام الخاصة بالحياة العملية للناس، حيث إن هذه الأحكام يمكن أن يطرأ عليها التغيير وفقًا لما تتطلبه مقتضيات الأحداث الجديدة، وإنما يتعلق الأمر بالعقائد الجوهرية التي تشترك فيها جميع الأديان السماوية، وأولها الإيمان بوحدانية الله وهو ما تدل عليه هذه الآية القرآنية: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾. وهو أيضًا المراد من هذه الآية القرآنية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٥].

أما بالنسبة للعقائد الأخرى التي تقول بألوهية بعض المخلوقات في هذا الكون من إنسان أو حيوان أو أي شيء آخر من خلال ادعاء تجسد الله في هذا الإنسان أو الحيوان أو أي شيء آخر، أو ظهوره فيه فإن هذه العقائد لا يمكن اعتبارها وحيًا من عند الله، ولا تستحق أن تكون أهلا لذلك.

وكل ما يتعلق بالعقيدة الأولى وهي عقيدة توحيد الله فإنه ينطبق أيضًا على العقيدة الخاصة بالحياة الآخرة.

ولقد حذر جميع الأنبياء الناس من الحساب في حياة أخرى يكون فيها العقاب والثواب وفقًا لما كسبته أيديهم في هذه الدنيا. وهكذا فإن أي دين ينكر الحياة الآخرة ونعيمها وعذابها، أو يفسرها بطريقة أخرى غير الطريقة التي أخبر عنها الأنبياء من أجل انكسار الوجود الحقيقي والمستقبلي لهذه الحياة الأخرى لا يمكن قبوله دينا من عند الله.

وعلى ذلك، أين يمكن، أم أين يجب تصنيف البابية؟ إننا لا نجد في البيان -ذلك الكتاب الخاص بالعقائد والأحكام والشرائع البابية- ولا في غيره من كتب الباب العديدة ثمة ما يقرب هذا الدين الباطل من أي دين سماوي جاء عن طريق الوحي.

لقد فرض الميرزا علي محمد الملقب بالباب -كما بينا في هذا البحث- التوجه خلال الصلاة شطر بيته الذي ولد فيه بشيراز كما أوجب الحج إليه. فلماذا فرض تلك الفرائض؟ وما السمة الخاصة ببيته ليجعل منه مكانًا مقدسًا؟ ثم يدعو بالإضافة إلى ذلك إلى هدم جميع المساجد وجميع الصروح الدينية الموجودة على سطح الأرض بما فيها الكعبة وبيت المقدس. إننا لا نجد نبيًّا مشهودًا له بالنبوة قد جعل من بيته الذي ولد فيه كعبة يتجه إليها الناس في صلواتهم، كما أننا لا نجد نبيًّا قد جعل من مسقط رأسه موضعًا يقصده الناس في الحج.

إننا لا نجد في قصص الأنبياء نبيًّا قد عين مكانًا وصبغه بمسحة القداسة - إن صح التعبير- إلى درجة وجوب التوجه إليه في الصلاة غير الكعبة بمكة وبيت

المقدس. لم يكن وجوب التوجه في الصلاة إلى الكعبة أو بيت المقدس اختراعًا من عند الأنبياء، وإنما أمرهم الله بذلك، ولو أراد الله أن يحدد قبلة أخرى غير هاتين القبلتين لوجب الالتزام بذلك؛ إذ إن الكعبة ليست إلا رمزًا للأخوة والوحدة الإنسانية التي تجمع الناس من جميع البلدان باختلاف ألسنتهم في عقيدة واحدة، فقبلة مكة أو بيت المقدس ليست مكانًا يقيم الله فيه أحيانًا أو دائمًا، والإنسان الذي يؤمن بغير ذلك لا يمكن اعتباره مؤمنًا بألوهية الرب الذي يدعوه؛ لأن الاعتقاد بأن الله -المنزه عن الحد- له مكان محدد يُمثل في الأديان السماوية تصورًا نهى اللهُ الإنسانَ عنه، وبالتالي يصبح مخالفًا للتعاليم التي أمر الله بإبلاغها للناس.

وعندما عين الباب بيته الذي ولد فيه كعبة وأطلق عليه اسم «المسجد الحرام» فإنه لم يزد على اغتصاب هذه التسمية من الدين الحق؛ لغاية غير تلك التي جاء بها نبي الإسلام ﷺ. فالنبي ﷺ كان يسعى إلى تخليد ذكريات تاريخية والمؤاخاة بين الناس وفقًا لما أمر به. أما الباب فإنه لم يكن يقصد سوى غاية واحدة وثنية نهت عنها جميع الأديان السماوية إذ لم يكتف -كما بينا في هذا البحث- بزعمه أنه «المهدي»، وأنه نبي، وإنما أراد أن يجعل من نفسه إلها أو على الأقل تجسيدًا لله.

أما ما يتعلق بالعقيدة الخاصة بالبعث والحياة الآخرة، فإن الباب يخالف تمامًا في ذلك جميع الأديان السماوية، حيث إنه ينكر وجود الحياة الآخرة، ويقول: إنه لا يوجد بعد موت الناس حساب ولا ثواب ولا عقاب، ويقول: إن الحساب الأكبر سيكون على يديه في هذه الدنيا عندما يعود إلى الأرض، وأن الثواب أو العقاب يكون على أساس اعتقاد الناس فيه.

إننا لا نريد في هذه الخاتمة أن نعيد ذكر الأحكام الباطلة لمذهب البابية الخاصة بالأحوال المدنية والعقوبات فلقد سبق بيانها، واستطاع القارئ أن يُكوّن

رأيه بصددها، ومع ذلك فإننا نريد في هذا الموضع أن نعود إلى مفاهيم الباب الخاصة بتعليم الناس وحظر طلب العلم من أي طريق غير دراسة كتاب البيان والكتب المستوحاة من هذا الكتاب، وهذا الكتاب وكذلك الكتب المتفرعة عنه لا تجد فيها معلومة واحدة فيها فائدة للناس، بل إن محتوى هذا الكتاب يجعل عقل الإنسان ومعرفته تنحدر إلى مستوى لا يمكن تصوره، ولكن على فرض أن هذه الكتب -والبيان على رأسها- تشتمل على عناصر ذات فائدة، فإن حظر أي وسيلة أخرى؛ لاكتساب المعرفة يتعارض تمامًا مع فطرة الإنسان التي تهفو إلى المعرفة وتعميقها، وهو ما يتعارض أيضًا مع الأحكام التي تشتمل عليها جميع الأديان السماوية، والتي تأمر الإنسان بتوسيع دائرة معرفته حتى يصل إلى معرفة أسرار الطبيعة. فقد قال الله تعالى في القرآن:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة يونس: آية ١٠١]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: آية ٩]

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية: آية ١٣].

إذا لم يكن من الممكن وضع البابية بين الأديان السماوية، فهل يمكن اعتبار البابيين أصحاب فرقة إسلامية؟ إن الإجابة على هذا السؤال تدعونا إلى التمييز بين فرقة إسلامية بمعنى مجموعة من الناس تستند إلى أصول دين الأمة الإسلامية مع اختلافهم معها في بعض المسائل الفرعية التي لا تتعلق بأركان الإسلام، وبين فرقة تزعم انتسابها للإسلام لكنها لا تلتزم كليًّا أو حتى جزئيًّا بأركان هذا الدين. فالفرقة الشيعية الاثنا عشرية المعتدلة على سبيل المثال أو الزيدية يجب تصنيفها

باعتبارها فرقة من الفرق الإسلامية الصحيحة، على الرغم من ابتعاد أصحابها عن تصور جمهور المسلمين في مسألة الخلافة ومسألة المهدي المنتظر أو غير ذلك من المسائل الفرعية التي لا تتعلق بأركان الدين الإسلامي. فعقيدتهم في توحيد الله وصفاته والحياة الآخرة هي نفس عقيدة جمهور المسلمين، وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء الشيعة يعطون مسألة الخلافة أهمية خاصة وكبيرة تكاد توهم أن هؤلاء الشيعة يعدون هذه المسألة شديدة الارتباط بالعقيدة الإسلامية، فإننا نقول: إن هذا الاعتقاد لا يؤثر شيئًا في أركان الإسلام، والمعتزلة الذين يختلف فهمهم لصفات الله -كما رأينا- عن فهم الأشاعرة هم مع ذلك مسلمون حقيقيون، وإذا أردنا اعتبارهم فرقة فإنه لا يستطيع أحد أن يقول: إنهم ليسوا بفرقة مسلمة؛ لأن إنكارهم لقدم صفات الله راجع إلى اعتقادهم بأن القول بقدم الصفات من شأنه أن يؤدي إلى الاعتقاد بوجود آلهة أخرى قديمة مع الله، وهذا لا يجعل المعتزلة بمنأى من ناحية المضمون عن عقيدة الأشاعرة؛ لأنهم يقولون: إن جميع الأدوار المنوطة بهذه الصفات ما هي إلا مظهر للذات الإلهية الواحدة التي هي بذاتها عليمة وقادرة.

وكذلك الحال بالنسبة للمسائل التي قال فيها المعتزلة بآراء خاصة بهم مثل مسألة الأصلح وحرية الاختيار وولاية العقل الإنساني في التمييز بين الخير والشر... إلخ، وعلى الرغم من تعلق هذه المسائل إلى حد ما بالعقائد الإسلامية فإنها لا تؤثر فيها لا من قريب ولا من بعيد. ولكن عندما نتحدث عن البيانية والجناحية والخطابية والقرامطة والنصيرية وغيرها من الفرق فإن الأمر يختلف تمامًا؛ لأن هذه الفرق تقوم على مفهوم التجسيد الإلهي وتأليه الإنسان بناءً على ذلك التجسيد وإنكاره الحياة الآخرة والتناسخ الذي يؤدي إلى ذلك الإنكار،

وبالتالي فإننا نقول: إن هذه المذاهب تبعد أصحابها عن الإسلام، وعليه فإنه لا يحق لهذه الفرق أن تحسب نفسها «فرقًا إسلامية». وبذلك يتضح أن هناك اختلافًا ملحوظًا بين فرقة مسلمة وبين فرق أخرى تتظاهر بانتمائها للأمة الإسلامية دون أن تلتزم بأركان الدين الإسلامي، وبالتالي فإن النوع الثاني من هذين النوعين اللذين تناولناهما بالذكر لا يعد مطلقًا فرقة إسلامية.

ونستطيع إذن الآن الإجابة على السؤال المطروح الذي يتعلق بمعرفة إذا كان من الممكن تصنيف الفرقة البابية على أنها فرقة من الفرق الإسلامية.

إن الفرقة البابية التي اتبعت مذاهب الفرق غير الإسلامية المختلفة وخرجت من رحم الأمة الإسلامية بنفس الطريقة التي خرجت بها تلك المذاهب لا يمكن ولا ينبغي اعتبارها فرقة إسلامية. فلقد نشأت هذه الفرقة وقامت على مذاهب غير إسلامية ولا تنتمي إلى أي دين من الأديان السماوية، فعقائد هذه الفرقة -بالرغم من المظهر الذي تريد الظهور به- ليست سوى وثنية خالصة.

هل كانت الحركة البابية التي أفرزتها في بلاد فارس الأزمات الشديدة التي مرت بها البلاد في تلك الفترة، ذات طابع روحي فقط كما أراد لها أنصارها؟ وهل كان أنصارها منشغلين فقط بتخفيف الوضع البائس الذي كان يحيا فيه السواد الأعظم من الشعب الفارسي؟ إننا لا نعتقد شيئًا من ذلك!

إننا نرى فيما يختص بالباب أن ضمور عقله الذي تبدى أول الأمر في صورة تصور طائش أثارته الأساطير الغريبة التي كان يسمعها تُروى في الوسط الذي كان يعيش فيه والتي كانت تتحدث عن القوة التي يمكن للإنسان أن يكتسبها للهيمنة على القوى المشتتة، ويأسر بها العقول من خلال مظاهر الزهد

وإيلام النفس. ولقد أهله كل ذلك للتأثر بكل ما شأنه أن يرضي عيبه الجوهري وهو جنون العظمة. ولما كان مقتنعًا بأنه من آل بيت نبي الإسلام ﷺ، وأنه من أجل ذلك كان محل تقدير من الناس، وكان قد سمع بعد ذلك في المدرسة الشيخية من كاظم الرشتي بقرب مجيء المهدي الذي يحتاج إلى مريد مقرب يكون واسطة بينه وبين الناس، زعم السيد علي محمد أنه هو تلك الواسطة، ومما لا شك فيه أن إخوانه من التلاميذ في المدرسة الشيخية قد شجعوه على ذلك الوهم، وأثنوا على رغبته المحمومة في أن يصبح أعلى درجة من الناس. ومن الواضح أن إخوانه أو على الأقل بعضًا منهم قد اتفقوا فيما بينهم على استغلال جنون العظمة عند الباب للاستفادة منها. وكان موت كاظم الرشتي بالنسبة للباب بمثابة الفرصة السانحة؛ ليطلق لخياله المريض العنان، كما أنه سمح لبعض رفاقه المهتمين بالقضية أن يبذلوا كل ما هو ضروري من أجل تمهيد الطريق أمام مصالحهم الشخصية.

ولقد عرفوا جيدًا المزايا التي يمكن تحصيلها من الباب من خلال تسترهم به بعد أن قدموا له كل ما يرضي غروره عندما قدموه على أنه المخلص أو بتعبير أدق: المعبود. وكانت فرصتهم في تحقيق مصالحهم الشخصية سانحة يجب اقتناصها، فلقد كانوا يعلمون جيدًا أن الباب ليس لديه من الحس النقدي ومن العقل ما يسمح له أن يفهم أن تعلقهم به لم يكن تعلقًا روحيًّا وإنسانيًّا، ولا شك أن المغامرة التي أقدموا عليها وهي استغلال الباب لتحقيق مصالحهم كانت محفوفة بالخطر، ومع ذلك فقد قدروها حق قدرها وعزموا على اجتيازها.

ولقد تجلى غياب الحس النقدي عند الباب في كتاباته التي لم تزد على أن تكون مجرد تجميع الكلمات دون أدنى ترتيب لها. فهي لا تشتمل على أية أفكار مرتبة أو متناسقة أو منطقية. ويبدو أن الجوهري في شخصية الباب هو جنون

العظمة وهوسه بتسويد الورق بالكتابة دون مراعاة لما كان يريد أن يعبر عنه بها، وعندما أوردنا بعض العبارات المنسوبة للباب وقلنا: إن الباب يقول كذا وكذا، فإن ما أوردناه لم يكن ترجمة حرفية؛ لأن كلامه غير قابل للترجمة، وإذا اجتهدنا في ترجمة ما يسميه الباب «لغة عربية» ترجمة حرفية إلى اللغة الفرنسية، فإننا نحصل على نص مفرغ من المعنى. وعندما قلنا: إن الباب يقول كيت وكيت، فإننا نترجم روح ما كان يريده الباب، ولقد راعينا في ذلك الدقة حتى لا نحرف هذا المفهوم. ولقد عانينا كثيرًا في هذه المهمة، ولكننا كنا نتذكر دائمًا أمام صعوبة هذا العمل أن الباب لم يستطع الرد على العقلاء من سائليه في أي مناسبة من المناسبات التي كانوا يوجهون إليه فيها أسئلة واضحة بل كانت تأتي إجاباته بعيدة تمام البعد عن حقيقة الأسئلة الموجهة إليه فضلا عن أنها كانت في غير محلها.

نشأ المذهب البابي عن نظريات الإسماعيليين الباطنيين وعقائدهم التي وضعها ميمون القداح وولده عبد الله وغيرهما. وعلى الرغم من تجرد هذه العقائد من أي فكر سليم إلا أن أصحابها كانوا على قدر من الذكاء وكانوا يعرفون تمامًا حقيقة ما يفعلون، ولماذا؟ فكل الوسائل في نظرهم كانت مباحة ما دامت تؤدي إلى تحقيق غرضهم؛ ولذا استعانوا بالسحر والتنجيم للتأثير في السذج من الناس الذين تمكنوا من خداعهم. كما أنهم استندوا أيضًا إلى بعض المفاهيم الفلسفية في المذاهب الأفلاطونية الحديثة؛ لتأييد عقائدهم. ولكن الباب نظرًا لضحالة معارفه الحقيقية لم يستطع استغلال تلك الوسائل، فلم يلجأ إلى التنجيم أو السحر وهما من قبيل الدجل أو الكذب وليسا من العلم في شيء. أما بالنسبة للفلسفة فإنه كان يجهلها ولا يريد أن يعرف عنها شيئًا، ويبدو أنه كان يكفيه لقبول أي شيء أن يقال

له: إن هذا الشيء يمكن أن يسهم في رفع شأنك، وسواء أجعل ذلك الشيء منه جاهلا أو غبيًا أو كذابًا فإن عقله المريض لم يكن يحتفظ بشيء منه.

ونرى أن رفاقه الأساسيين في المدرسة الشيخية والذين أصبحوا فيما بعد أتباعًا له من أمثال البارفروشي والخراساني والبشروئي وقرة العين كانوا يمثلون العناصر الحقيقية والفاعلة في الحركة البابية، ولقد أراد هؤلاء الاستفادة من الوضع المضطرب في بلاد فارس لمحاولة الوصول إلى أهدافهم المادية، وذلك تحت ستار الحركة الدينية المزعومة، ولقد بذلوا قصارى جهدهم وأقصى ما في وسعهم؛ لاستغلال مفهوم «المهدي المنتظر» تلك الفكرة التي انتشرت بين السذج من الناس. ولما كانت الفرصة سانحة أمامهم، أفصحوا عن نواياهم الحقيقية التي لم تكن تمثل شيئًا غير إقرار حالة من الفوضى على مستوى الأخلاق والعادات وكذلك في مجال الحقوق والملكيات.

إنهم لهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن تلك الأحداث المؤسفة والدامية التي وقعت في بلاد فارس عقب الإعلان عن تلك الحركة الدينية الكاذبة، ثم تأتي مسؤولية الباب في الدرجة الثانية، كما أنهم مسؤولون أيضًا عن إحداث اضطراب في عقول معظم أبناء الشعب من البسطاء والجهلاء من ذوي النوايا الحسنة، وذلك من خلال نظرياتهم الخاطئة والإجرامية.

ولقد كان حجم الجريمة التي ارتكبوها -كما قلنا من قبل- كبيرًا لدرجة أن ضحاياها كانت تعد بالآلاف، ونحن نؤكد على ذلك. ولكن إذا كانت حالة البؤس والشقاء تسيطر أحيانًا وبشكل خطير على عقول العامة فإن فطرتهم السليمة قد رفضت هذا السم البابي، وخاصة بعد أن انخفض مستوى الجهل عندهم بفضل التقدم في العملية التعليمية التي وفرت لهم وسائل معرفة الأشياء والحكم عليها

قبل أن يسلموا بها. ولم يكن الباب في غالب الأمر كما نرى إلا مجرد أداة لا حول ولا قوة لها في «أيدي بعض أفراد مجردين من الضمير والشرف وادعوا أنهم أتباعه وخدمه المخلصون له في حين أنهم في الحقيقة معلموه، ونحن على اقتناع تام أنهم كانوا لا يتعاملون مع ذكاء الباب إلا بكل استخفاف.

وكان خلفاء الباب وقادة الحركة البابية الذين ظلوا في الخفاء على قيد الحياة بعد موت الباب يسعون إلى تحقيق نفس المصالح التي كان يسعى القائمون على نشر الحركة إلى تحقيقها، ولقد استمر هؤلاء -من أجل مصالحهم الشخصية- في خداع الناس بجميع الوسائل وعلى رأسها محاولة إخفاء حقيقة البابية عنهم وإلباسها ثوب الأديان السماوية الكبرى، وزعمهم أن البابية تسعى لخدمة الإنسانية؛ وذلك كله وفقًا للأحداث والظروف.

لكننا لم ننخدع بتلك المظاهر التي أراد البابيون ويريدون خلعها على الحركة البابية، ونرى أن هذه الحركة ليست حركة دينية وأن هذه الفرقة ليست فرقة إسلامية، فكلمة «فرقة» -لا سيما في الشرق- تبعث على الإيهام؛ لذلك فإننا نقول: إن البابيين ليسوا إلا مجرد مجموعة سرية من الناس لا تسعى إلا لتحقيق مصالحها الخاصة التي لا علاقة لها بالسعادة المادية أو الروحية للإنسانية.

وإذا قابلنا عند عامة الناس بعض العقليات التي يمكن أن تنخدع بسهولة في القائمين على نشر البابية فإن هذا أمر لا دهشة فيه؛ وذلك لأن دعاة هذه الحركة يظهرون للناس في صور متعددة وفقًا لما يتطلبه الغرض الذي يُسِرُّونه في نفوسهم. فعندما يخالطون أوساط الفقراء ويتحدثون مع بني إسرائيل فإنهم يزعمون أن موسى أفضل الأنبياء، وأن موسى الذي ينبغي أن تسود شريعته على الأرض قد عاد إليها في شخص بهاء الله. وعندما يتحدثون مع المسيحيين فإنهم يزعمون أن

بهاء الله هو المسيح الذي كان ينتظره الناس. وعندما يتحدثون مع المسلمين فإنهم يزعمون أن بهاء الله هو «المنتظر» ويقدمونه للناس على أنه «المهدي». وعندما يخالطون أوساط المفكرين المتحررين فإنهم يزعمون أن حضرة بهاء الله هو الذي يريد أن يجمع الناس دون تمييز في الجنس أو الدين حتى يصل بهم إلى السعادة الكونية.

وإذا كان من الممكن تصور أن تؤدي هذه الطرق المتبعة في الدعوة إلى خداع البسطاء من الناس، فكيف أمكن لدعاة البابية اختراق الأوساط المثقفة، تلك الأوساط التي يمكنها بفضل تعليمها ووظائفها وأوضاعها أن تدرك بسهولة وعلى الفور حقيقة الأشياء ودجل هؤلاء الدعاة. أما القول إن انخداع هؤلاء المثقفين أمر غريب؛ فلأنه ما كان ينبغي لهم أن يقفوا عند حد الفكرة التي يكونونها عن البابية وفقًا لما يقال عنها، بل كان الأحرى بهم البحث لبناء رأيهم على استنتاجات شخصية. وإننا على اقتناع تام بأنهم لو سلكوا هذا المسلك لظهر لهم على الفور عدمية البابية باعتبارها دينًا ومن باب أولى سماويًّا أو حركة إصلاح إسلامية أو فرقة إسلامية.

ولقد كان هناك من بين أولئك المثقفين من توفرت لديه القدرة والوسيلة لمعرفة حقيقة البابية؛ لأنهم وجدوا أنفسهم في اتصال مباشر مع البابيين وبإمكانهم بموجب ذلك الوضع دراستها بعمق. ولقد قاموا بدراستها وزعم بعضهم معرفة حقيقتها، فقاموا بترجمة أهم كتب الباب وخلفائه، كما قاموا بشرحها وتفسيرها، ومع ذلك سعوا إلى إظهار البابية في صورة لا تصطدم كثيرًا مع فكر القارئ، وذلك من خلال الشروح والتفسيرات التي وضعوها في ترجماتهم.

بيد أنهم بهذا العمل قد أظهروا البابية في صورة على غير حقيقتها. ويمكنهم

التماس العذر في ذلك بقولهم على سبيل المثال: إن كتابات الباب لن تكون مفهومة إذا ما اكتفينا بترجمتها ترجمة حرفية، وستكون أكثر غموضًا إذا حاولنا ذلك دون شرح ودون تفسير، ومن ثم كان لزامًا أن نمتلك مفتاح هذه الكتابات حتى يمكن أن نجعلها مقروءة نوعًا ما، ولقد ادعى بعض المترجمين امتلاكهم لذلك المفتاح الذي لا غنى عنه. أما كون كتب الباب غامضة فهذه حقيقة، وأما عدم قدرة المترجم على تغيير شيء فيها فهذه حقيقة أخرى. أما محاولة المترجم بكل ما أوتي من قدرة على التأويل أو التفسير أو الترجمة؛ ليرفع ظلمة هذه الكتابات ويجعل منها شمسًا مشرقة من أجل أن يقدم البابية على أنها دين سماوي يفوق جميع الأديان السماوية أو يكون على الأقل في مستواها فهذا أمر غير مقبول وغريب. أما كونه غير مقبول؛ فلأن كتابات الباب الموجودة باللغة العربية أو ما يسمى باللغة العربية أو باللغة الفارسية تسمح للقارئ المهتم أن يدرك حقيقتها وحقيقة البابية، وأما كونه غريبًا؛ فلأننا نتساءل عن المصلحة أو الغاية المنشودة من وراء ما فعله هؤلاء المترجمون.

إننا نأسف أن بعض الشخصيات المتخصصة في دراسة هذه الموضوعات والقضايا لم تستطع إدراك الهدف السياسي والتطلعات المادية للحركة البابية. كما أننا نأسف أن هذه الشخصيات قد جعلت من هذه الديانة الباطلة بل الوثنية ديانة تضاهي الأديان السماوية الكبرى. كما أننا نأسف أنهم جعلوا من هذه الديانة الباطلة حركة دينية إصلاحية في الإسلام، وجعلوا منها أحيانًا أخرى دينًا خرج من رحم دين الإسلام.

إذا كانت حقيقة البابية قد استطاعت أن تختفي وراء أقنعة مختلفة فإنه يسعدني أن أقول: إن تلك الأحجبة السميكة التي تغطي حقيقتها قد بدأت

تتساقط واحدًا وراء الآخر مما يتيح للحقيقة أن تظهر واضحة جلية. والآن وقد بدأ مستوى الثقافة يرتفع عند الناس، وأخذت الروح النقدية التي تكونت لديهم تتشكك في دعاة البابية. وأما المثقفون الذين لا زالت قلوبهم عامرة بالإسلام فإنهم لا زالوا على حذر منهم، وهكذا لم يبق من البابية سوى أولئك الذين يسعون من وراء البابية إلى تحقيق مصلحة مادية شخصية أنانية خالصة، وأولئك المقيمين في أمريكا الشمالية من كبار السن والمتقاعدين ممن يبحثون في وقت متأخر عن النجاة الموعودة من خلال بعض الممارسات الغامضة التي يدفعون أجرها، في حين أنه من السهل أن يحصل الناس على النجاة يومًا إذا ما استمسكوا بالأحكام العامة والمبادئ التي جاء بها وحي السماء.



قائمة المراجع

مؤلفات الباب

المكتبة الوطنية بباريس، مخطوطات الميرزا علي محمد الباب:

١. البيان العربي، المخطوطة العربية، رقم ٤٦٦٩ (٢٣ ورقة).

٢. تفسير أحسن القصص، المخطوطة العربية، رقم ٦٤٣٥ (٥٤٨ ورقة).

٣. تفسير سورة البقرة، المخطوطة العربية، رقم ٦٦١٠ (صفحات من ١٨٤-٣٩٠).

٤. تفسير والعصر، المخطوطة العربية، رقم ٦٥٣١ (صفحات من ١-١٤٤)؛ المخطوطة العربية، رقم ٦١٤٣ (من ٦٨٩ - ٧٩٩).

٥. توقيعات (الرسائل والخطب)، المخطوطة العربية، رقم ٦٥١٨ (٣٢٦ ورقة).

٦. شؤون الخمسة، المخطوطة العربية، رقم ٦١٤٣ (صفحات من ١ - ٦٨١).

٧. صحيفة الحرمين، المخطوطة العربية، رقم ٦٢٤٨ (صفحات من ٧٧٨ - ٨٤٠).

٨. كتاب الأسماء، المخطوطة العربية، رقم ٥٨٠٦ - ٥٨٠٧ (بالترتيب ٥٤٤-٥٥٦ ورقة)، ٦١٤١ - ٦١٤٢ (بالترتيب ٤٥٨ - ٣٥٣ ورقة).

٩. الوحي، المخطوطة العربية، رقم ٤٦٦٨ (٤٤ ورقة).

مؤلفات الباب المترجمة

١. البيان العربي (ترجمة السيد نيكولا). أرنست لورو، باريس، ١٩٠٥، مجلد واحد.

٢. البيان العربي (ترجمة دو جوبينو) بعنوان «كتاب الأحكام»، ضمن كتابه «الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى»، جرس إيه سي، باريس، ١٩٢٨.

٣. البيان الفارسي (ترجمة السيد نيكولا)، مكتبة بول جوتنير، باريس، ١٩١٣، أربعة مجلدات.

٤. دلائل السبعة (ترجمة السيد نيكولا)، مكتبة ميزون نوف، باريس، ١٩٠٢، مجلد واحد.

مؤلفات بابية بهائية

١. إشراقات، بشارات، كلمات، طرازات، (يقع النص الفارسي في ٧٤ صفحة والنص العربي في ٨٥ صفحة)، قام بالترجمة العربية فرج الله الكردي وطبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٤٣ = ١٩٢٥ تحت عنوان «نبذة من تعاليم بهاء الله».

٢. بهاء الله الأقدس، المكتبة الوطنية، باريس، المخطوطة العربية، رقم ٦٣٩٧.

٣. سليم قبعين، عبد البهاء، القاهرة، ١٩٢٢.

٤. صبح الأزل، هياكل، المكتبة الوطنية، باريس، المخطوطة العربية، رقم ٦١٥٤، (من ٦٨- ٢١٦)- سطعات (من ٢٢٠- ٩٩٨)، كتاب المستيقظ، المكتبة الوطنية، (من ٣- ٥٣٢)، ليالي ومجالي (من ٥٣٩ - ٧٧٦)- كلمات متفرقة، المكتبة الوطنية، المخطوطة العربية، رقم ٦٥٣١ (من ١٤٧- ٢٧٧)- شجرة الخلد، المكتبة الوطنية؛ المخطوطة العربية، رقم ٦٦١٠ (من ١- ١٧٧).

٥. عباس عبد البهاء، خطب ومحادثات عبد البهاء في أوروبا وأمريكا، القاهرة، ١٣٣٩= ١٩٢٠.

٦. عبد الحسين أواره، الكواكب الدرية، القاهرة، (١٣٤٣= ١٩٢٤).

٧. الميرزا أبو الفضل الجرفادقاني، الدرر البهية، القاهرة، ١٣١٨= ١٩٠٠؛ الحجج البهية، القاهرة، ١٣٤٣= ١٩٢٥.

مؤلفات بابية بهائية مترجمة

١. بهاء الله، رسالة إلى ابن ذئب (ترجمة هيبوليت دريفوس)، مكتبة هونوريه شامبيون، باريس، ١٩١٣، أعمال بهاء الله (ترجمة هيبوليت دريفوس)، المجلد الأول: اللوح الأقدس، الكلمات المكنونة، الوديان السبعة، رسالة البيان. المجلد الثاني: سورة الهيكل، ألواح السلاطين. المجلد الثالث: كتاب الإيقان، مكتبة هونوريه شامبيون، باريس، بالترتيب ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٨.

٢. عباس عبد البهاء، دروس سان جون داكر (ترجمة هونوريه دريفوس)، مكتبة أرنست لورو، باريس، ١٩٢٩.

مؤلفات ومنشورات شرقية

١. ابن النديم، الفهرست، القاهرة، ١٩٣٨.

٢. ابن تيمية، بغية المرتاد، القاهرة، ١٣٢٩ هجرية؛ الرسائل الكبرى، الإيمان، القاهرة، ١٣٢٥ هجرية.

٣. ابن حزم، الفصل، القاهرة، ١٣٤٧ هجرية، خمسة مجلدات.

٤. ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، ١٣٢٩ هجرية.

٥. ابن قتيبة، المعارف، القاهرة، ١٣٥٣ هجرية.

٦. أبو العباس القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، على هامش الكامل لابن الأثير، القاهرة، ١٢٩٠ هجرية.

٧. أبو محمد البطليوسي، الإنصاف، القاهرة، ١٣١٩ هجرية.

٨. أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٣٣؛ ضحى الإسلام، القاهرة،

ثلاثة مجلدات، ١٣٥١ = ١٩٣٣، ١٣٥٣ = ١٩٣٥، ١٣٥٥ = ١٩٣٦.

٩. أسلمنت، بهاء الله والعصر الجديد (الترجمة العربية)، القاهرة.

١٠. الألوسي، روح المعاني، القاهرة، ١٣٤٥، تسعة مجلدات.

١١. البخاري، الصحيح، القاهرة، بولاق، ١٣١٤ هجرية، تسعة مجلدات.

١٢. البستاني، الموسوعة.

١٣. ت. ج. بوير، تاريخ الفلسفة في الإسلام (ترجمه إلى العربية أبو رضا)، القاهرة، ١٣٥٧ = ١٩٣٦.

١٤. جلال الدين السيوطي، الإتقان، القاهرة، ١٣٤٣ = ١٩٢٥، مجلدان.

١٥. الجلالين: السيوطي والمحلي، تفسير مطبوع على هامش المصحف، القاهرة، ١٣٤٤ - ١٣٤٥ = ١٩٢٦، الخلافة العثمانية.

١٦. خير الدين الزركلي، الأعلام، القاهرة، ١٣٤٧ = ١٩٢٨، ثلاثة مجلدات.

١٧. الخطيب البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٣٢٨ = ١٩١٠.

١٨. رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة، ١٣٥٢ = ١٩٣٤؛ المنار، (مجلة تنشر بالقاهرة).

١٩. الزمخشري، الكشاف، القاهرة، ١٣٥٤ هجرية، أربعة مجلدات.

٢٠. الشاطبي، الموافقات، القاهرة، ١٣٤١ هجرية، أربعة مجلدات.

٢١. الشهرستاني، الملل والنحل، طبع بهامش الفصل لابن حزم، القاهرة، ١٣٤٧ هجرية.

٢٢. عبد الحليم محمود، المحاسبي، مكتبة أورينت، جوتنر، باريس، ١٩٤٠، مجموعة: كبار شخصيات الشرق، المجلد السابع.

٢٣. عبد الرحمن الشيباني، تيسير الوصول، القاهرة، ١٣٤٦ = ١٩٢٧، أربعة

مجلدات.

٢٤.الغزالي، فيصل التفرقة (مجموعة الجواهر الغوالي)، القاهرة، ١٣٤٣ هجرية، المنقذ من الضلال، القاهرة.

٢٥.فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، القاهرة، ١٣٢٤، ثمانية مجلدات؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، ١٣٥٦ = ١٩٣٨.

٢٦.القرآن الكريم (طبعة القاهرة)، الحلبي، ١٣٤٩ هجرية.

٢٧.محمد عبده، رسالة التوحيد، القاهرة، ١٣٤٦ هجرية.

٢٨.محمد فاضل، الحراب، القاهرة ١٣٢٩= ١٩١١.

٢٩.المقريزي، الخطب، القاهرة، ١٣٢٤، مجلدان.

٣٠.موسوعة الإسلام، الترجمة العربية.

٣١.الميرزا مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، القاهرة، ١٣٢١ هجرية.

مؤلفات ومنشورات غربية

١. إدوارد مونتيه، الدراسات الشرقية والدينية، مكتبة فيشباشير، باريس، ١٩١٧؛ الإسلام، بيو، باريس، ١٩٢١.

٢. البخاري، الصحيح (ترجمة أوداس وويليام مارسيه)، أرنست لورو، باريس، أربعة مجلدات.

٣. برنارد لويس، أصول الإسماعيلية، هيفر آند صانز، كامبريدج، مارس، ١٩٤٠.

٤. بلوشيه، المهدي المنتظر في الهرطقة الإسلامية، ميزون نوف، باريس، ١٩٠٣.

٥. جوبينو، الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى، (جريس إيه سي)، باريس، ١٩٢٨.

٦. جولدتسيهر، العقيدة والشريعة الإسلامية (ترجمة فيليكس آران)، مكتبة جوتنير، باريس، ١٩٢٠.

٧. ريناخ، تاريخ الأديان العام، مكتبة التربية القومية، باريس، ١٩٣٣.

٨. شارل جينيبير، المسيحية القديمة، أرنست فلاماريون، باريس، ١٩٢١.

٩. شانتبي دولاسوساي، كتاب تاريخ الأديان، أرمان كولان، باريس، ١٩٠٤.

١٠. عبد الحليم محمود، المحاسبي، مكتبة أورينت، جوتنر، باريس، ١٩٤٠، مجموعة : كبار شخصيات الشرق، المجلد السابع.

١١. القرآن (ترجمة إدوار مونتيه)، بيو، باريس، ١٩٢٩.

١٢. القرآن (ترجمة سافاري)، جارنييه فرير، باريس.

١٣. القرآن (ترجمة كازيميرسكي)، مكتبة شاربانتييه، باريس، مجلدان.

١٤. الكتاب المقدس، سوجون، ٥٨ شارع كليشي، باريس، ١٩٣٨.

١٥. كليمان هوارت، دين الباب، أرنست لورو، باريس، ١٨٨٩.

١٦. لاروس القرن العشرين، مكتبة لاروس، باريس، ستة مجلدات.

١٧. لامينز، الإسلام عقيدة وشريعة، مطبعة الكاثوليك، بيروت، ١٩٢٦.

١٨. ماسينيون، مأساة الحلاج، مكتبة الشرق، جوتنر، باريس، ١٩٢٢، مجلدان.

١٩. محمد عبده، رسالة التوحيد (ترجمها إلى الفرنسية ميشيل ومصطفى عبد الرازق)، مكتبة الشرق، جوتنر، باريس، ١٩٢٥.

٢٠. موسوعة الإسلام.

٢١.نيكولا، السيد علي محمد الملقب بالباب، ديجاريك إيه سي، باريس، ١٩٠٥.

٢٢.هنري ماسيه، الإسلام، آرمان كولان، باريس، ١٩٣٠.



مخطوطة
كتاب البيان


ARABE
4669

Suppl.t arabe 2511

Volume de 23 Feuillets
22 Octobre 1884.

الله اكبر هو الاكرم بسم الله الاكرم الاكرم الله لا اله الا هو الاكرم

الاكرم قل الله اكرم فوق كل ذا اكرام لن يقدر ان يمتنع عن ملك سلطان

اكرامه من احد لا في السموات ولا في الارض ولا ما بينهما يخلق

ما يشاء بامره انه كان اكراما كاملا الله اعظم ان يا ذلك لا

على ما نصل من قبل يمكن ان ينزل من عند ربك في كل يوم وليلة

اربع الف بيت الذي لو ينزل الله يكون في كل سنة عدد كل شيء

اربع الف بيت فاحسب اعدادك ثم اذكر حتى تكمل عدد سنة

ويمنع من فوقه فان هذا رزق ربك في العالمين وما عليك

الا ان تحفظ ما نزل من عند الله المقتدر المهيمن واذكر عدد كل شيء

من الذين هم صدقوا الله وصدقوا اياته تجعلن كل واحد واحدا

من ابواب البيان لو كانوا في بعد الارض او قربها الذين يذكرون

ما نزل من عند الله وهم في دين الله موقنون وسينصرنكم الله

حين حين ان انتم تنصرون قد كتب مائة من بعده الله

منور قد ابدل هو الابهى الله لا اله الا هو العزيز المحبوب

له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وهو مهيمن القيوم

الى الله العزيز المحبوب على ان البيان ومن فيه هدية مني

اليك على ان لا اله الا انت وان الامر والخلق لك وما

لاحد من شيء الا بك وان من نظهرنه عبادك ويحبك الا

باذنك واقول لو تعزلن في القيمة الاخرى من في البيان

حتى الذي تنوب المعنى من تلقى انك باشارة من يديك
لمنت محمود الى اشاراتك ولولاك لا ريب فيه لتنصبن تسعة عشر
سنة لتخزي من دان به فضلا من عندك انك كنت ذا فضل
عظيما وانك تكفي كل شيء من كل شيء ولا يكفي عنك من شيء
في السموات ولا في الارض ولا بينهما وانك كنت كلاهما عليما
وانك انت على كل شيء قديرا حتى من تطهر الله ان تفع وامتنع
قدر دون هو الاعز الاجل بل اللهم انك انت اله الالهين بل اللهم انك
انت ابهى الابهيين بل اللهم انك انت اوحد الاوحدين بل اللهم
انك انت احمد الاحمدين بل اللهم انك انت اوحد الاوحدين
بل اللهم انك انت افرد الافردين بل اللهم انك انت ابد الابديين
بل اللهم انك انت اسلط السلطين بل اللهم انك انت اوزر الاوزرين
بل اللهم انك انت احكم الاحكمين بل اللهم انك انت اغنى الاغنيين
بل اللهم انك انت املك الاملكين بل اللهم انك انت اربب الاربيين بل اللهم
انك انت اذل الاذلين بل اللهم انك انت اقدم الاقدمين بل اللهم
انك انت اكمل الاكملين بل اللهم انك انت اعز الاعززين بل اللهم انك
انت اجلل الاجللين بل اللهم انك انت اقرب الاقربين بل اللهم انك انت
اجمل الاجملين بل اللهم انك انت اصنع الاصنعين بل اللهم انك انت ارفع
الارفعين بل اللهم انك انت ابدع الابدعين بل اللهم انك انت اعظم الاعظمين
بل اللهم انك انت ابهج الابهجين بل اللهم انك انت انور الانورين بل اللهم انك
انت

انت اعلى الاعليين بل اللهم انك انت اقدر الاقدرين بل اللهم انك انت اسكن
الاسكنين بل اللهم انك انت انصر الانصرين بل اللهم انك انت اقدس الاقدسين
بل اللهم انك انت ارضى الارضين بل اللهم انك انت احب الاحبين
بل اللهم انك انت اشرف الاشرفين بل اللهم انك انت اكرم الاكرمين
بل اللهم انك انت احشم الاحشمين بل اللهم انك انت اكبر الاكبرين بل اللهم
انك انت ابلج الابلجين بل اللهم انك انت اسمح الاسمحين بل
اللهم انك انت اسمع الاسمعين بل اللهم انك انت ابصر الابصرين
بل اللهم انك انت الطف الالطفين بل اللهم انك انت اخبر الاخبرين
بل اللهم انك انت ادل الادلين بل اللهم انك انت اقوى الاقويين بل
اللهم انك انت اعلى الاعلين بل اللهم انك انت افضل الافضلين بل اللهم
انك انت اجود الاجودين بل اللهم انك انت اوهب الاوهبين
بل اللهم انك انت ادوم الادومين بل اللهم انك انت اهدى الاهدين
بل اللهم انك انت اقوم الاقومين بل اللهم انك انت اجبر الاجبرين بل
اللهم انك انت اسعف الاسعفين بل اللهم انك انت اقهر الاقهرين بل
اللهم انك انت اقبل الاقبلين بل اللهم انك انت اغلب الاغلبين بل اللهم
انك انت اكون الاكونين بل اللهم انك انت اظهر الاظهرين بل اللهم انك
انت ابقى الابقين بل اللهم انك انت امجد الامجدين بل اللهم انك
انت اتقى الاتقين بل اللهم انك انت احيى الاحيين بل اللهم انك

انت احفظ الاحفظين بل اللهم انك انت ارحم الارحمين بل اللهم انك

انت اسمع [illegible] بل اللهم انك انت احسب الاحسبين

بل اللهم انك انت اذوى الاذوين بل اللهم انك انت احمل الاحملين

بل اللهم انك انت احرز الاحرزين بل اللهم انك انت اخلق الاخلقين

بل اللهم انك انت ارزق الارزقين بل اللهم انك انت ارقب الارقبين

بل اللهم انك انت احفظ الاحفظين بل اللهم انك انت اسلم الاسلمين

بل اللهم انك انت اسمع الاسمعين بل اللهم انك انت اطهر [illegible]

طرز

بل اللهم انك انت اصنع الاصنعين بل اللهم انك انت اطرز الاطرزين

بل اللهم انك انت اشهد الاشهدين بل اللهم انك انت افلق الافلقين

بل اللهم انك انت افتح الافتحين بل اللهم انك انت اكفى الاكفيين بل اللهم

انك انت اوفر الاوفرين بل اللهم انك انت اصور الاصورين بل اللهم

انك انت اكشف الاكشفين بل اللهم انك انت اوفى الاوفين بل

اللهم انك انت اورث الاورثين بل اللهم انك انت اود الاودين

بل اللهم انك انت اوسع الاوسعين بل اللهم انك انت اشرح الاشرحين

بل اللهم انك انت ادين الادينين بل اللهم انك انت ابعث الابعثين

بل اللهم انك انت اغيث الاغيثين بل اللهم انك انت ارأف الارأفين

بل اللهم انك انت اعطف الاعطفين بل اللهم انك انت احول الاحولين

بل اللهم انك انت [illegible] [illegible] بل اللهم انك انت ارفق الارفقين

قل ام انك انت سلس المرسلين قل ام امرك انت عصى الأعظمين
قل انهم من امك وكل بآيات يجلدون ــــ الواحد الاول
بالعود بسم الله الامنع الاقدس انني انا الله لا اله الا انا وان ادكر
خلقي قل ان يا خلقي اياي فاعبدون قد خلقتك ورزقتك ومنك
واحييتك وبعثتك وجعلتك مظهر نفسي لتتلون من عندي آياتي
ولتدعون كل من خلقته الى ديني هذا صراط عز منيع وخلقت
كل شيء لك وجعلتك من لدنا سلطانا على العالمين واذنت لمن
يدخل في جنتي من وحيدا حد واقربته بذكرك ثم ذكر انه جعله
حروف حي بانفس والذين نزلت في بيان من ديني فان هذا الذي جعل
به الرضوان عبادي المخلصين وان الشمس التي من عندي لتشرقن
في كل ظهور مثل طلوعها في عبادك الموقنين قد جعلناك بكل شيء
تفوتك امرا من لدنا انا كنا قادرين وجعلناك الاول والآخر والظاهر
والباطن انا كنا عالمين وما بعث على دين الا اياك وما انزل من كتاب
الا عليك وما يبعث على دين الا اياك وما ينزل من كتاب الا عليك
ذلك تقدير المهيمن المحبوب وانا البيان جعلنا على كل شيء حجة من
لدنه كل العالمون. ذلك آياتنا من قبل ومن بعد مثل ذلك
جعلنا كل حجتنا لتدخلن من تشاء في جنات قدس عظيم وانك انت
في كل ظهور من امرنا امرا من لدنا انا كنا حاكمين وما بلغ من دين
الا ما بلغ من نقطة وعند امثلها انا كنا على كل قادرين وانا قد جعلنا

ورب الذی عدد کل شیء شیء عدد الحول لکل یوم بابا الله حلق کلشی فی
جنته لا الی ولیکونن فی کل عدد واحد فی ذکر حرف من حروف الذی
لله رب السموات ورب الارض رب کل شیء رب ما یری وما لا یری
رب العالمین وانا قد فرضنا فی باب الاول انه شهد الله علی انه
لا اله الا هو رب کل شیء وان ما دونه خلق له وکل له عابدون وان ذات
حروف السبع باب الله لمن فی ملکوت السموات والارض وما بینهما
کل بایات الله من عنده یهتدون ثم فی کل باب ذکر اسم حی من لدنا
وذکر واحد من حروف الحی بما رجعوا الی الحیوة الاولی محمد رسول الله
والذین هم شهداء من عند الله ثم ابواب الهدی وخلقوا فی النشاة
الاخری بما وعد الله فی القران الی ان تظهر عدد الواحد فی الواحد
الاول فضلا من لدنا انا کنا فاضلین ذلک واحد الاول من الواحد
المعدد بذکر فی شهر البهاء قد بدئنا ذلک الخلق به ولنعیدن کل
وعدا علینا انا کنا علی کل شیء مقتدرین ولقد عددت الاعداد ذلک
الواحد الذی هذا الذی یحیی وقبل ذلک لم یکمل حروف الواحد
فی الایة الاولی فقد حضروا لقرب الذین هم بین ایدینا ولا یری فیها
الا الواحد من دون عدد کذلک یبین الله مقادیر کل شیء فی الکتاب
عل الناس فی ایام ربهم یشکرون انه هو بحر وجود واحد الله
خداوند عز وجل ... بوده و هست در
هست
علو ازل و سمو قدم و خلق ... در ... امکان ... بوده
در

در هر زمان خداوند جل و عز کتاب و حجتی از برای خلق مقرر فرموده
و میفرماید و در سنه ۱۲۷ از بعثت رسول الله کتاب را آیات و حجت را
ذات حروف سبع قرار داده و در واحد اول توحید ذات و صفات
و افعال و عبادت را حکم فرموده و مدل بر این باب راس بعوث الله
و حروف حی او قرار داده و قبل از ظهور او ذات حروف سبع
قرار داده با حروف اولیه که سبقت در توحید گرفتند و بعلیه
الی الواحد همان واحد قرآن است که ظاهر و باطن و اول و آخر
بوده و حجت بعد بعلیه حجت قرآن است که فرقان باشد فرق
الشیء که هزار و دویست و هفتاد سال کلمات ترقی نموده
الی ارواح انها و در هر ظهوری حکم بالنسبه بظهور قبل میگردد چنانچه
در این ظهور در مقام تکبیر اعظم از اسم حکم آخر که ذات حروف
سبع بوده ظاهر شده که بعد در هشت واحد مرآت الله بر شمس
خود بوده که از شدت تا دمیت اولیس را تا دست بر نوب
بهم رسانده و آیه شمس وحدت در وحدت قضا گشته هو
آیات شهد الله انه لا اله الا هو العزیز المحبوب له الاسماء الحسنی
یسبح له من فی السموات و من فی الارض و ما بینهما لا اله الا هو الحی
المهیمن القیوم وانا لانوت. و بعد بگوید اللهم صل علی ذات حروف السبع
من حروف الحی بالعزة و الجلال آیات باین واحد آورده
الواحد الثانی با هو بسم الله الامنع الاقدس ان با حروف [illegible]

فتشهدن على انه لا اله الا انا قد نزلت في بيت الاول من توحيد الثاني ان ام

تم وتر ربك في الايات ثم تشهدن ذكر الربانية في كل شيء ثم عجل الناس

ما نزلت في بيانات فان به يثبت ما يريد ثم في الثالث لم يجعل علم البيان الا بايات

في اخرتك ثم بيات ومن يشهد على ما اريد فيه فان اولئك هم الفائزون

ثم في الثالث ما ذكرت ان يغنوا احدا لربما ضربت قل كل الخير ترجع الى

ودون ذلك الى الحر [illegible] في ذلك علم البيان ان انتم تعلمون ثم الخير

تذكر الى منتهى الذر في علم المتقين ثم دون الخير في منتهى الذر بما انشهد على

دون المخلصين للمتقون ليوم الاولى ان انتم تعقلون ثم كل ذلك سل اهل

ان انتم تعلمون كل ذلك ثم [illegible] في اخر العود ان انتم تشهدون ذلك

من بعد امر الله انتم [illegible] توقنون ثم في الرابع ما فرطنا في الكتاب من شيء

ان انتم من بعد الله توقنون ثم في الخامس ما نزل في البيان من حرف لا

[illegible] ثم نعلم البعد بحر نور ثم نعلم القرب تفرحون ان تقرؤن [illegible]

[illegible] عند الله ان انتم تذكرون وان تتلون الايات [illegible]

[illegible] عند الله ان انتم [illegible] وانا الاول الاخر ثم باذن الله تقرؤن

كل [illegible] ترجع اليها ان انتم [illegible] ولا تقولن لا اله الا الله [illegible]

[illegible] ولا تشرون هل [illegible]

[illegible] ثم في سادس [illegible] في الاسماء ان الا لمن [illegible] يوم [illegible]

[illegible] الا لمن يسجد له [illegible]

[illegible] وان [illegible] القرآن [illegible] عن مراد ربي [illegible]

دونه

ذلك ما طاف الليل والنهار عليه ثمانية واحد وانتم به في العبادة متوحدة
وكنتم عن ذكره بعد ما قد قضي لمحتجبون ذلك ميزان الهدى في البيان ان
انتم به موقنون الى حين اشرق شمس العلاء وذلك من يظهره الله ان
تطمئن به لموقنون وانتم في الرضوان خالدون وان انتم غائبون
ثم السابع يوم القيمة على ما انتم تدركون من اول ما يطلع شمس البهاء الى
ان تغرب خير في كتاب الله عن كل الليل ان انتم تدركون ما خلق الله من
شي الا ليومئذ اذ كل لرضاء الله ثم لِلقائه يعملون وفي يوم القيمة بعده
هذا ظاهرا فلتنتظرن فانا انا منتظرين ولكنكم لله تعملون وقد قرب
الزوال وانتم انتم ذلك اليوم لا تعرفون ومن يكن لقائه ذات لقاء الله
لا يرضى له ما لا يرضى نفس لنفس فللذين حرف الاخر منه حدكم لعلكم تعلمون
ثم الثامن قد فرضت الموت على كل شي عند ظهوري عن دون حي
وما ابداء من سوى فان ذلك لينفعكم ويخرجكم من الماء في الطور الذي
افق الاعلى ان انتم تدركون ذلك موت في الحيوة وان له تحيى ايدي من بها
وان موت الجسد مثل ذلك لموت ان انتم كلتيهما في الحيوة لتدركون
ثم التاسع ان حرف السين وكل من امن به يوم القيامة كل يبعثون
في انه الحق لا ريب فيه ومنه ما يقول النقطة يبعث ذلك من يقدر
المهيمن القيوم ثم العاشر ما سئل العبد عمن يظهره ذلك ما سئلتم القرآن
انتم بالحق لتحتجبون ذلك قول الملائك من عند الله ان انتم بآيات الله
توقنون ذلك آيات من يظهره الله ثم الى التاسع عشر كل العاشر سنة

حلفه

الواحد من بعد العشرين ثم بعث مثل الفرج حتى يبعث الله من [illegible] عن نفس الاحسان

بما يحكم بعض نفسه كذلك ثم يوم القيامة بما ينطق من يظهره الله تبعثون ثم الثاني من بعد العشر

ذكر النصر [illegible] ثم بأنه المحمودين ذلك امر من يظهره الله انهم يوم الظهور به تعلمون

قل كل من [illegible] [illegible] بما [illegible] ربهم [illegible] عند الصراط قل [illegible]

[illegible] في [illegible] ثم الثالث من بعد العشر ذكر [illegible] ذلك [illegible] من يظهره الله

[illegible] مثل [illegible] الشمس [illegible] ثم بالبيان والشهداء [illegible]

ثم الرابع من بعد العشر ذكر كتاب [illegible] الميزان [illegible] في البيان ذلك [illegible] الله

الناس وكل شيء [illegible] ثم [illegible] من بعد العشرين الكتاب [illegible] الله

من [illegible] ثم السادس من بعد العشرين [illegible] الله ثم [illegible]

[illegible] ذلك [illegible] من يظهره الله [illegible]

[illegible] ذلك من يظهره الله [illegible]

[illegible] ثم السابع من بعد

[illegible] من يظهره الله [illegible] من قبل من [illegible]

[illegible] ثم الثامن من بعد العشر [illegible] الله في [illegible]

[illegible] الله [illegible] ثم التاسع من بعد العشر [illegible] في البيان [illegible]

[illegible] من يظهره [illegible] الله [illegible] بسم الله [illegible]

[illegible] الله [illegible] شمس [illegible]

[illegible] من الواحد [illegible]

[illegible] شيء [illegible] ذلك [illegible]

كل بأي فاعلمون ثم الثاني ان الله قد جعل به ما اشاء ان حق حق وان دون حق
لدون دون ذلك ذلك انطق اذ كل نفي واثبات قد كونت ثم قربا انطق قل ان يا عبادي
فاتقون ثم الثالث اذا تظهرات يوم القيمة بما انبعث من قبل نزفح انزلت من قبل حين
انا ذلك وانا كلهما بين ثم الرابع انزل عليات في اوليات بكل من الآخرين ان فضل
انزلنا عليات على ما نزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الانجيل ذلك فضل محمد على عيسى
قل ان يا عبادي من ظهوري في حرام تتصرون ثم الخامس ان نور الواحد يرفع
ما انزلناه في يوم ظهوري اذ هو لي قد رفع من قبل ان يا عبادي الى نفس تحسون ثم السادس
انه لن يبقى اسم شيء من دون خلق له ولم يكن عليهما انا لنا قل الى حق وان ما دونه
قد خلق بي ان يا عبادي بظهوري تحيى اخرى لعلكم تذكرون ثم السابع لن يقدر شيء خلق ان يرى [illegible]
نزلت من ذكر لنا في ذلك ايات لكي حروف [illegible] ذلك اعظم الحجات ان [illegible]
بعد تعرفون ان تذكرون قل انتظرون اى شيء في حبي [illegible]
ان يا عبادي الحسن لظهوره بالحق تعصرون ثم الثامن انا قد خلقنا من كل شيء في ميثاقهم
اليه تنظرون ثم التاسع ما في البيان قد نزل في الهياكل الواحد [illegible]
شهد الله انه لا اله الا هو الرحمن رب الكرسي الرفيع الله [illegible]
الله [illegible] الا هو الملك السلطان القاهر الظاهر العزيز المنيع له الاسماء الحسنى يسبح
من في السموات والارض وما بينهما قل سبحان الله عما انتم تشركون الله لا اله الا هو [illegible]
العالم [illegible] له الاسماء الحسنى يسجد له من في السموات والارض وما بينهما وهو
العزيز المحبوب ثم العاشر [illegible] ملكت [illegible] انتم [illegible] كل شيء [illegible]
والارض [illegible] تعرفون [illegible] انتم تعلمون ثم تعطرون [illegible]

الا هو يحيي ويميت ثم يميت ويحيي وانه حي لا يموت في قبضته ملكوت كل شيء

يخلق ما يشاء بامره انه كان على كل شيء قديرا ثم الواحد من عهد العشر انزل بها في الايه

الاولى بسم الله الامنع الاقدس انتم الى حروف الواحد تنظرون ثم الثاني من عهد العشر

عليها في النقطة حروف الاول تدعون ذلك من ظهوره الله وحروف الحي عدد كرات

عدد الشمس بين ذلك انتم في كل الاسماء والصفات تستدلون ذلك جوهر البيان يذكر

عنه من عنده ربه انتم اياه تذكرون انني انا الله لا اله الا انا الملك الظاهر السلطان

فواحد في خلقي كل اياي تعبدون قل الله ربي وانتم ان يا كل شيء لا تشركن بالله ربكم

احدا ولا تدعون مع الله ربكم الرحمن شيئا ثم الثالث من عهد العشر لا تسئلني في اولاي

ولا في اخراي الا في كتاب وليشغلن كل واحد منكم في شانكم لعلكم لنا تدعون ثم الرابع

من عهد العشر ان تحفظن ما انزل في البيان لعلمه طرز في الواح مقطعة لا تكنن

ما غير طرزه ثم في ما على الجلد تحفظون ومن يكن عنده حرف دون ما ينبغي لعزته

يحب عليه فلا تكونن من المحتجبين ثم الخامس من عهد العشر ان تومنن بمن نظهره يوم

القيمة ذلكم انتم لي دائبا في كل العوالم كنتم مؤمنين والا ستنفعوه ثم كنتم اليه

لتاتين ثم السادس من عهد العشر لا تعملن الا بما نزلنا عليك ولا تأمرن الا بما نزلناه

للناس ان يحبكم واياكم مرا ان تفرقون فيما انتم تحبون اذ انتم بالحق لقائلون ثم السابع

من عهد العشر لا تكونن ان ادى الا على احسن خط على ما انتم عليه لتقدرون وان يكن

عندنا احد حرفا دونها عمن عنده يحب عليه الا انصبا احسن ما بيا دنون ثم الثامن

من عهد العشر من يشتري كلما انا الله قد جعل لنفسك حد بخطه ثم نحب من ناء فان ذلك

قسطاس حق مبين ثم التاسع من عهد العشر ان يا عبادي فاصرفوا من ملكي فيما نزل حتى على

ما امر

الى عليه لنعبد دون ان تجعلت [illegible] بما خطه الا من [illegible] الوحى بملكات

البهى العليم بكل ما امركم على الخط الذى [illegible] الخفى بالواح الحروف ذلك دونها

تخلص بين خمسين ثم اياى فاشكرون الواحد الرابع يا الله بسم الله الامنع الاقدس

انى انا الله لا اله الا انا الاعز الاعظم قد خلقتك وجعلتك [illegible] من عندى

لن يرى فيه الا اياى ومن هذا [illegible] على انى انا الله لا اله الا انا رب العالمين

ومن هذا [illegible] وتحقق [illegible] ويشكرون لى من [illegible] من عند

من الرابع ثم فى الثانى قل ما يرجع الى يرجع الى الله ربى وما لا يرجع الى لن يرجع الى الله ثم

[illegible] ترجعون ثم فى الثالث لن اعبدن شئ [illegible] بالله [illegible] ذات [illegible]

فى اخراك واولاك حين انقلب فى [illegible] لن [illegible] بانقلب [illegible]

واحد [illegible] خلقت لك من كون لا عدل ولا شبه ولا قرين ولا مثال كذلك

[illegible] اشاء وانى انا القادر العلام ثم فى الرابع قد خلقت جوهر كل شئ فى هيكل الانسان

وجعلت ذات هيكل لمن نظهره [illegible]

تشكرون ثم فى الخامس [illegible] دقيقة لى ان [illegible] اياى يعبدون قل [illegible]

واياكم الى من نظهره تشكرون ذلك [illegible] بالليل والنهار [illegible] ثم السادس

[illegible] من نظهره [illegible] من نظهره من بعد نظهر

ذلك قل ان [illegible] يرى [illegible] عن كل شئ [illegible] الا

[illegible] ثم السابع كل [illegible] ثم الثامن [illegible]

وما نزل من عندك يخلقون ويرزقون ثم يميتون ويحيون ثم التاسع [illegible] من البيان [illegible]

[illegible] الظاهرين والكنين [illegible]

حتى ... [illegible] من العالمين ... [illegible] لا يحزن الحق ... [illegible]

جعلني ... [illegible] كل المؤمنون ثم العاشر لا تشغلني الا بما نزل في البيان او ما ينشئ فيه من علم الحروف

لا يخرج ... [illegible] البيان قل الا يا عبادي تنادون ولا تحزنون ثم تحضرون على الحكم تشعرونا

ثم الواحد من بعد العشران لا تجاوزن عن حد حد البيان تحزنون ولا تخرجن من ... [illegible]

لا عن حد الحكم من يظهره لا تحزنن ومن يتجاوز لن تحكم عليه بالهدى وبما أتى بالهدى الا

من يظهره بالهدى قل ان يا اولى الهدى بهدا اى تهتدون ثم الثاني من بعد العشر ان ... [illegible]

للمنزلين بقاع الارض ثم ثانيها في الواحد تصرفون ثم الثالث من بعد العشران يا عبادي ... [illegible]

... [illegible] على الحكم لتقتدرون ثم الرابع من بعد العشران يا عبادي ان تسجن لمن ...

... [illegible] تسمون عند الناس ... [illegible] لا يستطيعون ذلك ليحشرن يوم القيمة من بعث من ... [illegible]

لا ... [illegible] يتحيرون ... [illegible] تعلمون بانقطع السموات والارض وما بينهما ... [illegible]

... [illegible] ثم الخامس من بعد العشر فلا تبغين احدا اذا استجار بالله ثم بالحروف الحي ...

... [illegible] في الاخرى ومن ذلك في الاولى تحكمون وان ... [illegible] اذا استجار باحد الا ...

في سبيله ... [illegible] عند الله من ان يرد ان يا عباد تحيرون ثم السادس من بعد العشران يا عبادي

الى ... [illegible] ذلك ... [illegible] من يظهره الله ذلك ... [illegible] لا تشترن ما في حوله على ... [illegible] انتم

تستطيعون ان ترفعون ثم السابع من بعد العشر فحول البيت ... [illegible] الله فلا ... [illegible] وتجعلن

كلام في عند الحكم ما قل تستطيعون ان ... [illegible] ثم الذين يحزنون ... [illegible]

... [illegible] من يظهره الله عليه ذلك ... [illegible] عليه قل ... [illegible] احد ... [illegible]

ثم ... [illegible] تفصلون ولا تعرضن ... [illegible] ولا ... [illegible] الا وانتم ... [illegible] السبيل الاكرون

... [illegible] على ... [illegible] ذلك ... [illegible] على من يظهره ثم في البيت

لله ربكم والخضوع له ثم لتسجدون ثم انا [illegible] بعد العشر الذي وقفتم على الامر تخبرون

من حجج بني ظلم [illegible] الظاهر الواحد على سرائركم ادع [illegible] من الله [illegible]

على خفي [illegible] يتسلون وعلى غيركم لا يقدر ومن يملك ومن يحكم [illegible]

فتح او يبلى لسلم يشكرون ذلك الشهر في رجب البيت ثم امر من باب البيت [illegible]

ذلك [illegible] الباطن الظاهر ذلك ابا [illegible] في اخراي ان [illegible]

قامرون ذلك [illegible] ان كان ايام ثم امر [illegible] تصعدون [illegible]

[illegible] لا تصعدون حينئذ كل الى [illegible] تصعدون [illegible]

[illegible] ثم الاسبع من بعد العشر لا يجزن النساء لا [illegible] من صعود [illegible]

لما [illegible] في الليل [illegible] من البيت [illegible] اذا شئن يدخلن البيت

في الليل ثم على سرائر [illegible] ويذكرون الله [illegible]

ثم الى مساكنهن [illegible] ازواجهن [illegible]

[illegible] لا تسكن ثم [illegible]

للبنين والشاكرين الله [illegible] والله [illegible] حكيم [illegible]

والباء لا يسئلن عن [illegible] حكمها ثم بين يدي من [illegible] البيت

تسجدون [illegible] البيت وانتم لا تعرفون [illegible]

[illegible] الواحد الخامس بالله بسم الله [illegible]

[illegible] انا الله لا اله الا انا لا [illegible] في باب الاول من [illegible]

[illegible] المسيح [illegible]

باذني ترقصون [illegible] المصباح فيها [illegible]

ثم الثالث قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرا لتكمل في الواحد لعلكم تشكرون ثم الرابع

انتم باسمائي لتتبعون وقد جعلناك بها على حق انا خلقتني اياي فاقصدون و[illegible]

باسم محمد وعلي وفاطمة ثم حسن وهادي وقد جعلنا لكل حرف من اسمهم

اسما كل الي واني انا الله ربي وما من اله الا الله ذلك سلطان العالمين

ذلك محبوب العالمين ذلك مطلوب العالمين ذلك مقصود العالمين ذلك معبود

العالمين ذلك مطلوب العالمين ذلك الحكم والملككم ثم ربكم وحكمكم ثم سلطانكم

ومالككم ثم موصوف العالمين ثم الخامس قلنا خذن من لم يدخل في الميزان ما

اليهم ثم انه امنوا لتردن الذي الارض التي انتم عليها لا تقدرون ثم السادس

ان يتبع ارض في البيان يوخذ عنه ما لم يكن ليعدل لمن امرتم ويحفظ نفسه

ان لم يتجر عند من يتجر والا يتجر على من بماله وما حذفناه من كل الف يبيع ويشتري

مائة فضلا من لدنا لمن تطهر بالحق وانا كنا حاسبين ثم يوخذ بها [illegible] ويحفظ

الحروف لا [illegible] عند المؤمنين ثم يوخذ [illegible] ثم يوجد به في البيان

الذين هم لا يستطيعون ثم يصرف الملك كيف يشاء ثم يؤتى كل ذي حق حقه

من جنده وان زاد من شيء يصرف في المقاعد المرفوعة او يؤتى كل المؤمنين

[illegible] اقرب في كتاب الله حتى وان يكن نعماتي ارض يؤتى شيئا منها فضلا

من الله انه هو افضل الكريم ثم السابع كلما يدخل في الدين وما ملكت الذين

امنوا من [illegible] ثم يطهر حتى انهم يملكوه فضلا عليك اذا انجرمت لواحدك

ثم العالمين قل اذا نسبت الشيء الى من امن بالله ان يطهره الحيران يا [illegible]

فاشكرون ولتشترن الحيوين من كل ارض لعلكم شيء اللطيف لتملكونه

ثم اتى من نعقفر في البيان ثم من ذلك البحر لنا ايها انا اخذون ولا
من تسعة عشر اية وان لم تعلمي تقولين الله الله ولجو ولا تشرك
بالله ربي شيئا ان لم تضرن في يوم رجبي من احد ناد كنت في
قولك لمن الصادقين ولا ينفعك هذا ان تسمع ذكر طوبى ثم
تكونين من القاعدين ثم الناس فاذكروني بحروف كل شيء بالاكرمين
اسمي ولو كنت بما حفظت على قلبك من اسمي من الملقين ثم انا
قد وهبت الهياكل والدوائر وختمت عليك بالذات فلا كان لها
فيها لتكتبون على سبيل تستطيعون ان تقرئون ثم الواحد من بعد ان
فلتحفظن على المولود خمس مرة قائما ثم بعد كل مرة لتقولين تسعة
عشر مرة انا كل بالله مؤمنون ثم انا كل بالله موقنون ثم انا كل بالله
لمهتدون ثم انا كل بالله مستعيذون ثم انا كل بالله مرضيون ثم على ابيت
ستة مرة ثم تقولين تسعة عشر مرة انا كل لله عابدون ثم بعد ما تمم
في الاولى انا كل لله ساجدون ثم انا كل لله قانتون ثم انا كل لله [illegible]
ثم انا كل بالله مخلصون ثم انا كل لله حامدون وبعد تعرض في المولود
او الحجر المثبت لما يتكلمون ولتجعلن الخاتم في يديه تنقش عليه
التي امرها للعالم تستأنسون قل الفرد يكتب لله ما في السموات والارض
وما بينهما والله علام [illegible] قل المؤمنات تامرها مثل في كتاب
ولله ملك السموات والارض وما بينهما والله علام [illegible]
ثم انا الى من نعاء [illegible] ثم [illegible] من [illegible] الاول والآخر [illegible]

ثم الثالث من بعد العشر انتم كتاب وصية الى من نظهره ونكتبون
ذلك المكتوب الى الله ان انتم به توقنون ثم الرابع من بعد العشر
يطهركم اسم الله اذا تقرئون الله اطهر ستة وستين مرة ثم
النقطة وايتن من عندها من ايات الله ثم كلما انه ان انتم
بها توقنون ثم من يدخل فى الدين ثم ما يدل كتن نفسه من النار
والهواء والماء والتراب ثم لتحس اذا تحققت ان ما عبادى
فاشكرون ثم الخامس من بعد العشر اداء الحيوان طهر انتم به كما تقولن
فلما تطهر ابدا الاكم عن ذلك لعلكم تشكرون ثم السادس من بعد العشر
كل شيء لم يكن الله عدل الله ذلك لمن نظهره الله من كل شيء على عدد
الواحد ان يا عبادى انه لتلتفتون وان تحرمت الخمس فليملك منى
نفسكم يوم تهودى لتردون ثم السابع من بعد العشر فلتقولن فى كل يوم
تسعة وتسعين مرة الله اعظم ثم اياى فاتقون ثم الثامن من بعد العشر
فلتأذن بالبيع والشرى كل عبادى اذا علموا الارضاء بينهم ثم الذين هم
يعرفون امرهم بالاجل يريدون ثم الحين ينقضون ثم التاسع من
بعد عشر بالتي تحسبون المثقال تسعة عشر حمصين من الذهب او الفضة
ويجعلن الملك بها الاول عشرة الف دينار ثم الثاني الف دينار
[illegible] لا يخرج [illegible] والثمن [illegible] يصرفون
فى [illegible] شيء [illegible] لم يبلغ عدد [illegible] وكل
كل واحد منهما خمسمائة واربعين مثقالا [illegible] ثم حول [illegible] من الله انا

نحن

لعلكم تشكرون ثم بعد ذلك ان وجدتم ملكا لن يحا وزعن حد ود
البيان اليه لتبلغون من كل مثقال ذهب خمس مائة دينار ومن
كل مثقال فضة خمسين دينار لعل يوم ظهور تعمرون بين يديه
ولم يصطفي ان يا خذ تكد وقيرا طاً من دون حق فاذا انت بمضعف
الخراج لو كنت من المتقين ولا يسئل الناس لما به الا بجزئه
نفس الا وانتم تعلمون بانكم لا تعطون لانكم محتجبين نفسكم لو كنتم
اردتم ان تحيطون كل نفس من حين ما تولد الى ان تقبض بما ملك من كل
شيء بما له لتكونن من الشاكرين ما قدرا ذنت لم يكن الا من حق
من يظهره الله قد اذنت لحبيد ولعلكم تستحيون [illegible] وانتم لا تحكمون
عليه ولا يحزنون والا ذلك من حيث حروفا سمالي التي لن يرى
فيها الا ايات ان يا خلق على حروف الاولى لتصلون [illegible]
يا الله بسم الله الا منع الاقدس انني انا الله لا اله الا انا
الاغيث قد نزلت البيان وجعلته حجة من لدنا على العالمين
المحكمين له لهو ذلك ايات الله قل كل عنها يحزون فيه ما لم يأتي
على ذلك ما انتم به تدعون فيه ما لم يكن له شيئا تلك الكتابة
لمعشر بين حروف الالف بين الباب انتم بالباب تدعون فيه ما لم يأتي
له قريب ذلك جوهر الجود والحكمة انتم به تحتجبون فيه ما لم يأتي مثل
ذلك ما ينطق به الفارسيون وانتم في الواحد لتعضون ولا المنير
السور الاول انتم في الايات .

في الايات على عدد المستغاث لا تتجاوزون ومن
اول العدد اذن لكم ان يا عبادي لتدخلون واذنت
ان يكون مع كل نفس الف بيت ثمانياً وليستاذن بعد حين
تابعاً وكان من المحررين ثم [illegible] البيت ثلثين حرفاً انتم
تربون لتحسبون على عدد الميم ثم على احسن حسن تكتبونها
وتحفظون ذلك واحد الاول انتم بالله تسكنون ثم
الثاني انتم في كل ارض بيت تبنون ولتلطفن كل ارضكم
وكل شيء على احسن ما انتم عليه مقتدرون لئلا يشهد
عيني على كره ان يا عبادي فاتقون ذلك اقرب
من كل شيء ان انتم تعلمون ثم الثالث فلا يسكن في ارض
الخمس الا عبادي المتقون ثم الرابع فلتسلمن وانتم
تقولون الله اكبر ثم تجيبون الله اعظم ثم الرؤية الله ابهى
ومن يجب الله اجمل ثم اياي تتقون ثم الخامس
انما الماء طهر طاهر مطهر في الكاس حكم البحر لتشهدن
ثم السادس فلتمحون كل ما كتبتم ولتستبدلن بالبيان وما انتم في
علله تلتمسون ثم السابع تفترقن الباء بالالف بما قد نزلناه
في الكتاب ثم اياي فاتقون قل في المهر خمسة وتسعين
مثقالاً من الذهب ثم في القرى مثل ذلك في الفضة
الى ان ينتهي الى تسعة عشر مثقالاً بما نزل عدد

الواحد اذا اوجد الرضا بينهما ثم عن الانقطاع
تنقطعون ثم بالارتفاع ترتفعون وليمضين كل واحد
منهما ثم كل تقولون انا كل لله راضيون ولقد جعل الله
كل جواهر الارض مهر خلقته لمن يظهره ذلك من
فضل الله عليه ليكونن من الشاكرين ثم الثامن ان لا
تشتدن لن الآيات بالآيات فان من لم يستدل بها فاعلم
له فلا تدلون بمعجزة دونها لعلكم يوم ظهور محي
الحيين لتؤمنون ولتقولن ذلك الفضل ولتعملنه ثم انيسكم
لعلكم يوم ظهوري لا تحتجبون ثم التاسع انتم لباس
الحرير لبلد العيش تلبسون وان استطعتم دونه
لا تلبسون وانتم اسبابكم التي بها في سركم لتعيشون
من الذهب والفضة تصنعون واذا ما وجدتم
ذلك في شان لا تحزنون فانني انا ربكم لا ميتكم
في اخريكم ان انتم لي وبآياتي تؤمنون ثم العاشر
فلتجعلن في ايديكم عقيق حمراء انتم عليه لتنقشون
لتشهدن بذاتكم على ان من يظهره حق لا ريب فيه
وكل له يخلقون قل الله حق وان ما دون الله خلق كل
له عابدون ثم الواحد من بعد العشر قل ان يا محمد
معلمي فلا تضربني قبل ان تقضي علي خمس سنة ولو بطرف

عين فان تلبي وتبر دقيق وبعد ذلك ادبني ولا تخرجي من عد
وقوى واذا اردت ضربا فلا تبعا وذعى الخمس ولا تضرب
على اللحم الا وان تحل بينها ستين اذا تعدلت يجوز عليك
زوجك تسعة عشر يوما وان لم يكن لك من قرين فلتنفق بما شئت
تسعة عشر شيئا لا مرذهبان اردت ان تكوني من المرضيين
ولا تضرب الا ضعيفا خفيفا ولتستغن الصبايا على سرير
او عرش او كرسي فان ذلك لم يحسب من عمرهم و
لنا ذنب لم بابهم يفرحون فلنتعلمن خط الكتب فان ذلك
ما يحبه الله وجعله باب نعمة للخطوط لعلكم تكتبون على شأن
تل هبن به فلوتلم من سكرة وبحللكم .. لمن نظرته اذا انطوا به
انفسكم يجد بلم مثل ما كنا كاتبين وقد اقرئتك من ترب لئلا يكون
عرش ربك في سفره وكوبه لا يخرجون قبل ان يشهد ... لا يطيع
عنك ما وهبتك من على ان يا عبادي فاتقون ثم الثاني من بعد
العشر فلا يقرب الطاء والثاء وان يضطرون فيصبرون حول العلم
بالواحد يحسبون والا اذن لها ان يرحما تسعة عشر مرة بعد
ان يصبر شهر الماء في كل ابواب دون الحق لا يدخلون
ثم الثالث من بعد العشر فلا يحملن بيت انقطة في خمس
وتسعين بابا ولا ابواب بيوت الحروف في خمسة
ان يا عبادي في ذلك هل العلم تستدلون ثم الرابع من بعد

انتم يوم الله الا اعظم عند ذلك شي تقولون شهد الله انه لا اله
الا هو العزيز المحبوب وان تكونن في ريح الى ذكر العادرة
تخمون في ليلة من الاء الله تسعة عشر عدة بين ايديكم
تخصون الى عدد المستغاثات اذن لن تقدر ولا تحصن
اذا انتم لا تستطيعون فان عند الله على العرش كان واحد
قل ا باى ناشكرون قل ذلك يوم المقطع ثم عند تحي
الحي ثم شهود الحي انتم في يوم الخلق تصعدون ثم الحاكن
الى بعد الشر فلتفرن من انتم كلكم اجمعون اذ السمعن ذكر
من نظره باسم القائم ولتو اقين حرق القائم القيوم ثم في
سنة التسع كل خير قد تركون ثم السادس من بعد العشر
فلا تسافرون الا لله وانتم تستطيعون الا عند ظهور الحق
فان عليكم ان تسافرن اليه فانكم قد خلقتم لذلك ولو انتم
بارجلكم تمشون وليس عليكم فرضا الا زيارة البيت ثم
مقعد النقطة اذا استطعتم ثم مقاعد الحي والمساجد
ان تستطيعون وان اردتم التجارة فلا تطولن في البر الا
حوائج ولا في البحر الا خمس حول وان تجاوز من حد
بليون تين ترينه اتى وما تى منعال من ذهب ان استطاع
والا من فضة الا وتر نعن فريكم معكم لعلكم في البيان تفسا
لا تحزنون ومن يجبر احد اني سفر ولو كان قد ما او

يدخل في بيت احد من قبل ان يؤذن له ويريد ان يخرجه من بيته
بغير اذنه او يطلبه من بيته بغير حق فيحرم عليه زوجته
تسعة عشر شهرا او ان يجاوز من امر الله في ذلك
من احد فعلى شهداء البيان ان يأخذ عنه خمس وتسعين
مثقالا من ذهب ومن اراد ان يجبر على احد فعلى
من علم ويقدر ولو كان بعد سنة فرض ان يحضر ويمنعه
ومن لم يحضر بعد ان يقدر فيحرم عليه زوجته لتسعة عشر
يوما ولا يحل عليه الا وينفق تسعة عشر مثقالا من ذهب
ان يقدروا الا من نفسه ذلك ان لا يظلم احد في البيان
ومن يرفع صوته بغير حق يخرج من حد الانسان ان
يا عبادي فاتقون ثم السابع من بعد العشر ما يخرج من الحكم
فلا تحدثن الا وانتم تحبون ان تلطفون ثم التاسع من بعد
العشر حرم عليكم في دينكم النظر بعضكم الى كتاب بعض لا
لمن اذن وعلم الله يرضى لعلكم تستحيون ثم تتأدبون ثم الثامن
من بعد العشر فرض عليكم في دينكم ان تجيبون من يكلمكم بقول
يدل على لا او بلى ومثل ذلك اذا يكتب احد الى احد
كتابا فرض عليه ان يكتب جوابه باثره اذا استطاع
والا فغيره ومن يرد كتابا ونصيحة ان يقدر ان يوصل
الى احد ولم يوصل لم يكن عند الله من العابدين

لله

الواحد السابع بسم الله الامنع الاقدس انني انا الله لا
اله الا انا الاعدل الامدل قل ولتحددن البيان ثم كل شيء اذا قضي
على عدد اسم الله لمن يقدر وعلى عدد اسم الواو والباء لمن لا يقدر
لعلكم تشكرون الآخرة قد ترون اذ الذي الثاني خير والا الاول
خير له ومن لم يجد مثل حظه فلا يغيره ولعلها غير الاصل
تنفقون ومن فيما العذب تستترون ولتطهرن كلكم من اول
ذكر الى ذكر الابد لعلكم تشكرون ذلك واحد الاول ثم
في الثاني لله ربكم تعملون كل ما تعملون [illegible] بنظرة الصدق
انتم لله عاملون وان لا لو تعملن كل خير انتم في النار ولم يكن لله ولو
انتم لا تقصدون ثم الثالث دينكم حين ما تستطيعون لتردن
وانتم في كل واحد كتاب اثبات لمن يظهره بعضكم الى البعض لكيلا
لعلكم يوم ظهوره ما تكسبون لتعملون ثم الرابع انتم في كل حول شهرا
باسم الله تخلصون لعلكم يوم ظهور الحق اياه تحبون ولا تخرج
عن نواهيكم الا آخر واحد وان تشبهتم كلمة تدونه لا جناح
عليكم قل كل لله وكل على الله يتوكلون ثم الخامس حين ظهور الله
ذا حضر من نفس ينقطع عنه العلل الا بما امران يا عبادي فاتقون
فانه لو يجعل ما على الارض نبيا ليكونن انبياء عند الله ولكن
لن يحصي الارض شيئا والله علام حكيم ثم السادس فلا تحملن
اسباب الحرب بينكم ولا تلبسن ما يخاف به الصبايا الا لم

٢

من يظهره بالحق لا تكبرون ثم السابع ان اذا ذكرتم بالظهور امر من
فضل الله تسئلون لمن نفس عليكم باستواءه على سرائركم فان ذلك
عز ممتنع منيع ان يشرب كاس ماء عندكم اعظم من ان يشرب من
كل نفس ماء وجوده بل كل شيء ان يا عبادي تلك ذكرون ثم الثامن ان
في كل شهر واحد في واحد من ذكر اسم ربكم الله الاعظم علقوا
على احسن خط وان قضي عنكم بعضي وزانكم لعلكم يوم ظهور الله بالواحد
الاول تؤمنون ثم تذكرون ثم التاسع من يبعث في ذلك والذين
من الملك يجي بما الله على ابواب خمسة ثم خمسين في تلقاءه
على ابواب تسعين لمن يظهره وليشهدن ان الطين من عنده على ان
الله لان يشهد بالمثل ثم ربما يشهد الطين من عنده ان يا عبادي
فاتقون ثم العاشر فلتحفظن ذرياتكم بهيكل عز فيه من اسم الله
عدد المستغاث لعلكم يوم القيمة بذلك الاسم تنجون ثم الواحد
من بعد العشر انتم على الكرسي تدرسون وتخطبون ايام العز
والحزن ثم اياي فاتقون ثم الثاني من بعد العشر ان علمتم لمن نظهره
فلا تبطلن اعمالكم بان تشركن بالله وانتم لا تعلمون ثم الثالث من بعد
العشر ان تملكن من نفس الله تسعة عشر اية باثره خير لكم من كل نفس
ان انتم قد ايات الله تتلون ما خلق الله شيئا اعز من هذا
ان انتم الى سر الامر تنظرون ثم الرابع من بعد العشر حرم
عليكم في دينكم ان تتوبون عند احد الا عند من يظهره او ما ذكر

ولكم تستغفرون الله ربكم السلطان ثم اليه لتتوبون ثم الخامس
من بعد العشر انتم عند باب مدينة من يظهره الله تسجدن في
مثل ذلك ما قد ظهر لعلكم اياي تتقون ان لم تخافون ثم السادس
من بعد العشر نزل على ملك يوم الظهور ان يكتب بعزل
من عند النقطة ويعرضن على العلماء ليظهر عجزهم على من على
الارض ولا يجعل على ارضه من لم يؤمن به ومثل ذلك
قبل ان يظهر في البيان الا الذين هم يتجرون في ملكهم قل ان يا عبادي
اياي فاتقون ثم السابع من بعد العشر فلتقولن يوم الجمعة
في تلقاء الشمس تلك الآية لعلكم يوم القيمة بين يدي
شمس الحقيقة لتقولون انما البهاء من عند الله عليك
يا ايتها الشمس الطالعة فاشهدي على ما قد شهد الله على
نفسه انه لا اله الا هو العزيز المحبوب ثم الثامن من بعد
العشر من يحزن احدا حرم عليه ازواجه وان يقرب
كتب عليه تسعة عشر تسعة عشر مثقالا من ذهب
في كل شهر وان يعقد من ما وجب على الشهيد انفسه
ولم يقبل عنه حرا بان ان يا عبادي فاتقون ومن يحزن نفسا
ينتهيا الشيء كتب عليه تسعة عشر مثقالا من ذهب دية
ان يقدر والا من نعمة الا اذا اذن ومن نسي يستغفر الله
ربه تسعة عشر مرة قل ان يا عبادي فاتقون ثم التاسع

٢ لف

عشر

من بعد العشرين جعل الصلوة كلهن لا من زوال الى زوال تسعة
ولتعدن واحداً ولتعدن بقيام وقنوت وقعود لعلكم يوم القيمة بين
يدي الله تقومون ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون وكانت
في كل تلك من حروف الواحد ايقظ الله ربكم لعلكم بذلك تنجون
ثم اياي فاتقون ولله تسجدون الواحد الثامن باب هو
بسم الله الامنع الاقدس انني انا الله لا اله الا انا الاطهر
الاطهران تطهرن اللذين تسالنا عليه لشاهدين ان كل عمل
ما تعملونه لا يعظم عند الله من قبل انتم تستيقنون انه لمن يشاء
لن يغترن بالكواكب ان يا عباد ذي اياه تتقون ذلك واحد
الاول الثاني قل انكم اذ تستطيعن تسعة عشر وثامن القرطاس
الاعلى ثم عدد الواحد من العتيق في كلكم لانفسكم اذا استطعتم
لتملكون قل لا يورث من الميت الا ابيه وامه وذرياته
وزوجته واخيه واخته ومن علمه بعد ما يصرف لنفسه
من ماله ما يعزيه من بعد موته وانتم اذا استطعتم موت نفس
لله تحضرون ثم عن مجالسكم لا تقومون ثم الثالث انتم يوم القيمة
اذا استطعتم على كل شيء هالك الا وجهه ذكرا اسم ربك
ذو السلطنة والاقتدار تحضرن بين يدي الله
ثم بين يدي الحي ثم تستغفرون الله ربكم الرحمن ثم الى الله
تتوبون وان لم تستطيعن بالتنزل من فضل الله في تسليم وان

تردون كلمة عضوين الله خير من كل فضل انتم تعلمون ثم الرابع كل حرف
انتم تحصون اعلاه لن تظهره ثم ادناه لن تؤمن به ثم ان سقط لن
يدل على النقطة انتم الى حروف الحي تنظرون ثم الخامس ان ا[illegible]
ثلث الناس واربع لعل وستة زمرد وستة ياقوت الى حرف
الواحد يا لامر توصلون ولتجعلن بها كل كبهاء واحد الاول
لعلا بالله توقنون ثم السادس انتم فلتلطفن ابدانكم في كل اربعة
يوم مرة انتم تستطيعون تلطفون ولتعطرن في المرآت في الليل
والنهار لعلكم تشكرون ثم السابع انتم فلتصلين في العبا وهن في لباس
لا جناح عليهن في ظهور شعرهن وابدانهن عند ازواجهن
حين ما يصلين وانتم تاخذن شعر وجوهكم لتقوى وتجملن بما
تحبن في ابدانكم لعلكم في ايام الله تشكرون قل ما القبلة من يظهره الله
متى ينقلب ينقلب الى ان يستقر ثم من قبر من بعد تعلمون قل
اين ما تولوا فثم وجه الله انتم الى الله تنظرون ثم التاسع من ابدال
يوم القيمة فليكتب ما يكسب من خير دونه لعلكم الى قيامة
لا تخرج تعلمون ثم التاسع من رجى في طائفة حاله لتقرن
و تكلم بعضهن الى بعض وبعضهم الى بعضهن ان يا عبادي فاتقون
ثم تشمون وان دون ذلك علما ثم بينهما قل فوق ثمانية وعشرين
علمة تتقون الا وانتم لتستغنون بينهم العاشر انتم بالتلاول والمسوك
بعد ما تشرعون من ذلكم او هلم ما تعلمون ثم لتترقون من جهلكم

و ايديكم من حد الكف تغسلون ان تريدون ان تصلون ثم تمسحون
بلطف وجوهكم وايديكم وان لن يمسكم الحر تخففن بان تشكل ريح
يحيطن بكل هيكلكم دون ما تحبون لا تشهدون ولتوضئن على هيكل
التوحيد بما طيب عمل ورد لعلكم بين يدي الله يوم القيمة بما
الورد والعطر تدخلون وان ذكحكم لن يغير عملكم وانتم ان تقرئن
البسملة خمسة مرة ليلطفكم عن وضوئكم اذا انتم الماء لا تجدون
او يصعب بامر عليكم لعلكم تشكرون بل في كل طهور بدلا لكنتم
الماء بالنور وليلطف اعمالكم من عندكم انتم الى نقطة الامر منتظرون بل
عن بيلكم لعلكم تشهدون في الرؤيا او انتم بانفسكم عن الغسل تستحيون
ولكم ترتفعن بدل ذلك الماء فانه يكن بسبب خلق نفس بعد
الله اذا انتم في يوم تحفظون لعلكم من ثمرات انفسكم دين الله
تنصرون وانتم اذا وجدتم ذلك الماء باختياركم توضئون
ثم تغتسلون ولتقولن تسعة عشر مرة سبحانك اللهم انك لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من المسبحين وان تغتمس في الماء تقضي
عنا ذلك بعد ان توضئتم وشرط ذلك ان تغسلن راسكم
وبطنكم وايديكم وارجلكم انتم في حين الغسل تحمدون وانما
النساء حين ما يجدن الدم ليس عليهن صلوة ولا صوم الا ان
يتوضئن ثم يسبحن خمس وتسعين مرة من زوال الى زوال
ليقولن سبحان الله ذي الطلعة والجمال انتم وهن لا تعطفون

بعد ما انزلن ورشحن مكان كل صلوة تسجدن مرة واحدة
ثم فيها تسبحون ثم تسجدون على هيكل التوحيد ثمانية عشر مرة تسبحون
الله ثم تقومون كل ذلك لعلكم في دين الله تشكرون وانتم يوم
اذا استطعتم خمس مرة بماء طهور ثم في خمس حريرا وقطن تلفتو
بعد ما تجعلن الخاتم في يده موهبة من الله للاحياء وهم لعلهم
تطهرون يوم الضيت توفون وان في منتهى الحر يا تحبون لانفسكم
امواتكم به تغسلون بالذي انفسكم ثم في البرد بماء الحر وبما
بما تحبون لانفسكم ثم بماء ورد او شبهه كل بدن الميت ان
تستطيعون لتوصلون ثم بنهى السلون ولكتب تغلبونه ثم في كل
تسعة عشر يوما انتم اموالكم لتزورون او اقرب من ذلك في كل
يوم اذ خفف عليكم الحر اذا استطعتم تسعة عشر يوما ولبالذعن
فويد احباب الاستبعاد ان لتبلوا بآيات الله وانتم المصابيح عباده
توقدون ثم الثاني من بعد العشر قل شهدت حين الضرب
كل تحزن فلا تحزن فان هنالك كل شيء يستجني بان
ومن التسمو الوعلي الذي تعليات الانفسوا وسيوجهن تستعف
ان بلن على ذلك الا من الى ما في حولها ستة وستين مرتها
ان تصلي من عمره تسعة وعشرين سنة عليهم ان يحضروا محل
الضرب في كل سنة مرة ثم بعد عشر يوما هنالك تخاصمون وعلى
محل الضرب خمس بعد صلوة المصليون ومن لم يستطع في بلده

نبت عشر بما يخلص لله ربه ومن اهلن في ذلك الحد يعفي
عنه بفضله وان احكم على من على الارض من بعد وان يو دان
يا عباد الله تتقون ثم الثالث من بعد العشر انتم على النقطة والبها
ولتحرنها خمس وتسعين مرة لتجعلونها النقطون ولتصلين
كلكم مرة واحدة ولكلكم فرادى تفصلون ثم الرابع من بعد
العشر انتم ان تعلمن البيان فمن يأته بالليل والنهار ما تحصون لتقرئون
ولا تلتذكرون الله سبعمائة مرة ان انتم في ذبح والاناح
تروحون ثم الخامس من بعد العشر فرض على كل نفس ان يستنسخ
من نفسه من نفس فليقرئن بليها بعد ما قد قضى احد بي عشر سنة
ومن يقدر ولا يعوب محيطا عليه وان يمنع احد هما الا
عن الثمرة يحادن الى ان يظهره يحل الاقتران ان لم يكن
في البيان وان يدخل من يدخل يحرم على الاخر ما يملك من عنده الا
وان يرجع ذلك بعد ان يأتي امر من يظهره بالحق وما لم يحكم
بالعدل وقل ذلك فلتعترن لعلكم بذلك امر الله ترتفعون
ثم السادس من بعد العشر ان هذا من عدل الله من كل بهاء
مائة مثقال من ذهب من كل شيء بها عشرين مثقال لله اذا
قضى عليه حول ولم ينقص من اصله تماما الى من يظهره وليونين
كل واحد من حروف الواحد مثقالا اذا الواحد الاول
كان له مثقالين وان قبل النصر فمن ظهر في حروفهم من بعد

عن وجهه يرجع الى ذريائهم ان يكن لهم الا ما يقدر من عند الله كل مملوك
فلك من يملك من نفسه وزاد عطاء رزقه وان يحسب بعد الموت كل ما
ملك ثم يأمر بما يعدل كل حول يقبل عنه الا حين الظهور فانكم انتم لا تمهلون
ثم التاسع من بعد العشر اذ بلغ بها المثقال الذهب والفضة عدل
كل نفس عدد الحروف ثم الثامن تحل فيه سند من الله وتدل على
من ملك الا عند الله يؤتين الفقراء من دينهم ومن يضطر في امره
ومن يستقرض او لضمن او يمنع من كسبه او يحتاج في السبيل وهم
انفسهم بانفسهم يحسنون قل اننا لا نحب ذويائهم وما حجب عليه
امرهم ثم اولي قرابتهم ان يا اولي الغناء انتم وكلا من عند الله
لمنفقون في ملك الله ثم السائلين من دينهم لمحقوق ولا يحل
السؤال في الاسواق ومن سئل حرم عليه العطاء وان على كل
ان يكسب بامر ومن لا يقدر انتم ان يا مغناهو التأ يبين اليهم
تبلغون وقد فرض عليكم العلم بما في دينكم لئلا يضطر لنفسا الشيء ٩
يا عباد ذي فاتقون وان من ذلك عدد الله من كلمتها الله اذا
يحل في كل حول وفوق ذلك اذا يعدل ذلك باخذه النقطة
في اولها واخرها وانتم بانها الى تسعة عشر من اولى طاعتها
اذ الامر لتبلغون كل واحد عدد الهاء بما يقدر من عنده لمولى
نور منه وعليهم من انفسهم لانفسهم ان هم كانوا موقنين ثم العاشر
من بعد العشر انتم في كل حول شهر العلاء لله تصومون وقل ان يحل

بريد ر

المرء والمرأة احد عشر سنة من حين ما ينعقد نطفته ان

الى الزوال لتصومون اذ بعد ما يبلغ الى اثنى واربعين سنة

يعفى عنه وما بينهما من الطلوع الى الغروب لتصومون لعلكم يوم

الظهور في ابواب النار لا تدخلون وانتم ان تستطيعن من

الطلوع وبعد الغروب لتضيفون وان فيه تؤمنون من ظهوره

وانتم فيه لا تحركون ولا تأكلون ولا تشربون ولا تقربون ثم

بآيات الله تتلذذون ولا تتغيرن افواهكم حين انتم تقرؤن

ثم الناسع من بعد العشر انتم اذا تسمعن ذكر النقطة لتصلون عليه

ثم على حروف الحي لعلكم يوم الظهور بهم تتذكرون واذا يذكر

الذكر بلك لتصلين مرة واحدة وانتم ليلة الجمعة ثم يومها تقولون سبحان

الحي

اللهم صل على ذات حروف السبع ثم حروف الحي بالعزة والجلال

ذلك لعلكم يوم القيمة بما تقولون لتوقنون لا انتم يومئذ لتصلون

على محمد ثم حروف الحي وانتم عن ظهوره ثم في اخراهم محتجبون

لو لا تصلون عليهم ولا تحزنونهم ليرضون عنكم ولكنكم لا تستحيون

وتكسبون ما تكسبون ومن يصل على من نظهره يصل الله عليه الف

مرة وقل ذلك ان انتم على حروف الحي لتصلون الواحد التاسع

يا هو انني انا الله لا اله الا انا الوسط ا لاسما ...

لي ملك السموات والارض وما بينهما وكان لي يرجع اليك

في الحرف ذلك وذلك قل عن كل ارض لمن نظهره انتم يوم ظهوره

الله لتردون ولو كان بيت انفسكم فانكم ان صبرتم نجعل لكم نارا ان
يا عبادي فاتقون وان ميرث الملوك له وان يعطي احد فيها
فعليه ان يتصدق الى المساكين مثقال نصفه الاول وانتم من شهداء
البيان في غروب الشمس تأذنون بكل فيها من يؤذن حينئذ
قل انتم في مجالس التوسعة عشر نفس تجلون لعلكم يوم الظهور عليه
لا تعلمون فلك اذا وسع والا واحد ابلغكم لعلكم بذلك
يوم الظهور لتنجون لا مثل يومئذ تقومون عند ذكري وانتم على
تجلون و لا تتحجبون ذلك واحد الاول ثم انتم في اياتي
ان يا اولي الطلب تقوا الله ثم انتم بالا لاء والنعماء التي خلقت
لله تبادرون وانتم المرضى ان يا عبادي لتردون
وان يكن عند احد خطا لم يكن له عدل فليكتبن الغيث
وليوصين به فانا كنا اليه لناظرين ثم الثالث من كل ملك بيت
عوات لنفسه يكتب بين يديه ما يدل على لو يظهر ايه ربه
ولم ينصره لينتقم الله عنه بكل ما يكن من عنده وان ينصره
ليوصلن الله اليه كل خير قل انك خالقت لذلك ولا بد
لك تمت فابق ذكرك الى يوم القيمة بين العالمين ثم الرابع
نعم حين د وحكم في سرتكم بذكر الله تتلذذون وتكلم
ان تتلذذون بما ينطق من يظهره لاعظم عند الله اذا انتم به تتلذذون
قد علمت في انك لكم باياته من قبل ظهوره بلسانه قل ان يا كلمتي فيه

تتقون ثم الخامس كتب على كل نفس ان يخدم النقطة تسعة عشر لؤلؤ
في ظهورها ويرفع عنكم اذا غني قل ذلك خير الاعمال ان انتم
تستطيعون ان تذكرون ثم السادس انتم قل ام طال النقطة بظهور
فيها النقطة لا تقدمون ان هم كانوا مؤمنين قل اولئك خير
من على الارض ولو علم الله خيرا منهم في الايمان ليطلعونهم
انتم الى ابيه وامه وما كان سعه ومن امن به من اولى قرابته
من الله تسلمون ان انتم تحسن بكل نفس لعلكم تذكرون قبل ا
قبل ان يظهر وبعد ذلك انتم منتظرون وتتلون عليك ان
ياسماء الله ثم او لو قرابتك ذكر الله ربنا كل شيء في كل حين
وقبل حين وبعد حين ثم السابع انتم من الطين لي تحلقون
ولا تبيعون ولا تشترون بما لا يحبه الله فانه حرم عليكم ولا تعملن
ذلك انتم في ذلك الدين من كل كره تستطيعون لتتجاوزون
ثم الثامن انتم الدواء ثم المسكرات وفرقها لا تملكون ولا تبيعون
ولا تشترون ولا تستعملون الا بما انتم تحبون ان تصنعون
ثم التاسع بالجماعة تصلون ولكنكم تحضرون المساجد وانتم
على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون الا في صلوة
الميت فانكم من الاجتماع تصلون وتحملن كل عزيز بجلكم مستقل
وان تحضرون المساجد خير لكم لعلكم يوم ظهور الله في امر الله
تشعرون ثم العاشر انتم اذ استطعتم كل آثار النقطة تملكون

ولو كان حاجيا فان الورق ينزل على من بلاد مثل الغيث قل ان يا عبادي
خير التجارة هذا ان انتم بمن تطهر تؤمنون ثم الباشر انتم
انفسكم لتطهرون من دون حروف العليين لعلكم في حقائقها
لا تدخلون ولقد فتقن ان لا تكونن منهم ومن بعد ذلك ان لا تزيد
الا الحجر خير له ولكنكم الى ما انزل الله تنظرون وقد نزل فيه
انزل الى حينئذ ثم الالف والياء من نفس لو شاء من بعد فيما
يدل على ذكل شيء لو شاء الله لتشهدون ثم [illegible] من بعد الثاني
العشر لم يبطل صلوتكم بشعر الحيوان و لا ما ينبغي الوضع فيه انتم في
دين الله تشكرون ثم الثالث من بعد العشر انتم ابدا الثيابا لا تحرقون
ثم الرابع من بعد العشر انتم كل اسبابكم من بعد ان يكمل تسعة عشر
سنة ان تستطيعون لتجددون ثم الخامس من بعد العشر
فللتلمذين ذكروا البيان على كل صبا يعلم لعلكم في ظهور حقيقته ان تنقون
في دينكم بين يدي شجرة الاولى تذكرون ثم السادس من بعد
العشر انتم لا تضربن احدا ابدا ثم السابع من بعد العشر فلتعفين
في سنة عشر يوما تسعة عشر نفسا ولو انتم ماء الواحد لتؤتون وان
لا تستطيعن الى عدد الواحد لتبلغون ثم الثامن من بعد العشر انتم
لا تحزنون لا احد و لا تضربون على ابد الكرهين بامة مثلهم
من احد ابدا ابدا ثم التاسع من بعد العشر انتم حين ما تركبون
حوت البحر او النهر لتقولون بسم الله المهيمن القيوم ثم كل ما كان عليه

لله

الفلن يا ملوون الواحد العاشر بسم الله الامنع الاقدس انني انا

لا اله الا انا الاكمل الاكمل قد نزلت في الواحد العاشر ان اشهد

انه لا اله الا انا المهيمن القيوم قل الاول و لا تحتجبون من الكلب وغيره

وان يمسكم شعر وطب منه الا وانتم تحبون ان تنظفون قل في الثاني

ان الله قد اذن للذين هم امنوا في البيان من الحروف والحروفات

ان ينظرون اليهن اذا شاءوا وبشان من نهوان يشهدوا او يشهدن

الا يحب الله في نظونهم ونظرتهن والله يريد ان يخلق بينكم وبينهن

ما انتم به في الرضوان تتحابون وان في الثالث ما انتم من مال الله

تورثون فلنقيس بما قد قسمنا بينكم لعلكم انتم ما قد اردنا في اعدادها

يوم ظهور انفسكم فيها انتم تحلون لتؤمن من يظهره الله ثم بآياته تؤمنون

قل ان د ما لكم يورث من كتاب الطاء انتم سهم بالعدل تقسمون قل

كتب الله عليهم عدد المقت لعلهم يشكرون قل ما كتب الله على ازواجكم

من كتاب الحاء على عدد الثاء والقاء انتم بينهن بالعدل لتقسمون قل

ما كتب الله في الكتاب من كتاب الزاء لابنائكم عدد الثاء والكاف

انتم ما قد كتب الله لكم تحكمون قل ما يورث امهاتكم من كتاب الواو

عدد الرقيم في الكتاب انتم ما قد قدر الله لتقدرون وان ما قد

كتب الله لاخوانكم عدد الشين من كتاب الهاء انتم بما قد كتب الله

لتبلغون وان ما قد كتب الله لاخواتكم عدد الراء والميم من كتاب

الدال انتم بما قد كتب الله لهن لتعدلون وان ما قد كتب الله لمعلم

عليكم من كتاب بمحبة عدد الالف بسم الله العدل لتعددن درجتي قل
ربكم على درجات رباع بعد ثلث بما قل تعدد في الحروف ثلث
له درجات قل رباع ثلث ذلك من مخزون العلم في كتاب الله
من يعبر ولن يبدل لي انتم في هياكل كالكم تنظرون ثم يوم القيمة بما تلك
تجلي الله لكل الحروف بالعدد الباء لمن يظهره الله تؤمنون وتوقنون
قل انما الرابع جوهر الدين في بدئكم وعودكم ان تؤمنون بالله
الذي لا اله الا هو ثم بمن يظهره الله يوم القيمة في عودكم ثم بما انزل عليه
من كتاب ثم بمن اظهره الله باسم علي قبل محمد ثم بما انزل الله عليه بما
نزل الله عليه من البيان من كل عنه تشعرون ان اذ دركم عودكم
الى من يظهره الله فاذا انتم بدئكم تذكرون قل انما الخامس كلشيء
تطلق عليه اسم شيء قد ادخل في بحر الحل والطهر لنفسه بنفسه
لامن لا يؤمن بالبيان وانتم في الكتاب عنه لتنهون فان ذلك بانتم
كلفتم به لا يتغير ما هو عليه في نفسه وانتم عما تلك امركم الله ربكم
لتسئلون فلتجتنبن عن كل ما انتم تكرهون قل انما السادس قد حرم الله
عليكم في البيان الاذى ولو كان بضرب يد على كتف ان يا عباد الله
تتقون وان يومئذ المحبين ان تتحاجون بالدلائل والبرهان
على اكل النجار تكسبون ذلكم لاولى بمنهى الادب لتقولون فانكم
تلاقون الله ربكم يوم القيمة بما تلاقون من يظهره الله ومن اتى به
له للعالمين لعلكم لا تلاقون الله ربكم وتكسبون عملا يحزن به الله

ثم

بكم بما يحزن من يظهره الله وانتم لا تشعرون ولا تتذكرون قل انما
الرابع عشر لكل نفس لمن يظهره الله ان يملك بلور عظيم محكم رفيع
من عند نقطة البيان ثم بين يدي الله تسجدون بايديكم
لا باي دون ذلكم الا وانتم لا تستطيعون قل انما الناس فلا
تسجدن الا على البلور فيها من ذرات تراب الاول والاخر
ذكرا من الله في الكتاب لعلكم بشئ غير محبوب لا تستشهدون
وان في التاسع عشر يملكن من كل نفس من اسباب بلور محكم رفيع عدد
الواحد على قدر ما يتمكن وان يستطيع ولم يملك كتب عليه ان ينفق
تسعة عشر شيئا الا من الذهب حدا في كتاب الله لعلكم تتقون
وان في العاشر فلا تنصبون الحروف بعد ما تقبض حروفا تهن الا
تسعين يوما ولا الحروفات بعد ما تقبض حروفهن الا خمس وتسعين
يوما حدا في كتاب الله لعلكم تتقون لتشهدن ان الملك وكل اليه
ليرجعون وان صبروا فوق ما انه كتب الله عليهم او هن فوق
ما انه كتب الله عليهن بعد ما يستطيعن ويقدرن او يستطيعون
ويقدرون عليهم ان ينفقون تسعين شيئا الا من ذهب وعليهن
ان ينفقن خمس وتسعين شيئا الا من ذهب ان يستطيعن او
يستطيعون والا يعفى عنهم وعنهن والله ما اراد لاحد الا
الحب والرضاء لعلكم انتم في رضوان البيان لتشكرون وان
في الحادي والعشر ان الذين ينشئون الكتاب يكتبون في اوله

لا اله الا الله ثم في شجره لا اله الا الله على قبل محمد لعلكم انتم
تسلكون يوم من يظهره الله بمثل ذلك ثم به تهتدون وان
الثاني من بعد العشر ذو بالكم لم يكن عليهن من حدود دونكم قبل ان
ينفخ فيهن الروح وبعد ما ينفخ ان ينزلن احياء فانتم حدود
حبونكم فيهن لئلا تحبون وان تنزلن امواتا يوضع عنكم حدود كم
وصلوتكم عليهن ولا يتولهن اباءهن ولا امهاتهن لئلا يحزنان ان
لم يكن غيرهما رحمة من الله وفضلا في الكتاب لعلكم في ايام الله
تصبرون وان الثالث من بعد العشر اذن في البيان ان تحملن
بانفسكم واحدا واحدا بان تختارن لانفسكم عدد الحي لعلكم
يأم بذلك الشان على الله وبكم قبل ان النقطة ابشجرة الاولى
ثم الحي اباث حي الاول انتم تلثر اثنين انفسكم في ذلك الشان ان
لعلكم انتم يوم القيمة بمن يظهره الله ثم حي الاول لا تحتجبون
وان من يظهره لو يظهر في مقام النقطة او الحي فانه حق من عند الله
لا ريب فيه انا كل به مؤمنون وان حي الاول ان يظهرون
في مقام الحي او النقطة فانهم اسماء الاولى انا كل بهم مؤمنون
وانما الواجب من بعد العشر كتب الله على ابائكم وامهاتكم ان يرزقا
من اول حملكم الى تسعة عشر سنة فاخذ عليكم ان ترزقوهما الى
اخر عمرهما ان لم يكونا من المستطيعين وعليهما ان يرزقاكم ان
يستطيعان وانكم انتم ما كنتم على الارض لمستطيعين ذلك ان

يكونن كل على حدود دينهم وان يحتجب احد انتم فانتم عنه لتعفون

ومن يحتجب في حدود الله في ذلك فليلزمنه في كل حول ان ينفق

تسعة عشر مثقالا الا من ذهب في سبيل الله حدا في كتاب الله

لعلكم تتقون وانما الخامس من بعد الشر لا تركبن البقر ولا تحملن

عليه من شيء ان انتم بالله واياته تؤمنون ولا تشربن لبن الحمير

ولا تحملن عليه ولا على حيوان غيره الا على دون طاقته ان ذلك

الله لعلكم تتقون ولا تركبن حيوان الا وانتم [illegible]

ولا تركبن ما لا تستطيعن ان تحفظن انفسكم عليه فان الله قد اتمها لكم من

ذلك نعما عظيما ولا تمس من البيضة على شيء يصيبه ايه قبل ان

يطبخ هذا ما قد جعل الله رزق نقطة الاولى في ايام الجنة ومن عنده

لعلكم تشكرون وان ما يظهر في البيضة من الدم عفى عنكم وانه

لطهر فلا تأكلوه لعلكم شيء غير مكروه لا تشهدون ولا تركبن الفلك

الا وانتم على تمدد وتمددكم تملكون ولا تجادلن فيه ولا تنازعن وانتم

على شان الروح والريحان بعضكم ببعض تسلكون وكتب على الذين هم اولو

الامر في الفلك ان يقدمون على انفسهم من فيه من الذين هم فيه والنساء

حين ما يضطرين من في الفلك وانتم سيفيئن لا تقربوهن منه وتجعلن

مكان ظهوركم في مقعد لم يكن على مقعد يخاف من يدخل فيه وانتم

مثل ما تستقرون في البر في مقاعد اخرى تستقرون ولا ترفعن

ظهوركم في الفلك الا على قدر ما انتم عليه لتستطيعون وقد فرض الله

ورآء البحر ما قد كتب الله من سفر و اجب ان هم سفر البر لا يملكون
و اذن لهم ان يتخذون لانفسهم اوليا عندهم يحجبون و ليبلغون اليهم
ما يصبرون من كتابهم الى ما هم اليه يتوجهون ان هم على ذلك يستطيعون
و لا عفى عنهم وعما كل يكسبون و انا السادس من بعد الشرك كتب
على كل ملك ارض فى كل حول مائة و اربعين مثقالا من ذهب
ثم وزير الاعظم ثمانين و تسعين مثقالا ثم على الحاكم الاعظم مائة
و ستين مثقالا ثم على العالم الاعظم ثمانين و ثمانين مثقالا لا ان يحزنون
من يظهره الله ثم بايديهم حين ظهوره اليه ليبلغون اذ اما احزنوا
فى تلك الشهر مظهر دينهم هؤلاء لعل الذين يخلقون فى البيان فى مقاعدهم
جزاء ما كسبوا فمن بالحق يكسبون ان ما هؤلاء ان لم تؤمنن بمن يظهره الله
اياه لا يحزنون فان فى تلك الشهد هؤلاء لو امنوا بالنقطة الاولى
لم يحزن احد فى البيان و كل الى قيامة الاخرى بالروح و الريحان
يسلكون و لكنهم قد احتجبوا حتى اسلكوا الا يحب الله فى البيان
فانتم بمثلهم انفسكم عن رحمة ربكم لا تبعدون ان لا تسلكون الى من يظهره الله
الكتب الله عليكم فى الكتاب اياه لا تحزنون و لا تشكون فيه حين
ما تسمعون و لتجعلن انفسكم حكما بينه و بين الذين اوتوا البيان
بان تعرضن اياه على الذين اوتوا البيان ان شهد بعجز انفسكم
و اياهم فاذا تؤمنون و ان لا تشهد بعجز انفسكم و لا اياهم فاذا انتم
اياه لا تحزنون و لتظهرن حكما فى تلك الشهد ليتبين الحق على من على الارض

كلهن

كلها ولكن كل فى احكام دينهم ودينا هم يحكم يوحمون و يحكمون
ولكن لا ينظرون فى امر يثبت به دينهم حكما ليشهد على حجوهم
عن ايات ربهم ليتحيرون انفسهم بذلك الحكم وبالليل والنهار
يلعبون وانفسهم واعمالهم ليغشون ويحسبون انهم يحسنون
انهم ان يا اولى البيان مثلهم لا يحجبون وانما النساج من بعد
الشوان يا اولى الحكم فلنا مرن من يتبعونكم ان لا يا خذن لبا
احد ولا يا خذه وان يا خذ يحرم عليهم وعليكم اذ وجكم تسعة
عشر يوما وان انتم تم ليلزمنكم من كتاب الله تسعة عشر شئا لا
من ذهب ان تردون الى شهدا البيان ليوثين مهمن
اخذ عنه لباسه او شئ مما عنده لعلكم تتقون وتا مرن من
يتبعونكم ان لا يعارضن احدا ابدا لعلكم يوم القيمة با صحاب
من يظهره الله لا تعترضون وتا مرن كل ارض ان ينظفن بيوتها
واسواقها واماكنها ويميز كل صنف فى مقعده عن الاخر حيث
لا يختلط اثنين منهم الا فى مكانهما وكل صنف كانوا فى مكان
واحد على احسن نظم محبوب وتا مرن ان يكون كل صنف فى خان
فان ذلك اقرب للنفع والتقوى ان انتم تشعرون قل انما
انا من بعد الشو ولا تا مرن ان يوخذ من احد نقد و شعر او يقص
عنه بعدما اكل الله سلطانا هو من شئ امرا فى كتاب الله
لعلكم انتم احدا الا تكرهون ومن يا خذ من جسد احد من شئ

Imprimerie H. Jehan
Gaillon - FRANCE

و يبدلونه قد شئ او يبدلوا سنه او ادادا ان بلغ لله قد حرم الله
عليه زوجه تسعة عشر شهرا في كتاب الله و ليلزمنه من جلود
لله خمس وتسعين وليحدا من ذهب ملكم انتم تتقون ولا تأمرون
ولا تفعلون ولا ترضون فلا تنطقن على احد قدر خردل ان انتم
بالله و باياته مؤمنون وان لم تكونن بالله و باياته موقنين فلتسكنن على
ويخرجكم من حيوتكم فاتكم من قبل خلقكم كنتم عند الله نطفة ثم بعد [illegible]
ومن حين في كف [illegible] دون ما ترضين
نفسكم وانتم [illegible] من حيوتكم في امور كلها تدبرون ولا تضعن
خلق احد بعد ما قد تكمل لله خلقه لما تريدون من عند ايام سنة وردة
او شهر ايام سنة ودة فان كليهما يصلح عنكم وانتم من بعد موتكم
في النار لتدخلون [illegible] كانكم [illegible] وما [illegible] في حين نفس من
حزن وان تشتغلون في حيوتكم [illegible] ان انتم قليلا لتعرفون
ثم [illegible] من بعد [illegible] امر الله من امره ولا [illegible] الا الحق
من [illegible] الله [illegible] انتم عند الله [illegible]
ومن كليهما تقطعون

تحقيق المخطوطة

البيان العربي

ميرزا علي محمد

أصل البابية التي خرجت منها الديانة البهائية

(١)

الله أكبر هو الأكرم، بسم الله الأكرم، الأكرم الله لا إله إلا هو الأكرم، الأكرم قل الله أكرم فوق كل ذا إكرام، لن يقدر أن يمتنع عن مليك سلطان إكرامه من أحد لا في السموات ولا في الأرض، ولا ما بينهما، يخلق ما يشاء بأمره إنه كان كرَّامًا كارمًا كريمًا، الله أعظم أن يا ذلك الاسم على ما فصل من قبل يمكن أن ينزل من عند ربك في كل يوم وليلة أربع ألف بيت الذي لو ينزل الله يكون في كل سنة عدد كل شيء أربع ألف بيت، فاحسب ما عندك ثم اذكر حتى تكمل عدل سنة، ونمنع عن فوقه فإن هذا رزق ربك في العالمين، وما عليك إلا أن تحفظ ما نزل من عند الله المقتدر المنيع، واذكر عدد كل شيء من الذين هم عرفوا الله وصدقوا آياته؛ لنجعلن كل واحد واحدا من أبواب البيان، لو كانوا في بعد الأرض أو قربها الذين هم يدركون ما نزل من عند الله وهم في دين الله موقنون وسينصرنكم الله حين حين إن أنتم تصرون (دد مكتب خانة)[١] من يظهره الله (منور فرمايند)[٢] هو الأبهى الله لا إله إلا هو العزيز المحبوب له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وهو المهيمن القيوم إلى الله العزيز المحبوب، على أن البيان ومن فيه هدية مني إليك على أن لا إله إلا أنت، وأن الأمر والخلق لك وما لأحد من شيء إلا بك، وإن من تظهرنه عبدك وحجتك لأخطبنه بإذنك وأقول لو تعزلن في القيامة الأخرى من في البيان

(١) في المدرسة.

(٢) ينوره الله.

(٢)

حين الذي تشرب اللبن من ثدي أمك بإشارة من يديك، لكنت محمودا في إشارتك، ولو أنه لا ريب فيه لتصبرن تسعة عشر سنة؛ لتجزي من دان به فضلا من عندك إنك كنت ذا فضل عظيما، وإنك تكفي كل شيء عن كل شيء، ولا يكفي عنك من شيء لا في السموات ولا في الأرض ولا ما بينهما، وإنك كنت كافيًا عليمًا، وإنك كنت على كل شيء قديرا، من من يظهره الله ارتفع وامتنع قدره هو الأعز الأجل، بل اللهم إنك أنت إله الألهين، بل اللهم إنك أنت أبهئ الأبهئين، بل اللهم إنك أنت أوحد الأوحدين، بل اللهم إنك أنت أصمد الأصمدين، بل اللهم إنك أنت أحد الأحدين، بل اللهم إنك أنت أفرد الأفردين، بل اللهم إنك أنت أبدء الأبدئين، بل اللهم إنك أنت أسلط الأسلطين، بل اللهم إنك أنت أوزر الأوزرين، بل اللهم إنك أنت أحكم الأحكمين، بل اللهم إنك أنت أغنئ الأغنئين، بل اللهم إنك أنت أملك الأملكين، بل اللهم إنك أنت أربب الأرببين، بل اللهم إنك أنت أزل الأزلين، بل اللهم إنك أنت أقدم الأقدمين، بل اللهم إنك أنت أكمل الأكملين، بل اللهم إنك أنت أعزز الأعززين، بل اللهم إنك أنت أجلل الأجللين، بل اللهم إنك أنت أقرب الأقربين، بل اللهم إنك أنت أجمل الأجملين، بل اللهم إنك أنت أمنع الأمنعين، بل اللهم إنك أنت أرفع الأرفعين، بل اللهم إنك أنت أبدع الأبدعين، بل اللهم إنك أنت أعظم الأعظمين، بل اللهم إنك أنت أبهج الأبهجين، بل اللهم إنك أنت أنور الأنورين، بل اللهم إنك

(٣)

أنت أعلى الأعليين، بل اللهم إنك أنت أقدر الأقدرين، بل اللهم إنك أنت أشوك الأشوكين، بل اللهم إنك أنت أنصر الأنصرين، بل اللهم إنك أنت

أقدس الأقدسين، بل اللهم إنك أنت أرضئ الأرضئين، بل اللهم إنكِ أنت أحبب الأحببين، بل اللهم إنك أنت أشرف الأشرفين، بل اللهم إنك أنت أكرم الأكرمين، بل اللهم إنك أنت أحشم الأحشمين، بل اللهم إنك أنت أكبر الأكبرين، بل اللهم إنك أنت أبذخ الأبذخين، بل اللهم إنك أنت أشمخ الأشمخين، بل اللهم إنك أنت أسمع الأسمعين، بل اللهم إنك أنت أبصر الأبصرين، بل اللهم إنك أنت ألطف الألطفين، بل اللهم إنك أنت أخبر الأخبرين، بل اللهم إنك أنت أول الأولين، بل اللهم إنك أنت أقوى الأقوئين، بل اللهم إنك أنت أعدء الأعدئين، بل اللهم إنك أنت أفضل الأفضلين، بل اللهم إنك أنت أجود الأجودين، بل اللهم إنك أنت أوهب الأوهبين، بل اللهم إنك أنت أدوم الأدومين، بل اللهم إنك أنت أهدى الأهدئين، بل اللهم إنك أنت أقوم الأقومين، بل اللهم إنك أنت أجبر الأجبرين، بل اللهم إنك أنت أمقت الأمقتين، بل اللهم إنك أنت أقهر الأقهرين، بل اللهم إنك أنت أنبل الأنبلين، بل اللهم إنك أنت أغلب الأغلبين، بل اللهم إنك أنت أكون الأكونين، بل اللهم إنك أنت أظهر الأظهرين، بل اللهم إنك أنت أبطن الأبطنين، بل اللهم إنك أنت أمجد الأمجدين، بل اللهم إنك أنت أتقى الأتقئين، بل اللهم إنك أنت أحبى الأحبيين، بل اللهم إنك

(٤)

أنت أحقق الأحققين، بل اللهم إنك أنت أرحم الأرحمين، بل اللهم إنك أنت أجمع الأجمعين، بل اللهم إنك أنت أحسب الأحسبين، بل اللهم إنك أنت أذرئ الأذرئين، بل اللهم إنك أنت أحمد الأحمدين، بل اللهم إنك أنت أحرز الأحرزين، بل اللهم إنك أنت أخلق الأخلقين، بل اللهم إنك أنت أرزق الأرزقين، بل اللهم إنك أنت أرقب الأرقبين، بل اللهم إنك أنت أحفظ الأحفظين، بل اللهم

إنك أنت أسلم الأسلمين، بل اللهم إنك أنت أسبح الأسبحين، بل اللهم إنك أنت أظهر الأظهرين، بل اللهم إنك أنت أصنع الأصنعين، بل اللهم إنك أنت أطرز الأطرزين، بل اللهم إنك أنت أشهد الأشهدين، بل اللهم إنك أنت أفلق الأفلقين، بل اللهم إنك أنت أفتح الأفتحين، بل اللهم إنك أنت أكفى الأكفئين، بل اللهم إنك أنت أوتر الأوترين، بل اللهم إنك أنت أصور الأصورين، بل اللهم إنك أنت أكشف الأكشفين، بل اللهم إنك أنت أوفى الأوفئين، بل اللهم إنك أنت أورث الأورثين، بل اللهم إنك أنت أودد الأوددين، بل اللهم إنك أنت أوسع الأوسعين، بل اللهم إنك أنت أشرح الأشرحين، بل اللهم إنك أنت أدين الأدينين، بل اللهم إنك أنت أبعث الأبعثين، بل اللهم إنك أنت أغيث الأغيثين، بل اللهم إنك أنت أرئف الأرأفين، بل اللهم إنك أنت أعطف الأعطفين، بل اللهم إنك أنت أحول الأحولين، بل اللهم إنك أنت أشفق الأشفقين، بل اللهم إنك أنت أرفق الأرفقين

(٥)

بل اللهم إنك أنت أسكن الأسكنين، بل اللهم إنك أنت أعطى الأعطئين، بل اللهم كل لك وكل إياك يعبدون الواحد الأول.

يا هو بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا، وإن ما دوني خلقي، قل أن يا خلقي إياي فاعبدون، قد خلقتك ورزقتك وأمتك وأحييتك وبعثتك وجعلتك مظهر نفسي لتتلون من عندي آياتي، ولتدعون كل من خلقته إلى ديني، هذا صراط عز منيع، وخلقت كل شيء لك، وجعلتك من لدنا سلطانا على العالمين، وأذنت لمن يدخل في بيتي بتوحيدي وأقرنته بذكرك ثم ذكر ما قد جعلته حروف الحق بإذني وما قد نزلت في البيان من ديني، فإن هذا ما يدخل به

الرضوان عبادي المخلصين، وإن الشمس آية من عندي، ليشهدن في كل ظهور مثل طلوعها كل عبادي المؤمنين، قد خلقتك بك ثم كل شيء بقولك أمرا من لدنا إنا كنا قادرين، وجعلتك الأول والآخر والظاهر والباطن إنا كنا عامين، وما بعث على دين إلا إياك، وما نزل من كتاب إلا عليك، وما يبعث على دين إلا إياك، وما ينزل من كتاب إلا عليك، ذلك تقدير المهيمن المحبوب، وإنما البيان حجتنا على كل شيء يعجز عن آياته كل العالمون، ذلك كل آياتنا من قبل ومن بعد مثل إنك أنت حينئذ كل حجتنا، ندخل من نشاء في جنات قدس عظيم، ذلك ما نبدأ في كل ظهور من الأمر أمرًا من لدنا إنا كنا حاكمين، وما يبدع من دين إلا ما نبدع من بعد وعدا علينا إنا كنا على كُلٍّ قاهرين، وإنا قد جعلنا أبواب

(٦)

ذلك الدين عدد كل شيء مثل عدد الحول، لكل يوم بابا ليدخلن كل شيء في جنته الأعلى، وليكونن في كل عدد واحد في ذكر حرف من حروف الأولى لله رب السموات ورب الأرض رب كل شيء رب ما يُرَى وما لا يُرَى رب العالمين، وإنا قد فرضنا في باب الأول ما قد شهد الله على أنه لا إله إلا هو رب كل شيء وأن ما دونه خلق له، وكل له عابدون وأن ذات حروف السبع باب الله لمن في ملكوت السموات والأرض وما بينهما، كل بآيات الله من عنده يهتدون، ثم في كل باب ذكر اسم حق من لدنا وذكر أحد من حروف الحي بما رجعوا إلى الحياة الأولى محمد رسول الله والذين هم شهداء من عند الله، ثم أبواب الهدى، وخُلقوا في النشأة الأخرى بما وعد الله في القرآن إلى أن يظهر عدد الواحد في الواحد الأول فضلا من لدنا إنا كنا فاضلين، ذلك واحد الأول من الواحد المعدد يذكر في شهر البهاء، قد بدأنا ذلك الخلق به ولنعيدن كل به وعدا علينا إنا كنا على كل مقتدرين، ولقد

عددت الأعداد بذلك الواحد إذ بعد هذا لن يحصى، وقبل ذلك لم يكمل حروف الواحد في الآية الأولى، فقد حضروا بقرب أفئدتهم بين أيدينا، ولا يرى فيها إلا الواحد من دون عدد، كذلك يبين الله مقادير كل شيء في الكتاب لعل الناس في أيام ربهم يشكرون (يا هو جوهر مجرد اين واحد آنكه خداوند عز وجل هميشه بوده وهست در علو أزل وسمو قدم وخلق هم هميشه در صقع إمكان خودبوده وهست در

(٧)

در هر زمان خداوند جل وعز كتاب وحجتي أز يراي خلق مقدر فرموده وميفر مايد ودر سنة ١٢٧ از بعثت رسول الله كتاب را بيان وحجت را ذات حروف سبع قرار داده ودر واحد أول توحيد ذات وصفات وأفعال وعبادة را حكم فرموده وبدل براين باب را من يظهره الله وحروف حي أو قرار داده وقبل أز ظهور أو ذات حروف سبع قرار داده با حروف أولى كه سبقت در توحيد كوفيا وبعينه اين واحد همان واحد توانا است كه ظاهر وباطن وأول وآخر بوده وحجت بعد بعينه حجت قبل است كه فرقان باشد فرق اين است كه هزار ودويست وهفتاد سال كلمات ترقى بموده با ارواح انها ودرهر ظهوري حكم بالنسبة بظهور قبلي ميگردد چنانچه دراين ظهور در مقام تكبير أعظم از اسم حكيم آخر كه ذات حروف سبع بوده ظاهر شده كه بعدد هشت واحد مرات الله برمقعد خود بوده كه از شدت نارمحبت اوكسي را قدرت برقرب بهم نرسانده وآية شمس وحدت در وحدت قضا كشته هركس ايد)[٣]

(٣) يا من هو جوهر مجرد وهذا هو الله عز وجل الذي كان ويكون ولا يزال في علو قدره وسمو قدمه وسيكون الخلق في حيز الإمكان وفي كل زمان فقد أرسل الله للخلق كتابا وحجة بسبعة حروف وجعل في أوله توحيد الذات والصفات والأفعال والعبادة، ثم جعل هذه الحروف حية وقبل ظهوره جعل ظهور الحروف السبعة التي يسبقها التوحيد، وهذا هو الذات القدير الذي هو الظاهر والباطن والأول والآخر، والحجة الأخيرة =

شهد الله أنه لا إله إلا هو العزيز المحبوب له الأسماء الحسنى يسبح له من في السموات ومن في الأرض وما بينهما. لا إله إلا هو الحي المهيمن القيوم[٤] (واتلاوت[٥] وبعد بگويد[٦]) اللهم صل على ذات حروف السبع ثم حروف الحي بالعزة والجلال إيمان باين واحد أورده، الواحد الثاني يا هو بسم الله الأمنع الأقدس أن يا حرف (أبرء وليا)[٧]

(٨)

فلتشهدن على أنه لا إله إلا أنا قد نزلت في الباب الأول من الواحد الثاني أن اعرف قدرة ربك في الآيات، ثم اشهد ذكر اللانهاية في كل شيء، ثم عجز الناس عما نزل في البيان، فإن به يثبت ما يريد، ثم في الثاني لم يحط بعلم البيان إلا إياك في أخريك ثم أوليك، أو من شهد على ما أريد فيه فإن أولئك هم الفائزون، ثم في الثالث ما أذنت أن يفسر أحد إلا بما فسرت، قل كل الخير يرجع إليّ ودون ذلك إلى حرف النفي ذلك علم البيان إن أنتم تعلمون، ثم الخير نذكر إلى منتهى الذر في علم المتقين، ثم دون الخير في منتهى الذر بما تشهد على دون المخلصين، فلتقرئن آية الأولى إن أنتم تقدرون، ثم كل ذلك مثل هذا إن أنتم تعلمون، كل ذلك اسم الأقدس في آخر العود إن أنتم تشهدون، ذلك من يظهره (الله) أنتم إن

= هي عين الحجة الأولى ويعتبر فرقانا، والفرق هنا أن ألفا ومائتين وسبعين (١٢٧٠) سنة فقد تطورت الكلمات وامتزجت بأرواحها وفي كل ظهور حكمه مثل حكمه الأول مثل ما يكون في هذا المقام مقام تكبير عظيم الذي أخذ من اسم آخر وظهر من الحروف السبعة بأن الله كان في عرشه ثماني مرات ومن شدة حب الخلق له لا يستطيع أن يقترب إليه وآية الشمس أصبحت الوحدة في الوحدة لكل من جاء.

(٤) الفعل في النص الفارسي واقع في آخر الجملة.

(٥) ويتلو.

(٦) ثم يقول.

(٧) غير واضحة في أصل المخطوطة.

شاء الله توقنون، ثم في الرابع ما فرطنا في الكتاب من شيء إن أنتم بمن يظهره الله تؤمنون، ثم في الخامس ما نزل في البيان من حرف إلا (أن)[8] له روح أنتم بعلم البعد تحزنون، ثم بعلم القرب تفرحون إن تقرئن النفي[9] (لتنفينهم)[10] هذا ما يثمر عند الله إن أنتم تدركون، وإن تتلون الإثبات لتثبتنه هذا ما يثمر عند الله إن أنتم تقدرون، وإنما الأول اللذان أنتم بإذن الله تقرؤون كل الأحرف يرجع إليهما إن أنتم مبصرون، ولا تقولن لا إله إلا الله وأنتم عرش نور الإثبات لا تشرون، هذا أخذ الله عنكم، وهذا رضوان الله للمقربين، ثم في السادس ما نزلنا ذكر خير في البيان إلا لمن نظهره يوم القيامة بآياتي لعلكم إياه تنصرون، ولا من دون ذكر خير إلا لمن لا يسجد له لنجعلنه من الساجدين، وإن بمثل ذلك نزلنا القرآن ولكنكم كنتم عن مرادي محتجبون

(٩)

ذلك ما طاف الليل والنهار عليه ثمانية واحد، وأنتم به في العبادة تتوحدون وكنتم عن سره بعدما قد قضى لمحتجبون، ذلك ميزان الهدى في البيان إن أنتم به مؤمنون إلى حين ما يشرق شمس العلاء، ذلك من يظهره الله إن تعلمن به لمؤمنون، وأنتم في الرضوان خالدون وإلا أنتم فانيون، ثم السابع يوم القيامة على ما أنتم تدركون من أول ما يطلع شمس البهاء إلى أن يغرب خير في كتاب الله عن كل الليل إن أنتم تدركون، ما خلق الله من شيء إلا ليومئذ إذ كل لرضاء الله ثم للقائه

---

(٨) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٩) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(١٠) غير واضحة في أصل المخطوطة.

يعملون، وفي يوم القيامة يدرك هذا ظاهرا فلتنتظرن فإنا كنا منتظرين، ولكنكم لله تعملون، وقد قرب الزوال وإنكم أنتم ذلك اليوم لا تعرفون، ومن يكن لقائه ذات لقائي لا ترضن له ما لا يرضى نفس لنفس، فلتذكرن حرف الآخر ثم حدكم تعلمون، ثم الثامن قد فرضت الموت على كل شيء عند ظهوري عن دون حي، وما أبدأ من أمري فإن ذلك ما ينفعكم ويخرجنكم من النار إلى النور ذلك أفق الأعلى إن أنتم تدركون، ذلك موت في الحياة وإنه لحق لا ريب فيه، وإن موت الجسد مثل ذلك لموت إن أنتم كلتيهما في الحياة لتدركون، ثم التاسع إن حرف السين وكل من آمن به يوم القيامة كل يبعثون، قل إنه الحق لا ريب فيه، وإنه بما يقول النقطة يبعث ذلك من تقدير المهيمن القيوم، ثم العاشر ما سئل العبد عمن يظهر ذلك ما سئل في القرآن أنتم بالحق لتجيبون، ذلك قول الملك من عند الله إن أنتم بآيات الله توقنون، ذلك آيات من يظهره الله، ثم ظل التاسع مثل ظل العاشر تستدلون

(١٠)

ثم الواحد من بعد العشر أن البعث مثل القبر حق يبعث الله من[ ][١١] عن أنفس الأحياء من خلقه بما يحكم مظهر نفسه كذلك أنتم يوم القيامة بما ينطق من يظهره الله تبعثون، ثم الثاني من بعد العشر ذكر الصراط لحق وأنتم به لتمرون، ذلك أمر من يظهره الله إن أنتم يوم الظهور به تعلمون، قل كل من قبل انتظروا يومي، فإذا ظهرت بما هم به دينهم يثبت فإذا عند الصراط كل واقفون، ذلك في الحق إن أنتم تدركون، ثم الثالث من بعد العشر ذكر الميزان ذلك نفس من يظهره الله يتقلب الحق معه مثل ما تتقلب الظل مع الشمس، فإذا بعد الغروب

(١١) بياض بالأصل.

أنتم بالبيان والشهداء لتوزنون، ثم الرابع من بعد العشر ذكر الحساب بمثل الميزان الحق وكل ما أنزل في البيان ذلك ما يحاسب الله الناس وكل شيء أن يا عبادي فاتقون، ثم الخامس من بعد العشر أن الكتاب لحق ذلك لقول الله من لساني إن أنتم بالحق توقنون، ثم السادس من بعد العشر أن الجنة حب الله ثم رضائه، وإن ذلك حق لا عدل له إنا كنا فيها خالدين، ما ينسب إلي في الجنة ذلك ما ينسب إلى من يظهره الله فلا تدخلون، وإنما النار قبل أن يبدل بالنور نار الله ذلك من يظهره الله قبل أن يعرفكم نفسه أنتم في نار الحب تدخلون، فإنه لحق لا كقوله إن دخلتم فإذا أنتم كل الخبر تدركون، ثم السابع من بعد العشر ذكر (نار)[١٢] من حب ذكر من لم يؤمن بمن يظهره الله ذلك من لا آمن من قبل من ينسب إليه ما ينسب إلى النار أن يا عبادي فاحذرون، ثم الثامن من بعد العشر الساعة أنتم بها فسر الله في الكلمة إن يشاء الله لتوقنون، ثم التاسع من بعد العشر ما نزلت في البيان حديقة ذات عزة إلى من يظهره الله لعلكم بآياته تؤمنون، الواحد الثالث يا الله بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا وأن ما دوني لو يهتدي بهداي كمثل مرآة يرى فيها شمس طلعتك ذلك خلقي، قل أن يا خلقي إياي فاتقون، وإنما الأول من الواحد الثالث ما أنتم به توقنون، ما يذكر به اسم شيء ملك لي وما تملكت ذلك ما أملك، قل أن يا خلقي في الظهور الآخرة من

(١١)

ملكي إياي فاملكون، ثم الثاني ما أنطق به حق يخلق به ما أشاء إن حق فحق، وإن دون حق فدون ذلك، ذلك ما تنطق إذ كل نفي وإثبات قد كون ثم ظهر بها نطق، قل أن يا عبادي فاتقون، ثم الثالث إذا نظهرنك يوم القيامة بها

(١٢) غير واضحة في أصل المخطوطة.

أبعث من قبل، نرفع ما نزلت من قبل حين ما تأذن وإنا كنا صابرين، ثم الرابع ما ننزل عليك في أولئك فكن من الشاكرين، وإن فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الإنجيل؛ ذلك فضل محمد على عيسى، قل أن يا عبادي ظهوري في أخراي تنتظرون، ثم الخامس إن قيود الواحد يرفع أو نازل في يوم ظهوري إذ بقولي قد وقع من قبل أن يا عبادي إليَّ فترجعون، ثم السادس ما يذكر به اسم شيء من دون خلق له ولم يكن بينهما ثالثا قل إني لحق وإن ما دوني قد خلق بي إن يا عبادي ظهوري في أخراي تدركون، ثم السابع لن يدركني خلقي ليراني وكل ما نزلت من ذكر لقالي، ذلك إياك في أخريك وأولاك، قل ذلك أعظم الجنات إن أنتم بعد الفرقان تدركون، قل ما تنظرن إلى شيء في حبي إلا وأن تدركن ما في ذلك من رضائي إن يا عشاقي إلى من نظهره بالحق تنصرون، ثم الثامن ما قد خلقنا من كل شيء في البيان أنتم إليه تنظرون، ثم التاسع ما في البيان قد نزل في الهياكل الواحد أنتم تلك الآية تقرؤون، شهد الله أنه لا إله إلا هو الرحمن رب الكرسي المنيع، الله لا إله إلا هو المهيمن القيوم، الله لا إله إلا هو الملك السلطان القاهر الظاهر الفرد الممتنع، له الأسماء الحسنى يسبح له من في السموات والأرض وما بينهما، قل سبحان الله عما أنتم تشركون، الله لا إله إلا هو الحق العالم القائم القادر له الأسماء الحسنى يسجد له من في السموات والأرض وما بينهما وهو العزيز المحبوب، ثم العاشر ما فيها في تلك الآية أنتم عدد كل شيء ذا تجدد الروح والريحان تقرؤون وإلا أنتم تصمتون ثم تتفكرون شهد الله (أنه لا إله إلا هو له)[١٣] الخلق

(١٣) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(١٢)

والأمر يحيي ويميت ثم يميت ويحيي، وأنه هو حي لا يموت في قبضته ملكوت كل شيء يخلق ما يشاء بأمره إنه كان على كل شيء قديرا، ثم الواحد من بعد العشر ما نزل فيها في الآية الأولى بسم الله الأمنع الأقدس أنتم إلى حروف الواحد تنظرون، ثم الثاني من بعد العشر ما فيها في النقطة حرف الأول تدركون ذلك من يظهره الله وحروف الحي عنده كمرآة عند الشمس بمثل ذلك أنتم في كل الأسماء والصفات تستدلون، ذلك جوهر البيان يذكر نفسه من عند ربه ما أنتم إياه تذكرون، إنني أنا الله لا إله إلا أنا الملك الظاهر السلطان قل ما دوني خلقي كل إياي يعبدون، قل الله ربي وأنتم أن يا كل شيء لا تشركن بالله ربكم أحدا ولا تدعون مع الله ربكم الرحمن شيئا، ثم الثالث من بعد العشر لا تسألني في أولاي ولا في أخراي إلا في كتاب وليتعلمن كل واحد منكم في مساكنكم لعلكم تتأدبون، ثم الرابع من بعد العشر أن تحفظن كل ما نزل في البيان كطلعة طرز في ألواح مقطعة لا تكتبن ما يغير طرزه، ثم في أعلى الجلد تحفظون، ومن يكن عنده حرف دون ما ينبغي لعزته يحجب عمله فلا تكونن من المحتجبين، ثم الخامس من بعد العشر أن تؤمنن بمن نظهرنه يوم القيامة فإنكم أنتم بي وآياتي في كل العوالم كنتم مؤمنين وإلا استغفروه ثم كنتم إليه لتائبين، ثم السادس من بعد العشر لا تعملن إلا بما نزلناه عليك ولا تأمرن إلا به، قل إنه لشمس أن يجعلنكم وآثاركم مرآة ترون فيها ما أنتم تحبون إذ أنتم بالحق لقائلون، ثم السابع من بعد العشر لا تكتبن آثاري إلا على أحسن خط على ما أنتم عليه لمقتدرون، وإن يكن عند أحد حرفا دون أعظم خط عنده يحبط عمله إلا الصبايا حين ما يتأدبون، ثم الثامن من بعد العشر من ينشئ كلمات لله، قل خذ لنفسك على أجذب خط ثم

تهب من تشاء، فإن ذلك قسطاس حق متين، ثم التاسع من بعد العشر أن يا عبادي فاصرفوا من ملكي فيما نزل علي على

(١٣)

ما أنتم عليه لمقتدرون إن تجدن من يكن بهاء خطه الأرض وما عليها فلتأتوه حتى يكتب اسمي المهيمن القيوم، وكل ما أمرتكم على أعلى الخط لم يكن إلا لتحسنن بالأرواح الحروف، ذلك ذرياتكم فلتجمعن بين الحسبين ثم إياي فاشكرون، الواحد الرابع يا الله بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأعظم الأعظم قد خلقتك وجعلت لك مقامين هذا مقامي لن يرى فيه إلا إياي ومن هذا تنطق عني على أنني أنا الله لا إلا إله إلا أنا رب العالمين، ومن هذا تسبحني وتحمدني وتوحدني وتعبدني ولتكونن لي من الساجدين، هذا واحد الأول من الرابع، ثم في الثاني قل ما يرجع إلي يرجع إلى الله ربي وما لا يرجع إلي لن يرجع إلى الله ثم الأمر في شئونه ترجعون، ثم في الثالث لن أعبد مثل ما يعبدني بالبداء ذلك ذات بدائك في أخراك وأولاك حين ما تقلب في بطن أمك لو لم تتقلب بها تقلب ما أيقن ببدائي، وإنك واحد ما خلقت لك من كفو ولا عدل ولا شبه ولا قرين ولا مثال؛ كذلك أخلق ما أشاء وإنني أنا لقادر العلام، ثم في الرابع قد خلقت جوهر كل شيء في هيكل الإنسان، وجعلت كل ذات هيكل لمن نظهرنه، قل إني أولى بكم من أنفسكم إليكم أن يا عبادي إلى موليكم تنظرون، ثم في الخامس كل الدواير آيات رقية لي إن هن إياي يعبدون، قل إياكن وإياكم إلى من نظهره تنظرون ذلك محبوبكم كل بالليل والنهار إياه تريدون، ثم السادس أني لا أسأل عما أفعل وكل عن توحيدي ومن نظهره يسألون، وجعلت من نظهره من بعد مظهر ذلك قل إن تسألنه عما يفعل فكيف أنتم بي مؤمنون؟ وإنه ليسألنكم عن

كل شيء فلا تكونن إلا بالحق مجيبون، ثم السابع كل مني بك يبدؤون وكل بك إلي ليرجعون، ثم الثامن كل بآياتك وما نزل من عندك يخلقون ويرزقون ثم يميتون ويحيون، ثم التاسع من يطلع من البيان بملك ذلك مظهر قهري، قل فاجعلني اللهم من أقهر القاهرين، ولنكتبن اسمك وما تعمل لا جزيتك في

(١٤)

رجعي على حسن ما كنت من العاملين، ولتدبرن ليوم الظهور تدبرا لا بحزن الحق وقد أمرنا أن (يعملن)[١٤] بذلك كل المؤمنون، ثم العاشر لا تتعلمن إلا بما نزل في البيان أو ما ينشئ فيه من علم الحروف، وما يتفرع على عمل البيان، قل أن يا عبادي تتأدبون ولا تخترعون ثم تحفظون على أنفسكم ثم تتصنعون، ثم الواحد من بعد العشر أن لا تتجاوزن عن حدود البيان فتحزنون ولا تحزنن من نفس، فإنه لأعظم حد لعلكم من نظهره لا تحزنون، ومن يتجاوز لن يحكم عليه بالهدى، وما يأتي بالهدى إلا من نظهره بالهدى قل أن يا أولي الهدى بهداي تهتدون، ثم الثاني من بعد العشر أن يا عبادي فلتنزلن بقاع الأرض ثم ما فيها في الواحد تصرفون، ثم الثالث من بعد العشر أن يا عبادي فلترفعن مقاعد الواحد على ما أنتم لمقتدرون، ثم الرابع من بعد العشر أن يا عبادي إن تستجيرن بتلك البقاع لتأمنون عند الناس وهم عليكم لا يسلطون، ذلك لتستجيرن يوم القيامة بمن بعث من مرقده لا مثل يومئذ بهم تستجيرون وعليهم تفعلون، ما ينفطر السموات والأرض وما بينهما حين ما يسمع، فما لكم كيف لا تعلمون، ثم في الخامس من بعد العشر فلا تمنعن أحدا إذا استجار بالله ثم بالحروف الحي حين الظهور في الأخرى وقبل ذلك في الأولى تحكمون، وأن بمثل ذلك إذا استجار

(١٤) غير واضحة في أصل المخطوطة.

بأحد أحد لو يقتل في سبيله خيرا عند الله من أن يرد وأن يا عباد فتجيرون، ثم السادس من بعد العشر أن يا عبادي إلى بيتي تصعدون ذلك بيت من يظهره الله، ذلك بيتي فلا تشترن ما في حوله على قدر ما أنتم تستطيعون أن ترفعون، ثم السابع من بعد العشر في حول البيت والمسجد لله فلا تبيعون ولتجعلن كلكم في حد ملككم ما كل يستطيعون أن يعلمون أخباركم ثم الذين يتجرون ما يحبون أن يكتبون، (وإن)[15] مسجد محرم ما (يؤيد)[16] من يظهره الله عليه ذلك ما ولدت عليه كل مقعد أحمد ذكري يدخل فيه، ثم هناك لتصلون ولا تعرجن إلى بيتي ولا المقاعد إلا وأنتم تملكن ما في السبيل لا تحزنون، ومن يقدر أن يدخل عليّ أو على البيت (فإنه)[17] يعفى عنه، ذلك لتدخلن على من نظهره ثم في البيت

(١٥)

لله ربكم ولتخضعن له ثم لتعبدون، ثم الثامن من بعد العشر إن وفّقتم على ما أنتم تحبون من حج بيتي فلتؤتين مظاهر الواحد على سرائرهم أربع مثقال من الذهب إن هم على منتهى الحب للحب بكم يسلكون، وقد عفونا عمن لا يقدر، ومن يملك ومن يخدم ومن يتبع أو يبتلى لعلهم يشكرون؛ ذلك لتعرفن رب البيت ثم أنتم من باب البيت تدخلون، ذلك من يعلمكم علم باطن الباطن للظاهر الظاهر، ذلك إياي في أخراي أن يا عبادي فاعرفون، ذلك لتعرجن إلى من نظهره إن كان إياه ثم أنتم لبيته تصعدون، فكيف أنتم لنفسه لا تصعدون حينئذ كل إلى بيتي من قبل يصعدون، وهم عمن جعل البيت بيتا محتجبون، ثم التاسع من بعد العشر لو لا يحزن النساء لأنهيهن عن صعودهن لما يتصعبن في السبل إلا من

(١٥) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(١٦) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(١٧) غير واضحة في أصل المخطوطة.

يكن في أرض البيت، فإنهن إذا شئن يدخلن البيت في الليل ثم على سرائرهن عند مظاهر الواحد يستوون، وبذكر ربهن الذي خلقهن ثم إلى مساكنهن يرجعن وأن يراقبن حب أزواجهن وذرياتهن خير لهن، فلا تقربن ما تحزنن فإنكن قد خلقتن لأنفسكن، ثم لذرياتكن فلا تختارن الأسفار لتبلين ولتشكرن الله بها تعفون والله علام حكيم، إن يا مظهر الواحد في الألف والياء لأسألن عن نفس، فإنها يعرف حكمها ثم بين يدي من جعلكم حفاظ البيت تسجدون، وإني لأدخلن البيت وأنتم لا تعرفون فلتحسنن بكل من يدخل بيتي لعلكم إياي تدركون، الواحد الخامس يا الله، بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأقدم الأقدم، قد نزلت في باب الأول من الخامس أن ترفعن المسجد مقعد ما ولدت علياء على ما أنتم عليه لمقتدرون، ثم الثاني أنتم بإذني ترفعون مساجد الحي ثم عدد المصباح فيها ما أنتم تحبون لتحصون

(١٦)

ثم الثالث قد جعلنا الحول تسعة عشر شهرا لعلكم في الواحد تسلكون، ثم الرابع أنتم بأسمائي لتسمون، وقد جعلناك بهائي، قل أن يا خلقي إياي فاقصدون، ولتسمن باسم محمد وعلي وفاطمة ثم مهدي وهادي، وقد جعلنا لكل حرف من اسمك اسما، قل كل لي وإني لله ربي وما من إله إلا الله ذلك سلطان العالمين، ذلك محبوب العالمين، ذلك ملاك العالمين ذلك مقصود العالمين، ذلك معبود العالمين، ذلك مطلوب العالمين، ذلك إلهكم ومليككم ثم ربكم وملككم ثم سلطانكم ومالككم ثم موصوف العالمين، ثم الخامس فلتأخذن من لم يدخل في البيان ما ينسب إليهم ثم إن آمنوا لتردون إلا في الأرض التي أنتم عليها لا تقدرون، ثم السادس أن يفتح أرض في البيان يؤخذ عنه ما لم يكن له عدل لمن أمرتم ويحفظ

نفسه إن لم يتغير عند من يتجروا لا يتجر عني من بهائه وبأخذ حقه من كل ألف يبيع ويشتري مئات فضلا من لدنا لمن نظره بالحق وإنا كنا حاسبين، ثم يؤخذ بهاء البهاء ويحفظ للحروف الأولى عند المؤمنين، ثم يؤخذ الواو للشهداء ثم يزوج به في البيان الذين هم لا يستطيعون، ثم يصرف الملك كيف يشاء ثم يؤتي كل ذي حق حقه من جنده، وإن زاد من شيء يصرف في المقاعد المرفوعة أو يؤتي كل المؤمنون، ذلك أقرب في كتاب الله حتى وإن يكن نفسًا في أرض يؤتى شيئا منها فضلا من الله إنه هو الفضال الكريم، ثم السابع كل ما يدخل في الدين وما يملك الذين آمنوا من دونهم يطهر حتى ما هم يملكون فضلا عليك إذا اتجرت في أخراك ثم العالمين، قل إذا نسب الشيء إلى من آمن بالبيان يطهر في الحين أن يا عبادي فاشكرون، ولتشترن ما تحبون من كل أرض لعلكم شيء اللطيف لتملكون

(١٧)

ثم الثامن فلتقرؤن البيان ثم من ذلك البحر لئاليها تأخذون ولا تنقصن من تسعة عشر آية، وإن لم تتعلمن تقولن الله الله ربي ولا أشرك بالله ربي شيئا إن لم تضرن في يوم رجعي من أحد، فإذا كنت في قولك لمن الصادقين ولا ينفعك هذا أن تسمع ذكر ظهوري ثم تكونن من القاعدين، ثم التاسع فاذكرني بحروف كل شيء بما تذكر من اسمي، ولو كنت بها تحفظن على قلبك من اسمي من الملتفتين، ثم العاشر قد وهبتك الهياكل والدوائر ومننت عليك بذلك، قل كل البيان فيهما لتكتبون على سبل تستطيعون أن تقرؤون، ثم الواحد من بعد العشر فلتعظمن على المولود خمس مرة قائما، وأنتم بعد كل مرة لتقولون تسع عشر مرة إنا كل بالله مؤمنون ثم إنا كل بالله موقنون، ثم إنا كل بالله لمبدئون، ثم إنا كل بالله لمعيدون ثم إنا كل بالله لمرضيون، ثم على الميت ستة مرة ثم تقولون تسعة عشر مرة إنا كل لله

عابدون، ثم بعد ما عظمتم الله في الأولى إنا كل لله ساجدون، ثم إنا كل لله قانتون، ثم إنا كل لله عاملون، ثم إنا كل بالله مخلصون، ثم إنا كل لله حامدون، ولتدفنن في (أملود)[١٨] أو الحجر المثقل لعلكم تسكنون، ولتجعلن الخاتم في يمينه تنقش عليه (آياته)[١٩] التي أمر بها لعلكم تستأنسون، قل المرء يكتب لله ما في السموات والأرض وما بينهما والله علام مقتدر ومنيع، قل (المرثا)[٢٠] تأمر بما نزل في كتاب عظيم ولله ملك السموات والأرض وما بينهما والله علام مقتدر منيع، ثم الثاني من بعد العشر أنتم شيء من تربة الأول والآخر مع الموتى تدفنون

(١٨)

ثم الثالث من بعد العشر أنتم كتاب وصية إلى من نظهره تكتبون، ذلك ما تكتبون إلى الله إن أنتم به توقنون، ثم الرابع من بعد العشر يطهركم اسم الله إذا تقرؤون الله أطهر ستة وستين مرة ثم النقطة وما يشرق من عندها من آيات الله ثم كلماته إن أنتم بها توقنون، ثم من يدخل في الدين، ثم ما يبدل كينونيته ثم النار والهواء والماء والتراب، ثم الشمس إذا تجففت أن يا عبادي فاشكرون، ثم الخامس من بعد العشر ماء الحيوان طهر أنتم به تخلقون، فلتلطفن أبدانكم عن ذلك لعلكم تتلذذون، ثم السادس من بعد العشر كل شيء لم يكن له عدل لله ذلك لمن يظهره الله من كل شيء على عدد الواحد أن يا عبادي إليه لتبلغون، وإن غربت الشمس فليمكن مني نفسكم يوم ظهوري لتردون، ثم السابع من بعد العشر فلتقولن في كل يوم تسعة وتسعين مرة الله أعظم ثم إياي فاتقون، ثم الثامن من بعد العشر فلتأخذن بالبيع والشرى كل عبادي إذا علموا الرضاء بينهم

(١٨) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(١٩) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢٠) غير واضحة في أصل المخطوطة.

ثم الذين هم يتجرون ما هم بالأجل يريدون ثم الحين ينقصون، ثم التاسع من بعد العشر ما أنتم تحسبون المثقال تسعة عشر حمص من الذهب والفضة، ويجعلن الملك بهاء الأول عشرة ألف دينار، ثم الثاني ألف دينار وإن يصغر كل واحد فلا يخرج عن حد الحمص وأنتم بدونها لا تصرفون في ملككم وليس لمن يصغره من شيء ولا لمن لم يبلغ عنده مقدار كل كل واحد منهما خمسمائة وأربعين مثقالا ولم يتم حولا فضلا من لدنا

(١٩)

لعلكم تشكرون، ثم بعد ذلك إن وحدتم ملكا لن يتجاوز عن حدود البيان إليه لتبلغون من كل مثقال ذهب خمس مائة دينار ومن كل مثقال فضة خمسين دينار لعل يوم ظهوري بنصر دين ربه ولم يضطر أن يأخذ قدر قيراط من دون حق، فإذا لك ضعف الخراج لو كنت من المتقين ولا يسأل الناس كتّابه لئلا يحزن من نفس إلا وإنهم يعلمون بأنهم لا يعطون لأنهم يحسبون أنفسهم، بل قد أمرت أن يحيطن كل نفس من حين ما يتولد إلى أن يقبض ما يملك من كل شيء بهائه ليكونن من الشاكرين ما قد أذنت لم يكن إلا من حق من يظهره الله قد أذنت لعبيده لعلهم يستحيون عنه، وهم لا يحكمون عليه ولا يحزنون ولا ذلك من حقي وحق أسمائي التي لن يرى فيها إلا إياي أن يا خلقي على حروف الأولى لتصلون، الواحد السادس يا الله، بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا أغيث الأغيث قد نزلت البيان وجعلته حجة من لدنا على العالمين، فيه ما لم يكن له كفو ذلك آيات الله، قل كل عنها يعجزون فيه ما لم يكن عدل ذلك ما أنتم به تدعون فيه، ما لم يكن له شبه ذلك ما كنا فيه لمفسرين ذلك الألف بين البائين أنتم بالباب تدولون فيه ما لم يكن له قرين، ذلك جوهر العلم والحكمة أنتم به تجيبون فيه ما

لم يكن له مثل ذلك ما ينطق به الفارسيون وأنتم في الواحد لتعظمون، ولا تكتبن السور إلا وأنتم في الآيات

(٢٠)

في الآيات على عدد المستغاث لا تتجاوزون، ومن أول العدد إذن لكم إن يا عبادي لتدقون، وأذنت أن يكون مع كل نفس ألف بيت مما يشاء (يستلذن)[٢١] به حين ما يتلو وكان من المحرزين، قل إنما البيت ثلاثين حرفا أنتم إن تعربون لتحسبون على عدد الميم ثم على أحسن حسن تكتبون وتحفظون، ذلك واحد الأول أنتم بالله تسكنون، ثم الثاني أنتم في كل أرض بيت تبنون، ولتلطفن كل أرضكم وكل شيء على أحسن ما أنتم عليه مقتدرون لئلا يشهد عيني على كُره أن يا عبادي فاتقون، ذلك أقرب من كل شيء إن أنتم تعلمون، ثم الثالث فلا يسكن في أرض الخمس إلا عبادي المتقون، ثم الرابع فلتسلمن وأنتم تقولون الله أكبر ثم تجيبون الله أعظم ثم (المرأة)[٢٢] الله أبهى ومن يحب الله أجمل ثم إياي تتقون، ثم الخامس إنما الماء طهر طاهر مطهر في الكأس حكم البحر تشهدون، ثم السادس فلتمحون كل ما كتبتم ولتستدلن بالبيان وما أنتم في ظله تنشئون، ثم السابع (تفترئن)[٢٣] الباء بالألف بما قد نزلناه في الكتاب ثم إياي فاتقون، قل في المدائن خمسة وتسعين مثقالا من الذهب ثم في القرى مثل ذلك في الفضة إلى أن ينتهي إلى تسعة عشر مثقالا بما ينزل عدد

(٢١) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢٢) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢٣) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢١)

الواحد إذا وُجد الرضاء بينهما، ثم عن الانقطاع تنقطعون، ثم بالارتفاع ترتفعون وليمهرن كل واحد منهما، ثم كل يقولون إنا كل لله راضيون، ولقد جعل الله كل جواهر الأرض مهر خلقت لمن يظهره ذلك من فضل الله عليه ليكونن من الشاكرين، ثم الثامن لا تستدلن إلا بالآيات فإن من لم يستدل بها فلا علم له، فلا تذكرن معجزة دونها لعلكم يوم ظهوري في الحين لتؤمنون ولتقرئن ذلك ولتجعلنه ملء أعينكم لعلكم يوم ظهوري لا تحتجبون، ثم التاسع أنتم لباس الحرير ليلة العيش تلبسون، وإن استطعتم دونه لا تلبسون، وأنتم أسبابكم التي بها في سركم لتعيشون، من الذهب والفضة تصنعون، وإذا ما وجدتم ذلك في شأن لا تحزنون، فإنني أنا ربكم لآتينكم في أخراكم إن أنتم بي وآياتي تؤمنون، ثم العاشر فلتجعلن في أيديكم عقيق حمر أنتم عليه لتنقشون، لتشهدن بذلك على أن من نظهره حق لا ريب فيه وكل له يخلقون، قل الله حق وإن ما دون الله خلق وكل له عابدون، ثم الواحد من بعد العشر، قل أن يا محمد معلمي فلا تضربني قبل أن يقضى علي خمس سنة ولو بطرف

(٢٢)

عين فإن قلبي رفيق رقيق، وبعد ذلك أدبني ولا تخرجني عن حد وقري وإذا أردت ضربا فلا تتجاوز عن الخمس، ولا تضرب على اللحم إلا وأن تحل بينهما سترا، فإن تعديت يحرم عليك زوجك تسعة عشر يوما، وإن لم يكن لك من قرين فلتنفق بها ضربته تسعة عشر مثقالا من ذهب إن أردت أن تكونن من المؤمنين، ولا تضرب إلا خفيفا خفيفا، ولتستقرن الصبايا على سرير أو عرش أو

كرسي، فإن ذلك لم يحسب من عمرهم ولتأذنن لهم بها (هم)[24] يفرحون، فلتعلمن خط الشكتسة، فإن ذلك ما يحبه الله وجعله باب نفسه للخطوط لعلكم تكتبون على شأن تذهبن به قلوبكم من سكره ويجعلنكم ماء لمن نظهرنه إذا ينظر إليه أنفسكم يجذبكم مثل ما كنا كاتبين، وقد أقرنتك بمن (ترب)[25] لئلا يحزن عرش ربك في صغره، وكل به لا يحزنون، قل لو شهدت لأقطع عنك ما وهبتك من ملكي أن يا عبادي فاتقون، ثم الثاني من بعد العشر فلا (يقرن)[26] الطاء والقاف وإن يضطرن فيصبرن حولا لعلكم بالواحد تتحببون وإلا أذن لهما أن يرجعا تسعة عشر مرة بعد أن يصبر شهرا لعلكم في ظل أبواب دون الحق لا تدخلون، ثم الثالث من بعد العشر فلا تجعلن بين النقطة فوق خمسة وتسعين بابا ولا أبواب بيوت الحروف فوق خمسة أن يا عبادي في ذلك كل العلم تستدلون، ثم الرابع من بعد العشر

(٢٣)

أنتم يوم الله الأعظم عدد كل شيء تقولون: شهد الله أنه لا إله إلا هو العزيز المحبوب، وأن تكونن في روح إلى ذكر القدرة تختمون، ثم في ليله من آلاء الله تسعة عشر عدة بين أيديكم لتحصون إلى عدد المستغاث إذن لمن يقدر ولا تحزنن إذ أنتم لا تستطيعون، فإن عند الله على العرش كان واحدا قل إياي فاشكرون، قل ذلك يوم النقطة ثم عدد الحي للحي ثم شهور الحي أنتم في بحر الخلق تصعدون، ثم الخامس من بعد العشر فلتقومن أنتم كلكم أجمعون إذا تسمعن ذكر من نظهره باسم القائم، ولتراقبن فرق القائم القيوم ثم في سنة التسع كل خير تدركون، ثم السادس من بعد العشر فلا تسافرن إلا لله وأنتم تستطيعون إلا عند ظهور الحق،

(٢٤) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢٥) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٢٦) غير واضحة في أصل المخطوطة.

فإن عليكم أن تسافرن إليه فإنكم قد خلقتم لذلك، ولو أنتم بأرجلكم لتمشون، وليس عليكم فرضا إلا زيارة البيت ثم مقعد النقطة إذا استطعتم، ثم مقاعد الحي والمساجد إن تستطيعون، وإن أردتم التجارة فلا تطولن في البر إلا حولين ولا في البحر إلا خمس حول، وإن جاوز من أحد فليؤتين قرينه اثني ومائتي مثقالا من ذهب إن استطاع، وإلا من فضة إلا وترفعن قرينكم معكم لعلكم في البيان نفسا لا تحزنون ومن يجبر أحدا في سفر ولو كان قدما أو

(٧٤)

يدخل في بيت أحد قبل أن يؤذن أو يريد أن يخرجه من بيته بغير إذنه أو يطلبه من بيته بغير حق، فيحرم عليه زوجته تسعة عشر شهرا وأن يتجاوز من أمر الله في ذلك من أحد فعلى شهداء البيان أن يأخذ عنه خمس وتسعين مثقالا من ذهب، ومن أراد أن يجبر على أحد فعلى من علم ويقدر ولو كان بعد سنة فرض أن يحضر ويمنعه، ومن لم يحضر بعد أن يقدر فيحرم عليه زوجته تسعة عشر يوما، ولا يحل عليه إلا وينفق تسعة عشر مثقالا من ذهب إن يقدر وإلا من فضة ذلك أن لا يظلم نفس في البيان، ومن يرفع صوته بغير حق يخرج عن حد الإنسان أن يا عبادي فاتقون، ثم السابع من بعد العشر ما يخرج من (الجيوب)[٢٧] فلا تحذرن إلا وأنتم تحبون أن تلطفون، ثم الثامن من بعد العشر حرم عليكم في دينكم النظر بعضكم إلى كتاب بعض إلا لمن أذن أو علم أنه يرضى لعلكم تستحيون ثم تتأدبون، ثم التاسع من بعد العشر فرض عليكم في دينكم أن تجيبون من يكلمكم تقول يدل على لا أو بلى ومثل ذلك إذا يكتب أحد إلى أحد كتابا فرض عليه على

(٢٧) غير واضحة في أصل المخطوطة.

أن يكتبن جوابه بأثره إذ استطاع وإلا أثر غيره ومن يرد كتابًا أو يضيعه أو يقدر أن يوصل إلى أحد ولا يوصل لم يكن عند الله من العابدين

(٢٥)

الواحد السابع بسم الله الأمنع الأقدس، إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأعدل الأعدل، قل ولتجددن البيان ثم كل كتبكم إذا قضى على عدد اسم الله لمن يقدر وعدد اسم الراء والباء لمن لا يقدر لعلكم شؤون الآخرة تدركون إذا يكن الثاني خير وإلا الأول خير له، وإن لم يجد مثل خطه فلا يغيره وبعد ما غير الأصل تنفقون أو في الماء العذب تسترون ولتطرزن كتبكم من أول الأبجد إلى ذكر الأبد لعلكم تشكرون ذلك واحد الأول، ثم أنتم في الثاني لله ربكم تعملون كل ما تعملون أن تعملن لمن نظهره بالصدق أنتم لله عاملون، وإلا لو تعملن كل خير أنتم في النار ولم يكن لله ولو أنتم لا تقصدون، ثم الثالث دينكم حين ما تستطيعون لتردون وأنتم في كل واحد كتاب إثبات لمن نظهره بعضكم إلى بعض تكتبون لعلكم يوم ظهوره بها تكتبون لتعملون، ثم الرابع أنتم في كل حول شهرا باسم الله تخلصون لعلكم يوم ظهور الحق إياه تجيبون، ولا يخرج عن أفواهكم إلا اسم واحد وإن كسبتم وكلمتم بدونه لا جناح عليكم، قل كل لله وكل على الله يدلون، ثم الخامس حين ظهور الله ذا حضر من نفس ينقطع عند العمل إلا بما أمر أن يا عبادي فاتقون، فإنه لو يجعل ما على الأرض نبيًّا ليكونن أنبياء عند الله ولكن لن يحصى إلا من يشاء والله علام حكيم، ثم السادس فلا تحملن أسباب الحرب بينكم ولا تلبسن ما يخاف به الصبايا لعلكم

(٢٦)

من نظهره بالحق لا تحزنون، ثم السابع إن أدركتم ما نظهره أنتم من فضل الله تسألون، ليمنن عليكم باستوائه على سرائركم فإن ذلك غير ممتنع منيع أن يشرب كأس ماء عندكم أعظم من أن يشربن كل نفس ماء وجوده بل كل شيء أن يا عبادي تدركون، ثم الثامن في كل شهر واحد في واحد من ذكر اسم ربكم الله أعظم تملؤون على أحسن خط وإن قضى عنكم يقضي وراءكم لعلكم يوم ظهور الله بالواحد الأول تؤمنون ثم لتكثرون، ثم التاسع من يبعث في ذلك الدين من الملك يبني بيتا لله على أبواب خمسة ثم تسعين في تلقائه على أبواب تسعين لمن نظهره ليشهدن الطين من عنده على أن الملك لله؛ لأن يشهد بها يعمل قدر ما يشهد الطين من عنده أن يا عبادي فاتقون، ثم العاشر فلتحرزن ذرياتكم بهيكل عز فيه من اسم الله عدد المستغاث لعلكم يوم القيامة بذلك الاسم لتنجون، ثم الواحد من بعد العشر أنتم على الكرسي تدرسون وتخطبون أيام العز والحزن ثم إياي فاتقون، ثم الثاني من بعد العشر إن عملتم لمن نظهره فلا تبطلن أعمالكم بأن تشركن بالله وأنتم لا تعلمون، ثم الثالث من بعد العشر أن تملكن من نفس الله تسعة عشر آية بأثره خير لكم من كل فضل إن أنتم قدر آيات الله تعلمون ما خلق الله شيئا أعز من هذا إن أنتم إلى سر الأمر تنظرون، ثم الرابع من بعد العشر حرم عليكم في دينكم أن تتوبون عند أحد إلا عند من نظهره أو ما أذن

(٢٧)

ولكنكم تستغفرون الله ربكم السلطان ثم إليه لتتوبون، ثم الخامس من بعد العشر أنتم عند باب مدينة من يظهره الله تسجدون مثل ذلك ما قد ظهر لعلكم إياي تتقون إن لم تخافون، ثم السادس من بعد العشر نزل على ملك يوم

الظهور أن يكتب ما ينزل من عند النقطة، ويعرضن على العلماء ليظهر عجزهم على من على الأرض ولا يجعل على أرضه من لم يؤمن به ومثل ذلك قبل أن يظهر في البيان إلا الذين هم يتجرون في ملكهم، قل أن يا عبادي إياي فاتقون، ثم السابع من بعد العشر فلتقولن يوم الجمعة في تلقاء الشمس تلك الآية لعلكم يوم القيامة بين يدي شمس الحقيقة لتقولون، إنما البهاء من عند الله عليك يا أيتها الشمس الطالعة فاشهدي على ما قد شهد الله على نفسه أنه لا إله إلا هو العزيز المحبوب، ثم الثامن من بعد العشر من يحبس أحدا يحرم عليه أزواجه وأن يقرب، كتب عليه تسعة عشر تسعة عشر مثقالا من ذهب في كل شهر، وأن ينعقد من ماء وجب على الشهداء نفيه ولم يقبل عنه من إيمان أن يا عبادي فاتقون، ومن يحزن نفسا متعمدا بشيء كتب عليه تسعة عشر مثقالا من ذهب دية إن يقدر وإلا من فضة إلا إذا أذن ومن نسي يستغفر الله ربه تسع عشرة مرة، قل أن يا عبادي فاتقون، ثم التاسع

(٢٨)

إنه من بعد العشر دفع عنكم الصلاة كلهن إلا من زوال إلى زوال تسعة عشر ركعة واحدا واحدا بقيام وقنوت وقعود لعلكم يوم القيامة بين يدي الله تقومون، ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون، وكانت في أفئدتكم من حروف الواحد آية لله ربكم لعلكم بذلك تنجون ثم إياي فاتقون ولله تسجدون، الواحد الثامن يا هو بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأظهر الأظهر إن انظر في الكتاب ما كنا عليه لشاهدين إن كل عمل ما نظهرنه لأعظم عند الله من كل ما أنتم لتسبحون، قل إنه كمثل شمس لن يقترن بالكواكب أن يا عبادي إياه تتقون ذلك واحد الأول، الثاني قل إنكم إذا استطعتم تسعة عشر ورقا من القرطاس إلا على ثم عدد الواحد من العقيق في الخاتم لأنفسكم إذ استطعتم لتعدون، قل

لا يورث عن الميت إلا أبيه وأمه وذرياته وزوجته وأخيه وأخته ومن علّمه بعد ما يصرف لنفسه من ماله ما يعز به من بعد موته وأنتم إذا سمعتم موت نفس لله تحضرون، ثم عن مجالسكم لا تقومون، ثم الثالث أنتم يوم القيامة إذا سمعتم حكم كل شيء هالك إلا وجه ذكر اسم ربك ذو السلطنة والاقتدار وتحضرن بين يدي الله ثم بين أيدي الحي ثم تستغفرون الله ربكم الرحمن ثم إلى الله تتوبون وإن لم تستطيعن فلتسألن من فضل الله في (كتبكم)[٢٨]، وإن

(٢٩)

ترون كلمة عفو من الله خير من كل فضل إن أنتم تعلمون، ثم الرابع كل خير أنتم لتحصون أعلاه لمن نظهره ثم أدناه لمن يؤمن به، ثم أوسطه لمن يدل على النقطة أنتم إلى حروف الحق تنظرون، ثم الخامس إن استطعتم ثلث الماس وأربع لعل وست زمرد وست ياقوت إلى حروف الواحد بالأمر توصلون، ولتجعلن بهاء كل كبهاء واحد الأول لعلكم بالله توقنون، ثم السادس أنتم فلتلطفن أبدانكم في كل أربعة يوم عن كل ما أنتم تستطيعون لتلطفون، ولتنظرن في المرآة في الليل والنهار لعلكم تشكرون، ثم السابع أنتم فلتصلين في العبا وهن في لباسهن لا جناح عليهن في ظهور شعرهن وأبدانهن عند أزواجهن حين ما يصلين وأنتم تأخذن شعر وجوهكم ليقوى، وتجملن بما تحبن في أبدانكم لعلكم في أيام الله تشكرون، قل إنما القبلة من يظهره الله متى ينقلب ينقلب إلى أن يستقر ثم من قبل مثل من بعد تعلمون، قل أين ما تولوا فثم وجه الله أنتم إلى الله تنظرون، ثم الثامن من يدرك يوم القيامة فليكتب ما يكسب من خير ودونه لعلكم إلى قيامة الأخرى تعلمون، ثم التاسع من ربي في طائفة حل له النظر والكلام بعضهن إلى

(٢٨) غير واضحة في أصل المخطوطة.

بعض وبعضهم إلى بعضهن أن يا عبادي فاتقون ثم لتتقون، وإن دون ذلك على ما يثمر بينهما قل فوق ثمانية وعشرين كلمة تتقون إلا وأنتم لا تستغنون، ثم العاشر أنتم بالخلال والمسواك بعد ما تفرغون من رزقكم أفواهكم تلطفون ثم لترقدون ثم وجوهكم

(٣٠)

وأيديكم من حد الكف تغسلون إن تريدون أن تصلون، ثم منديل تلطفن وجوهكم وأيديكم وإن في بيت الحر تحفظن ما يشمه كل ريح بمنديل لعلكم دون ما تحبون لا تشهدون، ولتوضئنن على هيكل التوحيد بماء طيب مثل ورد لعلكم بين يدي الله يوم القيامة بماء الورد والعطر تدخلون، وأن ريحكم لن يغير عملكم وأنتم إن تقرؤون البسملة خمسة مرة ليكفيكم عن وضوئكم إذا أنتم الماء لا تجدون أو يصعب بأمر عليكم لعلكم تشكرون، قل في كل ظهور يبدل كينونيات النار بالنور وكيف أعمالكم من عندكم أنتم إلى نقطة الأمر تنظرون، قل عفي بينكم ما تشهدون في الرؤيا أو أنتم بأنفسكم عن أنفسكم تستمنون، ولكنكم تعرفن قدر ذلك الماء، فإنه يكن سبب خلق نفس يعبد الله أنتم في مكمن عز لتحفظون لعلكم من ثمرات أنفسكم دين الله تنصرون، وأنتم إذا وجدتم ذلك الماء باختياركم توضئون ثم لتحشرون، ولتقولن تسعة عشر مرة: سبحانك اللهم أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المسبحين، وإن تغيبن في الماء يقضى عنكم ذلك بعد أن توضيتم ومثل ذلك أن تغسلوا رأسكم وبطنكم وأيديكم وأرجلكم وأنتم في حين العمل تحمدون، وإنما النساء حين ما يجدن الدم ليس عليهن صلاة ولا صوم إلا وأن يتوضأن ثم يسبحن خمس وتسعين مرة من زوال إلى زوال، ليقولن: سبحان الله ذي الطلعة والجمال، وأنتم وهن في الأسفار

(٣١)

بعد ما تنزلن وتسترحن مكان كل صلاة تسجدن مرة واحدة ثم فيها لتسبحون ثم تقعدون على هيكل التوحيد، وثمانية عشر مرة تسبحون الله ثم تقومون، كل ذلك لعلكم في دين الله تشكرون، وأنتم أمواتكم إذا استطعتم خمس مرة بماء طهر ثم في خمس حرير أو قطن تكفنون بعد ما تجعلون الخاتم في يده موهبة من الله للأحياء وهم لعلكم إن نظهره يوم القيامة توفون، وإن في منتهى الحر بماء تحبون لأنفسكم أمواتكم به تغسلون بأيدي أتقيائكم، ثم في البرد بماء الحر وبما بينهما بما تحبون لأنفسكم، ثم ماء ورد أو شبهه كل بدن الميت إن تستطيعن لتوصلون، ثم بمنتهى السكون والحب تتقلبونه ثم في كل، بعد عشر يوما أنتم أمواتكم لتزورون أو أقرب من ذلك في كل يوم إذا خف عليكم وأنتم إذا استطعتم تسعة عشر يوما وليلة عن قربه أحد ألا تبعدون، ليتلو آيات الله وأنتم المصباح عنده توقدون، ثم الثاني من بعد العشر قد شهدت حين الضرب كل الحزن فلا تحزن، فإن هنالك كل شيء يسبحنني (بك)[٢٩]، ومن اكتسبوا لو علموا لك عليك ما اكتسبوا وسيرجعون ثم يستغفرون، قل من يكن على تلك إلا وصل إلى ما في حولها ستة وستين فرسخا إن قضى من عمره تسعة وعشرين سنة عليهم أن يحضروا محل الضرب في كل سنة مرة ثم بعد عشر يوما هنالك ليخلصون وعلى محل الضرب خمس ركعة صلاة لتصليون، ومن لم يستطع في بيته

(٣٢)

تسعة عشر يوما يخلص لله ربه ومن لم يكن في ذلك الحد يعفى عنه بفضلي، وأن أحكم على من على الأرض من يقدر أن يرد أن يا عباد الله تتقون، ثم الثالث

(٢٩) غير واضحة في أصل المخطوطة.

من بعد العشر أنتم على النقطة في أوليها وآخريها خمس وتسعين مرة في صلواتها لتعظمون ولتصلين كلكم مرة واحدة ولكنكم فرادى تقصدون، ثم الرابع من بعد العشر أنتم إن تعلمن البيان فمن آياته بالليل والنهار ما تحبون لتقولون وإلا فلتذكرن الله سبعمائة مرة إن أنتم في روح وإلا ما أنتم تروحون، ثم الخامس من بعد العشر فرض على كل نفس أن يستبقي من نفسه من نفس فليقترنن بينهما بعد ما قد قضى إحدى عشر سنة ومن يقدر ولا يقرب يحبط عمله، وإن يمنع أحدهما الآخر عن الثمرة يختارن إلى أن يطهروا، ويحل الاقتران إن لم يكن في البيان، وإن يدخل من أحد يحرم على الآخر ما يملك من عنده إلا وأن يرجع ذلك بعد أن يرفع أمر من نظهره بالحق أو أقل ظهر بالعدل، وقبل ذلك فليقترنن لعلكم بذلك أمر الله ترفعون، ثم السادس من بعد العشر إن هذا من عدل الله من كل بهاء مائة مثقال من ذهب من كل شيء بهاء عشرين مثقال لله إذا قضى عليه حول ولم ينقص عن أصله تبلغنه إلى من نظهره ليؤتين كل واحد من حروف الواحد مثقالا إلا الواحد الأول، فإن له مثقالين، وإن قبل ما يظهر فيمن ظهر في حياتهم وإن بعد

(٣٣)

عروجهم يرجع إلى ذرياتهم إن يكن لهم، وإلا ما يقدر من عند الله كل يعملون ذلك إن يملك من نفسه وزاد على رزقه، وإن يحسب بعد الموت كل ما ملك، ثم يأمر بما يعدل كل حول يقبل عنه إلا حين الظهور، فإنكم أنتم لا تمهلون، ثم التاسع من بعد العشر إذا بلغ بهاء المثقال الذهب والفضة عند كل نفس عدد الحروف ثم الهائين نزل فيه سدس لله وقد عفي عمن يملك إلا عدد لله ليؤتين الفقراء من ربهم، ومن يضطر في أمره ومن يستقرض أو لضمان أو يمنع عن كسبه أو يحتاج في السبل وهم أنفسهم بأنفسهم يحسنون، قل إنما الأقرب ذرياتهم

وما وجب عليه أمرهم ثم أولى قرابتهم أن يا أولي الغناء أنتم وكلاء من عند الله، فلتنظرن في ملك الله ثم المساكين من ربهم لتغنون، ولا يحل السؤال في الأسواق ومن سأل حرم عليه العطاء، وإن على كل أن يكسب بأمر ومن لا يقدر أنتم أن يا مظاهر الغنا بين إليهم لتبلغون، وقد فرض عليكم العلم بها في دينكم لئلا يضطر نفسا لشيء أن يا عبادي فاتقون، وإن من ذلك عدد لله من كليتهما لله إذا (كل)[30] في كل حول، وفوق ذلك إذا يعدل ذلك يأخذه النقطة في أوليها وأخريها وأنتم ما بينهما إلى تسعة عشر من أولي طاعتهما إذا أمر لتبلغون كل واحد عدد الهاء بها يقدر من عنده لأولي قرابته، وعليهم من أنفسهم لأنفسهم إن هم كانوا موقنين، ثم الثامن من بعد العشر أنتم في كل حول شهر العلاء لله تصومون، وقبل أن يكمل

(٣٤)

المرء والمرأة أحد عشر سنة من حين ما ينعقد نطفته إن يريدون إلى الزوال ليصومون إذ بعد ما يبلغ إلى اثنتي وأربعين سنة يعفى عنه، وما بينهما من الطلوع إلى الغروب ليصومون لعلكم يوم الظهور في أبواب النار لا تدخلون، وأنتم إن تستطيعن قبل الطلوع وبعد الغروب لتضيفون، وإن فيه تؤمنون بمن نظهره، وأنتم عليه لا تحكمون ولا تأكلون ولا تشربون ولا تقترنون ثم بآيات الله تتلذذون، ولا تغيرن أفواهكم حين ما تقرؤون، ثم التاسع من بعد العشر أنتم إذا تسمعن ذكر النقطة لتصلون عليه ثم على حروف الحي لعلكم يوم الظهور بهم تهتدون، وإذا يعدد الذكر يكفيكم مرة واحدة، وأنتم ليلة الجمعة ثم يومها تقولون: سبحانك اللهم صل على ذات حروف السبع ثم حروف الحي بالعزة والجلال، ذلك لعلكم يوم القيامة بها تقولون لتوقنون لا مثل يومئذ لتصلون على محمد ثم حروف الحي

(٣٠) غير واضحة في أصل المخطوطة.

وأنتم عن ظهورهم في أخريهم محتجبون لولا تصلون عليهم ولا تحزنونهم ليرضون عنكم ولكنكم لا تستحيون، وتكسبون ما تكسبون، ومن يصل على من نظهره يصل الله عليه ألف مرة، ومثل ذلك إن أنتم على حروف الحي لتصلون، الواحد التاسع يا هو إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأسلط الأسلط، وإن لي ملك السموات والأرض وما بينهما وما كان لي يرجع إليك في أخريك وأوليك، قل عز كل أرض لمن نظهره أنتم يوم ظهوره

(٣٥)

إليه لتردون، ولو كان بيت أنفسكم فإنكم إن صبرتم تجعل لكم نارا أن يا عبادي فاتقون، وإن بيوت الملوك له وإنْ يصلي أحد فيها فعليه أن يصدق إلى المساكين مثقال فضة إلا وأنتم من شهداء البيان في غروب الشمس تأذنون يسكن فيها من يؤذن حينئذ. قل أنتم في مجالس العز تسعة عشر نفس تخلون لعلكم يوم الظهور عليهم لا تقدمون ذلك إذا وسع وإلا واحدا يكفيكم لعلكم بذلك يوم الظهور لتنجون، لا مثل يومئذ تقومون عند ذكري وأنتم علي تحكمون ولا تستحيون ذلك واحد الأول، ثم أنتم في الثاني أن يا أولي الطب اتقوا الله ثم أنتم بالآلاء والنعماء التي خلقت لله تداوون، وأنتم المرضى أن يا عبادي لتزورون، وإن يكن عند أحد خطأ لم يكن له عدل فليكتبن ألف بيت وليوصين به فإنا كنا إليه لناظرين، ثم الثالث من كل ملك بيت (مرآة)[٣١] لنفسه يكتب بين يديه ما يدل على لو يظهر آية ربه، ولم ينصرنه لينتقم الله عنه بكل ما يمكن من عنده، وإن ينصرنه ليوصلن الله إليه كل خير، قل إنك خلقت لذلك ولا بد أن تمت، فأبق ذكرك إلى يوم القيامة بين العالمين، ثم الرابع أنتم حين روحكم في سركم بذكر الله تتلذذون،

---

(٣١) غير واضحة في أصل المخطوطة.

ولكنكم إن تتلذذون بما ينطق من نظهره لأعظم عند الله أو ما أنتم به تتلذذون قد علت في (أفئدتكم)[٣٢] بآياته من قبل ظهوره بلساني، قل أن يا كل شيء فيه

(٣٦)

تتقون، ثم الخامس كتب على كل نفس أن يخدم النقطة تسعة عشر يوما في ظهورها ويرفع عنكم إذا عفى، قل ذلك خير الأعمال إن أنتم تستطيعون أن تدركون، ثم السادس أنتم قدام طائفة يظهر فيها النقطة لا تقدمون إن هم كانوا مؤمنين، قل أولئك خير من على الأرض ولو علم الله خيرا منهم في الإيمان ليظهره منهم، أنتم إلى أبيه وأمه وما كان معه ومن آمن به من أولي قرابته من الله تسلمون، إن أنتم تحسنن بكل نفس لعلكم تدركون هذا قبل أن يظهر؛ وبعد ذلك أنتم مستدركون وتعلمون عليك أن يا بهاء الله ثم أولو قرابتك ذكر الله وثناء كل شيء في كل حين، وقبل حين وبعد حين، ثم السابع أنتم عمن لم يكن لي تحذرون ولا تبيعن ولا تشترن ما لا يحبه الله فإنه حرّم عليكم، ولا تستعملن ذلك أنتم في ذلك الدين عن كل كره تستطيعون لتبعدون، ثم الثامن أنتم الدواء ثم المسكرات وفوقهما لا تملكون ولا تبيعون ولا تشترون ولا تستعملون إلا بما أنتم تحبون أن تصنعون، ثم التاسع بالجماعة لا تصلون ولكنكم تحضرن المساجد وأنتم على الكرسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون إلا في صلاة الميت، فإنكم حين الاجتماع لتصلون، ولنجعلن كل عز في بيتكم مسجدكم وإن تحضرن المساجد خير لكم لعلكم يوم ظهور الله في أمر الله لتسرعون، ثم العاشر أنتم إذ استطعتم كل آثار النقطة تملكون

(٣٢) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٣٧)

ولو كان (چاپا)[٣٣]، فإن الرزق ينزل على من يملكه مثل الغيث، قل أن يا عبادي خير التجارة هذا إن أنتم بمن نظهره تؤمنون، ثم إحدى بعد العاشر أنتم أنفسكم لتطهرون من دون حروف العليين لعلكم في حقايقها لا تدخلون ولتدققن أن لا تكونن منهم، ومن يقدر أن لا يذكر إلا الخير خير له ولكنكم إلى ما أنزل الله تنظرون، وقد نزل فيه ما نزل إلى حينئذ، ثم الألف والياء من نفس لو شاء من بعد فيها يعدل عدد كل شيء لو شاء الله لتشهدون، ثم الثاني من بعد العشر لم يبطل صلاتكم شعور الحيوان ولا ما ينفخ الروح فيه أنتم في دين الله تشكرون، ثم الثالث من بعد العشر أنتم أبدًا كتابا لا تخرقون، ثم الرابع من بعد العشر أنتم كل أسبابكم من بعد أن يكمل تسعة عشر سنة إن تستطيعون لتجددون، ثم الخامس من بعد العشر فلتكتبن ذكر البيان على كل صنايعكم لعلكم في ظهور حقيقته أن تبقون في دينكم بين يدي شجرة الأولى تذكرون، ثم السادس من بعد العشر أنتم لا تضربن أحدا أبدا، ثم السابع من بعد العشر فلتضيفن في تسعة عشر يوما تسعة عشر نفسا ولو أنتم ماء الواحد لتؤتون وإن لا تستطيعن إلى عدد الواحد لتبلغون، ثم الثامن من بعد العشر أنتم لا تخرقون لباسكم ولا تضربون على أبدانكم حين ما يمت منكم من أحد أبدا أبدا، ثم التاسع من بعد العشر أنتم حين ما تذكون حوت البحر أو النهر لتقولون بسم الله المهيمن القيوم، ثم كل ما كان عليه

(٣٨)

الفلس تأكلون، الواحد العاشر بسم الله الأمنع الأقدس إنني أنا الله لا إله إلا أنا الأكمل الأكمل قد نزلت في الواحد العاشر أن أشهد أنه لا إله إلا أنا

---

(٣٣) الطبع.

المهيمن القيوم، قل الأول ولا تحترزن عن الكلب وغيره، وإن يمسكم شعر رطب منه إلا وأنتم تحبون أن تنظفون، قل في الثاني إن الله قد أذن للذين هم آمنوا في البيان من الحروف والحروفات أن ينظرن إليهن إذا شاؤوا ويشأن من غير أن يشهدوا أو يشهدن ما لا يحب الله في نظرتهم ونظرتهن، والله يريد أن يخلق بينكم وبينهن ما أنتم به في الرضوان تتحاببون، وإن في الثالث ما أنتم من ملك الله تورثون فلتقسمن بها قد قسمتها بينكم لعلكم أنتم بها قد أردنا في أعدادها يوم ظهور أنفسكم فيها تدخلون لتؤمنن بمن يظهره الله ثم بآياته توقنون، قل أن ذرياتكم يورث من كتاب الطاء أنتم منهن بالعدل لتقسمون، قل ما كتب الله عليهم عدد المقت لعلهم يشكرون، قل ما كتب الله على أزواجكم من كتاب الحاء على عدد التاء والفاء أنتم بينهن بالعدل لتقسمون، قل ما كتب الله في الكتاب من كتاب الزاء لأبيكم عدد التاء والكاف أنتم بها قد كتب الله لكم تحكمون، قل ما يورث أمهاتكم من كتاب الواو عدد الرقيع في الكتاب أنتم بها قد قدر الله لتقدرون، وإن ما قد كتب الله لإخوانكم عدد الشين من كتاب الهاء أنتم بها قد كتب الله لتبلغون، وإن ما قد كتب الله لأخواتكم عدد الراء والميم من كتاب الدال أنتم بها قد كتب الله لهن لتعدلون، وإن ما قد كتب الله (لدينهم)[٣٤]

(٣٩)

يعلمونكم من كتاب الجيم عدد القاف بينهم بالعدل لتقدرون، قل قد قسم الله إرثكم على درجات رباع بعد ثلث بها قد قدر في الحروف تلك الدرجات قبل رباع ثلث ذلك من مخزون العلم في كتاب الله لن يغير ولن يبدل. أنتم في هياكل كلكم تنظرون، ثم يوم القيامة بها قد تجلى الله لكل الحروف بالعدد الهاء

(٣٤) غير واضحة في أصل المخطوطة.

لمن يظهره الله تؤمنون وتوقنون، قل إنما الرابع جوهر الدين في بدئكم وعودكم إن تؤمنون بالله الذي لا إله إلا هو ثم بمن يظهره الله يوم القيامة في عودكم ثم بما نزل عليه من كتاب ثم بمن أظهره الله باسم علي قبل محمد، ثم بما نزل الله عليه من البيان من كل عنه عاجزون، إن أدركتم عودكم إلى من يظهره الله، فإذا أنتم بدئكم تدركون، قل إنما الخامس كل شيء تطلق عليه اسم.شيء قد أدخل في بحر الحل والطهر لنفسه بنفسه إلا من لا يؤمن بالبيان وأنتم في الكتاب عنه لتنهون، فإن ذلك ما أنتم كلفتم به لا يتغير ما هو عليه في نفسه، وأنتم عما قد أمركم الله ربكم لتسألون فلتجتنبن عن كل ما أنتم تكرهون، قل إنما السادس قد حرم الله عليكم في البيان الأذى ولو كان بضرب يد على كتف أن يا عباد الله تتقون، وإن حين ما تحبون أن تتحاجون بالدلائل والبرهان على أكمل الحياء تكتبون دلائلكم، ثم على منتهى الأدب لتقولون فإنكم تلاقون الله ربكم يوم القيامة بما تلاقون من يظهره الله ومن يكن بابا له للعالمين لعلكم لا تلاقون الله ربكم وتكسبون عملا يحزن به الله

(٤٠)

ربكم بما يحزن من يظهره الله وأنتم لا تلتفتون ولا تتذكرون، قل إنما السابع فلتبلغن إلى من يظهره الله كل نفس منكم بلور عطر ممتنع رفيع من عند نقطة البيان ثم بين يدي الله تسجدون بأيديكم لا بأيدي دونكم إلا وأنتم لا تستطيعون، قل إنما الثامن فلا تسجدن إلا على البلور فيها من ذرات طين الأول والآخر ذكرا من الله في الكتاب لعلكم شيء غير محبوب لا تشهدون، وإن في التاسع فليملكن من كل نفس من أسباب بلور ممتنع رفيع عدد الواحد على قدر ما يتمكن، وإن يستطع ولم يملك كتب عليه أن ينفق تسعة عشر مثقالا من الذهب حدا في كتاب الله

لعلكم تتقون، وإن في العاشر فلا تصبرن الحروف بعد ما تقبض حروفاتهن إلا تسعين يوما ولا الحروفات بعد ما يقبض حروفهن إلا خمس وتسعين يوما حدا في كتاب الله لعلكم تتقون، لتشهدن أن الملك وكل إليه ليرجعون، وإن صبروا فوق ما قد كتب الله عليهم أو هن فوق ما قد كتب الله عليهن بعد ما يستطيعن ويقدرن أو يستطيعون ويقدرون عليهم أن ينفقون تسعين مثقالا من ذهب، وعليهن أن ينفقن خمس وتسعين مثقالا من ذهب إن يستطيعن أو يستطيعون وإلا يعفى عنهم وعنهن والله ما أراد لأحد إلا الحب والرضاء لعلكم أنتم في رضوان البيان لتشكرون، وإن الحادي والعشر أن الذين ينشئون الكتاب يكتبون في أوله

(٤١)

لا إله إلا الله ثم في آخره لا حجة إلا عليّ قبل محمد لعلكم أنتم تستدلون يوم من يظهره الله بمثل ذلك ثم به تهتدون، وأن الثاني من بعد العشر ذرياتكم لم يكن عليهن من حدود موتكم قبل أن ينفخ فيهن الروح وبعد ما ينفخ أن ينزلن أحياء فأنتم حدود حياتكم فيهن لتراقبون، وإن تنزلن أمواتا يرفع عنكم حدودكم وصلاتكم عليهن ولا يقربوهن آبائهن ولا أمهاتهن لئلا يحزنا، وإن لم يكن غيرهما رحمة من الله وفضلا في الكتاب لعلكم في أيام الله تصبرون، وإن الثالث من بعد العشر إذن في البيان أن تجعلن أنفسكم واحدا واحدا بأن تختارن لأنفسكم عدد الحي لعلكم (يؤم)[٣٥] بذلك الشأن على الله ربكم، قل إن النقطة آية شجرة الأولى ثم الحي آيات حي الأول أنتم فلتراقبن أنفسكم في ذلك الشأن لعلكم أنتم يوم القيامة بمن يظهره الله ثم حي الأول لا تحتجبون، وإن من يظهره لو يظهر في مقام النقطة أو الحي، فإنه لحق من عند الله لا ريب فيه إنا كل به مؤمنون، وإن

(٣٥) غير واضحة في أصل المخطوطة.

حي الأول أن يظهرون في مقام الحي أو النقطة فإنهم أسماء الأولى إنا كل بهم مؤمنون، وإنما الرابع من بعد العشر كتب الله على آبائكم وأمهاتكم أن يرزقانكم من أول خلقكم إلى تسعة عشر سنة تامة، وعليكم أن ترزقونهما إلى آخر عمرهما إن لم يكونا من المستطيعين، وعليهما أن يرزقانكم إن يستطيعان، وإنكم أنتم ما كنتم على الأرض لمستطيعين ذلك أن

(٤٢)

يكونن كل على حدود دينهم وأن يحتجب أحد منهم فأنتم عنه لتعفون، ومن يحتجب في حدود الله في ذلك فليلزمنه في كل حول أن ينفق تسعة عشر مثقالا من ذهب في سبيل الله حدا في كتاب الله لعلكم تتقون، وإنما الخامس من بعد العشر لا تركبن البقر ولا تحملن عليه من شيء إن أنتم بالله وآياته مؤمنون، ولا تشربن لبن الحمير ولا تحملن عليه ولا على حيوان غيره إلا على دون طاقته ما قد كتب الله لعلكم تتقون، ولا تركبن الحيوان إلا وأنتم باللجام والركاب لتركبون، ولا تركبن ما لا تستطيعن أن تحفظن أنفسكم عليه؛ فإن الله قد أنهاكم عن ذلك نهيا عظيما، ولا تقربن البيضة على شيء يضيع ما فيه قبل أن يطبخ. هذا ما قد جعل الله رزق نقطة الأولى في أيام القيامة ومن عنده لعلكم تشكرون، وإن ما يظهر في البيضة من الدم عفي عنكم، وإنه يطهر فلا تأكلوه لعلكم شيء غير مكروه لا تشهدون، ولا تركبن الفلك إلا وأنتم على قدر قدركم تملكون، ولا تجادلن فيه ولا تنازعن وأنتم على مثل الروح والريحان بعضكم ببعض تسلكون، كتب على الذين هم هم أولو الأمر في الفلك أن يقدمون على أنفسهم من فيه من الذين هم فيه راكبون حين ما يضطربن من في الفلك، وأنتم حينئذ لا تقومون منه ولتجعلن مكان ظهركم في مقعد لم يكن على مقعد يخاف من يدخل فيه، وأنتم مثل ما تصنعون في الدبر في

مقاعد أخرى تصنعون، ولا تراقبن ظهركم في الفلك إلا على قدر ما أنتم عليه لتستطيعون ودفع عن الذين هم

(٤٣)

وراء البحر ما قد كتب الله من سفر واجب إن هم سفر البر لا يملكون، وأذن لهم أن يتخذون لأنفسهم أوليا عنهم ليحجون وليبلغون إليهم ما يصرفون من مكانهم إلى ما هم إليه ليرجعون إن هم على ذلك لمستطيعون وإلا عفي عنهم وعما كل يكسبون، وإنما السادس من بعد العشر كتب على كل ملك أرض في كل حول مائة وأربعين مثقالا من ذهب، ثم وزير الأعظم مائتين وتسعين مثقالا، ثم على الحاكم الأعظم مائة وستين مثقالا، ثم على العالم الأعظم مائتين وثمانين مثقالا إن يحزنون من يظهره الله ثم بأيديهم حين ظهوره إليه ليبلغون، إذا ما أحزنوا في تلك القيامة مظهر ربهم هؤلاء لعل الذين يخلقون في البيان في مقاعدهم جزاء ما كسبوا من قبلهم بالحق يكسبون، أن يا هؤلاء إن لم تؤمنن بمن يظهره الله إياه لا تحزنون؛ فإن في تلك القيامة هؤلاء لو آمنوا بالنقطة الأولى لم يحزن أحد في البيان، وكل إلى قيامة الأخرى بالروح والريحان يسلكون، ولكنهم قد احتجبوا حتى أسلكوا ما لا يحب الله في البيان، فأنتم بمثلهم أنفسكم عن رحمة ربكم لا تبعدون أن لا تبلغون إلى من يظهره الله ما كتب الله عليكم في الكتاب إياه لا تحزنون ولا تشكون فيه حين ما تسمعون، ولتجعلن أنفسكم حكما بينه وبين الذين أوتوا البيان بأن تعرضن آياته على الذين أوتوا البيان إن شهدتم عجز أنفسكم وإياهم، فإذا تؤمنون وإن لا شهدتم عجز أنفسكم ولا إياهم فإذا أنتم إياه لا تحزنون، ولو يظهر حكما في تلك القيامة ليبين الحق على من على الأرض

(٤٤)

كلها، ولكن كل في أحكام دينهم ودنياهم بحكمهم يرجعون ويحكمون، ولكن لا يظهرون في أمر يثبت به دينهم حكما ليشهد على عجزهم عن آيات ربهم لينجون أنفسهم بذلك الحكم وبالليل والنهار يتعبون، وأنفسهم وأعمالهم ليفنون ويحسبون أنهم يحسنون، أنتم أن يا أولي البيان بمثلهم لا تحتجبون، وإنما السابع من بعد العشر أن يا أولي الحكم فلتأمرن من يتبعونكم أن لا يأخذن لباس أحد ولا ما عنده، وإن يأخذ يحرم عليهم وعليكم أزواجكم تسعة عشر يوما، وإن اقترنتم ليلزمنكم من كتاب الله تسعة عشر مثقالا من ذهب إن تردون إلى شهداء البيان ليؤتين من أخذ عنه لباسه أو شيء مما عنده لعلكم تتقون، وتأمرن من يتبعونكم أن لا يعارضن أحدا أبدا لعلكم يوم القيامة بأصحاب من يظهره الله لا تتعرضون، ولتأمرن كل أرض أن ينظمون بيوتها وأسواقها وأماكنها، ويميز كل صنف في مقعده عن الآخر حيث لا يختلط اثنين منهم إلا في مكانها، وكل صنف كانوا في مكان واحد على أحسن نظم محبوب، ولتأمرن أن يكون كل صنف في خان؛ فإن ذلك أقرب للنفع والتقوى إن أنتم تشعرون، قل إنما الثامن بعد العشر ولا تأمرون أن يؤخذ من أحد قدر شعر أو ينقص عنه بعد ما أكمل الله خلق ظاهره من شيء أمرا في كتاب الله لعلكم أنتم أحدا لا تحزنون، ومن يأخذ من جسد أحد من شيء

(٤٥)

ويغير لونه قدر شيء أو يغير لباسه، أو أراد أن يذلنه قد حرم الله عليه زواجه تسعة عشر شهرا في كتاب الله، وليلزمنه من حدود (الله)[٣٦] خمس وتسعين واحدا من ذهب لعلكم أنتم تتقون، ولا تأمرون ولا تفعلون ولا ترضيون، فلا

(٣٦) غير واضحة في أصل المخطوطة.

تظلمن على أحد قدر خردل إن أنتم بالله وآياته مؤمنون، وإن لم تكونن بالله وآياته مؤمنين فلتكسبن عملا لا يخرجنكم من حياتكم، فإنكم قبل خلقكم كنتم عند الله قطرة ماء بعد طين، ولترجعن (إلى)[٣٧] كف طين (فلتستجيبن)[٣٨] ولا ترضين لأحد دون ما ترضين لأنفسكم وأنتم بأعلى تدابير حياتكم في أموركم لتدبرون، ولا تضيعن خلق أحد بعد ما قد أكمل الله خلقه لما تريدون من عز أيام معدودة أو غناء أيام معدودة، فإن كلتيهما ينقطع عنكم وأنتم من بعد موتكم في النار تدخلون تتمنون كأنكم ما خلقتم وما اكتسبتم في حق نفس من حزن، وإن تتعقلون في حياتكم تتمنون إن أنتم قليلا ما تشعرون، قل التاسع من بعد العشر ما أمر الله من أمر ولا نزل من نهي إلا لعز من يظهره الله أو (يعارضكم)[٣٩] أمر أو نهي عزه أنتم عز الله لتراقبون ومن كلتيهما تنقطعون.



(٣٧) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٣٨) غير واضحة في أصل المخطوطة.

(٣٩) غير واضحة في أصل المخطوطة.

الفهرست



هذا الكتاب

هو الترجمة الدقيقة لرسالة «الدكتوراه» التي تقدم بها إلى جامعة باريس الإمام الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج الدين تحت عنون «البابية والإسلام: بحوث حول أصول البابية وعلاقتها بالإسلام»، ونشرتها عام ١٩٤٢م المكتبة العامة للقانون والتشريع فى العاصمة الفرنسية باريس.

لقد أطلت البابية برأسها على الشرق بعد ميلادها غير الشرعي في بلاد فارس في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد، فادَّعت أنها الفرقة التي بيدها سعادة الناس ونجاتهم مما هم فيه تحت وطأة الظلم والاستبداد والفقر والجهل، غافلين عن طريق أهل الحق الذين يرون أن الخلاص دائمًا ليس فى شخص أو بضعة أشخاص، وإنما يأتي ذلك من خلال منهج حكيم، وقيم عليا، ومبادئ سامية، ولا تتوفر كل هذه المقوِّمات إلا في الأديان السماوية، وقد بلغت ذروتها في الدين الإسلامي الحنيف بمصدريه الرئيسين: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الشريفة.

وإن من تمام نعمة الإسلام العظمى أن الله تعالى جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل عن الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، ومن هؤلاء الذين يفخر المسلمون بجهودهم في هذا السياق الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن تاج الدين شيخ الأزهر الشريف الذي بين للناس حقيقة البابية وأصولها والكتب التي ألفها متولي إثمها وهو الميرزا علي محمد الملقب بالباب، ثم ما لبث الشيخ تاج أن أتى على بيانها الزائف بمعاول الحق، ومنهج أهل الصدق حتى كشف أمرها وأزاح الستار عن أهدافها الحقيقية التي قد يجـ[illegible] بمظهرها آخرون، وخلَص الشيخ إلى أنه لا علاقة بين هذه الفرقة المنـ[illegible] هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يعد أفضل ما كتب في هذا الموضـ[illegible]

